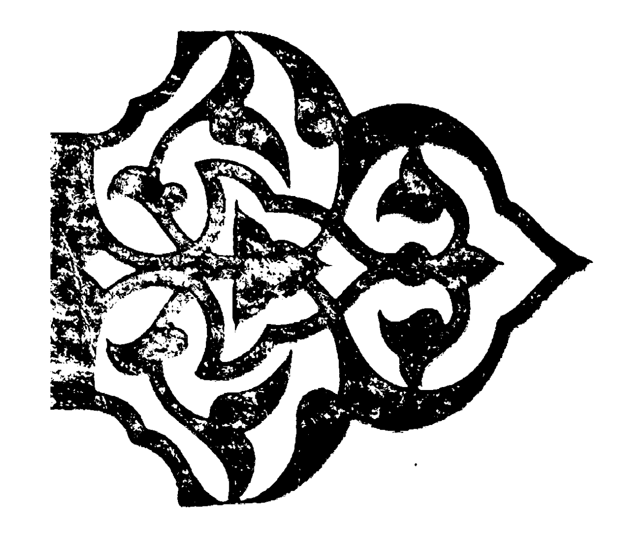


الذخائر ٣٤

الجزء الثانى

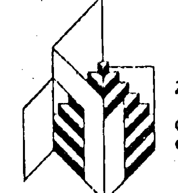


لبهاء الدين العاملى

٩٥٣ - ١٠٣١

تحقيق : الطاهر أحمد الزاوى

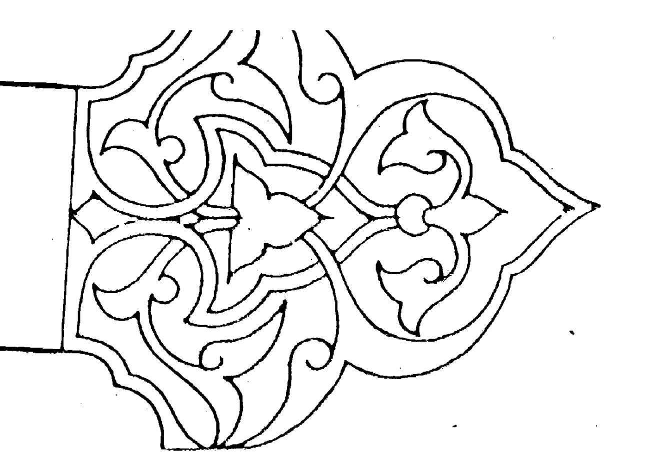
١٩٩٨



الهيئة العامة لقصور الثقافة

GENERAL ORGANIZATION for
CULTURE CENTERS





الذخائر ٣٤

الجزء الثانى

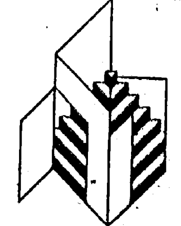
الكشكول

لبهاء الدين العاملى

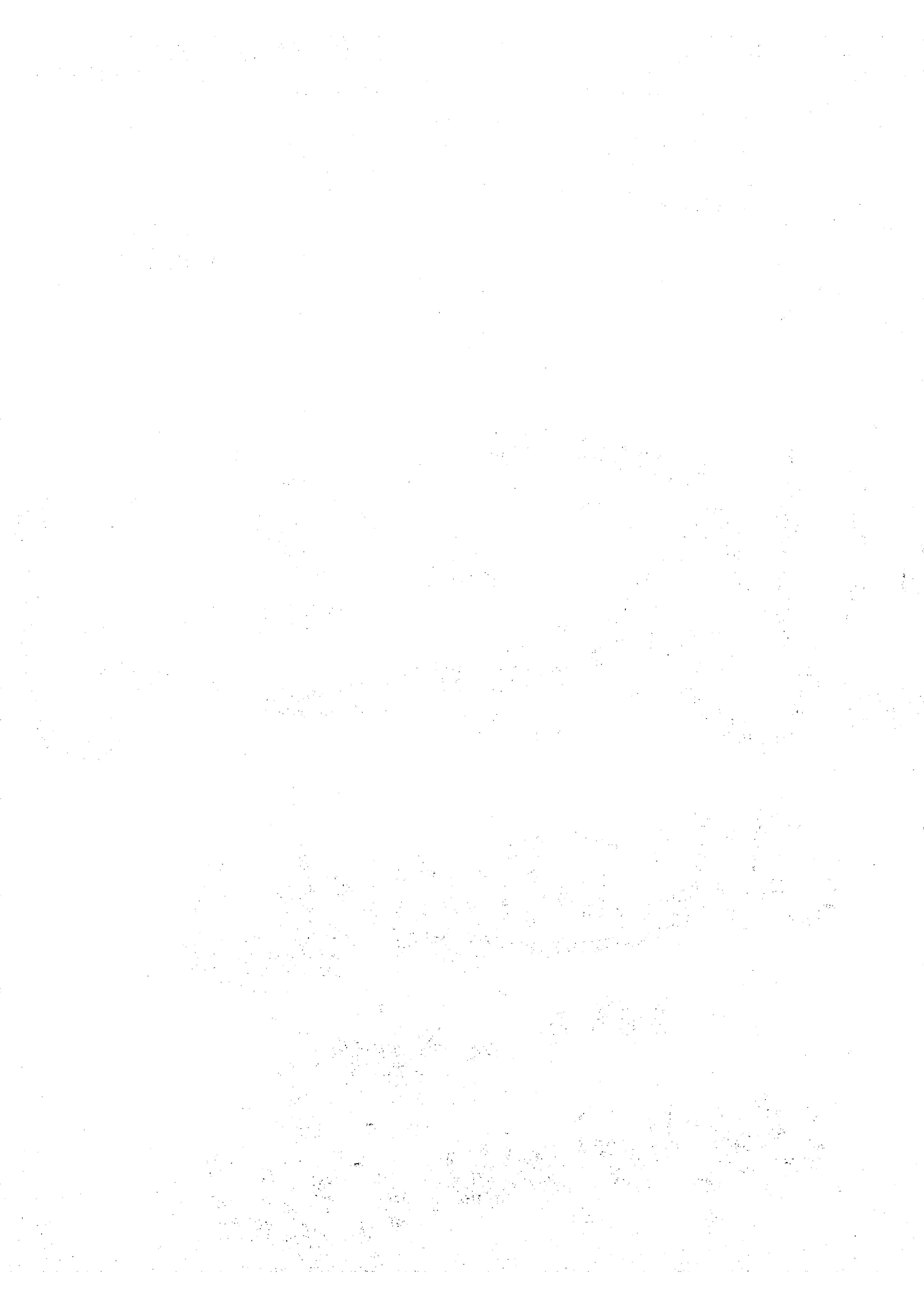
٩٥٣ - ١٠٣١

تحقيق: الطاهر أحمد الزاوى

١٩٩٨



الهيئة العامة لقصور الثقافة
GENERAL ORGANIZATION for
CULTURE CENTERS



الذخائر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

د. مصطفى الرزاز

المشرف العام

جمال الغيطانى

مدير التحرير

خيرى عبد الجواد

الإخراج الفنى

حامد العويضى

المراسلات : باسم مدير التحرير
على العنوان التالى : ١٦ أ شارع أمين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى ١٢٥٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيد البشر ، والشفيع المشفع فى المحشر ، صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : الدنيا دار بلاء ، ومنزلة بلغة وعناء ، قد نزعت عنها نفوس السعداء ، وانتزعت بالكره من أيدى الأشقياء . فأسعد الناس بها أرغبهم عنها ، وأشقاهم بها أرغبهم فيها . فهى الغاشة لمن استنصحها ، والمغوية لمن أطاعها . الفائز من أعرض عنها ؛ والهالك من هوى فيها . طوبى لعبد اتقى فيها ربه ، وقدم توبته وغلب شهوته ، من قبل أن تلقيه الدنيا إلى الآخرة فيصبح فى بطن موحشة غبراء ، مدلهمة ظلماء ، لا يستطيع أن يزيد فى حسنة ولا ينقص من سيئة . ثم ينشر فيحشر ، إما إلى جنة يدوم نعيمها ، أو إلى نار لا ينفد عذابها .

فى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى إذا عَصانى من يَعرفُنى سلطت عَليه من لا يعرفنى » .

أبو حمزة الثمالى : قال رأيت على بن الحسين عليهما السلامُ يصلى وقد سقط رداؤه عن منكبه ، فلم يسوّه حتى فرغ من صلاته ، فقلت له فى ذلك فقال : ويحك أتدرى بين يدى من كنت ؟ إنّ العبد لا يقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها . فقلت : جعلت فداك ، هلكنا إذن ، فقال : كلا ، إن الله يُتم ذلك بالنوافل .

لبعض الأعراب فى تصميم العزائم :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمَــــهُ ... ونكّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى أمره غــيرَ نفسه ... ولم يرض إلا قائمَ السيف صاحبا

ولبعضهم فى هذا المعنى :

سأغسل عنى العارَ بالسيف جالبا ... علىّ قضاءُ الله ما كان جالبا

وتَصغُر فى عينى بلادى إذا انثنت ... يمينى بإدراك الذى كنت طالبا

من خط س عن عنوان البصرى ـ وكان شيخا قد أتى عليه أربع وتسعون سنة ـ قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس، فلما قدم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام اختلفت إليه وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك ، فقال لى يوما : إنى رجل مطلوب ، ومع ذلك لى أوراد فى كل ساعة فى آناء الليل وأطراف النهار، فلا تشغلنى عن وردى ، وخذ عن مالك واختلفْ إليه كما كنت تختلف ، فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده وقلت فى نفسى : لو تفرس فىّ خيرا ما زجرنى عن الاختلاف إليه والأخذ عنه ، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه ، ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين وقلت : أسألك يا ألله يا ألله أن تعطف علىّ قلب جعفر ، وترزقنى من علمه ما أهتدى به إلى صراطك المستقيم ، ورجعت إلى دارى مغتمّا ، ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبى من حُب جعفر ، فما خرجت من دارى إلا للصلاة المكتوبة ، حتى عيل صبرى ، فلما ضاق صدرى تنعلت وترديت وقصدت جعفرا ، وكان بعد ما صليت العصر ، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه ، فخرج خادم له فقال : ماحاجتك ؟ فقلت السلام على الشريف ، فقال: هو قائم فى مصلاه، فجلست بحذائه فما لبث إلا يسيرا إذ خرج ، فقال : ادخل على بركة الله ، فدخلت وسلمت عليه ، فردّ علىّ السلام وقال : اجلس غفر الله لك ، فجلست فأطرق مليًا ثم رفع رأسه وقال : أبو من ؟ قلت : أبو عبد الله ، قال: ثبت الله كنيتك ، ووفقك يا أبا عبد الله ، ما مسئلتك ؟ فقلت فى نفسى لو لم يكن لى فى زيارته والتسليم عليه غير هذا الدعاء لكان كثيرا ،

ثم رفع رأسه فقال : مامسألتك ؟ قلت : سألت الله أن يعطف على قلبك ، ويرزقني من علمك ، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ماسألته ، فقال : يا أبا عبدالله ليس العلم بالتعلم ، وإنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تعالى أن يهديه ، فإن أردت العلم فاطلب في نفسك أولا حقيقةَ العبودية ، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهّمك، قلت : يا شريف، قال: قل ياأباعبدالله ، قلت : يا أبا عبد الله ماحقيقة العبودية ؟ قال ثلاثة أشياء : أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا ، لأن العبيد لا يكون لهم ملك ، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله تعالى به ، ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيرا ، وجعل اشتغاله فيما أمر الله تعالى به ونهاه عنه ، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه ، وإذا فوّض العبد تدبير نفسه إلى مدبره هان عليه مصائب الدنيا ، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله ونهاه لا يتفرّغ منها إلى المراء والمباهاة مع الناس ، فإذا أكرم الله العبدَ بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وإبليس والخلق ، ولا يطلب الدنيا تكاثرا وتفاخرا ، ولا يطلب ما عند الناس عزا وعلوا ، ولا يدع أيامه باطلا ، فهذا أول درجة التقى ، قال الله تعالى : « تلكَ الدارُ الآخرةُ نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فَسادا والعاقبة للمتقين » .

قلت : يا أبا عبد الله أوصني، قال أوصيك بتسعة أشياء ، فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى أسأله أن يوفقك لاستعمالها : ثلاثة منها في رياضة النفس ، وثلاثة منها في الحلم ، وثلاثة منها في العلم ، فاحفظها ، وإياك والتهاون بها ، قال عنوان : ففرغت قلبي له ، فقال : أما اللواتي في الرياضة فإياك أن تأكل مالا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله ، ولا تأكل إلا عند الجوع ، وإذا أكلت فكل حلالا ، وسمّ الله واذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدميّ وعاء شرًّا

من بطنه فإن كان ولا بدّ فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسه » وأما اللواتى فى الحلم ، فمن قال لك : إن قلت واحدة سمعتَ عشرا فقل له إن قلتَ عشرا لم تسمع واحدة ، ومن شتمك فقل له : إن كنتَ صادقا فيما تقول فأسأل الله تعالى أن يغفر لى ، وإن كنتَ كاذبا فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لك ، ومن وعدك بالخنى فعده بالنصيحة والدعاء . وأما اللواتى فى العلم فاسأل العلماء ما جهلت ، وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربة ، وإياك أن تعمل برأيك شيئاً وخذ بالاحتياط فى جميع ما تجد إليه سبيلا ، واهرب من الفتيا هروبك من الأسد . ولاتجعل رقبتك للناس جسرا . قم عنى يا أبا عبد الله فقد نصحت لك . ولا تفسد علىّ وردى فإنى امرؤ ضنين بنفسى . والسلام على من اتبع الهدى . منقول كله من خط س .

فى الحديث « لا يترك النـاس شيئاً من دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه » .

إن أرباب الأرصاد الروحانية أعلى شأنا وأرفعُ مكانا من أصحاب الأرصاد الجسمانية ، فصدق هؤلاء أيضا فيما ألقوه إليك مما دلت عليه أرصادهم ، وأدّى إليه اجتهادهم ، كما تصدّق أولئك .

الشريف الرضى رضى الله عنه :

خُذى نَفسى ياريحُ من جانب الِحمى ولاقى بها ليـلًا نسيمَ رُبى نجدِ
فإن بذاكَ الحىِّ حِبّى عهـــدته وبالرغم منّى أن يطولَ به عَهدى
ولولا تَداوى القلب من ألم الجوَى بذِكرِ تلاقِينا قضيتُ من الوجـدِ

[النفوس أربعة]

عن كُمَيل بن زياد قال سألت مولاى أميرَ المؤمنين عليا عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين ، أريد أن تعرفنى نفسى ، فقال : يا كُميل وأى الأنفس تريد ؟

أن أعرفك؟ فقلت : يا مولاى وهل هى إلا نفس واحدة؟ قال : يا كميل إنما هى أربعة : النامية النباتية ، والحسّيّة الحيوانية ، والناطقة القدسية ، والكلية الإلهية . ولكل واحدة من هذه خمس قوًى ، وخاصّيتان : فالنامية النباتية لها خمس قُوى : ماسكة ، وجاذبة ، وهاضمة ، ودافعة ، ومرتبة ، ولها خاصيتان : الزيادة والنقصان ، وانبعاثها من الكبد . والحسية الحيوانية لها خمس قوى: سمع، وبصر، وشم ، وذوق ، ولمس ، ولها خاصيتان : الرضا والغضب ، وانبعاثها من القلب . والناطقة القدسية لها خمس قوى : فكر ، وذكر ، وعلم ، وحلم ، ونباهة ، وليس لها انبعاث ، وهى أشبه الأشياء بالنفوس الملكية، ولها خاصيتان: النزاهة، والحكمة. والكلية الإلهية لها خمس قوى : بقاء فى فناء ، ونعيم فى شقاء ، وعز فى ذل ، وفقر فى غنى ، وصبر فى بلاء ، ولها خاصيتان : الرضا والتسليم . وهذه هى التى مبدؤها من الله وإليه تعود . قال الله تعالى : « ونفختُ فيه من روحى » وقال تعالى : « يٰأيتُها النفسُ المطمئنةُ ارجعى إلى ربّكِ راضيةً مرضيّةً » والعقل وسط الكل .

[تعريف القدر]

فى النهج : أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام سئل عن القدَر فقال : طريق مظلم فلا تسلكوه ، ثم سئل ثانيا فقال : بحر عميق فلا تلجوه . ثم سئل ثالثا فقال: سر الله فلا تتكلفوه ، لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما فى يد الله سبحانه أوثقَ منه بما فى يده .

سمع رجلان رجلًا ينادى على سلعة ، فقال أحدهما للآخر : إن أعطيتنى ثلثَ ما معك وضممته إلى ما معى تم لى ثمنها ، وقال له الآخر : إن ضممت ربع

ما معك إلى ما معى تم لى ثمنها. طريق مخرج هذه المسئلة وأمثالها أن يضرب مخرج الثلث فى مخرج الربع ، وينقص من الحاصل واحد فالباقى ثمنها ، فينقص من الحاصل ثلثه فيبقى ما مع أحدهما ، وهو ثمانية ، ثم ربعه فيبقى ما مع الآخر وهو تسعة .

[مواعظ مؤثرة]

قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل يسأله أن يعظه : لا تكن ممن يرجو الآخرة بلا عمل ، ويرجو التوبة بطول الأمل ، يقول فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين . إن أعطى منها لم يشبع ، وإن مُنع لم يقنعْ ، ينهى ولا ينتهى ، ويأمر بما لا يأتى . يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ، ويبغض المذنبين وهو أحدهم ، ويكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يُكرّه الموت له . إن سقِم ظل نادما ، وإن صحّ أمن لاهيا يعجب بنفسه إذا عوفى ، ويقنط إذا ابتلى . إن أصابه بلاء دعا مضطرا . وإن ناله رخاء أعرض مغترا . تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن . يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله . إن استغنى بطر وفُتن، وإن افتقر قنط ووهن . يقصر إذا عمل ، ويبالغ إذا سأل . إن عرضَتْ له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة . وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة . يصف العبر ولا يعتبر ، ويبالغ فى الموعظة ولا يتعظ . فهو بالقول مدل ، ومن العمل مقل . ينافس فيما يفنى ، ويسامح فيما يبقى . يرى الغُنم مَغرما والغُرم مغنما . يخشى الموت ولا يبادر الفوت . يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحتقره من طاعة غيره . فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن . اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء،

يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره . يرشد غيره ويغوى نفسه . فهو يُطاع ويَعصي . ويستوفي ولا يُوفي . ويخشى الخلق في[1] ربه . ولا يخشى ربّه في خلقه .

قال جامع النهج : كفى بهذا الكلام موعظة ناجعة ، وحكمة بالغة ، وبصيرة لمبصر ، وعبرة لناظر مفكر .

ومن كلامه عليه السلام : عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شره بالإنعام عليه .

قال يونس النحوي : الأيدي ثلاث : يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء فاليد البيضاء هي الابتداء بالمعروف ، واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هي المن بالمعروف .

قال بعض الحكماء : أحق من كان للكبر مجانباً وللإعجاب مباينا : من جل في الدنيا قدره ، وعظم فيها خطره ، لأنه يستقل بعالي همته كل كثير ، ويستصغر معها كل كبير .

وقال بعضهم : اسمان متضادّان بمعنى واحد : التواضع والشرف .

إذا ضربت مخارج الكسور التي فيها حرف العين بعضها في بعض حصل المخرج المشترك للكسور التسعة وهو ألفان وخمسمائة وعشرون . ويقال إنه سئل عليّ عليه السّلام عن مخرج الكسور التسعة ، فقال للسائل : اضرب أيام سنتك في أيام أسبوعك .

كل مربع فهو يزيد على حاصل ضرب جذر كل من المربعين اللذين هما حاشيتاه في جذر الآخر بواحد .

ازجر المسيء بثواب المحسنين .

---

(١) كانت بالأصل (في غير ربه) وقد حذفنا كلمة غير لأنه لا يستقيم معها المعنى .

إن للقلوب لشهوةً وإقبالا وإدبارا ، فأتوها من قبل شهوتها ، فإن القلب إذا أكره عمى .

على كل داخل فى باطل إثمان : إثم العمل به ، وإثم الرضا به .

من كتم سره كان الخيرُ بيده . لم يذهب من مالك ما وعظك .

* * *

من النهج : قد أحيا عقله ، وأمات نفسه ، حتى دق جليله ، ولطف غليظه ، وبرق له لامع كثير البرق ، فأبان له الطريق ، وسلك به السبيل ، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة . وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فى قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه .

الاستغناء عن العذر أعز من الصدق به .

فى النهج : إن للقلوب إقبالا وإدباراً ، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل ، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض . لو لم يتوعد الله سبحانه على معصيته ، لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمته .

فى النهج : قد كان لى فيما مضى أخ فى الله ، وكان يعظمه فى عينى صغرُ الدنيا فى عينه ، وكان خارجا عن سلطان بطنه ، فلا يشتهى ما لا يجد ، ولا يكثر إذا وجد . وكان لا يلوم أحداً حتى لا يجد العذر فى مثله . وكان لا يشكو وجعا إلا عند برئه . وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل . وكان إن غُلب على الكلام لم يغلَبْ على السكوت . وكان على أن يسمعَ أحرصَ منه على أن يتكلم . وكان إذا بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى نخالفه . فعليكم بهذه الخلائق فالزموها ، وتنافسوا فيها ، فإن لم تستطيعوا فاعلموا أن أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير .

من كلام قاله صلوات الله عليه لكُميل بن زياد ، قال كُميل : أخذ بيدى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فأخرجنى إلى الجبانة ، فلما أصحر تنفس الصعداء ، ثم قال : يا كُميل إن هذه القلوبَ أوعية فخيرها أوعاها . والناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رَعاع أتباعُ كلّ ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، ها ، إن هاهنا لعلما جمًّا ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة ، بلى أصبتُ لقناً غيرَ مأمون عليه ، مستعملا آلة الدين للدنيا ، ومستظهراً بنعم الله على عباده ، وبحججه على أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحقّ لا بصيرة له فى إحيائه ، ينقدح الشك فى قلبه لأول عارض من شبهة ، ألا لاذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذة سلسَ القياد للشهوة ، أو مُغرما بالجمع والادخار ، ليسا من رُعاة الدين فى شىء ، أقرب شىء شبها بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه . اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهراً مشهوراً ، وإما خافياً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، وكم ذا ؟ وأين أولئك ؟ أولئك والله الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، بهم يحفظ الله حججه وبيناته ، حتى يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، وباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون . وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلقةٌ بالمحل الأعلى . أولئك خلفاء الله فى أرضه . والدعاة إلى دينه . آه آه ، شوقاً إلى رؤيتهم . انصرف يا كميل إذا شئت .

[هرمس الحكيم[1] واضع علم الهيئة والنجوم ، ومستخرج القوانين الحسابية .

(١) الزيادة من المخطوطة .

هو إدرس على نبينا وعليه السلام ، وبذلك صرح الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل عند ذكر الصابئة ، وبه صرح العلامة فى شرح حكمة الإشراق أيضاً .
وقال السُّهروردى فى حكمه الإشراق : إن هرمس من أساتذة أرسطو .
وفى تفسير القاضى وغيره : أن إدرس على نبينا وعليه الصلاة والسلام : أول من تكلّم فى الهيئة والنجوم والحساب ، وهذا مما يؤيد أنه هرمس أيضاً اه] .

* * *

نسمات هواك لها أرجُ　　تحيا وتعيشُ بها المهجُ
وبنشر حديثك يطوى الغـمّ عن الأرواح ويندرجُ
وببهجة وجه جلال جما　　ل كمالِ صفاتك يُبتهَج
ما الناس سوى قوم عرفو　　ك وغيرهمُ همجٌ همجُ
قوم فعلوا خيراً فعلَوْا　　وعلى الدرج العليا درجوا
شربوا بكؤوس تفكرهم　　من صرف هواك وما مَزجوا
دخلوا فقراء إلى الدنيا　　وكما دخلوا منها خرجوا
يا مُدّعيا لطريقهمُ　　قوّم فطريقُك منعرج
تهوى ليلى وتنام اللي　　لَ وحقِّكَ ذا طلب سمِجُ

لبعضهم :

تمنّت سُليمى أن نموت بحبّها　　وأهون شىء عندنا ما تمنّت

سمع رجل رجلا يقول : أين الزاهدون فى الدنيا الراغبون فى الآخرة ؟ فقال له : يا هذا ، اقلب كلامَك وضع يدك على من شئت .

بشار بن برد :

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتبا صديقَك لم تلق الذى لا تعاتبُهْ
وإن أنت لم تشرب مراراً على القذى ظَمِئتَ وأى الناس تصفُو مشاربُهْ
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مُقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبُهْ

من كلام بعض الحكماء : ارقص لقرد السوء فى زمانه . ولهذا الكلام قصة مشهورة أوردتها فى المخلاة .

الصلاح الصفدى ، وفيه مراعاة النظير والتورية :

ياساحبا ذيلَ الصّبا فى الهوى أبليتَه فى الغىّ وهو القشيبْ
فاغسل بدمع العين ثوب التّقى ونقّه من قبل عصر المشيبْ

للجامع : الفرق الذى أبدوه بين البدل وعطف البيان ، ردًّا على من لم يفرق بينهما كالشيخ الرضى ، يشكل بنحو قولك : جاء الضارب الرجل زيد ، مما يمتنع جعله بدلا كما نصوا عليه ، وذلك إذا قصدت الإسناد إلى زيد وأتيت بالضارب توطئة ، وقد يُتكلف بأنه إذا قصد بمثل ذلك القصد لم يجز التلفظ بمثل هذا اللفظ .

ابن دريد :

لا تحسَبَنْ يا دهرُ أنى ضارعٌ لنَكبةٍ تعرُقُنى عرق المُدى
مارستُ من لو هوتِ الأفلاكُ من جوانبِ الجوِّ عليه ماشكى

لبعضهم :

طربنا لتعريضِ الحديثِ بذكركم فنحنُ بوادٍ والعَذُول بوادِ

روى عن ابن الضحاك : أن أبا نواس سمع صبيا يقرأ قوله تعالى : « يكادُ البرقُ

يخطَفُ أبصارَهم كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا » فقال فى مثل هذا تجىء صفة الخمر حسنةً ، ثم تأمّل سُويعَةً وأنشأ :

وسيّارة ضلّوا عن القصد بعدما ... تَرادَفَهُم جُنحٌ من الليل مظلم

فلاحت لهم منا على النأى قهوةٌ ... كأنّ سناها ضوء نار تُضرَّمُ

إذا ماحسوناها أناخوا مكانهم ... وإن مُزجت حثّوا الركاب ويمَّمُوا

فحُدث محمد بن الحسن بهذا فقال : لاحُبًّا ولا كرامة ، بل أخذه من قول بعض العرب :

وليلٍ بهيم كلّما قلتُ غوّرت ... كواكبُه عادتْ فما تتزيّلُ

به الركبُ إما أومض البرقُ يمّموا ... وإن لم يَلُحْ فالقومُ بالسير جُهّل

* * *

برهان التخليص . أورده ابن كونة فى شرح التلويحات : يفرض خطان غير متناهيين متقاطعين ، قد خرج أحدهما من مركز كرة ، فإذا فرض تحرُّكُ الكرة بحيث يخرج القطرُ من المقاطعة إلى الموازاة فلا بد أن يتخلّص عن الخط الآخر ، وهو إنما يكون عند نقطة ينتهى بها الخط مع كونه غير متناه .

بعض الأعراب يصف حماريْ وحش : كانا يثيران فى عدوهما غبارا يهيج تارة ويسكن أخرى :

يتعاوران من الغُبار مُلاءةً ... بيضاء مُحكَمَةً هما نسجاها

تُطوى إذا وردا مكانا مُحزنا ... وإذا السنابكُ أسهلت نشراها

قال بعض الحكماء : الظلم من طبع النفس وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين : إما علة دينية كخوف مَعاد ، وإما سياسية كخوف السيف . أخذه أبو الطيب فقال :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم

* * *

قيل لبعض الصوفية : ألا تبيع مرقعتك هذه فقال : إذا باع الصياد شبكته فبأى شيء يصطاد ؟

قولهم : فلان لا يعرف هره من بره : أى من يكرهه ممن يبره ، وقولهم: فلان معربد فى سكره ، مأخوذ من المعربد ، وهى حية تنفخ ولا تؤذى .

من المستظهرى : قصد الرشيد زيارة الفضيل بن عياض ليلا مع العباس ، فلما وصلا إلى بابه سمعاه يقرأ : « أم حسِب الذين اجترحُوا السّيئات أن نجعلَهم كالذين آمنوا وعملوا الصّالحات سواء محياهم ومماتُهم ساء مايحكمون » فقال الرشيد للعباس : إن انتفعنا بشيء فبهذا، فناداه العباس : أجب أمير المؤمنين ، فقال : ومايعمل عندى أمير المؤمنين ؟ ثم فتح الباب وأطفأ السراج ، فجعل هارون يطوف حتى وقعت يده عليه ، فقال : آه من يد ما ألينها إن نجت من عذاب يوم القيامة . ثم قال : استعد للجواب يوم القيامة، إنك تحتاج أن تتقدم مع كل مسلم ومسلمة . فاشتد بكاء الرشيد ، فقال العباس : اسكت يا فضل فإنك قتلت أمير المؤمنين ، فقال : ياهامان إنما قتله أنت وأصحابك . فقال الرشيد : ماسمّاك هامان إلا وقد جعلنى فرعون . ثم قال له الرشيد : هذا مهر والدتى ألفُ دينار وأريد أن تقبلها منى، فقال : لا جزاك الله إلا جزاءك ، ردها على منْ أخذتها منه . فقام الرشيد وخرج .

لبعض أولاد عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، من أبيات :

ولستَ براءٍ عيبَ ذى الوُدّ كلَّه ... ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضيا
فعينُ الرضا عن كل عيب كليلةٌ ... كما أن عينَ السّخطِ تُبدى المساوِيا

جواب الشرط الجازم : لم يحل محل المفرد مع أنه فى محل جزم .

المأتم : النساء المجتمعات فى خير أو شر ، لا فى المصيبة فقط كما تقول العامة ، بل هى المناحة لتناوحهن أى تقابلهن .

ذكر فى عيون الأخبار مما أنشده على بن موسى الرضا عليه السلام المأمون :

إذا كان دُونى من بُليتُ بجهله ... أبَيتُ لنفسى أن تقابل بالجهل

وإن كان مِثلى فى محلّى من النهى ... أخذت بحلمى كى أجلّ عن المِثل

وإن كنتُ أدنى منه فى الفضل والحِجى ... عرفتُ له حقّ التقدّم والفضل

آخر :

ولست كمن أخنى عليه زمانُه ... فبات على أخدانِه يتعتّب

تلذ له الشكوى وإن لم يَجِد بها ... صلاحاً كما يلتذّ بالحك أجربُ

من كتاب أدب الكاتب : الطربُ خفة تصيب الرجل لشدة السرور ، أو شدة الجزع ، وليس فى الفرح فقط كما تظنه العامة . قال النابغة :

وأرانى طرِباً فى إثرهم ... طَرَبَ الواله أو كالمختَبِلْ

قال المحقق الطوسى : فى شرح الإشارات : أنكر الفاضل الشارح جوازَ كون الجسم الواحد متحركا بحركتين مختلفتين قال: لأن الانتقال إلى جهة يلزمه الحصول فى تلك الجهة ، فلو انتقل إلى جهتين لزمه الحصول دفعة فى جهتين ، سواء كان الانتقال بالذات أو بالعرض أو بهما . ثم قال : لايقال: إنا نرى الرحى تتحرك إلى جهة والنملة عليها إلى خلافها ، لأنا نقولُ: لم لايجوز أن يكون للنملة وقفة حال حركة الرحى ، وللرحى وقفة حال حركة النملة . وهذا وإن كان مستبعدا ، لكن الاستبعاد عندهم لايعارض البرهان . والجوابُ أن الجسم لايتحرك حركتين إلى جهتين من حيث هما حركتان ، بل يتحرك حركة واحدة تتركب منهما، فإن الحركات إذا تركبت وكانتْ إلى جهة واحدة أحدثت حركة مساوية لفضل البعض على البعض ، أوسكونا إن لم يكن فضل ، وإن كانت فى جهات مختلفة أحدثت حركة مركبة إلى جهة ، لتوسط تلك الجهات على نسبتها ، وذلك على قياس سائر الممتزجات . فإذن الجسم الواحد

لايتحرك من حيث هو واحد إلا حركة واحدة إلى جهة واحدة، إلا أن الحركة الواحدة كما تكون متشابهة قد تكون مختلفة، وكما تكون بسيطة فقد تكون مركبة، وكل مختلفة مركبةٌ وكل بسيطة متشابهةٌ ولا ينعكسان، والحركة المختلفة تكون بالقياس إلى متحركاتها الأول بالذات، وإلى غيرها بالعرض، ولا يكون جميعها بالقياس إلى متحرك واحد بالذات، بل لو كان فيها ما هي بالقياس إليه بالذات لكانت إحداهما فقط، وإذا ظهر ذلك فقد ظهر أنه لا يلزم من كون الجسم متحركا بحركتين حصوله دفعة فى جهتين، ولم يحوج ذلك إلى ارتكاب شىء مستبعد فضلا عن محال.

من كلام أمير المؤمنين على كرم الله وجهه: إذا ملئ البطن من المباح عمى القلبُ عن الصلاح. إذا أتتك المحن فاقعد لها، فإن قيامك زيادة لها. إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك البلاء فقد أيقظك. إذا أردت أن تطاع فسل ما يستطاع. إذا لم يكن ما تريد فردْ ما يكون. إذا هرب الزاهد من الناس فاطلُبه. استشر أعداءك تعرفْ من رأيهم مقدار عداوتهم، ومواضع مقاصدهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا عدْوَى، ولا هامة، ولا طيرة، ولا صَفر » فالعدوى ما يظنه الناس من تعدى العلل، والهامة ما كان يعتقده العرب فى الجاهلية من أن القتيل إذا طُلّ دمُه ولم يُدرك بثأره، صاحت هامة فى القبر: اسقونى. والطيرة: التشاؤم من صوت غراب ونحو ذلك. وأما الصفر فهو كالحية يكون فى الجوف يصيب الماشية، وهو عندهم أعدى من الجرب.

قال بعض الملوك: من والانا أخذنا ماله، ومن عادانا أخذنا رأسه.

وقيل فى الملوك: هم جماعة يستكثرون من الكلام رد السلام، ويستقلون من العقاب ضرب الرقاب.

قال بعض العارفين : الدين ، والسلطان ، والجند ، والرعية : كالفسطاط ، والعمود ، والأطناب ، والأوتاد .

قال بعض الحكماء لابنه : يابنى خذ العلم من أفواه الرجال ، فإنهم يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويقولون أحسن ما يحفظون .

قال أبو ذر رضى الله عنه : يومك جملك ، إذ قُدت رأسه اتبعك سائر جسده ، يريد إذا عملت فى أول نهارك خيرا كان ذلك متصلا إلى آخره .

لبعضهم :

تَرى الفتى يُنكر فضلَ الفتى ... مادام حيا فإذا ماذهبْ
جَدّ به الحرصُ على نكتة ... يكتبها عنه بماء الذهبْ

[وصف الساق]

ومن شرح القانون للقرشى فى تشريح الساق قال : والموضعان الناتئان من جانبيه فى أسفله ، وهما طرفا القصبتين يسميان الكوع والكرسوع ، تشبيها لهما بمفصل الرسغ من اليدين . والعظمان الناتئان فى هذين الموضعين العاريان من اللحم تسميهما النـــاس فى العرف بالكعبين ، وجالينوس غلّط من سماهما بذلك كلّ الغلط ، وقال : إن الكعب هو عظم داخل هذين الموضعين يحيطان به ، وهو مغطى من جميع النواحى . ثم قال الشارح المذكور فى تشريح الكعب : أما الكعب فالإنسان أكثر تكعيبا وأشد تهندما مما فى سائر الحيوان ، وذلك لأن لرجليه قدما وأصابع ، ويحتاج فى تحريك قدميه إلى انبساط وانقباض ، وذلك بحركة سهلة ليسهل عليه الوطء على الأرض المــائلة إلى الارتفاع والانخفاض ، وعلى المستوية ، فلذلك يحتاج أن يكون مفصل ساقه من قدمه مع قوته وإحكامه سلسا سَهْل الحركة وهذا المفصل لا يمكن أن يكون بزائدة واحدة مستديرة يدخل

فى حفرتها ، فكان يحدث للقدم لذلك أن يتحرك إلى جهة جانبيه ، بل إلى جهة مؤخره ، وكان يلزم ذلك فساد التركيب أو مُصاكّة إحدى القدمين الأخرى ، فلا بد وأن يكونا بزائدتين حتى تكون كل واحدة منهما مانعة من حركة الأخرى على الاستدارة ، ولا يمكن أن تكون إحدى الزائدتين خلفا والأخرى قُدّاما لأن ذلك مما يعسر مع حركة الانبساط والانقباض اللتين بمقدم القدم ، فلابد أن تكون هاتان الزائدتان إحداهما يمينا والأخرى شمالا ، ولا بد أن يكون بينهما تباعد له قدر يعتد به ، فيكون امتناع تحريك كل منهما على الاستدارة أكثر وأشد ، فلذلك لا يمكن أن يكون ذلك مع قصبة واحدة ، فلا بد أن يكون مع قصبتين ولو كان بقدر مجموعهما عظم واحد لكان يجب أن يكون ذلك العظم ثخينا جدا وكان يلزم من ذلك ثقل الساق ، فلذلك لا بد وأن يكون أسفل الساق عند هذا المفصل قصبتين . وأما أعلى الساق — وذلك حيث مفصل الركبة — فإنه يكتفى فيه بقصبة واحدة ، فلذلك احتيج أن تكون إحدى قصبتى الساق منقطعة عند أعلى الساق فيجب أن يكون الحفرتان فى هاتين القصبتين والزائدتان فى العظم الذى فى القدم ؛ لأن هاتين القصبتين يراد بهما الخفة ، وذلك ينافى أن تكون الزوائد فيهما لأن ذلك يلزمه زيادة الثقل ، والحفرة يلزمها زيادة الخفة ، فلذلك كان هذا المفصل بحفرتين فى طرفى القصبتين ، وزائدتين فى العظم الذى فى القَدم وهذا العظم لا يمكن أن يكون هو العقب ، لأن العقب يحتاج فيه إلى شدة الثبات على الأرض ، وذلك ينافى أن يكون به هذا المفصل ؛ لأن هذا المفصل يحتاج أن يكون سلسا جدا ، لئلا يكون ارتفاع مقدم القدم وانخفاضه عسرين جدا ، وغير العقب من باقى عظام البدن بعيدٌ أن يكون له هذا المفصل إلا الكعب ، فلذلك يجب أن يكون هذا المفصلُ حادثا بين طرفى القصبتين والزائدتين فى الكعب .

* * *

فى كتاب التوضيح فى علم التشريح : الكعب موضوع فوق العقب وتحت الساق ، ويحتوى عليه الطرفان الناتئان من القصبتين ويدخل طرفاه فى نقرتى العقب دخول المركن ، وله زائدتان فوقانيتان، الإنسية منهما تدخل فى حفرة طرف القصبة العظمى ، والوحشيّة تدخل فى حفرة طرف القصبة الصغرى ، فيحصل مفصل به ينبسط القدم وينقبض .

لبعضهم :

لنا صديقٌ وله لحيـــة طويلةٌ ليس لها فائدَهْ
كأنها بعضُ ليالى الشّتا طويلة مظلمة باردَهْ

لبعضهم فى الاقتباس :

إن الذين ترحّلوا نزلوا بعين ناظرَهْ
أسكنتُهم فى مقلتى فإذا هُمْ بالسّاهرَهْ

ولآخر فيه :

جاءنى الحِبُّ زائرا وعلى مهجتى عطفْ
قلتُ جُدْ لى بقُبلة قال خذها ولا تخفْ

ابن الوردى فيه :

زار الحبيبُ بليـــل وفُزت منه بأُنسى
وباتَ وهو ضجيعى وما أبرئُ نفسى

الشاب الظريف :

أهيفُ كالبدر يَصْلى فى قلوب الناس نارا
يمزج الخمرَ بفيـــه فترى الناسَ سُكارى

الصلاح، وفيه تورية :

رب فلّاح مليح   قال ياأهل الفُتوّة
كفّلى أضعفَ خَصرى   فأعينونى بقوّة

وله كذلك :

أضحى يقول عذارُه   هل فيكم لى عاذرُ
الورد ضاع بخدّه   وأنا عليه دائرُ

وله كذلك:

ياعاشقون حاذروا   مبتسما عن ثغره
فطرفُه الساحرُ إن   شككتُم فى أمرِه
يريدُ أن يُخرجكم   من أرضكم بسحرِه

ولعبد الله بن المعتز :

ضعيفةٌ أجفانهُ   والقلب منه حجرُ
كأنما أجفانه   من فعله تعتذرُ

وله كذلك :

وصاحبٍ لما أتاه الغنى   تاه ونفسُ المرء طمّاحه
وقيل هل أبصرتَ منه يدا   تشكرُها قلت ولا راحه

وله كذلك:

أشكو إلى الله من أمور   يمرّ دهرى ولا تمرّ
ودمل مع دوام ليل   مالهما ما حييت فجرُ

وله فى المجون :

كم من مليح صغيرٍ على المعنّى تعسّرْ
وما تيسر منه وصلٌ إلى أن تعذّرْ

* * *

قوله تعالى : « ولقد زيّنا السماءَ الدنيا بمصابيح » ليس دالًّا على أن الكواكب مركوزة فى فلك القمر ، بل على أن فلك القمر مزين بها ، وهو كذلك لشفافية الأفلاك ، وكذا قوله تعالى : « وجعلناها رُجوما للشياطين » لا يقتضى أن الكوكب نفسه ينقض ، ليلزم نقض الكواكب على مر الأيام ، بل غاية مايلزم منه أن الشهب تنفصل عن الكواكب كما يقتبس من السراج ، ولم يقم برهان على أن جميع الكواكب مركوزة فى الثامن ، وأن فلك القمر ليس فيه إلا القمر ، فلعل أكثر الكواكب غير المرصودة مركوزة فيه ، ومنها تنقض الشهب .

ابن الفارض :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهلُ فما اختاره مُضنًى به وله عقلُ
وعش خاليا فالحب راحتهُ عنى فأوّله سُقم وآخرُهُ قتلُ
ولكنْ لدىّ الموت فيه صبابةً حياةٌ لمن أهوى علىّ بها الفضلُ
نَصحتك علما بالهوى والذى أرى مُخالفتى فاخترْ لنفسك ما يحلو
فإن شئتَ أن تحيا سعيداً فمت به شهيداً وإلّا فالغرامُ له أهلُ
فمن لم يمت فى حبه لم يعش به ودونَ اجتناء النحلِ ما جنت النحلُ
تمسّك بأذيال الهوى واخلع الحيا وخلّ سبيلَ الناسكين وإنْ جلوا
وقل لقتيل الحبّ وفّيتَ حقّه وللمدّعى هيهاتَ ماالكَحَلُ الكُحْلُ

تعرّض قومٌ للغــرامِ فأعرضوا ... بجانبهم عن صحّةٍ فيه واعتلّوا
رضُوا بالأمانى وابتلُوا بحظوظهم ... وخاضوا بحارَ الحب دعوى فما ابتلّوا
فهم فى السُّرى لم يبرحوا من مكانهم ... وما ظعنوا فى السّير عنهُ وقد كلُّوا
وعن مَذهبى لما استحبّوا العمى على الـــهدى حسداً من عنـد أنفسهم ضلوا
أحبّــةَ قلبى والمحبّةُ شافِعى ... لديكم إذا شئتم بهـا اتّصل الحبلُ
عسى عَطفةٌ منـكم علىّ بنظرة ... فقد تعِبت بينى وبينكم الرُّسلُ
أحبّاى أنتم أحسنَ الدهرُ أم أسا ... فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخِلُّ
إذا كان حظى الهَجْرَ منكم ولم يكن ... بعادٌ فذاك الهَجرُ عندى هو الوصلُ
وما الصدُّ إلا الودُّ ما لم يكن قِلى ... وأصعبُ شىء دون إعراضكم سهلُ
وتعذيبُكم عــذبٌ لدىّ وجَورُكم ... علىّ بما يقضى الهوى لكمُ عــدلُ
وصبرىَ صــبرٌ عنكم وعليكمُ ... أرى أبدا عنـــدى مرارته تحلو
أخذتم فؤادى وهو بعضى فما الذى ... يضرُّكم لو كانَ عندكمُ الكل
نأيتم فغيرَ الدمع لم أر وافيــاً ... سوى زفرةٍ من حرّ نار الجوى تغلو
فسُهدى حىٌّ فى جفونى مخـــلدٌ ... ونومى بهــا ميتٌ ودمعى له غُسلُ
هوًى طلّ ما بين الطلول دمى فمِنْ ... جُفونى جرى بالسَّفح من سفحه وَبْلُ
فتَبًّا لقومى إذ رأونى مُتيّما ... وقالوا بمن هذا الفتى مسَّه الخبلُ
وقال نساء الحى عنا بذكر من ... جفانا وبعـــدَ العزّ لذّ له الذّلُّ
وماذا عسى عنّى يُقال سوى غــدَا ... بنُعم له شُغلٌ نعم لى بهــا شُغلُ
إذا أنعمتْ نعم عــلى بنظرة ... فلا أسعدتْ سُعدى ولا أجملت جُمْلُ
وقد صَديَتْ عينى برؤية غــيرها ... ولثمُ جفونى تربهــا للصدا يجلو
حــديثى قديمٌ فى هواهــا وماله ... كما علمت بَعْدٌ وليس له قَبلُ

ومالىَ مِثل فى غرامى بهــــا كما ... غدت فتنة فى حسنها مالها مِثلُ

حرام شِفا سُقمى لديها رضيتُ ما ... به قسمتْ لى فى الهوى ودَمى حِلُّ

فحالى وإن ساءت فقد حسُنت لها ... وما حَطَّ قدرى فى هواها به أعلو

وعنوان ما فِيها لقيتُ وما به ... شقيتُ وفى قولى اختصرت ولم أغلو

خَفيتُ ضنًى حتى لقد ضل عائدى ... وكيف ترى العُوّادُ من لا له ظلُّ

وما عَثرت عينٌ على أثرى ولم ... تدعْ لِىَ رسما فى الهوى الأعينُ النجلُ

ولى همة تعــلو إذا ما ذكرتهــا ... وروحٌ بذكراها إذا رخُصت تغــلو

فنافسْ ببذل النفس فيها أخا الهوى ... فإن قبلتها منك يا حبذا البــذلُ

فمن لم يَجُدْ فى حب نُعمٍ بنفســه ... وإن جاد بالدنيا إليه انتهى البخــلُ

ولولا مراعاةُ الصبابة غَــيرةً ... وإن كثُروا أهلُ الصبابة أو قــلوا

لقلتُ لعشّاق الملاحة أقبِــلوا ... إليها على رأيى وعن غــيرها ولوا

وإن ذكرت يوما فخروا لذكرها ... سُجوداً وإن لاحت إلى وجهها صلوا

وفى حُبها بعت السعادةَ بالشقــا ... ضلالا وعقــلى عن هُداى به عَقلُ

وقلت لرُشْدى والتنسكِ والتــقى ... تخلوا وما بينى وبين الهوى خــلوا

وفرغت قلبى من وجودى مخلصــا ... لعلّى فى شغــلى بها معها أخلو

ومن أجلها أسعى لمن بيننــا سعى ... وأعْدُو ولا أعدُو لمن دأبه العزلُ

وأرتاحُ للواشين بينـى وبينهــا ... لتعلم ما ألقى وما عندها جهــلُ

وأصبُو إلى العــذال حُبا لذكرها ... كأنهم ما بيننا فى الهوى رُسلُ

فإن حدثوا عنهــا فكلّى مسامعٌ ... وكُلّىَ إنْ حدثتهم ألسُنٌ تتلو

تخالفتِ الأقوالُ فينــا تباينا ... برجْم ظنون فى الهوى ما لهــا أصلُ

فشنّع قومٌ بالوصال ولم تَصِــلْ ... وأرجفَ قوم بالسلوّ ولم أسلُ

وما صدق التشنيعُ عنى لشِقْوتى … وقد كذبت عنى الأراجيفُ والنقلُ
وكيف أُرجى وصلَ من لو تصوّرت … حماها المُنى وْهماً لضاقت بها السُبلُ
وإن وعدَتْ لم يلحق القولَ فعلُها … وإن أوعدت فالقولُ يسبقه الفعلُ
عديني بوصل وامطُلى بنجازه … فعندى إذا صحّ الهوى حسُن المطلُ
وحرمةِ عهد بيننا عنهُ لم أحُلْ … وعقدِ ولاء بيننا ماله حَلُّ
لأنت على غيظ النوى ورضا الهوى … لدىّ وقلبى ساعةً منك لا يخلو
تُرى مقلتى يوما ترى من أحبهم … ويعتبنى دهرى ويجتمعُ الشملُ
وما برحوا معنى أراهم معى وإن … نأوا صورة فى الذهن قام لهم شكلُ
فهم نُصبُ عينى ظاهراً حيثما سَرَوْا … وهم فى فؤادى باطنا أينما حلوا
لهم أبداً منّى حنوٌّ وإن جفَوْا … ولى أبدا ميل إليهم وإن ملّوا

[القول فى إن الله واحد]

من كتاب أعلام الدين تأليف أبى محمد الحسن بن أبى الحسن الديلمى ، عن مقداد بن شريح البرهانى ، عن أبيه قال : قام رجل يوم الجمل إلى علىّ كرّم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين تقول إنّ الله واحد ، فحمل الناس عليه ، فقال دعوه ، ثم قال: ياهذا إنّ القول فى إنّ الله واحد على أربعة أقسام : فوجهان منها لا يجوزان على الله تعالى ، ووجهان ثابتان له : فأمّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل هو واحد يقصد به باب الأعداد ، فهذا لا يجوز ، لأنّ مالا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد ، أما ترى أنه كفر من قال إنه ثالث ثلاثة ، وقول القائل هو واحد يريد به النوع من الجنس ، فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه جل ربنا عن ذلك ، وأما الوجهان اللذان يثبتان له فقول القائل : واحد يريد به ليس له فى الأشياء شبه ولا مثل ، كذلك الله ربنا ، وقول القائل

إنه تعالى واحد يريد أنه أحـــدىّ المعنى ، يعنى أنه لاينقسم فى وجود ولا عقـل ولا وهم ، كذلك الله ربنا عز وجل .

عن نوف البكالى ، قال : رأيت أمير المؤمنين عليا عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر إلى النجوم فقال : يانوف أراقد أنت أم رامق ؟ قلت بل رامق ياأمير المؤمنين ، قال : يانوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا ، وترابها فراشا ، وماءها طيبا ، والقرآن شعارا ، والدعاء دثارا ، ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح عليه السلام .

يانوف إن داود النبى عليه السلام قام فى مثل هذه الساعة من الليل فقال : إنها ساعة لايدعو فيها عبد إلا استجيب له ، إلا أن يكون عشّارا ، أو عريفا ، أو شرطيا ، أو صاحب عرطبة ، أو صاحب كوبة : العشار الذى يعشر أموال الناس ، والعريف : النقيب والشحنة . والشرطى : المنصوب من قبل السلطان ، والعرطبة : الطبل ، والكوب الطنبور ، أو بالعكس .

[عدل على كرم الله وجهه]

من النهج : والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّدا ، وأجرّ فى الأغلال مصفدا ، أحب إلىّ من ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد ، وغاصبا لشىء من الحطام . وكيف أظلم أحدا والنفس يسرع إلى البلا قفولها ، ويطول فى الثرى حلولها . والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتى استماحنى من برُّكم صاعا ، ورأيت صبيانه شعث الألوان من فقرهم ، كأنما سوّدت وجوههم بالعِظلم ، وعاودنى مؤكدا ، وكرر علىّ القول مرددا ، فأصغيت إليه سمعه ، فظن أنى أبيعه دينى ، وأتبع قياده مفارقا طريقتى ، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ،

فضجّ ضجيج ذى دنف من ألمها ، وكاد يحترق من ميسمها ، فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل ، أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه ، وتجرّنى إلى نار سجرها جبّارها لغضبه ؟ أتئن من الأذى ولا أئنّ من لظى ؟ وأعجب من ذاك طارق طرقنا بملفوفة فى وعائها ، ومعجونة شنئتها، كأنما عجنت بريق حية وقيئها ، فقلت : أصلة ، أم زكاة ، أم صدقة ؟ فذلك محرم علينا أهل البيت . فقال لا ذا ولا ذاك ، ولكنها هدية ، فقلت : هبلتك الهبول ، أعن دين الله أتيتنى لتخدعنى ، أمختبط ، أم ذوجنّة ، أم تهجر ؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت الأفلاك ما هان على أن أعصى الله سبحانه فى نملة أسلبها جلب شعيرة وما فعلته ، وإن دنياكم عندى أهونُ من ورقة فى فم جرادة تقضمها ، ما لعلى ونعيم يفنى ، ولذة لا تبقى . نعوذ بالله من سيئات العقل ، وقبح الزلل ، وبه نستعين . أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع .

عن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام : أربع من خصال الجهل : من غضب على من لا يرضيه ، وجلس إلى من لا يدنيه ، وتفاقر إلى من لا يغنيه ، وتكلم بما لا يعنيه .

قال بعض الحكماء : ينبغى للعاقل أن يعلم أن الناس لا خير فيهم ، وأن يعلم أنه لا بدّ منهم ، فإذا عرف ذلك عاملهم على قدر ما تقتضيه هذه المعرفة .

شتم رجل بعض الحكماء : فتغافل عن جوابه ، فقال : إياك أعنى ، فقال الحكيم : وعنك أغرض .

من درة الغواص : قولهم هاوُنُ غلط ؛ إذ ليس فى كلام العرب فاعل والعين فيه واو ، والصواب أن يقال هاوونٌ على وزن فاعول .

لسان العاقل من وراء قلبه ، وعقل الأحمق من وراء لسانه .

السكاكى يستهجن قول أبى تمام حيث يقول :

لا تَسقِنى ماء الملام فإننى صبٌّ قد استعذبتُ ماء بكائى

إن الاستعارة التخييلية فيه منفكة عن الاستعارة بالكناية ، وصاحب الإيضاح يمنع الانفكاك فيه مستندا بأنه يجوز أن يكون قد شبه الملام بظرف شراب مكروه ، فيكون استعارةً بالكناية وإضافة الماء تخييلية . أو أنه تشبيه من قبيل لجين الماء ، لا استعارة . قال ووجه الشبه أن اللوم يُسكن حرارة الغرام ، كما أن الماء يُسكن غليلَ الأوام . وقال الفاضل الجلبى فى حاشية المطول : فيه نظر : لأن المناسب للعاشق ، أن يدّعى أن حرارة غرامه لا تسكن لا بالملام ولا بشىء آخر ، فكيف يجعل ذلك وجه شبهه . انتهى كلامه .

هذا ونقل ابن الأثير فى المثل السائر : أن بعض الظرفاء من أصحاب أبى تمام لما بلغه البيت المذكور أرسل إليه قارورة وقال : ابعث لنا شيئاً من ماء الملام ، فأرسل إليه أبو تمـــام وقال : إذا بعثتَ إلىّ ريشة من جناح الذل ، بعثتُ إليك شيئا من ماء الملام . ثم إن ابن الأثير استضعف هذا النقل وقال : ما كان أبو تمام بحيث يخفى عليه الفرق بين التشبيه فى الآية والبيت ، فإن جعْلَ الجناح للذل ليس كجعل الماء للملام ، فإن الجناح مناسب للذل ، وذلك أن الطائر عند اشفاقه وتعطفه على أولاده يخفض جناحه ويلقيه على الأرض ، وهكذا عند تعبه ووهنه . والإنسان عند تواضعه وانكساره يطأطئ رأسه ويخفض يديه اللتين هما جناحاه ، فشبه ذله وتواضعه بحالة الطائر على طريق الاستعارة بالكناية ، وجعل الجناح قرينة لها ، وهو من الأمور اللائمة للحالة المشبه بها . وأما ماء الملام فليس من هـذا القبيل كما لا يخفى . انتهى كلام ابن الأثير مع زيادة وتنقيح .

هذا ويقول جامع الكتاب : إن للبيت محملًا آخر كنت أظن أنى لم أسبق إليه حتى رأيته فى التبيان ، وهو أن يكون ماء الملام من قبيل المشاكلة لذكر ماء البكاء

ولا تظن أن تأخر ذكر ماء البكاء يمنع المشاكلة ، فإنهم صرحوا فى قوله تعالى : « فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين » أن تسمية الزحف على البطن مشيا لمشاكلة ما بعده ، وهذا الحمل إنما يتمشى على تقدير عدم صحة الحكاية المنقولة . ثم أقول : هذا الحمل أولى مما ذكره صاحب الإيضاح ، فإن الوجهين اللذين ذكرهما فى غاية البعد ، إذ لا دلالة فى البيت على أن الماء مكروه كما قاله المحقق التفتازانى فى المطول ، والتشبيه لا يتم بدونه وأما ما ذكره صاحب المثل السائر من أن وجه الشبه أن الملام قول يعنف به الملومُ وهو مختص بالسمع ، فنقله أبو تمام إلى ما يختص بالحلق ، كأنه قال لا تذقنى الملام ، ولما كان السمع يتجرع الملام أولا كتجرع الحلق الماء صار كأنه شبيه به ، فهو وجه فى غاية البعد أيضا كما لا يخفى . والعجب منه أنه جعله قريبا ، وغاب عنه عدم الملاءمة بين الماء والملام . هذا وقد أجاب بعضهم عن نظر الفاضل الجلبى فى كلام صاحب الإيضاح بأن تشبيه الشاعر الملامَ بالماء فى تسكين نار الغرام إنما هو على وفق معتقد اللُّوّام بأن حرارة غرام العشّاق تسكن بورود الملام ، وليس ذلك على وفق معتقده ، فلعل معتقده أن نار الغرام تزيد بالملام . قال أبو الشيص :

أجدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذة حبا لذكرك فليلمنى اللوّم

أو أن تلك النار لا يؤثر فيها الملام أصلا ، كما قال الآخر :

جاءوا يرومون سُلوانى بلومهمُ عن الحبيب فراحوا مثلَ ما جاءوا

فقول الجلبى لأن المناسب للعاشق إلى آخره غير جيّد ، فإن صاحب الإيضاح لم يقل إن التشبيه معتقدُ العاشق ويقول جامع الكتاب: إن ذكر صاحب الإيضاح الكراهة فى الشراب صريحٌ بأنه غير راض بهذا الجواب . انتهى .

لبعضهم :

بَكَرت عليك فهيَّجت وجْدا ... هوجُ الرياح وأذْكرتْ نجدا
أتحِنُّ من شوق إذا ذكرتْ ... دعدٌ وأنت تركتها عمدا

لبعضهم :

وأتعبُ الناسِ ذُو حالٍ تُرقِّعُها ... يدُ التَّجمّل والإقتارُ يَخرِقها

قال بعض الحكماء : الصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر على ما تحب والثانى أشدّهما على النفس . انتهى .

لبعضهم :

نَقِّل ركابك فى الفَلا ... ودَع الغوانى للقصورْ
فمحالفو أوطانهم ... أمثالُ سُكّان القبورْ
لولا التغربُ ما ارتقى ... دُرُّ البحُور إلى النُّحورْ

[مسألة فلكية]

إذا أردت معرفة ارتفاع مخروط ظِلِّ الأرض فضعْ شظية الكوكب على مقنطرة ارتفاعه ، والمقنطرة الواقع عليها نظير درجة الشمس ارتفاع رأس المخروط ، فإن كان شرقيا أقل من ثمانية عشر لم يغب الشفق بعد ، أو أكثر فقد غرب ، أو مساويا فابتداء غروبه ، وإن كان غربيا فقد طلع الفجر ، أو أكثر لم يطلع بعد ، أو مساويا فابتداء طلوعه . وإن وقع النظير على خط وسط السماء فنصف الليل .

[من يستجاب دعاؤه]

قال القطب فى شرح الشهاب : رُوى أن دعاء صنفين من الناس مستجاب لا محالة مؤمنا كان أو كافرا : دعاء المظلوم ، ودعاء المضطر ؛ لأن الله تعالى يقول : « أمّن يجيب المضطر إذا دعاه » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « دعوة المظلوم مستجابة » فإن قيل : أليس الله تعالى يقول « وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » فكيف يستجاب دعاؤهم ؟ قلت : الآية واردة فى دعاء الكفار فى النار ، وهناك لاتُرحم العَبرة ، ولا تجاب الدعوة . وهذا الخبر الذى أوردناه يراد به فى دار الدنيا فلا تدافع .

انظر إلى ماتبصره ، فإنه إنما يظهر لحسّ البصر إذا كان محفوفا بالعوارض المادية ، متجلببا بالجلابيب الجسمانية ، ملازما لوضع خاص وقدر معين من القرب والبعد المفرطين ، وهو بعينه يظهر فى ٦٨٣١ الحس ٢٢٤٣٤٣١ المشترك ،خاليا عن تلك العوارض التى كانت شرط ظهوره لذلك الحس ، عاريا عن تلك الجلابيب التى كان بدونها لا يظهر لذلك المشعر أبدا .

انظر إلى مايظهر فى ٥٩١١٣١ اليقظة من صورة العلم ، وهو أمر عرضى يدرك بالعقل أو الوهم ، ثم هو بعينه يظهر فى ٤٦٥٣١ النوم بصورة اللبن ، فالظاهر فى عالم ٥٩١١٣١ اليقظة ، وعالم ٤٦٥٣١ النوم شىء واحد ، وهو العلم لكنه تجلّى فى كل عالم بصورة ، فقد تجد فى عالم ما كان فى آخر عرضا .

انظر إلى السرور الذى يظهر فى ٤١٥٤٣١ المنام بصورة البكاء ، وأحدس منه أنه قد يسرك فى عالم مايسوءه فى آخر ، إذا عرفت أن الشىء يظهر فى كل ٤٣١٧ عالم ٥٢٦٩٢ بصورة انكشف لك سر ما نطقت به الشريعة المطهرة من تجسد الأعمال

فى النشأة الأخرى ، بل ظهر لك حقيقة ماقاله العارفون من أن الأعمال الصالحة هى التى تظهر فى صورة الحُورِ والقصورِ والأنهار ، وأن الأعمال السيئة هى التى تظهر فى صورة العقارب والحيّات والنار ، واطلعت على أن قوله تعالى : « وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » وارد على الحقيقة لا المجاز من إرادة الاستقبال فى اسم الفاعل ؛ فإن أخلاقهم الرذيلة ، وأعمالهم السّيئة ، وعقائدهم الباطلة الظاهرة فى هذه النشأة فى هذه الصورة هى التى تظهر فى تلك النشأة فى صورة جهنم . وكذا إذا عرفت حقيقة قوله تعالى : « الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلما إنما يأكلون فى بُطونهم نارا » وكذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الذى يأكل فى آنية الذهب والفضة إنما يجرجرُ فى جوفه نارَ جهنم » وقوله : « الظلم ظلمات يوم القيامة » إلى غير ذلك .

رأيت فى بعض التواريخ : كتب قيصرُ الروم إلى عبد الملك بن مروان بكتاب أغاظ له فيه وتهدده ، فأرسل عبد الملك الكتاب إلى الحجاج وأمره بإجابته، فكتب الحجاج إلى محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه كتابا يتهدده فيه بالقتل والحبس ونحو ذلك ، فكتب إليه محمد بن الحنفية : إن لله تعالى فى الأرض كل يوم نظرةً يقضى بها ثلاثمائة وستين أمرا ، فلعل الله أن يشغلك عنا بأمر منها . فكتب الحجاج هذا الكلام جوابا عن كتاب قيصر ، وأرسله إلى عبد الملك ؛ فأرسله إلى قيصر ، فكتب إليه قيصر : إن هذا الحديث لم يخرج منك ولا من أحد من أهل بيتك ، وإنما خرج من أهل بيت النبوّة .

مذكور فى المجلد الخامس من الكشكول بعبارة أخرى : كل من القائلين بأن الرؤية بالانعكاس والانطباع لا يريدون الانعكاس والانطباع الحقيقى . قال المعلم الثانى أبو نصر الفارابى فى رسالة الجمع بين رأى أفلاطون وأرِسْطاطاليس : إن غرض كل منهما التنبيه على هذه الحالة الإدراكية وضبطها بضرب من التشبيه ،

لاحقيقة خروج الشعاع ، ولا حقيقة الانطباع ، وإنما اضطر إلى إطلاق ذينك اللفظين لضيق العبارة .

كان بعض أصحاب القلوب يقول : إن الناس يقولون : افتحوا أعينكم حتى تبصروا ، وأنا أقول : غمّضوا أعينكم حتى تبصروا .

معرفة الطالع من الارتفاع : ضع درجة الشمس أقوى الكواكب على مقنطرة الارتفاع المأخوذ شرقيا أو غربيا ، فما وقع من منطقة البروج على الأفق الشرقي فهو الطالع ، وما وقع بين خطين يعرف بالتخمين والتعديل .

لله در من قال :

لا تَخدعنَّك بعد طول تجارِب ... دنيا تَغُرُّ بوصلها وستقطَعُ
أحلامُ نوم أو كظلّ زائل ... إن اللبيبَ بمثلها لا يُخدَعُ

[الأقوال في المعاد]

من كتاب تهافت الفلاسفة : الأقوالُ الممكنة في أمر المعاد لا تزيد على خمسة ، وقد ذهب إلى كل منها جماعة .

الأوّل : ثبوت المعاد الجسماني فقط ، وأن المعاد ليس إلا لهذا البدن ، وهو قول نفاة النفس الناطقة المجردة ، وهم أكثر أهل الإسلام .

الثاني : المعاد الرُّوحاني فقط ، وهو قول الفلاسفة الإلهيين الذين ذهبوا إلى أن الإنسان هو النفس الناطقة فقط ، وأن البدن آلة تستعمل ، وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها .

الثالث : ثبوت المعاد الروحاني والجسماني معا ، وهو قول من يثبت النفس المجردة

لاحقيقة خروج الشعاع ، ولا حقيقة الانطباع ، وإنما اضطر إلى إطلاق ذينك اللفظين لضيق العبارة .

كان بعض أصحاب القلوب يقول : إن الناس يقولون : افتحوا أعينكم حتى تبصروا ، وأنا أقول : غمّضوا أعينكم حتى تبصروا .

معرفة الطالع من الارتفاع : ضع درجة الشمس أقوى الكواكب على مقنطرة الارتفاع المأخوذ شرقيا أو غربيا ، فما وقع من منطقة البروج على الأفق الشرقى فهو الطالع ، وما وقع بين خطين يعرف بالتخمين والتعديل .

لله در من قال :

لا تخدعنّك بعد طول تجارب ... دنيا تغرُّ بوصلها وستقطَعُ
أحلامُ نوم أو كظلّ زائل ... إن اللبيبَ بمثلها لا يُخدَعُ

[الأقوال فى المعاد]

من كتاب تهافت الفلاسفة : الأقوالُ الممكنة فى أمر المعاد لا تزيد على خمسة ، وقد ذهب إلى كل منها جماعة .

الأوّل : ثبوت المعاد الجسمانى فقط ، وأن المعاد ليس إلا لهذا البدن ، وهو قول نفاة النفس الناطقة المجردة ، وهم أكثر أهل الإسلام .

الثانى : المعاد الرّوحانى فقط ، وهو قول الفلاسفة الإلٰهيين الذين ذهبوا إلى أن الإنسان هو النفس الناطقة فقط ، وأن البدن آلة تستعمل ، وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها .

الثالث : ثبوت المعاد الروحانى والجسمانى معا ، وهو قول من يثبت النفس المجردة

الناطقة من الإسلاميين ، كالإمام الغزالى ، والحكيم الراغب وغيرهما ، وكثير من المتصوفة .

الرابع: عدم ثبوت شيء منهما ، وهو قول قدماء الطبيعيين الذين لا يعتد بهم ولا بمذهبهم لا فى الملة ولا فى الفلسفة .

الخامس : التوقف وهو المنقول عن جالينوس ، فقد نقل عنه أنه قال فى مرضه الذى مات فيه : إنى ما علمت أن النفس هى المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل إعادتها ، أو هى جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن المعاد .

الشيخ الرئيس أبو على بن سينا :

هبطت إليكَ من المحلّ الأرفعِ ورقاء ذاتُ تعزّز وتمنّع

محجوبةٌ عن كل مُقلة عارفٍ وهى التى سفرت ولم تتبرقعِ

وصلتْ على كُره إليك وربما كرهت فراقَك وهى ذاتُ تفجّعِ

أنِفَتْ وما أَنِسِتْ فلما واصلت أَلِفَتْ مجاوَرَةَ الخراب البَلقعِ

وأظنّها نسيَتْ عهودا بالحمى ومنازلًا بفراقها لم تقنَعِ

حتى إذا اتصلت بهاء هُبوطها عن ميم مركزها بذات الأجرعِ

عِلقت بها ثاء الثقيل فأصبحتْ بين المعالِم والطلولِ الخضّعِ

تَبْكى وقد ذكرت عُهوداً بالحمى بمدامعٍ تَهمى ولمّا تُقلِعِ

وتظل ساجعةً على الدِّمن التى درَست بتكرار الرياح الأربعِ

إذ عاقَها الشَّرَكُ الكثيفُ وصدّها قفصٌ عن الأوْج الفسيح المُربعِ

حتّى إذا قرُبَ المسيرُ من الحمى ودنا الرحيلُ إلى الفضاء الأوسعِ

وغدت مُفارِقَةً لـكل مخلَّفٍ   عنها حليفِ التّرب غيرِ مشيَّعِ
سجَعَتْ وقد كُشِفَ الغطاءُ فأبصرتْ   ما ليس يُدرَكُ بالعُيون الهُجَّعِ
وغدت تُغرد فوقَ ذِروة شاهقٍ   والعلمُ يرفعُ كلَّ من لم يُرفعِ
فلأىّ شىء أهبطت من شاهق   عالٍ إلى قعر الحضيض الأوضعِ
إن كان أهبَطها الإله لحِـكمة   طُويت على الفذِّ اللبيب الأروعِ
وهُبوطها إن كان ضربة لازبٍ   لتـكونَ سامعةً بما لم تَسمعِ
وتعودَ عالمةً بـكل خفيَّة   فى العالمين نخرقُهـــا لم يُرقعِ
وهى التى قطع الزمانُ طريقَها   حتى لقد غرَبتْ بغير المَطْلعِ
فـكأنهـــا برقٌ تألّق بالحمـــى   ثمّ انطوى فـكأنّه لم يَلمعِ

مدة اتصال النفس بالبدن ، وإن كانت مديدة ، إلا أنها بالنسبة إلى زمان العالم قليلة جدًّا كالبرق الخاطف . ويوجـد فى بعض النسخ بعد هذا البيت قوله :

أنعم بردّ جواب ما أنا فاحصٌ   عنه فنار العلمِ ذاتُ تَشَعْشُعِ

حاصل الأبيات الستة أنها لأى شىء تعلقت بالبدن ؟ إن كان لأمر غير تحصيل الـكمال فهى حكمة خفية على الأذهان ، وإن كان لتحصيل الكمال فلم ينقطع تعلقها به قبل حصول الـكمال ، فإن أكثر النفوس تفارق أبدانها من دون تحصيل كمال ، ولا تتعلق ببدن آخر لبطلان التناسخ .

شيـخ ابن الفارض :

أرجُ النسيم سرى من الزوراء   سحرا فأحيا ميّتَ الأحياء
أهدى لنـا أرواحَ نجـــد عَرفُه   فالجوُّ منه معنبرُ الأرجاء

وروى أحاديثَ الأحبّة مُسنداً   عن إذخرٍ بأذاخرٍ وسحاء
فسَكِرت من رَيّا حواشي بَرده   وسرت حُميّا البرء فى أدوائى
يا راكبَ الوجناء بُلّغت المنى   عُج بالحمى إن جُزت بالجرعاء
متيممًا تلعاتِ وادى ضارجٍ   متيامنا عن قاعة الوعساء
فإذا وصلت أثيل سلع فالنقا   فالرقمتين فالعلع فشظاء
فكذا عن العلمين من شرقيه   مِل عادلا للحِلة الفيحاء
واقر السلامَ أهيْل ذيّاك اللوى   من مُغرم دنفٍ كئيبٍ ناء
صبٍّ متى قفل الحجيجُ تصاعدت   زفراتُه بتنفس الصُّعداء
كلم السهادُ جفونه فتبادرت   عبراتُه ممزوجةً بدماء
يا ساكنى البطحاء هل من عَودَة   أحيا بها يا ساكِنى البطحاء
إن ينقضى صبرى فليس بمنقض   وجدِى القديم بكم ولا برَحائى
ولئن جفا الوسمىُّ ما حِلَ تربكم   فمدامعى تربو على الأنواء
واحسرتا ضاع الزمانُ ولم أفز   منكم أهيْل مودّتى بلقاء
ومتى يؤمّل راحةً مَن عُمره   يومانِ يومُ قِلًا ويومُ تناء
وحياتكم[١] يا أهل مكّة وهى لى   قسمٌ لقد كلفتْ بكم أحشائى
حُبيكمُ فى الناس أضحى مذهبى   وهواكُمُ دِينى وعقدُ ولائى
يا لائمى فى حب مَن مِن أجله   قد جدّ بى وجدى وعزّ عزائى
هلا نَهاك نُهاك عن لوم امرئٍ   لم يُلفَ غيرَ منعَّم بشقاء
لو تدر فِيمَ عذلتنى لعذرتنى   خفّض عليك وخلّنى وبلائى
فلنازِلى سرحِ النويّع فالشُّبيْكة فالثنيةِ من شعاب كداء
ولحاضرِى البيتِ الحرام وعامرى   تلك الخيامِ تلفّتِى وعَنائى

ولفتية الحرمِ المَريعِ وجيرة الـــحىّ المنيعِ وزائرى الحـــنماء

فهمُ همُ صدُّوا دَنوا وصلوا جفَوْا ... غدروا وفوْا هجرُوا رثَوْا اضنائى

وهمُ عِياذى حيثُ لم تُغن الرُّقَا ... وهمُ ملاذى إن عدَت أعدائى

وهم بقلبى إن تنـاءت دارُهم ... عنّى وسُخطى فى الهوى ورضائى

وعلى مقـــامىَ بين ظهرانيهمُ ... بالأخشبين أطوفُ حول حمائى

وعلى اعتناقى للرفاق مسلمـــا ... عند استلام الركن بالإيمـــاء

وعلى مُقــامى بالمقــام أقامَ فى ... جسمى السقامُ ولات حين شِفاء

وتذكرى أجيادَ وردى فى الضحى ... وتهجُّدى فى الليلة الليـــلاء

سرّى ولو قلبت بطاحُ مسيـله ... قلبـــا لقلبى رىء بالحصباء

أسْعد أخىَّ وغننى بحديث من ... حل الأباطحَ إن رعيتَ إخائى

وأعده عند مسامِعى فالروح إن ... بعُد المدى ترتاحُ للأنبـــاء

وإذا أذى ألمٍ ألمَّ بمُهجتى ... فشـــذا أعَيْشاب الحجاز دوائى

أأذادُ عن عذب الورود بأرضه ... وأحادُ عنـــهُ وفى نقاهُ بقائى

ورُبوعُه أرَبى أجَلْ ورَبيعُـــه ... طَربى وصارفُ أزمةِ اللأواء

وجبـــاله لى مربع ورماله ... لى مرتعٌ وظلاله أفيـــائى

وتُرابه ندّى الذكىُّ وماؤه ... ورِدِى الروىُّ وفى ثراه ثرائى

وشِعابهُ لى جنَّةٌ وقبـــابها ... لى جُنّة وعلى صَفاه صَفـائى

حيا الحيا تلك المنازلَ والرُّبا ... وسقى الولىُّ مواطنَ الآلاء

وسقى المشاعرَ والمحصَّبَ من منى ... سحا وجاد مواقفَ الأنضـاء

ورعى الإله بها أصَيحابى الألى ... سامرتهم بمجامع الأهواء

ورعَى ليالى الخيفِ ما كانت سوى ... حُلم مضى مع يقظة الإغفاء

واهاً على ذاك الزمان وما حوى ... طيبُ المكان بغفلةِ الرُّقباء

أيامَ أرتعُ في ميادين المنى ... جَذِلا وأرفلُ في ذُيول حِبائي

ما أعجب الأيامَ توجب للفتى ... مِنَحاً وتمحنه بسلب عَطاء

يا هلْ لماضي عيشنا من أوبةٍ ... يوماً وأسمحُ بعده بفنائي

هيهاتَ خاب السعي وانفصمت عُرى ... حَبْلِ المنى وانحلّ عقدُ رَجائي

وكفى غراما أن أعيشَ متيماً ... شوقي أمامي والقضاء ورائي

ولابن الفارض أيضا :

ما بين مُعترك الأحداق والمُهج ... أنا القتيلُ بلا إثم ولا حرج

ودعت قبل الهوى رُوحي ولا نظرت ... عيناي من حسن ذاك المنظر البهج

لله أجفانُ عين فيك ساهرةٌ ... شوقاً إليك وقلب بالغرام شجي

وأضلعٌ نحلت كادت تقوّمها ... من الجوى كبدي الحرّا من العِوج

وأدمعٌ هملت لولا التنفس من ... نار الجوى لم أكد أنجو من اللجج

وحبّذا فيك أسقامٌ خَفيت بها ... عني تقومُ بها عندَ الهوى حُججي

أصبحتُ فيك كما أمسيتُ مكتئبا ... ولم أقل جزَعاً يا أزمةُ انفرجي

أهفو إلى كلّ قلب بالغرام له ... شغل وكلّ لسان بالهوى لهج

وكلّ سمع عن اللاحي به صممٌ ... وكل جفن عن الإغفاء لم يعج

لا كان وجدٌ به الآماق جامدةٌ ... ولا غرامٌ به الأشواقُ لم تَهِج

عذّبْ بما شئتَ غيرَ البعد عنك تجد ... أوفى مُحبّ بما يُرضيك مبتهج

وخذ بقيةَ ما أبقيت من رَمق ... لا خير في الحبّ إن أبقى على المهج

من لي بإتلاف روحي في هوى رشأ ... حُلوِ الشمائلِ بالأرواح ممتزج

من مات فيه غراماً عاش مرتقياً ... ما بين أهلِ الهوى في أرفع الدَّرجَ

محجّب لو سرى فى مثل طُرّته ... أغنتَه غُرّته الغرّا عن السُّرُج
وإن ضَلَلتُ بليل من ذوائبـــه ... أهدى لعينى الهُدى صُبحاً من البالج
وإن تنفس قال المسكُ معـــترفاً ... لعـــارفى طيبه من نشره أرجى
أعوامُ إيقـــاله كاليوم فى قِصر ... ويومُ إعراضــه فى الطُّول كالحِجج
فإن نأى سائراً يامهجتى ارتحـــلى ... وإن دنا زائراً يامقلـــتى ابتهجى
قل للذى لامنى فيـــه وعنّفنى ... دَعنى وشأنىَ واترك نصحك السمِج
فاللوم لُؤم ولم يمدح به أحـــد ... وهل رأيت مُحبَّـــا بالغرام هُجى
ياساكن القلب لا تنظر إلى سَكَنى ... أرِحْ فؤادَك واحذر فتنــة الدّعج
ياصاحبى وأنا البرُّ الرءوفُ وقـــد ... بذلتُ نصحىَ بذاك الحىّ لا تعج
فيـــه خلعتُ عذارى واطَّرحتُ به ... قبولَ نصحى والمقبولَ من حُججى
وابيضّ وجـــهُ غرامى فى محبّته ... واسودّ وجـــهُ ملامى فيه بالحجج
تبـــارك اللهُ ماأحلى شمـــائله ... فكم أماتتْ وأحيتْ فيه من مهـج
يهوى لذكر اسمه من لجّ فى عَذلى ... سمعى وإن كان عَذلى فيه لم يلـــج
تراه إن غاب عنى كلُّ جارحـــة ... فى كلّ معنى لطيفٍ رائق بهج
فى نغمة العود والناى الرخيم إذا ... تألفـــا بـــين ألحـــان من الهزَج
وفى مسارح غزلان الخمـــائل فى ... بَرد الأصائل والإصباح فى البَلج
وفى مساقِط أنداء الغَمـــام على ... بساط نوْر من الأزهار منتَسِج
وفى مساحِب أذيالِ النّســـيم إذا ... أهـدى إلىّ سُحيْراً أطيب الأرَج
وفى التِثامِىَ ثغر الـكأس مرتشفا ... ريقَ المُدامة فى مُستـــنزهٍ فرِج
لم أدرِ ماغُربة الأوطان وهـــو معى ... وخاطِرى أين كُنا غـــيرُ مُنزعِج
فالدار دارى وحِبّى حاضرى ومتى ... بدا فمنعرَج العـــرجاء منعرَجى

ليهنِ ركبٌ سَروْا ليلا وأنت بهم ... لِسيرهم فى صباح منك منبلج
فليصنع القومُ ماشاءوا لأنفسهم ... هم أهل بدرٍ فلا يخشون من حَرج
بحق عصيانى اللّاحى عليك وما ... بأضلعى طاعةً للوجد من وَهج
انظر إلى كَبِدٍ ذابت عليك أسًى ... ومقـــلة من نجيع الدّمع فى لُجج
وارحَم تعثُّر آمالى ومرتَجعى ... إلى خِــــداع تمنّى النفس بالفرج
واعطِف على ذلّ أطماعى بهل وعسى ... وامنُن علىّ بشرح الصدر من حَرج
أهلًا بما لم أكن أهْلًا لموقعـه ... قولُ المبشّر بعد اليأس بالفرج
لك البِشارةُ فاخلع ما عليك فقد ... ذُكرتَ ثَمّ على مافيكَ من عِوج

الصلاح الصفدى وفيه تورية :

أمّلتُ أن تتعطّفوا بوصالكم ... فرأيتُ من هجرانكم مالا يُرى
وعلمت أن بِعـــــادكم لابدّ أن ... يجرى له دمعى دماً وكذا جَرى

وله فى امرأة فى يدها سلسلة :

زارتْ وفى مِعصَمِها إذ أتتْ ... سِلســــلةٌ زادت غرامى ولَهْ
وبدّدت عقــــلىَ فى نظمِهـا ... فهــا أنا المجنونُ فى السِّلســــلهْ

[تعريف الفلسفة]

الفلسفة : لغةٌ يونانية ، ومعناها محبة الحكمة . وفيلسوف : أصله فيلاسوف : أى محب الحكمة ، وفيلاَ : المحب ، وسوف : الحكمة .

لله در من قال :

ومن عَجبٍ أن الصوارمَ والقَنا ... تَحيضُ بأيدى القوم وهى ذُكور
وأعجبُ من ذا أنهــا فى أكفِّهم ... تأجــجُ نارا والأكفّ بُحور

كان لابن الجوزى امرأة تسمى نسيم الصبا، فطلقها ، ثم ندم على ما كان منه ، فحضرت يوما مجلس وعظه فعرفها ، واتفق أن جلست امرأتان أمامها وحجباها عنه فأنشد مشيرا إلى تينك المرأتين :

أيا جبلَىْ نُعمان بالله خلّيا نسيمَ الصَّبا يخلُص إلىّ نسيمُها

قال البلاذرى : كنت من جلساء المستعين ، إذ قصده الشعراء ، فقال يوما : لست أقبل إلا ممن يقول مثل قول البحترى :

لو أن مشتاقا تـكلّف فوق ما فى وُسعه لسعى إليك المنبر

قال فرجعت إلى دارى ثم أتيته ، فقلت له : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى ؛ فقال هات ، فأنشدته :

ولو آن بُرد المصطفى إذ لبستَه يَظنّ لظَن البردُ أنك صاحبُه
وقال وقد أعطيتَه ولبستَه نعم هذه أعطافه ومناكبُه

فأمر لى بسبعة آلاف درهم .

بنى عبد الملك بن مروان بابا للمسجد الأقصى ، وبنى الحجاج بابا آخر بإزائه ، فجاءت صاعقة فأحرقت باب عبد الملك وسلم باب الحجاج ، فشق ذلك على عبد الملك ، فـكتب إليه الحجاج : مامثلى ومثل مولاى إلا كمثل ابنى آدم إذ قرّبا قُربانا فتُقبّل من أحدهما ولم يُتقبّل من الآخر ، فسرى ذلك عنه وأذهب حزنه .

فى الحديث : لا يـكمل إيمان المرء حتى يكون أن لا يُعرف أحبَّ إليه من أن يُعرف .

الصاحب بن عباد :

رقّ الزجاج وراقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمرٌ ولا قدح   وكأنما قدحٌ ولا خمر

* * *

وقريب من معنى بيتى الصاحب قول بعضهم :

وكأس قد شربناها بلُطف   تخال شرابنا فيها هواء

وزنّا الكاسَ فارغة وملأى   فكان الوزن بينهما سواء

وقد زاد عليه بعض المغاربة بقوله :

ثَقُلت زجاجات أتتنا فُرَّغا   حتى إذا مُلئت بِصِرف الراح

خفّت فكادت أن تطير بما حوت   وكذا الجسُوم تخف بالأرواح

كان الإمام فخر الدين الرازى فى مجلس درسه ، إذ أقبلت حمامة خلفها صقر يريد صيدها ، فألقت نفسها فى حجره كالمستجيرة به ، فأنشد شرف الدين بن عنين أبياتا فى هذا المعنى منها :

جاءت سليمانَ الزمانِ حمامةٌ   والموتُ يلمع من جناحَىْ خاطف

من نبّأ الورقاء أن محلّكم   جرمٌ وأنك ملجأٌ للخائف

والأبيات مذكورة بأجمعها فى تاريخ الذهبى .

للمأمون وقد أرسل رسولا إلى جارية كان يهواها :

بعثتُك مشتاقا ففزتَ بنظرة   وأغفلتَنى حتى أسأتُ بك الظنا

ورددتَ طرفا فى محاسن وجهها   ومتعتَ فى أسماع نغمتها الأذْنا

أرى أثرا منها بعينك لم يكُن   لقد سرقت عيناك من وجهها حُسنا

دخل أعرابى على النعمان بن المنذر وعنده وجوهُ العرب فأنشأ يقول :

له يومُ بؤس فيه للناس أبؤسٌ   ويومُ نعيم فيه للناس أنعمُ

فيمطر يومَ الجود من كفّه الندى   ويمطر يوم البؤس من كفه الدّمُ

فلو أن يومَ البؤس فرّغ كفّه ... لِبذل الندى لم يَبْقَ فى الأرض مُعدِمُ
ولو أن يوم الجود لم يَثن كفّه ... عن البأس لم يُصبح على الأرض مُجرِمُ

فأعطاه مائة بكرة ، وعشرةَ أفراس ، وعشرة جَوار ، على رأس كل جارية كيس مملوء ذهبا .

أوصى طفيليّ ابنه فقال : يا بنى إذا كان مجلسك ضيقا فقل لمن بجنبك لعلى ضيقت عليك ، فإنه يتحرك فيتوسع مجلسك .

الصفى الحلى :

مازال كحلُ النوم فى ناظرى ... من قبل إعراضك والبين
حتى سرقتَ الغمضَ من مُقلتى ... يا سارق الكحل من العيْن

من إرسال المثل لبعضهم ، وأظنه ابن الوردى :

وتاجرٍ أبصرتُ عشّاقهُ ... والحرب فيما بينهم ثائرْ
قال علامَ اقتتلوا هاهنا ... قلت على عينك يا تاجرِ

لابن المعتز :

أترى الجيرةَ الذين تداعَوْا ... عند سير الحبيبْ للترحال
علموا أننى مقيمٌ وقلبى ... راحلٌ معْهمُ أمام الجِمالِ
مثلُ صاع العزيز فى أرحُل القو ... م ولا يعلمون ما فِى الرِّحال

لبعضهم من الاقتباس من الرمل :

فوق خدّيه للعذار طريقٌ ... قد بدا تحته بياضٌ وحُمرهْ
قيل ماذا فقلت أشكالُ حسن ... تقتضى أن أبيعَ قلبى بنظرهْ

لبعضهم :

أذابه الحبّ حتى لو تمثله بالوهم خلقٌ لأعياهم توهّمه
لولا الأنين ولوعاتٌ تحرّكه لم يدره بعيان من يكلّمه

أنشد بعض الأعراب هذه الأبيات عند النبي صلى الله عليه وسلم :

أقبلتْ فلاح لها عارضان كالسَّبَج
أدبرت فقلتُ لها والفؤادُ فى وهَج
هل علىّ ويحكما إن عشقتُ من حرج

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا حرج إن شاء الله تعالى .

مما ينسب إلى ليلى قولها :

لم يكن المجنونُ فى حالة إلا وقد كنتُ كما كانا
لكنْ لىَ الفضل عليه بأن باحَ وأنّى متّ كتمانا

ومما ينسب إليها أيضا قولها :

باح مجنونُ عامر بهواهُ وكتمتُ الهوى فمتّ بوجدى
فإذا كان بالقيامة نودى مَنْ قتيلُ الهوى تقدّمتُ وحدى

[تعريف علم الموسيقى]

علم الموسيقى: علم يعرف منه النغم والإيقاع وأحوالها، وكيفيةُ تأليف اللحون، واتخاذ الآلات الموسيقية. وموضوعه: الصوت من جهة تأثيره فى النفس باعتبار نظامه. والنغمة : صوت لابث زمانا تجرى فيه الألحان مجرى الحروف من الألفاظ وبسائطها سبعة عشر، وأدوارها[1] أربعة وثمانون، والإيقاع اعتبار زمان الصوت

(١) فى المخطوطة : وأوتارها .

ولا مانع شرعا من تعلم هـذا العلم ، وكثير من الفقهاء كان مبرزا فيه . نعم ، الشريعة المطهرة على الصادع بها أفضلُ الصلاة والسلام منعت من من عمليته ، والـكتب المصنفة فيه إنما تفيد أموراً علمية فقط ، صاحب الموسيقى العلمى يتصوّر الانغام من حيث إنها مسموعة على العموم من أى آلة اتفقت ، وصاحب العمل إنما يأخذها على أنها مسموعة من الآلات الطبيعية كالحلوق الإنسانية ، أو الصناعية كالآلات الموسيقية ، هـذا وما يقال من أن الألحان الموسيقيـة مأخوذة من نسب الاصطـكاكات الفلـكية فهو من جملة رموزهم ، إذ لا اصطـكاك فى الأفلاك ولا قرع ولا صوت . إرشاد . ا هـ .

لبعضهم :

تفانَى الرجالُ على حبّها ولا يحصلُون على طائل

[الخوف والحزن]

فى تفسير القاضى ، فى قوله تعالى : « فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون » قال الخوف على المتوقع ، والحزن على الواقع ، وفيه نظر ، لقوله تعالى : « إنى ليَحْزُننى أن تذهبوا به » ويمكن أن يدفع بأن المراد أنه ليحزننى فقد ذهابـكم به ، وبهذا يندفع اعتراض ابن مالك على النحاة بالآية الكريمة فى قولهم : إن لام الابتداء تخلص المضارع للحال كما لا يخفى

فى أحاديث تروى عن زرارة ، عن أبى جعفر رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ بالمسجد إذ جاء رجلٌ فصلّى فلم يُتم الركوعَ والسجود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نقر كنقر الغراب ، لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير دينى » .

في معرفة ارتفاع المرتفعات من دون أسطرلاب : تضع مرآة على الأرض بحيث ترى رأس المرتفع فيها ، ثم تضرب ما بين المرآة ومسقط حجره فى قدر قامتك ، وتقسم الحاصل على ما بين المرآة وموقفك ، فالخارج ارتفاع المرتفع .

طريق آخر : تنصب مقياسا فوق قامتك ودون المرتفع ؛ ثم تبصر رأسها ، بخط شعاعى ، وتضرب ما بين موقفك ومسقط حجر المرتفع فى فضل المقياس على قامتك ، واقسم الحاصل على ما بين موقفك وقاعدة المقياس ، وزد على الخارج قدر قامتك ، فالمجتمع قدر ارتفاعه .

صورة ذات الشعبتين ، التى يستعلم بها اختلاف المنظر مبينة فى الفصل الثانى من المقالة الخامسة من المجسطى .

الصلاح الصفدى :

أراد الغمامُ إذا ماهمى ... يُعبِّر عن عبرتى وانتحابى

فجاءت دموعى فى فيضها ... بمالم يكن فى حساب السّحاب

وله ، وفيه تورية :

لقد شبّ جمرُ القلب من فيض عبرتى ... كما أن رأسى شاب من موقف البيْنِ

فإن كنتَ ترضى لى مشيبى والبكا ... تلقيتُ ما ترضاه بالرأس والعين

من النهج : واتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جدّ بكم السير ، واستعدوا للموت فقد أظلكم ، وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا فإن الله لم يخلقكم عبثا ، ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموتُ أن ينزل به ، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدّة . وإن

غائباً يحدوه الجديدان : الليلُ والنهارُ لحرىّ بسرعة الأوبة ، وإن قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العُدة ، فتزودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غداً . فأتقى عبدٍ من نصحَ نفسَه ، وقدّم توبته ، وغلب شهوتَه ، فإن أجله مستور عنه ، وأملَه خادع له ، والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ، ويمنيه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها . فيالها حسرةً على كل ذى عقل أن يكون عمره عليه حجة ، وأن تؤديه أيامُه إلى شقوة ، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطِره نعمة ، ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ، ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة .

***

صورة كتاب كتبه الغزالى من طوس إلى الوزير السعيد نظام الملك جواباً عن كتابه الذى استدعاه فيه إلى بغداد وبعده فيه بتفويض المناصب الجليلة بها إليه ، وذلك بعد تزهد الغزالى وتركه تدريس النظامية .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولكل وجهةٌ هو مولّيها فاستبقوا الخيرات .

اعلم أن الخلق فى توجههم إلى ماهو قبلتُهم ثلاثُ طوائف : إحداها العوامّ الذين قصروا نظرهم على العاجل من الدنيا ، فمقتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ماذئبان ضارِيان فى زريبة غنم بأكثر إفساداً من حُبِّ المال والشرف فى دين المرء المسلم » .

ثانيتها الخواصّ ، وهم المرجّحون للآخرة ، العالمون بأنها خير وأبقى ، العاملون لها الأعمال الصالحة ، فنسب إليهم التقصير بقوله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا حرامٌ على أهل الآخرة ، والآخرةُ حرام على أهل الدنيا ، وهما حرامان على أهل الله تعالى » .

ثالثتها : الأخصّاء وهم الذين علموا أن كلّ شىء فوقه شىء آخر فهو من الآفلين ، والعاقل لايحب الآفلين ، وتحققوا أن الدنيا والآخرة من بعض مخلوقات الله تعالى ، وأعظم أمورهما الأجوفان : المطعمُ والمنكحُ ، وقد شاركهم فى ذلك كلّ البهائم والدوابّ ، فليست مرتبة سنية ، فأعرضوا عنهما ، وتعرضوا لخالقهما ، ومُوجِدِهما ومالكِهما ، وكشف لهم معنى « واللهُ خير وأبقى » وتحقق عندهم حقيقة لا إله إلا الله ، وأن كل من توجه إلى ماسواه فهو غير خال من الشرك الخفى ، فصار جميعُ

الموجودات عندهم قسمين : الله وماسواه، واتخذوا ذلك كِفّتى ميزان، وقلبُهم لسانُ الميزان ، فكلّما رأوا قلوبَهم مائلةً إلى الـكِفّة الشريفة حكموا بثقل كِفّة الحسنات، وكلما رأوها مائلة إلى الـكِفّة الخسيسة حكموا بثقل كفة السيئات ، وكما أن الطبقةَ الأولى عوامٌّ بالنسبة إلى الطبقة الثانية، فـكذلك الطبقة الثانية بالنسبة إلى الطبقة الثالثة ، فرجعت الطبقات الثلاثُ إلى طبقتين، فحينئذ أقول: قد دعانى صدر الوزراء من المرتبه العليا إلى المرتبة الدنيا ، وأنا أدعوه من المرتبة الدنيا إلى المرتبة العليا التى هى أعلى عِلّيين ، والطريق إلى الله تعالى من بغداد، ومن طوس ، ومن كل المواضع واحد ، ليس بعضها أقربَ من بعض ، فأسأل الله تعالى أن يوقظه من نومة الغفلة لينظر فى يومه لغده ، قبل أن يخرج الأمر من يده . والسلام .

وفى الـكشاف : أن الفاتحة تسمى المثانى لأنها تثنى فى كل ركعة ، هذا كلامه ، ومثل ذلك قال الجوهرى فى الصحاح. وفى توجيه هذا الـكلام وجوه . الأول : المراد بالركعة الصلاة ، من تسمية الـكل باسم الجزء . الثانى : أنها تثنى فى كل ركعة بأخرى فى الأخرى . ويرد على هذين الوجهين التنفل بركعة عند من يجوزه وأما صلاة الجنازة فخارجة بذكر الركعة. الثالث: أن فى للسببية نحو: إنّ امرأةً دخلت النار فى هرة ، والمعنى أنها تثنى بسبب كل ركعة ركعة لا بسبب السجود، كالطمأنينة، ولا بسبب ركعتين ركعتين كالتشهد فى الرباعية ، ولا بسبب صلاة صلاة كالتسليم . والحق أن هذا بعيد جدا ، والجواب هو الأول ، وبه صرح صاحب الـكشاف فى سورة الحجر . والتنفل بركعة لا يجوزه صاحب الـكشاف ، وهو عند مجوزيه نادر لا يخل بالـكلية الادّعائية ، إذ ما من عامّ إلا وقد خص . انتهى .

الصلاح الصفدى [وفيه حسن تعليل] :

لا تحسَبوا أن حبيبى بكى   لِى رقةً يا بُعْد ما تحسَبون
فما بكى من رِقةٍ إنما   أراد أن يسقِىَ سَيفَ الجفون

لبعضهم :

إذا كان وجه العذر ليس ببيّن   فإن اطِّراح العذر خيرٌ من العذر

كان أبو سعيد الأصبهانى شاعرا ظريفا مطبوعا، وكان ثقيل السمع ، إذا خاطبه أحد قال له ارفع صوتك ، فإن بأذنى ما بروحك ، وهو معدود من جملة شعراء الصاحب بن عباد ذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر ، وشعره فى نهاية من الجودة .

من ملح العرب : قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : اللهم اغفر لأمى ، فقلت مالك لا تذكر أباك ؟ فقال : إن أبى رجل يحتال لنفسه ، وإن أمى امرأة ضعيفةٌ .

قيل لبعض الحكماء : لم تركت الدنيا ؟ قال : لأنى أُمنَعُ من صافيها ، وأمتنِع من كدرها .

وقيل لعارف : خذ حظك من الدنيا فإنك فانٍ فقال : الآن وجب أن لا آخذ حظى منها .

لله در القائل :

هبْكَ بلغت كلَّ ما تشتهيه   وملكتَ الزَّمان تحكم فيهِ
هل قُصارى الحياة إلا مماتٌ   يَسلبُ المرء كلَّ ما يقتنيهِ

غيره :

متى وعسى يثنى الزمانُ عِنانَه   بعثرة حالٍ والزمانُ عثورُ
فتدرك آمال وتقضىَ مآربٌ   ويحدث من بعدِ الأمور أُمور

من كلام الإسكندر : إن سلطان العقل على باطن العاقل أشدُّ تحكما من سلطان السيف على ظاهر الأحمق .

برهان لطيف لجامع الكتاب على أن غاية غلط كلٍّ من المقومين بقدر ضعف ما بين المركزين .

أقول : إذا تماسّت دائرتان من داخل صغرى وعظمى، فغاية البعد بين محيطيهما بقدر ضعف ما بين مركزيهما ، كدائرتى ا ب حـ ا ء ه المتماسّتين على نقطة ا وقطر العظمى ا ه وقطر الصغرى ا ح وما بين المركزين ر ح فخط ح ه ضعف خط ء ح لأنا توهمنا حركة الصغرى لينطبق مركزها على مركز العظمى، ونسميها حينئذ دائرة ط ى فقد تحرّك محيطها على قطر العظمى بقدر حركة مركزها فخطوط ا ط ء حـ ص ى متساوية ، وخطا ا ط ى ه متساويان أيضا لأنهما الباقيان بعد إسقاط نصفى قطر الصغرى من نصفى قطر العظمى، فخط ء ح الذى كان يساوى خط ا ط خط يساوى ى ه أيضا وقد كان يساوى خط ح ى فخط ح ه ضعف خط ء ح وذلك ما أردناه . والتقريب ظاهر كما لا يخفى . انتهى .

لجامع الكتاب برهان على امتناع اللاتناهى ، وسميته اللام ألف : لو أمكن عدم تناهى الأبعاد لفرضنا مثلث ا ر ح القائم الزاوية وأخرجنا ضلعى ا ح ء حـ المتقاطعين على ح إلى غير النهاية فى جهتى ع ء ه وفرضنا تحرّك خط ع ح ر على خط ا ح ه إلى غير النهاية ، لاشك أن زاوية ر الحادة تعظم بذلك آنا فآنا، فيحصل فيها زيادات غير متناهية بالفعل ، وهى مع ذلك أصغر من الزاوية القائمة ، إذ لا يمكن تساويها ، لأن المثلث لا يساوى قائمتين فتأمل .

لما مات عبد الملك بن الزيات وزير المتوكل بعد أن عذب بأنواع العذاب ، وجد فى جيبه رقعة فيها هذه الأبيات لأبى العتاهية :

هو السبيلُ فمن يوم إلى يوم كأنه ما تريك العينُ فى النوْم

لا تعجلنّ رويدا إنهـا دول دنيا تَنَقّلُ من قوم إلى قوْم

إن المنايا وإن طال الزمان بها تحومُ حولك حوماً أيّما حوْم

حكى ثمامة بن أشرس(١) قال بعثنى الرشيد إلى دار المجانين لأصلح ما فسد من أحوالهم ، فرأيت فيهم شابا حسنَ الوجه كأنه صحيح العقل ، فكلمته ، فقال : ياثمامة إنك تقول إن العبد لا ينفك عن نعمة يجب الشكر عليها أو بلية يجب الصبر لديها . فقلت نعم هكذا قلت فقال : لو سكرت ونمت ، وقام إليك غلامك وأولج فيك مثل ذراع البكر ، فقل لى ، هذه نعمة يجب الشكر عليها ، أو بلية يجب الصبر لديها ؟ قال ثمامة فتحيرت ولم أدر ماأقول له . فقال : وهنا مسألة أخرى أسألك عنها ، قلت هات قال متى يجد النائم لذة النوم ؟ إن قلت إذا استيقظ فالمعدوم لا يوجد له لذة ، وإن قلت قبل النوم ، فكذلك ، وإن قلت حال النوم ، فلا شعور له . قال ثمامة : فبهتّ ولم أستطع له جوابا ، فقال مسألة أخرى ، قلت وما هى . قال : إنك تزعمُ أن لكل أمة نذيراً ، فمن نذير الكلاب ؟ قلت : لا أدرى الجواب . فقال : أما الجواب عن السؤال الأول فيجب أن تقول : الأقسام ثلاثة نعمة يجب الشكر عليها ، وبليتان بلية يجب الصبر لديها ، وبليـة يمكن التحرز عنها كى لا ينضم العار إليها ، وهى هذه . وأما المسألة الثانية فالجواب عنها أنها محال لأن النوم داء ولا لذة مع وجود الداء . وأما المسألة الثالثة ـ وأخرج من كمه حجرا وقال ـ إذا عدا عليك كلب فهذا نذيره ، ورمانى بالحجر فأخطأنى ، فلما رآه قد أخطأنى قال فإنك النذير أيها الكلب الحقير . فعلمت أنه مصاب فى عقله فتركته وانصرفت . ولم أر مجنونا بعدها .

---

(١) فى المخطوطة : الأبرش .

كان البهلول جالسا والصبيان يؤذونه وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، يكررها ، فلما طال أذاهم له حمل عصاه وكر عليهم وهو يقول:

أكر على الكتيبة لا أبالى ... أفيها كان حتفى أم سواهـا

فتساقط الصبيان بعضهم على بعض ، فقال : هزم القوم وولوا الدبر ، أمرنا أمير المؤمنين أن لا نتبع موليا ولا نذفف على جريح ، ثم جلس وطرح عصاه وقال:

وألقت عصاها واستقر بها النَّوَى ... كما قر عينا بالإياب المسافرُ

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين كرم الله وجهه :

إنى رأيت وفى الأيام تجربةٌ ... للصبر عاقبةٌ محمودة الأثر

لا تضجرنّ ولا يدخلك معجزة ... فالنجح يَهلك بين العجز والضجر

قال بعض الحكماء: إنكاؤك لعدوك أن لا تريه أنك تتخذه عدوّا

لبعضهم :

الدهرُ خــداعة خَلوب ... وصفْوُه بالقــذى مشوُب

فلا تغرنَّك الليــالى ... فبرقُها الخلّب الكذوب

وأكثر النـاس فاعتزلهم ... قوالبٌ مالهـا قلُوب

إسمَاعيل المقرى :

إلى كم تَمادى فى غُرور وغفـلة ... وكم هكذا نوم إلى غـير يقظة

لقد ضاع عمرٌ ساعةٌ منه تشترى ... بملء السما والأرض أية ضيعة

أترضى من العيش الرغيد وعيشة ... مع الملأ الأعلى بعيش البهيمة

فيا درّة بين المزابل ألقيت ... وجوهرةً بيعت بأبخس قيمة

أفانٍ بباق تشتريه سفاهة ... وسخطاً برضوان وناراً بجنّة

أأنت صديقٌ أم عدوٌ لنفسه ... فإنك ترميها بكل مصيبة

ولو فعل الأعدا بنفسك بعض ما فعلتَ لمنتهم لهـا بعضُ رحمة

لقد بعتها هُونا عليك رخيصةً وكانت بهـذا منك غيرَ حقيقة

كلفت بها دنيا كثيرٌ غرورُهـا تُقابلنا فى نصحها بالخديعـة

إذا أقبلت ولّت وإن هى أحسنت أساءت وإن ضاقت فثق بالكدورة

وعيشُك فيها ألف عام وينقضى كعيشك فيها بعضَ يوم وليلة

عليك بما يجدى عليك من التقى فإنك فى سهو عظيم وغفـلة

تصلى بلا قلب صلاةً بمثلهـا يصير الفتى مستوجبـا للعقوبة

تخاطبه إياك نعبـد مقبـلا على غيره فيهـا لغير ضرورة

ولو ردّ من ناجاك للغـير طرفَه تميزت من غيظ عليـه وغَيرة

تصلى وقد تمتَها غـير عالم تزيد احتياطا ركعة بعـد ركعة

فويلك تدرى من تناجيه مُعرضا وبين يدىْ من تنحنى غيرَ مخبت

ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة إذا عُدِّدت تكفيك عن كل زلة

تقول مع العصيان ربِّىَ غافر صدقت ولكن غافرٌ بالمشيئة

وربك رزّاق كما هو غافرٌ فلِمْ لم تصدق فيهما بالسويّة

فكيف ترجّى العفو من غير توبة ولستَ تُرجى الرزق إلا بحيلة

وها هو بالأرزاق كفّل نفسه ولم يتكفّل للأنام بجنـة

وما زلتَ تسعىَ فى الذى قد كفيته وتُهمل ما كلفتَه من وظيفة

تسىء به ظنا وتُحسن تارة على حسب مايقضى الهوى فى القضية

وجد فى عضد شمس المعالى قابوس بن وشمكير رقعة بخطه فيها مكتوب: إن كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز ، وإن كان الموت لا بد آتيا فالركون إلى الدنيا حمق . وإن كان القضاء حقا فالحزم باطل .

ومن كلام بعض الحكماء : إذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة . وإذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة . فمن أطاع الله عز نصره . ومن لزم القناعة زال فقره .

فى شرح الشهاب للراوندى: ورد فى الأخبار كراهة النوم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فإنه وقت قسمة الأرزاق .

قال بعض الفلاسفة : الدنيا دار فجائع ، من عجل فيها فجع بنفسه ، ومن أجّل فيها فجع بأحبته .

ومن كلام بعض الحكماء : من ودّك لأمر ملّك عند انقضائه .

ومن كلامهم : إنما يليق للأنس المجلس الخاص ، لا المحفل الغاص .

ومن كلامهم أيضا : ليس من الإنصاف مطالبة الإخوان بالإنصاف .

لبعضهم :

يا طالبَ الدنيا يغرك وجهُها ... وستستبينُ إذا رأيت قفاها

من التلويحات : عن أفلاطون الإلٰهى أنه قال: ربما خلوتُ بنفسى كثيرا عند الرياضات ، وتأملت أحوال الموجودات المجردة عن المادّيات، وخلعت بدنى جانبا ، وصرت كأنى مجردٌ بلا بدن عارٍ عن الملابس الطبيعية ، فأكون داخلا فى ذاتى لا أعقل غيرها ، ولا أنظر فيما عداها، وخارجا عن سائر الأشياء ، فحينئذ أرى فى نفسى من الحسن والبهاء والسنا والضياء ، والمحاسن الغريبة العجيبة الأنيقة ما أبقى معه متعجبا حيران باهتا ، فأعلم أنى جزء من أجزاء العالم الأعلى الروحانى الكريم الشريف ، وأنى ذو حياة فعالة ، ثم ترقيت بذهنى من ذلك العالم إلى العوالم الإلٰهية، والحضرة الربوبية، فصرت كأنى موضوع فيها معلق بها فوق العوالم العقلية النورية، فأرى كأنى واقف فى ذلك الموقف الشريف ، وأرى هناك من البهاء والنور ما لا تقدر الألسن

على وصفه ، ولا الأسماع على قبول نقشه ، فإذا استغرقني ذلك الشأن ، وغلبني ذلك النور والبهاء، ولم أقو على احتماله هبطت من هناك إلى عالم الفكرة، فحينئذ حجبت الفكرة عني ذلك النور ، فأبقى متعجبا : كيف انحدرت من ذلك العالم ، وعجبت كيف رأيت نفسي ممتلئة نورا ، وهي مع البدن كهيئتها ، فعندها تذكرت قول مطريوس حيث أمرنا بالطلب ، والبحث عن جوهر النفس الشريف، والارتقاء إلى العالم العقلي .

من الكشاف: في آية الوضوء فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجر؟ قلت الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء .

قال في الكشف : لو أريد المسح لقيل إلى الكعاب ، أو إلى الكعْب ؛ لأن الكعب إذ ذاك مفصل القدم وهو واحد في كل رجل ، فإن أريد كل واحد فالإفراد وإلا فالجمع . وأما إذا أريد الغسل فهما الناشزان ، وهما اثنان في كل رجل فتصح التثنية باعتبار كل رجل رجل . ولما كانت المقابلة باعتبار الغاية وصاحبها لم يرد أن الأول يصح مثنى باعتبار كل شخص ؛ إذ لا مدخل للأشخاص في هذا التقابل .

من التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي: جمهور الفقهاء على أن الكعبين هما العظمان الناتئان من جانبي الساق . وقال الإمامية وكل من ذهب إلى وجوب المسح : إن الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل كعب الغنم والبقر موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم ، وهو قول محمد بن الحسن . وكان الأصمعي يختار هذا القول . ثم قال حجة الإمامية: إن اسم الكعب واقع على العظم

المخصوص الموجود فى رجل جميع الحيوانات ، فوجب أن يكون فى حق الإنسان كذلك ، والمفصل يسمى كعبا . ومنه كعب الرمح لمفاصله ، وفى وسط القدم مفصل فوجب أن يكون الكعب .

[وصايا أمير المؤمنين لأولاده]

مما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام أولاده : يا بَنِيّ عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنّوا إليكم ، وإن فقدتم بكوا عليكم . يا بَنِيّ : إن القلوب جنود مجندة ، تتلاحظ بالمودّة ، وتتناحى بها ، وكذلك هى فى البغض ، فإذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه ، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق إليكم فاحذروه .

من المحاكمات فى بحث حركات الأفلاك : هنا شك ، وهو أنا إذا فرضنا دائرتين إحداهما حاوية للأخرى ، والأخرى محوية ، وهما يتحركان بالخلاف على محوىّ واحد حركة واحدة ، وعلى الدائرة المحوية نقطة فى السماء على نصف النهار ، فتلك النقطة لا بدّ أن تكون دائما على نصف النهار لأن المحوىّ إن حرّكها إلى جهة الشرق درجة فقد أعادها الحاوى إلى جهة الغرب ، مع أن تلك النقطة لما كانت من نقطة الدائرة المحوية وسائر نقطها تُقطع دور الفلك بحركتها بالضروة ، فلا بدّ من أن تكون تلك النقطة فى جهة الشرق تارة وفى وجهة الغرب أخرى .

ومن الفضلاء من سمعته يقول فى حل هذا الشك : لكل متحرك حركتان : حركة حقيقية وهى قطع المسافة التى يتحرك عليها ، وحركة إضافية أى بالإضافة إلى أى نقطة فرضت خارجة عن المسافة ، وهى زاوية لمسافة حركتها عندها ، ونقطة المحوىّ وإن كانت لها حركة فى نفسها لا تُحدث زاوية بالنسبة إلى النقط الخارجة عن مبدئها ؛ لأن موضعها يتحرك بالخلاف حركة مساوية لها ، ولهذا لا تُرى

إلا ساكنة . وللفكر فيه مجال . انتهى كلام المحاكمات .

والحاصل أن الدائرة المحوية لا يظهر لها حركة بالنسبة إلى النقطة الخارجة ، وذلك لا ينافى كونها متحركة فى نفسها .

من كتاب الملل والنحل : والضابط فى تقسيم الأمم أن تقول : من الناس من لا يقول بمحسوس ولا بمعقول وهم السوفسطائية ، ومنهم من يقول بالمحسوس لا بالمعقول وهم الطبيعية . ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود وأحكام وهم الفلاسفة الدهرية ، ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولا يقول بالشريعة والإسلام وهم الصابئة . ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة وإسلام ، ولا يقول بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم وهم المجوس واليهود والنصارى . ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون .

من كتب الإشراق : العناية الإلهية متعلقة بتدبير الكل من حيث هو كل أولا وبالذات ، وبتدبير الجزء ثانياً وبالعرض ، ولا يمكن أن يكون نظام الكل أحسن من النظام الواقع ، وإن أمكن بكل فرد فرد ما هو أكمل له بالنظر إلى خصوصيته ، لكنه يكون مخلا بحسن نظام الكل ، وإن خفى علينا وجهه . ويمثل ذلك بأن المعمار إذا طرح نقش عمارة فربما كان الأحسن لتلك العمارة من حيث الكل أن يكون بعض أطرافه مبرزاً والبعض الآخر مجلساً ، بحيث لو غير هذا الوضع لاختل حسن مجموع العمارة ، وإن كان الأحسن — نظرا إلى خصوصية كل من الأجزاء — أن يكون مجلساً مثلا .

من كتاب التبيان فى المعانى والبيان :

أسلوب الحكيم : هو أن تلقى المخاطب بغير ما يترقب ، تنبيهه على أنه الأولى بالقصد ، قال :

أَتَتْ تشتكى عندى مزاولة القِرى ... وقد رأتِ الضِيفانَ ينحون منزلى
فقلت كأنى ما سمعت كلامها ... همُ الضيف جدِّى فى قِراهم وعجِّلى

وقال القبعثرى للحجاج ـ لما توعده بقوله: لأحملنك على الأدهم ـ: مثلُ الأمير من حمل على الأدهم والأشهب. ومنه فى قوله تعالى: « استغفرْ لهم أولا تستغفرْ لهم إن تستغفرْ لهم سبعين مرّةً فلن يغفر الله لهم » إذ المراد منه التكثير وحمله صلى الله عليه وسلم على العدد فقال: « والله لأزيدن على السبعين ».

من كتاب عدة الداعى ونجاح الساعى: قال أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام للمفضل بن صالح: إن لله عباداً عاملوه بخالصٍ من سرّه، فعاملهم بخالصٍ من بره، فهم الذين تمر صحفهم يوم القيامة فُرّغا، فإذا وقفوا بين يديه ملأها من سرّ ما أسرّوا إليه، قال فقلت: يامولاى ولم ذلك؟ قال: أجلَّهم أن تطلع الحفظةُ على ما بينه وبينهم.

قيل لأعرابى: إن الله محاسبُك غداً. فقال: سررتنى يا هذا إذن، إن الكريم إذا حاسب تفضل.

حكى: أن بعض العارفين حاك ثوبا وتأنق فى صنعته، فلما باعه رد عليه بعيوب فيه، فبكى، فقال المشترى: يا هذا لاتبك فقد رضيت به، فقال ما بكائى لذلك، بل لأنى بالغت فى صنعته وتأنقت فيه جهدى، فرد على بعيوب كانت خفية على، فأخاف أن يرد علىّ عملى الذى أنا عملته منذ أربعين سنة.

قيل لبعض العارفين: كيف أصبحت؟ قال: آسفا على أمسى، كارها ليومى، متهما لغدى.

بصواب الرأى تبقى الدول وتذهب بذهابه.

لبعضهم :

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا بالعيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

احصد الشر من صدر غيرك تقلعه من صدرك . إذا ما أملقتم فتاجروا الله بالصدقة. من ظن بك خيراً فصدق ظنه . كفى بالأجل حارسا .

فى الحديث : شتان بين عملين : عمل تذهب لذته وتبقى تبعته ، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره .

برهان على إبطال الجزء : مما سنح بخاطر جامع الكتاب: تفرض دائرة مركبة من الأجزاء وتخرج فيها خطين مارين بالمركز بين طرفيهما جزء واحد من محيط الدائرة ، فهما متقاطعان على المركز ، فالانفراج الذى بينهما قبل التقاطع إما أن يكون بقدر الجزء ، أو أكثر ، أو أقل ، والكل باطل لاستلزام الأول كون المتقاطعين متوازيين ، والثانى كون المتقاربين فى جهة متباعدين فيها ، والثالث الانقسام .

من النهج : والذى وسع سمعه الأصوات ، ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً . فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل .

قال ثعلب : حدثنا ابن الأعرابى ، قال : قال المأمون : لولا أن عليًا رضى الله عنه ، قال : اخبر تقله ، أنا اقله تخبر .

ظن بعض الفضلاء أن لبنة واحدة فى المضادة كافية فى استعلام ارتفاع الشمس وكان يحاذى باللبنة الشمس ، ويحرك المضادة إلى أن يقع ظل اللبنة بتمامه على نفس المضادة ، ويحكم بأن الارتفاع ما وقعت عليه الشظية ، وهذا ظن باطل ، إذ الشظية

إنما تكون على الارتفاع فى وقت، إذا كان ظل اللبنة غير متناه، وهو وقت كون سطح الحجرة فى دائرة الارتفاع، وليس ذلك وقت وقوع ظل اللبنة على المضادة فتأمل.

من كتاب ورّام: التقى ملكان فتساءلا، فقال أحدهما للآخر: أمرت بسوق حوت اشتهاه فلان اليهودى، وقال الآخر: أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد.

التفاضل بين كل مربعين بقدر حاصل ضرب مجموع جذريهما فى التفاضل بين ذينك الجذرين.

لبعضهم:

من غاب عنكم نسيتموه ... وقلبُه عندكم رهينَهْ
وجدتكم فى الوفاء ممن ... صحبتُه صحبةُ السفينهْ

لكثير عزة من قصيدة:

رُهبانُ مَدينَ والذين عهدتُهم ... يبكون من حَذَرِ العذاب قُعوداً
لو يسمعون كما سمعتُ حديثهــا ... خرّوا لعزّة رُكّعاً وسُجوداً

لا يُقال للعلف حشيشٌ إلا إذا يبس.

[من غرر الحكم]

من كتاب غرر الحكم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: الصّديق إنسانٌ هو أنت إلا أنه غيرك. المرأة شر كلها، وشر منها أنه لا بد منها. الشركة فى الملك تؤدّى إلى الاضطراب، والشركة فى الرأى تؤدى إلى الصواب. السبب الذى أدرك به العاجز بغيته هو الذى أعجز القادر عن طلبته. اضرب خادمك إذا عصى الله

واعف عنه إذا عصاك . اختر من كل شيء جديده ومن الإخوان أقدمهم . أحيوا المعروف بإماتته ، فإن المنة تهدم الصنيعة . اضربوا بعض الرأى ببعض يتولد منه الصواب . تخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الاجتهاد . إذا ابيض أسودك مات أطيبك .

قال يحيى بن معاذ في مناجاته : إلهى يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب على رجائى مع الأعمال ؛ لأنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص وكيف لا أحذرها وأنا بالآفة معروف . وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف .

[ألفاظ لغوية]

من كتاب أدب الكاتب : مما جاء مخففاً والعامة تشدده : الرباعيَة للسن ، ولا يقال رباعيّة ، وكذا الكراهية ، والرفاهية ، وفعلت كذا طماعِية فى معروفك ومن ذلك الدخان والقدُوم .

ومما جاء ساكنا والعامة تحركه : يقال فى أسنانه حفْر ، حلْقة البابْ ، وحلْقة القوم وليس من كلام العرب حلَقة بفتح اللام إلا حلَقة الشَّعر ، جمع حالق ، نحو كفَرة جمع كافر .

ومما جاء مفتوحا والعامّة تكسره : الكَتان ، والمَقار ، والدَّجاج ، وفص الخاتم .

ومما جاء مكسوراً والعامة تفتحه : الدِّهليز . والإنفحة . والضِّفدِع

ومما جاء مضموما والعامة تفتحه : على وجهه طُلاوة ، وثياب جُدُد ، والجدَد ـ بفتح الدال ـ الطرائق قال الله تعالى : « ومن الجبال جُدَد بيض » .

ومما جاء مفتوحا والعامة تضمه : الأنمَلة بفتح الميم واحدة الأنامل .

ومما جاء مضموما والعامة تكسره : المُصران جمع مصير ، نحو جُرْبان : جمع جريب .

[قصة يوسف]

قوله تعالى : « ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى بُرهان ربّه » . روى فى عيون الأخبار عن أبى الحسن الرضا رضى الله عنه فيما ذكره عند المأمون فى تنزيه الأنبياء ماحاصله : أن قوله تعالى: وهمّ بها ، هو جواب لولا ، أى لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، كما تقول : قتلتك لولا أنى أخاف الله : أى لولا أنى أخاف الله لقتلتك وحينئذ فلا يلزم كونه عليه السلام قد هم بالمعصية أصلا ، كما هو شأن النبوة .

أقول: وأما ما ذكره بعض المفسرين من أن جواب لولا لايتقدم عليها، محتجا بأنها فى حكم الشرط وللشرط صدر الكلام ، وأن الشرط مع مافى حيزه من الجملتين فى حكم الكلمة الواحدة ، ولا يجوز تقديم بعض أجزاء الكلمة على بعض فكلام ظاهرى لامستند له فى كلام المتقدمين من أئمة العربية . وحجته المذكورة لايخفى ضعفها . والصحيح أنه لا مانع من تقديم جواب لولا عليها . ولئن ضُويقنا فى ذلك قدرنا لها جوابا آخر بحيث يكون المذكور مفسراً له نحو أقوم إن قام زيد . قال فى الكشاف : فإن قلت كيف جاز على نبى الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها ؟ قلت : المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهمّ به والقصد إليه ، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تَذهب بالعقول والعزائم ، وهو يكسر مابه ويردّه بالنظر فى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ، ولولم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما

لشدته لما كان صاحبُه ممدوحا عند الله بالامتناع ، لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته .

ثم إنه أكثر التشنيع على من فسر الهمّ بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس الجامع ، وعلى من فسر البرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكترث له ، فسمعه ثانيا فلم يعمل به ، فسمع ثالثا فأعرض عنها ، فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته ، أو بأنه ضرب فى صدره ؛ فخرجت شهوته من أنامله ، أو بأنه صيح به : لا تكن كالطائر كان له ريش ، فلما زنى قعد لا ريش له ، أو بأنه بدت كف فيما بينهما ، ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها : « وإنّ عليكم لحافظين كراما كاتبين » فلم ينصرف ، ثم رأى فيها : ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ، ثم رأى فيها : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه ، فقال الله لجبريل : أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة ؛ فانحط جبريل وهو يقول : يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الأنبياء ، أو بأنه رأى تمثال العزيز ، أو بأنه قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت : أستحى منه أن يرانا ، فقال يوسف : استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ، ولا أستحى من السميع البصير العليم بذات الصدور ، ثم قال جار الله : وهذا ونحوه مما يورده أهلُ الحشو والجبر الذين دينهم بَهْتُ الله تعالى وأنبيائه . وأهلُ العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل .

ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنُعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره ، كما نعيت على آدم زلته ، وعلى داود ، وعلى نوح ، وعلى أيوب ، وعلى ذى النون وذكرت توبتهم واستغفارهم . كيف وقد أثنى عليه وسمى مخلصا ، فعلم بالقطع أنه ثبت فى ذلك المقام الدّحض ، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولى العزم والقوّة ناظرا فى دليل التحريم ووجه القبح ، حتى استحقّ من الله الثناء عليه فيما أنزل من كتب الأولين

ثم فى القرآن الذى هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته ، وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق فى الآخرين ، كما جعله لجده إبراهيم الخليل ، وليقتدى به الصالحون إلى آخر الدهر فى العفة وطيب الإزار ، والتثبت فى مواقف العثار . فأخزى الله أولئك فى إيرادهم ما يؤدى إلى أن يكون إنزالُ الله السورة التى هى أحسن القصص فى القرآن العربى المبين ليقتدى بنبى من أنبياء الله فى القعود بين شعب الزانية ، وفى حل تـكته للوقوع عليها ، وفى أن ينهاه ربه ثلاث مرات ، ويصاح به من عنده ثلاث صيحات ، بقوارع القرآن ، وبالتوبيخ العظيم ، وبالوعيد الشديد ، وبالتشبيه بالطائر الذى سقط ريشه حين سفد غير أنثاه ، وهو جاثم فى مربضه لا يتخلخل ولا ينتهى ولا ينتبه ، حتى يتدارکه الله بجبريل وبإجباره ، ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم ، وأحدّهم حدقة ، وأجاحهم وجها لقى بأدنى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ، ولا عضو يتحرك . فياله من مذهب ما أفحشه ، ومن ضلال ما أبينه ؟ انتهى كلام صاحب الـكشاف .

لا خلاف فى أنّ يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لم يأت بالفاحشة ، وإنما الخلاف فى وقوع الهم منه ، فمن المفسرين من ذهب إلى أنه هم وقصد الفاحشة وأتى ببعض مقدماتها ، ولقد أفرط صاحبُ الـكشاف فى التشنيع على هؤلاء كما نقلناه عنه قريبا . ومنهم من نزهه عن الهم أيضا وهو الصحيح .

وللإمام الرازى فى تفسيره الـكبير هنا نـكتة لا بأس بإيرادها . قال الإمام : إن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم يوسف عليه السلام ، والمرأة وزوجها ، والنسوة ، والشهود ، ورب العالمين ، وإبليس ، وكلهم قالوا ببراءة يوسف عليه السلام عن الذنب فلم يبق لمسلم توقف فى هذا الباب : أما يوسف فلقوله هى راودتنى عن نفسى ، وقوله

رب السجنُ أحبّ إلىّ مما يدعوننى إليه . وأما المرأة فلقولها ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ، وقالت : الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه . وأما زوجها فلقوله : إنه من كيدكُن إن كيدكن عظيم . وأما النسوة فلقولهن : امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها فى ضلال مبين، وقولهن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء . وأما الشهود فلقوله تعالى : وشهد شاهد من أهلها إلى آخره . وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله عز من قائل : كذلك لنصرفَ عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين . وأما إقرار إبليس بذلك فلقوله : فبعزتك لأغوينّهم أجمعين إلا عبادَك منهم المخلصين، فأقرّ بأنه لا يمكن إغواء العباد المخلصين . وقد قال تعالى إنه من عبادنا المخلصين ، فقد أقر إبليس أنه لم يغوه . وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله بطهارته ، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده ، فليقبلوا إقرار إبليس بطهارته[1] . انتهى كلام الإمام .

***

قيل للحسن البصرى : كيف ترى الدنيا ؟ فقال : شغلنى توقع بلائها عن الفرح برخائها . فأخذه أبو العتاهية فقال :

تزيدُه الأيام إن أقبلتْ ... شدةً خوفَ تَصاريفها

كأنها فى حال إسعافها ... تُسمعه وقعةَ تخويفها

ومن كلام الحسن: يابن آدم ، أنت أسير الدنيا ، رضيت من لذتها بما ينقضى، ومن نعيمها بما يمضى ، ومن ملكها بما ينفد ، ولا تزال تجمع لنفسك الأوزار ، ولأهلك الأموال ، فإذا مت حملت أوزارك إلى قبرك ، وتركتَ أموالك لأهلك .

(١) فى تفسير النيسابورى تخريج لهذه القصة من أحسن ما يفسر به ما اشتبه فيها، فليراجع .

[بعض ما قيل فى النّساء]

عيّرت امرأة ديوجانس الحكيم بقبح المنظر ، فقال لها : يا هذه إن منظر الرجال بعد المخبر ، ومخبر النساء بعد المنظر ، فخجلت .

ورأى يوما امرأة قد حملها السيل فقال لأصحابه : هذا موضعُ المثل : دع الشر يغسله الشر .

ورأى امرأة تحمل نارا فقال : حاملٌ شرٌّ من محمول .

ورأى يوما امرأة قد خرجت متزينة يوم عيد فقال : هذه خرجت لتُرى لا لتَرى .

ورأى جارية تعلم الكتابة فقال : هذا سهم يَسقى سُما .

قال بعض أصحاب الإسكندر : إنه دعاهم ليلة ليريهم النجوم ، ويعرفهم خواصّها وأحوال سيرها ، فأدخلهم إلى بستان ، وجعل يمشى معهم ويشير بيده إليها حتى سقط فى بئر هناك ، فقال : من تعاطى علم ما فوقه بلى بجهل ما تحته .

قيل لدعبل الشاعر : ما الوحشة عندك ؟ فقال : النظر إلى الناس . ثم أنشد :

ما أكثرَ الناس لا بل ما أقلهمُ   الله يعلم أنى لم أقل فندا
إنى لأفتحُ عينى حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

الخنس والكنس التى أقسم الله بها فى كتابه العزيز : هى الخمسة المتحيرة ، من خنس إذا رجع ، ومن كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو بيته ، لأنها تختفى تحت ضوء الشمس . وقد يقال : إن الكنس بمعنى المقيمات فى الكناس . وفى الآية الكريمة إشعار بما يعرض للخنس المتحيرة من الرجوع والإقامة والاستقامة : فالخنس إشعار بالرجوع ، والكنس إشعار بالإقامة ، والجوارى إشعار بالاستقامة .

لبعضهم :

لا تشكُ دهرَكَ ما صححت به   إن الغنى هو صحة الجسم
هبك الخليفة كنت منتفعا   بغضارة الدنيـــا مع السّقم

لبعضهم :

لقد عرَّفتك الحادثاتُ نفوسها   وقد أدّبتْ إن كان ينفعُكَ الأدبْ
ولو طلب الإنسانُ من صرف دهره   دوامَ الذى يخشى لأعياه ما طلبْ

لبعضهم :

يا أيها السائلُ عن منزلى   نزلت فى الخانِ على نفسى

كان عمر بن عبيد يقول فى دعائه : اللهم أغننى بالافتقار إليك ، ولا تُفقرنى بالاستغناء عنك .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة : إن قبلك رجلين ـ يعنى بكر ابن عبدالله، وإياس بن معاوية ـ فول أحدهما قضاء البصرة . قال: فلما عُرض الكتاب عليهما امتنع كل منهما من قبوله، فأحضرهما وألح عليهما فى ذلك ، فقال بكر : والله الذى لا إله إلا هو إنى لا أحسن القضاء، وإن إياسا أولى به منى ، فإن كنت صادقا فكيف أتولاه ؟ وإن كنت كاذبا فكيف تولى كذابا ؟ فقال إياس : إنكم أوقفتم الرجل على شفير جهنم ، فافتدى منكم بيمين يكفرها فقال: أما إذا اهتديت إلى هذا فأنت أحق ، فولاه القضاء .

دخل إياس الشام وهو غلام ، فقدّم خصما له إلى بعض القضاة وكان الخصم شيخا ، فطال عليه إياس بالكلام فقال له القاضى : خفض عليه فإنه شيخ كبير ، فقال إياس: الحق أكبر منه ، قال : اسكت. قال : فمن ينطق بحجتى إن سكتُّ؟ قال :

ماأراك تقول حقا . فقال : لا إله إلا الله ، فدخل القاضى على عبد الملك فأخبره ، فقال : اقض حاجاته وأخرجه من الشام لا يفسد أهلها .

[أسباب تخفيف الشدائد وتسهيل المصائب]

لتسهيل المصائب وتخفيف الشدائد أسبابٌ إذا قارنتْ حزما وصادفتْ عزما هونتْ وقعها وقللت تأثيرها وضرها ، فمنها إشعار النفس ما تعلمه من حلول الفناء والمصير إلى الانقضاء ، إذ ليس للدنيا حال يدوم ، ولا لمخلوق بقاء معلوم .

ومنها أن يستشعر أنه فى كل يوم يمر منها شطرٌ ويذهب منها جانب حتى تنجلى وأنت عنها غافل ، قال الشاعر :

تسلّ عن الهموم فليس شىء ... يقيمُ فما همومُك بالمقيمهْ

لعل اللهَ ينظر بعد هذا ... إليك بنظرة منه رحيمهْ

ومنها أن يعلم أن فيما وُقى من الرزايا ، وكُفى من الحوادث والبلايا ، ماهو أعظم من رزيته ، وأشد من بليته .

ومنها أن يعلم أن طوارق الإنسان من دلائل فضله ، ومحنه من شواهد نبله . فعن أمير المؤمنين على عليه السلام : حذق المرء محسوب من رزقه .

وقال الشاعر :

محنُ الفتى تُخبرنَ عن فضل الفتى ... كالنار مخبرةٌ بفضل العنبر

وقلما تكون محنة فاضل إلا على يد جاهل ، وبليةُ كامل إلا من جهة ناقص .

قال الشاعر :

فلا غروَ أن يُمنى أديب بجاهل ... فمن ذنَب التنّين تنكشف الشمسُ

ومنها علمه بأن يعتاض عن الارتياض بنوائب دهره ، والارتماض بمصائب عصره ، صلابة عود ، واستقامة عمود ، وتجارب لا يغتر معها برخاء ، وثباتا لا يتزلزل بعده لكل شدة وبأساء كما قال الشاعر :

مواعظُ الدهر أدّبتنى وإنما يُوعَظ الأديبُ

لم يمض بؤسٌ ولا نعيم إلا ولى فيهما نصيبُ

ومنها التأسّى بالأنبياء والأولياء والسلف الصالحين ؛ فإنه لم يخل أحد منهم مدة عمره من تواتر البلايا ، وتفاقم الرزايا ، ويشعر نفسه أنه ينخرط بذلك فى سلك أولئك الأقوام ، وناهيك به من مقام يسمو على كل مقام .

وسئل الحسن بن علىّ عليهما السلامُ : من أعظم الناس قدرا ؟ فقال : من لم يبال بالدنيا بيد منْ كانت .

قال بعضهم : إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم ، فاطلبوا نعيما لا موت بعده .

قال الحسن : فضح الموت الدنيا ، ما ترك لذى لب فرحا .

روى أنه لما وضع إبراهيم عليه السلام ليرمى به فى النار أتاه جبريل فقال : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا .

من كلام بعضهم : الفرق بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما فى العلة والمعلول ، واتفاقهما فى الدلالة المدلول هو أن الهوى مختص بالآراء والاعتقادات ، والشهوة تختص بنيل المستلذات ، فصارت الشهوة من نتائج الهوى ، وهى أخص والهوى أصل وهو أعم .

لامرأة من العرب :

أيها الإنسانُ صبرا　إن بعد العسر يُسرا
اشرب الصبر وإن كا　ن من الصّبر أمرّا

أبو تمام :

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ　وضاق لما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنت المكارهُ واطمأنت　وأرست فى مكامنها الخطوبُ
فلم تر لانكشاف الضر وجهاً　ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوط منه غوثٌ　يمنّ به اللطيف المستجيبُ
فكل الحادثات وإن تناهت　فموصول بها فرج قريب

لبعضهم :

وكم غمرةٍ هاجت بأمواج غمرة　تلقيتُها بالصبر حتى تجلتِ
وكانت على الأيام نفسى عزيزة　فلما رأت صبرى على الذل ذلّتِ

[تعريف السيمياء]

السيمياء : يطلق على غير الحقيقى من السحر وأمثاله . وحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها . ويطلق على إيجاد تلك المثالات وتصويرها فى الحس ، وتكون صورا فى جوهر الهواء وسبب سرعة زوالها سرعة تغير جوهر الهواء وكونه لا يحفظ ما يقبله زمانا طويلا .

ابن الدُّمَيْنة اسمه عبد الله ، وهو من العرب العرباء من بنى عامر ، وشعره فى غاية الرقة على خلاف ما كان عليه الصدر الأول ، وهذا فى ذلك الزمان عجيب . وكان العباس بن الأحنف يطرب بشعره جدا . ومن شعره قوله :

ألا يا صبا نجد متى هِجتَ من نجد ... لقد زادنى مَسراكَ وَجْدا على وجدِ

الأبيات الخمسة المشهورة . وله أيضاً الأبيات المشهورة التى يقول فيها :

نهارى نهارُ الناس حتى إذا بدا ... لى الليـــلُ هزّتنى إليك المضاجعُ

وله من أبيات :

قِفِى يا أميمَ القلبِ نقضى لُبانة ... ونشكو الهوى ثم افعلى ما بدا لكِ

أرى الناسَ يرجون الربيع وإنما ... ربيعى الذى أرجو زمانُ نوالِك

تعاللتِ كى أشجى وما بكِ علةٌ ... تريدين قتلى قد ظفرتِ بذلكِ

لئن ساءنى أن نلتِنِى بمساءة ... فقد سرّنى أنى خطرت ببالِكِ

أبينى أفى يُمنى يديكَ جعلتِنى ... فأفرح أم صــيَّرتنِى بشمالِكِ

ومن كلام بعضهم : لا يحصِّل هذا العلم إلا من خرَّب دكانه ، وهجر إخوانه وباعد أوطانه ، واستغنم إبّانه .

قال فى التبيان : بعد أن ذكر هذين البيتين فى وصف الهلال لابن المعتز ، وقال إنه أحسن ما قيل فى الهلال :

وجاءنى فى قميص الليل مستترا ... مستعجلَ الخطو فى خَوف وفى حذَر

ولاح ضوء هلال كاد يفضحُنا ... مثلِ القُلامة إذ قصّت من الظفرِ

قال لو قال : لم تقص ليكون امتياز الهلال عن التدوير الذى يحس ، كالقلامة على الظفر كان أدق معنى . هذا كلامه .

العجب من أبى نواس مع تمهُّره فى كلام العرب، وتعمقه فى العربية كيف غلط فى قوله :

كأنّ صُغرى وكُبرى من فقاقعِها ... حصباء در على أرض من الذهب

فإن فَعلى التى هى مؤنث أفعل لا تعرى عن أل والإضافة معا . قاله فى المثل السائر .

وذكر ابن هشام أيضا فى الباب الثانى من كتاب مغنى اللبيب ماصورته: إنما قلت صغرى وكبرى موافقة لهم ، وإنما الوجه استعمال فُعلى أفعل بأل أوالإضافة ، ولذلك لحن من قال : كأنّ صغرى وكبرى من فقاقعِها إلى آخر ماقاله .

إذا استولى الحب أدهش عن إدراك الألم ، والتجربة أعدل شاهد على ذلك .

حكى سمنون المحب قال : كان فى جوارنا رجل له جارية يحبها غاية الحب ، فاعتلت ، فجلس الرجل يصنع لها حيسا ، فبينا هو يحرك مافى القدر إذقالت الجارية آه فدهش الرجل ، وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما فى القدر بيده حتى تساقط لحم أصابعه ، وهو لا يحس بذلك . فهذا وأمثاله قد يصدّق به فى حب المخلوق ، والتصديق به فى حب الخالق أولى ؛ لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر ، وجمال الحضرة الربوبية أوفى من كل جمال ، فإنه الجمال الخالص البحت ،وكل جمال فى العالم فهو مختلط ناقص .

قصد بعض الشعراء أبا دُلَفَ ، فسأله أبو دلف : ممن أنت ؟ فقال من تميم ، فقال :

تميمٌ بطُرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سُبل المكارم ضلّتِ

فقال الرجل : نعم بتلك الهداية جئت إليك ، فخجل وأسكته وأجازه . انتهى

لله در ما قال :

أليس عجيبا بأنّ امرأً لطيفَ الطباع حكيمَ الكلمْ

يموت وما حصلت نفسُه سوى علمه أنه ماعَلِمْ

قال العارف الرومى صاحب المثنوى فى البيت المشهور : ليُبكِ يزيدُ إلى آخره:

إن الأولى فى معنى البيت أن يكون يزيدُ منادًى ، وضارعٌ نائب الفاعل : أى الضارع ينبغى أن يُبْكى بعدك لعدم المعين والمدِّ ، وأما أنت ففى جنات النعيم ، وعلى هذا فلا حذف فى البيت .

قال الوليد لابن الأفرع : أنشِدنى من قولك فى الخمر ، فأنشده :

تريك القَذى من دونها وهى دونَه ... لها فى عظام الشاربين دَبيبُ

فقال الوليد : شربتها ورب الكعبة ، فقال : إن كان وصفى لها رابك ، فقد رابنى معرفتك بها .

ذكر أهل التجارب : أن لتكوّن الجنين زمانا مقدرا فإذا تضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين ثم إذا انضاف إلى المجموع مثلاه انفصل الجنين .

وقال الشيخ فى الشفاء ، فى الفصل السادس من المقالة التاسعة من كتاب الحيوان : إن امرأة ولدت بعد الرابع من سنى الحمل ولدا قد نبتت أسنانه وعاش .

وذكر أرسطاطاليس : أن مدة الحمل فى كل حيوان مضبوطة إلا فى الإنسان .

وقال جالينوس : إنى كنت شديد الفحص عن مقادير أزمنة الحمل ، فرأيت امرأة ولدت فى مائة وأربعة وثمانين ليلة . من تفسير النيسابورى فى سورة الأحقاف .

* * *

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين على عليه السلام .

هى حالان شدة ورخاء ... وسجالان نعمةٌ وبلاء

والفتى الحاذق الأديب إذا ما ... خانه الدهر لم يخنه العَزاء

إن ألمّت ملمّة بى فإنى ... فى الملِمّات صخرةٌ صمّاء

عالم فى البلاء علما بأنْ ليـ ... ـس يدوم النعيمُ والبلواء

لابن مطروح :

وعدُكَ لا ينقضى له أمدُ ولا لِليـل المطال منك غدُ

علّلتَنى بالمنى غداً فغـداً إنّ غـدا سرمد هو الأبد

يضحك عن واضح مقبّلُه عـذبٌ بَرود كأنه البرَدُ

أحُولُ من حوله ولى ظمأٌ إلى جنَى ريقـه ولا أرِدُ

وكلما زدت وجهَـه نظراً بدت عليـه محاسنٌ جُددُ

البيت الأخير من هذه القصيدة مأخوذ من قول أبى نواس :

كأنّ ثيابه أطلعـن من أزراره قمرا

بعينٍ خالطَ التفتيـرُ فى أجفانها الحوَرَا

يزيدك وجهُـه حُسنا إذا ما زدته نظرَا

الفاضل الجلبى فى حاشية المطول ، بعد ما ذكر قول أبى نواس :

صفراء لا تنزل الأحزانُ ساحتها لو مسّها حجرٌ مسّته سرّاء

قال إن البيت فى وصف الدينار .

قال جامع الكتاب : هذا عجيب من ذلك الفاضل ، فإنه يفهم من حاشيته أن له اطلاعا وممارسة لشعر العرب . وهـذه الأبيات التى هذا البيت منها مشهورة لأبى نواس فى وصف الخمر ، وأولها :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداوِنى بالتى كانت هى الداء

وبعده البيت وبعده قوله :

من كفّ ذات حِرٍ فى زِىّ ذكَر لَهـا مُحِبّان لوطىّ وزنّاء

فكيف يظن ظان أنه فى وصف الدينار . انتهى .

الاسطرلاب: آلة تشتمل على أجزاء، يتحرك بعضها فتحكى الأوضاع الفلكية، ويستعلم بها بعض الأحوال العلوية، والساعات المستوية والزمانية، ويستنتج منها بعض الأمور السلفية . انتهى .

قال أرسطو : القنية ينبوع الأحزان ، نظمه أبو الفتح البستى بقوله :

يقولون مالكَ لا تقتنى   من المال ذُخرا يفيد الغنى

فقلت وأفحمتهم فى الجواب   لئلا أخافَ ولا أحزنا

حكى الصولى عمن أخبره قال : خرجنا للحج فعرّجنا عن الطريق للصلاة ، فجاءنا غلام فقال : هل أحد منكم من أهل البصرة ؟ فقلنا كلنا من أهل البصرة . فقال : إن مولاى منها ، وهو مريض يدعوكم . قال فقمنا إليه ، فإذا هو نازل على عين ماء ، فلما أحس بنا رفع رأسه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول :

يا بعيدَ الدار عن وطنِهْ   مفرداً يبكى على شجنِهْ

كلما جد الرحيلُ به   زادت الأسقامُ فى بدنِهْ

ثم أغمى عليه طويلا، فجاء طائر فوقع على شجرة كان مستظلا بها وجعل يغرد ، ففتح عينيه وجعل يسمع التغريد ، ثم أنشد :

ولقد زاد الفؤادَ شجاً   طائرٌ يبكى على فننِهْ

شفّه ما شفّنى فبكى   كلنا يبكى على سكنِهْ

ثم تنفس الصعداء ففاضت نفسه . قال فغسّلناه وكفّناه ودفناه ، وسألنا الغلام عنه فقال : هذا العباس بن الأحنف . وكانت وفاته فى سنة ثلاث وتسعين ومائة وكان لطيف الطبع ، خفيف الروح، رقيق الحاشية ، حسن الشمائل ، جميل المنظر ، عذب الألفاظ ، كثير النوادر . من شعره : وحدثتني يا سعد . . البيتين .

السيد المرتضى رضي الله عنه :

من أجل هذا الناس أبعدتُ المدى ورضيتُ أن أبقى ومالى صاحب

إن كان فقرٌ فالقريبُ مباعِد أو كان مالٌ فالبعيدُ مقارب

* * *

من كلامهم : من وجّه رغبته إليك ، وجبت إعانته عليك .

ومن كلامهم : من بخل بماله دون نفسه ، جاد به على حليل عرسه .

ومن كلامهم : جود الرجل يحببه إلى أضداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده .

من إحياء علوم الدين ، في كتاب ذم الغرور ، وهو العاشر من المهلكات :
وفرقة أخرى عظُم غرورهم فِى فن الفقه ، وظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء ، فوضعوا الحيل فى رفع الحقوق ، وهذا نوع عم العامّة إلا الأكياس منهم ، فنشير إلى أمثلته . فمن ذلك فتواهم بأن المرأة متى أبرأت الزّوج عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى ، وذلك على إطلاقه عينُ الخطأ فإن الزوج قد يُسيء إلى الزوجة بحيثُ يضيّق عليها الأمورَ فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه ، فهو إبراء لا عن طيب نفس . وقد قال الله تعالى : « فإن طِبْنَ لكم عن شيء منه نفساً » وإنما طيب النفس أن تسمح نفسُها بالإبراء لا عن ضرورة وبدون إكراه ، وإلا فهى مضارّة بالحقيقة؛ لأنها تردّدت بين ضررين فاختارت أهونهما . نعم قاضى الدنيا لا يطلع على القلوب ، إذ الإكراه الباطنى مما لا يطلع عليه الخلق ، ولكن متى تصدّى القاضى الأكبر فى صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا مُجزيا ولا مُفيدا فى تحصيل الإبراء وكذا لا يحل مال الإنسان أن يؤخذ إلا بطيب نفس ، فلو طلب إنسان مالا على ملأٍ من الناس ، فاستحى المطلوبُ منه من

الناس أن لا يعطيه ، وكان يودّ أن يكون سؤاله له فى خلوة حتى لا يعطيه ، لكن خاف ألم مذمة الناس ، وخاف ألم تسليم المال ، فردّد نفسه بينهما ، فاختار ألم تسليم المال وهو أهون الألمين ، فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة ، إذ معنى المصادرة إيلام البدن بالضرب حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال، فيختار أهون الألمين . والسؤال فى مظنة الحياء ضرب للقلب بالسوط ، ولا فرق بين ضرب الظاهر وضرب الباطن عند الله تعالى ؛ لأن الباطن عنده ظاهر ، وكذلك من يعطى شخصا شيئا اتقاء شره بلسانه أو شر معاتبته فهو حرام عليه . وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه . ومن ذلك هبة الرجل مالَ الزكاة فى أواخر الحول لزوجته مثلا لإسقاط الزكاة ، فالفقيه يقول : سقطت الزكاة ، فإن أراد به أن مطالبة السلطان والساعى سقطت فقد صدق ، وإن ظن أنه يسلم فى القيامة ويكون كمن لم يملك المال ، أو كمن باع لحاجته إلى البيع ، فما أجهله بفقه الدين ومعنى الزكاة ؛ فإن سر الزكاة يطهر القلب عن رذيلة البخل ، وإن البخل مُهلك . قال النبى صلى الله عليه وسلم « ثلاثٌ مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » وإنما صار شحه مطاعا بما فعله ، وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه صلاحه . انتهى .

قال بعض الحكماء : مثَلُ أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ، ثم وقعوا منه فكان أبعدهم فى المرقى أقربهم من التلف .

قيل لبعضهم : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت والدنيا غمى ، والآخرة همى .

قيل لصوفى : ما صناعتكم ؟ فقال : حسن الظن بالله وسوء الظن بالناس .

قال بعض الحكماء : إنما حض على المشاورة لأن رأى المشير صِرف ، ورأى المستشير مشوب بالهوى .

ومن كلامهم : إن سلمت من الأسد فلا تطمع فى صيده . لا تمرّ بمن يبغضك ،

وإن سررت فسلم . من تغير عليك فلا تتغير له . لا تكثر مجالسة الجبار وإن كان لك مكرما محبا . من برك للصديق توقيرك إياه فى المجالسة . أهون التجارة الشراء ، وأشدها البيع .

من كتاب قرب الإسناد ، عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال : كان فراش علىّ وفاطمة صلوات الله عليهما حين دخلت عليه إهابَ كبش إذا أرادا أن يناما عليه قلباه ، وكانت وسادتهما أدما حشوها ليف ، وكان صداقها درعا من حديد .

عن أمير المؤمنين عليه السلام فى قوله تعالى « يخرُجُ منهما اللؤلؤ والمرجان » قال : من ماء السماء وماء البحر ، فإذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها فيقع فيها من ماء المطر ، فتخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة ، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة .

لبعضهم :

لكل داء دواء يُستطبُّ به إلا الحماقة أعيتْ من يداويها

صاحب الحاجة أبله لأنه يخيل إليه أنها لا تقضى فيحزن ، والقلب إذا حزن فارقه الرأى ، والحزن عدّو الفهم لا يستقران فى معدن واحد .

حيلة جار السوء وقرين السوء أن يكرم أبناءهم فيندفع عنك شرور آبائهم .

من أتاك راجيا فلا تردّه ، كما لا تحب أن تُرد إذا جئت راجيا .

من استعان بظالم خذله .

قال صاحب الكشاف : فى قوله تعالى : « إن السمعَ والبصرَ والفُؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » إن عنه فى موضع رفع بمسئولا ، كقوله تعالى : « غير

المغضوب عليهم » اعترض عليه أكثر المفسرين بأن هذا خطأ ، لأن الفاعل أو ما يقوم مقامه لا يتقدّم على الفعل .

سهم قطعة الدائرة الصغرى أطول من سهم قطعة الدائرة الكبرى إذا كان وتراهما متساويين . وكانت القطعة الكبرى أصغر من النصف ، وعلى هـذا تبنى المسئلة المشهورة من أن الإناء كالطاس مثلا يسع من الماء وهو فى قعر البئر أكثر مما يسعه وهو على رأس المنارة ، فنقول فى بيانه : ليكن قوسا ا ه ب و ا ر ب من محيطى دائرتين مختلفتين فى المقدار على وتر ا ب وليكن قوس ا ر ب من الدائرة الكبرى أصغر من النصف ، ثم يخرج من منتصف ا ب وهو نقطة ح عمود ح ر ه على ا ب فهذا العمود يمر بمركزى الدائرتين وهما نقطتان ح م لكونه عمودا على الوتر ومنصفا له فنفصل خطى ا ح و ا م ونقول نقطة ح التى هى أقرب إلى وتر ا ب مركز لدائرة ا ه ب الصغرى لكون خط ا ح أصغر من خط ا م ونقطة ح داخلة فى سطح دائرة ا ر ب العظمى وأخرج خطى ح ا و ح ر إلى محيطها و ح ر على سمت المركز غير مارّ عليه فهو أصغر من ح ا لكن خطا ح ا و ح ه لكون كل منهما نصف قطر الدائرة الصغرى متساويان فخط ح ه أطول من خط ح ر فبعد إسقاط خط ح ه المشترك يكون خط ح ه الذى هو سهم لقوس ا ه ب التى هى قطعة من محيط الدائرة الصغرى أطول من خط ح ر الذى هو سهم لقوس ا ر ب التى هى قطعة من محيط الدائرة العظمى وذلك ما أردنا بيانه .

قال ابن عباس : ما انعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب كتبه إلىّ على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، أما بعد ، فإن الإنسان يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ، ولا بما فاتك منها ترحا ، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويرجو التوبة بطول الأمل فكأن قد . والسلام .

عباد الله ، احذر الحذر ، فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر ، وأمهل حتى كأنه قد أهمل ، والله المستعان على ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف .

قال بعض الحكماء : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل فانظر حنينه إلى إخوانه ، وشوقه إلى أوطانه ، وبكاءه على ما مضى من زمانه .

ومن كلامهم : كما أن الذباب يتبع مواضع الجروح فينكيها ، ويجتنب المواضع الصحيحة . كذلك الأشرار يتبعون المعائب فيذكرونها ويدفنون المحاسن .

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر : إن الرعيّة إذا قدرَتْ أن تقول قدرت أن تفعل ، فاجتهد أن لا تقول ، تسلم من أن تفعل .

سئل الإسكندر : أى شيء نلته بملكك أنت أشد سرورا به ؟ قال : قوّتى على مكافأة من أحسن إلىّ بأكثر من إحسانه .

سئل سولون : أىّ شيء أصعب على الإنسان ؟ قال : الإمساك عن الكلام بما لا يعنيه .

شتم رجل سختيسَ الحكيم فأمسك عنه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : لا أدخل حربا الغالب فيها أشرّ من المغلوب .

من كلام على عليه السلام : أنعم على من شئت فأنت أميره ، واحتج إلى من شئت فأنت أسيره ، واستغن عمن شئت فأنت نظيره .

قوله تعالى : « وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها » المشهور أنه من باب المشاكلة ، وبعض المحققين من أهل العرفان لا يجعله من ذلك الباب ، بل يقول غرضه تعالى أن السيئة ينبغى أن تقابل بالعفو والصفح عمن فعلها ، فإن عدل عن ذلك إلى الجزاء كان ذلك الجزاء سيئة مثل تلك السيئة ، وهذا الكلام لا يخلو من نفحة روحانية .

قيل لديوجانس الحكيم : هل لك بيت تستريح فيه ؟ فقال إنما يحتاج إلى البيت ليستراح فيه ، وحيثما استرحتُ فهو بيت لى .

وكان فى زمانه رجل مصوّر ، فترك التصوير وصار طبيبا ، فقال له : أحسنت إنك لما رأيت خطأ التصوير ظاهرا للعين ، وخطأ الطب يواريه التراب تركت التصوير ودخلت فى الطب .

ورأى رجلا أكولا سمينا ، فقال : ياهذا إن عليك ثوبا من نسج أضراسك .

كثير عزة من أبيات :

وإنى وتهيامى بعزّة بعد ما ... تخليتُ مما بيننا وتخلت

لكالمرتجى ظلّ الغمامة بعد ما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلّتِ

أباحت حمى لم يرعَه الناسُ قبلها ... وحلّت تِلاعا لم تكن قبل حلتِ

وكانت لقطع الوُدّ بينى وبينها ... كما نذرت نذرا فأوفتْ وبرّتِ

فقلتُ لها يا عزُّ كل مصيبة ... إذا وُطِّنت يوما لها النفس ذلّتِ

أسيئى بنا أو أَحسِنى لا ملومةً ... لدينا ولا مقلُوّةً إن تقلتِ

غيره :

تمنّت سُليمى أن نموتَ بحبها ... وأهوَنُ شىء عندنا ماتمنّتِ

***

دخل بشار على المهدى وعنده خاله يزيد بن منصور الحميرى ، فأنشده قصيدة يمدحه بها ، فلما أتمها قال له يزيد : ما صناعتك أيها الشيخ ؟ فقال له : أثقبُ اللؤلؤ، فقال له المهدى : أتهزأ بخالى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما يكون جوابى له وهو يرانى شيخا أعمى يُنشد شعرا . فضحك المهدى وأجازه .

قال بعض البلغاء : صورة الخط فى الأبصار سواد ، وفى البصائر بياض . لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال .

وفى بعض الآثار : إن لسان ابن آدم يُشرِف على جميع جوارحه كل صباح فيقول : كيف أصبحتم فيقولون بخير إن تركتَنا ، الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون إنما نثاب ونعاقب بك .

رأيت فى بعض التواريخ : قال كان كُثيِّر عزة شيعيا ، وكان خلفاء بنى أمية يعرفون ذلك منه ويلبسون على أنفسهم ، ميلا لمؤانسته ومحادثته . دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : نشدتك بحق على بن أبى طالب هل رأيت أعشق منك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لوسألتنى بحقك أخبرتك : نعم، بينما أنا أسير فى بعض الفلوات ، وإذا أنا برجل قد نصب حبائله، فقلت : ماأجلسك هنا ، فقال: أهلكنى وأهلى الجوع فنصبت حبائلى لأصيب لهم ولنفسى مايكفينا يومنا ، فقلت : أرأيت إن أقمتُ معك وأصبنا صيدا تجعل لى منه جزءا قال: نعم، فبينا نحن كذلك إذ وقعت ظبية ، فخرجنا مبتدرين ، فأسرع إليها فحلها وأطلقها، فقلت له : ماحملك على هذا ؟ فقال دخلنى عليها رقة لشبهها بليلى ، وأنشأ يقول :

أياشبهَ ليلى لا تُراعى فإننى ... لكِ اليومَ من وحشيَّة لصديقُ
أقول وقد أطلقتُها من وَثاقها ... لأَنتِ لليلى لو عرفتِ عتيقُ
فعيناكِ عيناها وجيدُها جيدُها ... ولكنّ عَظْمَ الساق منكِ رقيقُ

ولما أسرعت فى العدو جعل يقول :

اذهَبى فى كَلاءة الرحمن ... أنت منّى فى ذمّة وأمان
لاتخافى من أن تُهاجى بسوء ... ما تغنّى الحمامُ فى الأغصان
تَرهبينى والجيدُ منكِ لليلى ... والحشا والبغامُ والعينان

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أوصنى ، قال « احفظ لسانك » قال يارسول الله أوصنى ، قال « احفَظ لسانك » قال يا رسول أوصنى ، قال « احفَظ لسانك ، ويحك هل يكب الناسَ على مناخرهم فى النار إلا حصائدُ ألسنتهم » .

فى الحديث : إن الله تعالى يُعطى الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يُعطى الآخرةَ بعمل الدنيا » .

وفى كتاب ورام : إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يحتطب ، ويستقى ، ويكنس . وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز .

وفيه فى وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأبى ذر « يا أبا ذر صلاةٌ فى مسجدى هذا تعدل ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجدَ الحرامَ ، وصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فى غيره ، وأفضل من هذا كله صلاة يصليها الرجل فى بيته حيث لا يراه إلا الله عز وجل يرجو بها وجه الله عز وجل » .

لبعضهم :

خيثما كنتُ لا أخلّف رحلى ... من رآنى فقد رآنى ورحلى

المعلم الثانى أبو نصر الفارابى :

ما إن تقاعدَ جسمى عن لِقائكم ... إلا وقلبى إليكم شيّقٌ عجِلُ

وكيف يقعد مشتاق يحرّكه ... إليكمُ الباعثان الشوقُ والأملُ

فإن نهضتُ فما غيرُكم وطرٌ ... وكيف ذاك ومالى عنكمُ بدلُ

وكم تعرّض لى الأقوامُ قبلكم ... يستأذنون على قلبى فما وصلوا

[تعريف الدنيا]

قال الخليل بن أحمد : الدنيا مختلفات تأتلف ، ومؤتلفات تختلف . قال بعض العارفين : هذا والله هو الحد الجامع المانع .

قال أبقراط : الإقلال من الضارّ خيرٌ من الإكثار من النافع .

رأى أفلاطون شخصا ورث من أبيه ضِياعا فباعها وأتلف ثمنها فى مدّة قليلة، فقال : الأراضى تبتلع الرجال ، وهذا الفتى يبتلع الأرضين .

فى تاريخ الحكماء للشهرزورى : إن رجلا انكسرت به السفينة فى البحر فوقع إلى جزيرة ، فعمل شكلا هندسيا على الأرض ، فرآه بعض أهل تلك الجزيرة فذهبوا به إلى الملك ، فأحسن إليه وأكرم مثواه ، وكتب الملك إلى سائر ممالكه : أيها الناس ، اقتنوا ما إذا كُسرتم فى البحر صار معكم .

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم والتمس منه أن يقبلها ، فأبى عليه ، فلج الرجل عليه ، فقال له إبراهيم : يا هذا أتريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم ؟ لا أفعل ذلك أبدا .

أبو بكر الخوارزمى :

ما أثقل الدهرَ على من ركِبَهْ ... حدّثنى عنه لسانُ التّجرِبهْ

لا تَشكر الدهرَ بخير سبّبَهْ ... فإنه لم يتعمّدْ بالهِبَهْ

فإنما أخطأ فيك مذهبَه ... كالسيل إن يسق مكانا خرّبه

[* والسم يَستَشفِى به مَن شربَهْ *]

قال بعض الحكماء : مسكين ابن آدم ، لو خاف من النار كما يخافُ من الفقر

لنجا منهما جميعا . ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الدنيا لفاز بهما جميعا . ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا . انتهى

أبو الطيب المتنبي :

أهمُّ بشىء والليالى كأنما ... تُطاردنى عن كونه وأطاردُ

وحيد من الخِلان فى كل بلدة ... إذا عظُم المطلوبُ قلّ المساعدُ

كشاجم :

يا كاملَ الأدوات منفردَ العُلا ... والمكرُمات ويا كثيرَ الحاسدِ

شخص الأنامُ إلى خيالك فاستعذ ... من شرّ أعينهم بعيب واحد

الخوارزمى :

أىّ خير يرجو بنو الدهر فى الدهـ ... ـر ومازال قاتلا لبنيه

من يُعمَّر يفجعْ بموت الأخلا ... ء ومن مات فالمصيبة فيه

بشار بن برد :

ويوم كتنّور الإماء سجرتُه ... وأوقدت فيه الجزلَ حتى تضرّما

رميتُ بنفسى فى أجيج سُمومه ... وبالعيس حتى بَضّ منخرها دَما

كشاجم :

وسحابٍ تجرّ فى الأرض ذيلى ... مطرف زره على الأفق زرا

برقُه لمحة ولكن له رعـ ... ـد بطىء يكسو المسامعَ وقرا

كخلىّ منافق الذى يهـ ... ـواه يبكى جهرا ويضحك سرّا

* * *

كان عمر الخيام مع تبحره فى علوم الحكمة سيئ الخلق ، له ضنة بالتعليم

والإفادة ، وربما طوّل الكلام فى جواب ما يسأل عنه بذكر المقدّمات البعيدة ، وإيراد ما لا يتوقف المطلوب على إيراده،ضِنّة منه بالإسراع إلى الجواب . دخل عليه حجة الإسلام الغزالى يوماً وسأله عن المرجح لتعيين جزء من أجزاء الفلك للقطبية دون غيره مع أنه متشابه الأجزاء ، فطوّل الخيامى الكلامَ وابتدأ بأنّ الحركة من أىّ مقولة ، وطوّل بالخوض فى محل النزاع كما هو دأبه ؛ وامتدّ كلامه إلى أن أذّن الظهر ، فقال الغزالى : جاء الحق وزَهقَ الباطلُ ، وقام وخرج .

لما رأت أم الربيع بن خيثم ما يلقى الربيع من البكاء والسهر قالت له : يا بنى ما بالك ؟ لعلك قتلت قتيلا ، قال نعم يا أمّاه ، قالت ومن هو حتى نطلب من أهله العفو عنك ؟ فوالله لو يعلمون ماأنت فيه لرحموك وعفوا عنك ، فقال: يا أمّاه ، هى نفسى ، فبكت رحمة له .

قال ذو النون المصرى : خرجت يوماً من وادى كنعان ، فلما علوت الوادى إذا بسواد مقبل علىّ وهو يقول : « وبدا لهم من اللهِ ما لم يكونوا يحتسبون » ويبكى فلما قرب منى السواد إذا بامرأة عليها جُبةصوف،وبيدها ركوة،فقالت لى : من أنت ؟ غير فزعة منى ، فقلت : رجل غريب،فقالت : ياهذا ، وهل تجد مع الله غربة ، قال فبكيت من قولها ، فقالت : ما الذى أبكاك ؟ فقلت : وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع فى نجاحه، قالت : فإن كنت صادقاً فلم بكيْتَ؟ قلت : يرحمك الله الصادق لا يبكى ؟ قالت لا،قلت ولم ذاك ؟ قالت: لأن البكاء : راحة للقلب . قال ذو النون فبقيتُ والله متعجباً من قولها . انتهى .

[تعريف الإخلاص]

من كلامهم فى الإخلاص : قال سهل : الإخلاص أن يكون سكون العبد

وحركاته لله خاصة . وقال آخر : الإخلاص : أشد شيء على النفوس لأنه ليس لها فيه نصيب . وقال آخر : الإخلاص فى العمل أن لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين . وقال المحاسبى : الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب تعالى . وقال آخر : الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها . وقال الجنيد : الإخلاص تصفية العمل من الكدورات .

قال يحيى بن معاذ : الطاعة خزانة من خزائن الله ، مفتاحها الدعاء ، وأسنانه لُقمة الحلال .

وقيل لبشر الحافى : من أين تأكل ؟ قال : من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك .

من كلام بعض العارفين : إذا صحّت المحبة ، لم يبق من المحب ولا حبة .

مر رجل ببعض العارفين وهو يأكل بقلا وملحا ، فقال : يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا ؟ فقال العارف : ألا أدلك على من رضى بشر من هذا ؟ فقال: نعم . قال : من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة .

مرّ ديوجانس الحكيم بشرطى يضرب لصا، فقال : انظروا إلى لص العلانية يؤدّب لص السر .

قال أنو شروان لبزرجمهر : أىّ الأشياء خير للمرء ؟ فقال : عقل يعيش به . قال فإن لم يكن ، قال : إخوان يشيرون عليه . قال : فإن لم يكن ، قال : فما يتحبب به إلى الناس . قال : فإن لم يكن ، قال : فعىّ صامت . قال : فإن لم يكن ؛ قال : فموت جارف .

الشيخ كمال الدين بن هيثم البحرانى :

جمعتُ فنون العلم أبغى بها الغنى　　فقصّر بى عما سموتُ به القُلّ

فقد بان لى أنّ المعـــالى بأسرها فروعٌ وأن المال فيها هو الأصلُ

قال بعض الحـكماء : يابنىّ ليـكن عقلك دون دينك ، وقولُك دون فعلك ، ولباسك دون قدرك . وقال : صحائف أعمالك جلدها بأجمل أفعالك .

وقال آخر : اعملوا لآخرتكم فى هذه الأيام التى تسير كأنها تطير .

قال بعض الحكماء لبعض الوزراء : إن تواضعك فى شرفك أشرفُ لك من شرفك .

قال بعض الحـكماء : من قنع كان غنيًّا وإن كان فقيراً ، ومن لم يقنع كان فقيرا وإن كان غنيًّا :

وقال آخر : إذا طلبت العزة فاطلبها بالطاعة ، وإذا طلبتَ الغنى فاطلبه بالقناعة .

وقال بعض الأدباء : القناعة عز المعسر ، والصدقة حرز الموسر .

أبو نواس :

لستُ أدرى أطال ليلى أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلّى
لو تفرّغتُ لاستطالة ليـــلى ولِرَعْى النجوم كنتُ مخـلّا

لما تقلّد عبد الله بن سليمان وزارة المعتضد بالله كتب إليه عبد الله بن عبد الله ابن طاهر يهنئه ويظهر الشكوى من الدهر :

أبى دهرُنا إسعافنا فى نفوسنـــا وأسعفَنا فيمن نُحِب ونُـكرِمُ
فقلت له نُعماك فيهم أتمَّهـــا ودعْ أمرنا إن المهمّ المقـدمُ

فراغُ الرضى من شرح الـكافية سنة ١٦٨٤ .

لبعضهم :

قد مات كلّ نبيل ومات كلُّ فقيهِ

ومات كلُّ شريف وفاضلٍ ونبيهِ
لا يُوحِشَنْكَ طريق كلّ الخلائق فيهِ

[وفيات بعض العلماء]

مات الجوهري[1] سنة ٣٩٢ . أبو نصر الفارابي سنة ٣٣٩ . الوزير ابن العميد سنة ٣٦٥ . الصاحب بن عباد سنة ٣٨٥ . ابن سينا سنة ٤٢٨ . السيد المرتضى سنة ٤٣٦ . أخوه السيد الرضى سنة ٢٣٠ . أبو العلاء المعرى سنة ٤٤٩ . إمام الحرمين سنة ٤٧٧ . الشيخ أبو حامد الغزالى سنة ٥٠٥ . أخوه أبو الفتح سنة ٥٢٠ . جار الله الزمخشرى سنة ٥٣٨ . محمد الشهرستانى سنة ٥٤٨ . الشيخ المقتول سنة ٥٨٧ . الإمام الرازى سنة ٦٠٦ . الشيخ عمر بن الفارض سنة ٦٣٦ . الشيخ محيي الدين بن عربى سنة ٤٣٨ . ابن الحاجب سنة ٦٤٦ . ابن البيطار سنة ٦٤٦ . البيضاوى سنة ٦٩٣ . المحقق الطوسى سنة ٧٠٦ العلامة الشيرازى سنة ٧١٠ الشيخ عبد الرحمن الكاشانى سنة ٧٣٥ . الجاربردى سنة ٦٤٦ . المحقق التفتازانى سنة ٧٩١ . العلامة الحلى سنة ٧٢٦ . ابن هيثم البحرانى سنة ٦٧٩ الشاطبى سنة ٨٩٠ ابن الجوزى سنة ٥٩٧ . أبو البقاء سنة ٦١٦ . جلال الدين القزوينى سنة ٧٣٩ . النواوى سنة ٦٧٦ . البديع الهمذانى سنة ٣٩٤ . الجعدى سنة ٦٨٧ . الآمدى سنة ٦٣١ . أبو الطيب المتنبى سنة ٣٥٤ . ومن شعره :

أبداً نستردّ ماتهبُ الدنيا فياليتَ جودَها كان بخلا

---

(١) اختلفت النسخة الخطية والنسخة المطبوعة فى بعض هذه التواريخ اختلافاً كبيرا ، واتفقتا فى بعضها. وقد أبقيت ما اتفقتا عليه كما هو ، واعتمدت فى تصحيح ما اختلفتا فيه على ماجاء فى الأعلام للزركلى ، وفى شذرات الذهب لابن العماد .

فكفتْ كونُ فرحة تورث الـــغمَّ وخلّ يغادرُ الخمرَ خَلَّا
فهى معشوقةٌ على الغدر لا تحـــفظ عهداً ولا تُتمِّم وصلا
شيمُ الغانيات فيها فلا أد ری لذا أُنِّثَ اسمها الناس أم لا

[أحكام أن]

قال بعضهم: إذا سدّتْ أن مع معموليها مسد المصدر فتحت ، وإلا كسرت ، وإن جاز الأمران جاز الأمران . وقد حكموا بوجوب الكسر فى بدء الصلة ، وبعد القول . وللجامع الكتاب هنا دغدغة هى : أنه فى هاتين الصورتين وأمثالها يجوز سدُّها مسد المصدر ، فإذا قلت جاء الذى أنه قائم مثلا ، كان فى تأويل جاء الذى قيامه ثابت ، وقد حكموا بجواز الوجهين فى :

* إذا إنه عبدُ القفا واللهازم *

لإمكان التأويل بنحو إذا عبودية القفا واللهازم ثابتة به .

ورد فى بعض الكتب السماوية : عجبا لمن قيل فيه من الخير ما ليس فيه ففرح ، وقيل فيه من الشر ما هو فيه فغضب .

لبعضهم :

وما النفسُ إلا حيث يجعلها الفتى فإن طمعت تاقت وإلا تسلتِ

لبعضهم :

إن القلوب تُجارى فى مودتها فاسأل فؤادك عنى فهو يكفينى
لا أسألُ الناس عما فى ضمائرهم ما فى ضميرى لهم عن ذاك يُغنينى

قيل لأشعب الطماع : قد صرت شيخا كبيرا ، وبلغت هذا المبلغ ولم تحفظ من الحديث شيئا ، فقال : بلى ، والله ما سمع أحد عن عكرمة ما سمعت . قالوا حدثنا .

قال سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خلتان لا يجتمعان إلا فى مسلم ، نسى عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى .

التمييز: ربما لا يرفع الإبهام . ومنه التمييز الذى قالوا إنه للتأكيد ، كما فى قوله تعالى « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا » اللهم إلا أن يقال التمييز مما يصلح لرفع الإبهام ، وهو مرادهم ، كما قالوه فى صدق تعريف الدليل بما يلزم من العلم به العلم بشىء آخر على الدليل الثانى .

من درة الغواص : فى الحديث « إذا أقبلت الدنيا على الرجل أعطته محاسن غيره ، وإذا أدبرتْ عنه سلبته محاسن نفسه » .

القعود : هو الانتقال من علو إلى سفل . ولهذا يقال لمن أصيب برجليه مُقعد . والجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو ، والعرب تقول للقائم اقعد ، وللنائم أو الساجد اجلس .

القاضى ابن أكثم بالثاء المثلثة : يقولون للعليل هو معلول فيخطئُون فيه ، لأن المعلول هو الذى سُقِىَ العَلَل ، وهو الشرب الثانى . وأما المفعول من العلة فهو مُعَل .

من كلام بعض الحكماء: من جلس فى صغره حيث يحب جلس فى كبره حيث يكره . إذا جاء الصواب ذهب الجواب .

قيل لعمر بن عبد العزيز: ما كان بدء توبتك؟ فقال: أردت ضرب غلام لى ، فقال : يا عمر اذكر ليلة صبيحتُها يومُ القيامة .

مر الفرزدق بزياد الأعجم وهو ينشد ، فقال : تكلمت يا أقلف! فقال له زياد : ما أعجل ما أخبرتك بها أمك ، فقال الفرزدق : هذا هو الجواب المسكت .

من درة الغواص : يقال لما يضرِبُ بمؤخره - كالزنبور والعقرب - لسع ،

ولما يقبض بأسنانه — كالكلب والسباع — نهش . ولما يضرب بفيه — كالحية — لدغ .

ذكروا أن من شرط نصب المفعول مقارنته لعامله فى الوجود . وجامع الكتاب يقول : الظاهر أن مراد النحاة أن المتكلم إنما يصح له النصبُ إذا قصد المقارنة فى الوجود ، وإن لم تتحقق المقارنة خارجا ، إذ لو اشترطت المقارنة فى الواقع لكان قولنا ضربته تأديبا فلم يحصل التأديب مثلا لحنا ، مع أن أمثاله واقعة فى كلامهم .

دخل بعض أصحاب الشبلى عليه وهو يجود بنفسه ، فقال له : قل لا إله إلا الله ، فأنشأ يقول :

إنّ بيتا أنت ساكنُه   غيرُ محتاج إلى السُّرُج
وجهُك المأمول حجّتنا   يوم تأتى الناسُ بالحجج
لا أتاح الله لى فرجاً   يوم أدعو منك بالفَرَج

* * *

قيل لرابعة العدوية : بم ترتجين أكثر مما ترتجين ؟ فقالت : بيأسى من جلّ عملى .

من بدائع التشبيهات الواقعة من العرب العرباء ما حكاه الفرزدق قال : لما أنشد عدى بن الرقاع قصيدته التى أولها :

* عرف الديارَ توهما فاعتادها *

كنت حاضرا فلما وصل إلى قوله :

* تزجى أغن كأنّ إبرة روقه *

قلت قد وقع ، ماذا عسى أن يقول وهو أعرابى جافٍ ورحمته ، فلما قال :

* قلم أصابَ من الدواة مدادها *

استحالت الرحمة حسدا .

زعم قوم : أن وضع نعم وبئس للاختصار فى المدح والذم ، وليس كذلك ، بل وضعهما للمبالغة فى ذلك ، ألا ترى إلى قوله تعالى فى تمجيد ذاته وتعظيم صفاته « واعتصموا بالله هُو مولاكم ، فنعمَ المولى ونعمَ النّصير » وقال تعالى فى صفة النار « ومأواه جهنم وبئس المصير » .

فى الكشاف فى قوله تعالى « إنى أرى سبعَ بقَرات سِمان يأكُلهن سبعٌ عِجاف وسبعَ سنبُلات خضرٍ وأخر يابسات » فإن قلت : هل من فرق بين إيقاع سمان صفة للمميزٌ وهو بقرات دون المميّز وهو سبع، وأن يقال سبع بقرات سمانا ؟ قلت : إذا أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهى السمان منهن ، لا بجنسهن ، ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن . فإن قلت فهل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل ؟ قلت يؤدّى إلى تدافع، وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضى أنْ تدخل فى حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة. ولفظ الأخر يقتضى أن تكون غير السبع. بيانه أنك تقول: عندى سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح ؛ لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود ، على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود ، فلو قلت : عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد .

من الأمثال البديعة : من جرى فى عِنان أمله عثرت رجله بأَجله .

صاحب الكشاف : جوّز كون ما فى قوله تعالى : « واتبعَ الذين ظلَمُوا ما أُتْرِفوا فيه » مصدرية ، واعترضه الفاضل ابن هشام بأنّ ما المصدرية حرف ، وهنا

استحالات الرحمة حسدا .

زعم قوم : أن وضع نعم وبئس الاختصار فى المدح والذم ، وليس كذلك ، بل وضعهما المبالغة فى ذلك ، ألا ترى إلى قوله تعالى فى تمجيد ذاته وتعظيم صفاته « واعتصموا بالله هُو مولاكم ، فنعمَ المولى ونعمَ النّصير » وقال تعالى فى صفة النار « ومأواه جهنم وبئس المصير » .

فى الكشاف فى قوله تعالى « إنى أرى سبعَ بقَرات سِمان يأكلُهن سبعٌ عجاف وسبعَ سنبُلات خضرٍ وأخر يابسات » فإن قلت : هل من فرق بين إيقاع سمان صفة للمميِّز وهو بقرات دون المميّز وهو سبع ، وأن يقال سبع بقرات سمانا ؟ قلت : إذا أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهى السمان منهن ، لا بجنسهن ، ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن . فإن قلت فهل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل ؟ قلت يؤدّى إلى تدافع ، وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضى أنْ تدخل فى حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة . ولفظ الأخر يقتضى أن تكون غير السبع . بيانه أنك تقول : عندى سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح ؛ لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود ، على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود ، فلو قلت : عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد .

من الأمثال البديعة : من جرى فى عِنان أمله عثرت رجله بأَجله .

صاحب الكشاف : جوّز كون ما فى قوله تعالى : « واتبعَ الذين ظلَمُوا ما أُترِفوا فيه » مصدرية ، واعترضه الفاضل ابن هشام بأنّ ما المصدرية حرف ، وهنا

قد عاد الضمير عليها وهو نص على اسميتها . وقد يذب عن جار الله الزمخشرى بأن ضمير فيه يعود إلى الظلم المفهوم من ظلموا ، ولا يخلو من تكلف .

من كلام بعض الأكابر : من علائم إعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه دينا ولا دنيا .

وقال بعضهم : إن أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما أقامك .

ذكر لى والدى طاب ثراه أنه سمع هذه الكلمة من بعض الناس فأثرت فيه وترك ما كان مقيما عليه مما لا يعنيه بسببها .

كان صاحب الكشاف شديد الإنكار على الصوفية ، وقد أكثر فى الكشاف من التشنيع عليهم فى مواضع عديدة ، وقال فى تفسير قوله تعالى : « قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعونى » الآية فى سورة آل عمران ماصورته: وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ، ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك فى أنه لا يعرف ما الله ، ولا يدرى ما محبة الله ، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصوّر فى نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة ، فسماها الله بجهله ودعارته ، ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصوّرها ، وربما رأيت المنىّ قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته ، وحمقى العامة على حواليه قد ملأوا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله .

قال صاحب الكشف عند هذا الكلام : المحبة إدراك الكمال من حيث إنه مؤثر ، وكلما كان الإدراك أتم وأكمل ، والمدرك أشد كمالية مؤثرة كانت المحبة أتم ، ثم إنه ساق الكلام فى المحبة إلى أن قال: ولو تأمّلت حق التأمل وجدت المحبة سارية فى سائر الموجودات كلها ، عليها مدار البدء والإيجاد ، ولولا أن الكلام

فيها هاهنا على سبيل الاستطراد يزرى بمقامها لأوردت فيها مع ضعفى مايحير الألباب ويميز القشر عن اللباب . هذا وإيداع الهجر ضمن تفسير كتاب الله جهل وسوء أدب ممن منى بالحرمان بعد دخول الحرم ، نعوذ بالله من الحور بعد الكور وبمثل هــذا التشنيع شنع الإمام الرازى فى تفسيره الكبير ، وهكذا أكثر المفسرين .

العفيف التلمسانى فى الاقتباس من علم النحو مع التوجيه :

ومستتر من سنا وجهه بشمس لها ذلك الصُّدع فَىْ
كوى القلبَ منى بلام العِذار وعرّفنى أنهـا لامُ كَىْ

كأنه حام حول قول ابن الفارض وزاد عليه التورية :

نصَبـاً أكسبنى الشوقُ كما تُكسِبُ الأفعالَ نصبا لامُ كَىْ

لبعضهم :

ومن البلوى التى لَيْــس لها فى الناس كُنهُ
أن من يعرف شيئــاً يَدّعى أكثَرَ منــه

كان العباس بن الأحنف إذا سمع الشعر الجيد ترنح له واستخفه الطرب . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : جاءنى يوما فأنشدته لابن الدمينة :

* ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد *

الأبيات الخمسة فتمايل وترنح وطرب وتقدّم إلى عمود هناك وقال : أنطح هذا العمود برأسى من حسن هذا الشعر ؟! فقلنا : ألا ارفق بنفسك :

العباس بن الأحنف من أبيات :

وحدّثتنى ياسعدُ عنهم فزدتنى جُنونا فزدنى من حديثك ياسعدُ

هواهُم هوًى لم يعرف القلبُ غيرَه فليس له قبل وليس له بعــدُ

لبعضهم :

ياويلتا من موقف ما به أخوفُ من أن يعدل الحاكمُ

من بديع التشبيه مع حسن التعليل قول ابن مقيم(١) :

إنى لأشهد للحمَى بفضيلة من أجلها أصبحتُ من عُشاقه
ما زاره أيام نرجسه فتى إلا وأجلسه على أحداقه

الإمام الغزالى : من أبيات أوردها فى منهاج العابدين :

ظفر الطالبون واتصل الوصــــلُ وفاز الأحبابُ بالأحباب
وبقينا مُذبذبين حيارى بين حدّ الوصال والاجتناب
فاسقنا منك شَربة تذهب الغم وتَهدى إلى طريق الصواب

لبعض العارفين :

تشاغل قومٌ بدنيــاهمُ وقومٌ تخــلوا لمولاهمُ
فألزمهم باب رضوانه وعن سائر الخلق أغناهمُ

كان بعض العارفين يقول : إنى أعلم أن ما أعمله من الطاعات غير مقبول عند الله تعالى ، فقيل كيف ذلك ؟ فقال إنى أعلم ما يحتاج إليه الفعل حتى يكون مقبولا ، وأعلم أنى لست أقوم بذلك ، فعلمت أن أعمالى غير مقبولة .

البدر الذهبي :

ما أبصرتْ مقلتاىَ عجيبا كاللَّوز لمــا بدا نُوّارهْ

---

(١) فى الخطية : ابن تميم

اشتمل الرأسُ منـــه شيبا واخضرّ من بعد ذا عِذارهْ

قال بعض العارفين : إن آكل الحرام والشبهة ، مطرود عن الباب بغير شبهة ، ألا ترى أن الجنب ممنوع عن دخول بيته ، والمحدِث يحرم عليـه مس كتابه ، مع أن الجنابة والحدث أمران مبـاحان ، فكيف بمن هو منغمس فى قذر الحرام وخبث الشبهات ، لا جرم أنه أيضاً مطرود عن ساحة القرب غير مأذون له فى دخول الحرم .

لما مات الرشيد دخل الشعراء على الأمين ليهنئوه بالخلافة ويعزوه بالرشيد ، وأوّل من فتح لهم هذا الباب ـ أعنى الجمع بين التهنئة والتعزية ـ أبو نواس ، فإنه دخل على الأمين فأنشده :

جرَت جوار بالسعد والنحس فالناس فى وَحشة وفى أُنسِ
والعين تبـكى والسنّ ضاحكةٌ فنحن فى مأتم وفى عُرس
يُضحكها الأمينُ ويُبـــكيها وفاةُ الرشيد بالأمس

من لطيف حسن التعليل فى خال تحت الحنك : ما حكاه ابن رشيق قال : كنت أجالس محمد بن حبيب ، وكان كثيرا ما يجالسنا غلام ذو خال تحت حنكه ، فنظر إلى ابن حبيب يوما وأشار إلى الخال ففهمت أنه يصنع فيـه شيئاً فصنعت أنا بيتين ، فلما رفع رأسه قال لى : اسمع ، وأنشدنى :

يقولون لى لِمْ تحت صفحة خدّه تنزّل خالٌ كان منزله الخـــدّ
فقلت رأى حسنَ الجمال فهابه فحط خضوعا مثل ما يخضع العبدُ

فقلت له أحسنت ، ولـكن اسمع ، وأنشدت :

حبّذا الخالُ كامنا منـــه بين الـــخد والجيدِ رُقبــة وحِــذارا
رام تقبيلَه اختلاسا ولـكن خاف من سيف لحظه فتوارَى

فقال : فضحتنى قطع الله لسانك .

[الفرق بين الرجاء والأمنية]

من كلام الغزالى : الفرق بين الرجاء والأمنية أن الرجاء يكون على أصل، والتمنى لا يكون على أصل ، مثاله: من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول: أرجو أن يحصل منه مائة قفيز ، فذلك منه رجاء . ومن لا يزرع زرعا ، ولا يعمل يوما ، قد ذهب ونام وأغفل سنة ، فإذا جاء وقت البيادر يقول : أرجو أن يحصل لى مائة قفيز ، فيقال من أين لك هذه الأمنية التى لا أصل لها ؟ فكذلك العبد إذا اجتهد فى عبادة الله تعالى وانتهى عن معاصيه يقول : أرجو أن يتقبل الله هذا اليسير ، ويتم هذا التقصير ، ويعظم الثواب ، فهذا رجاء منه ، وأما إذا غفل وترك الطاعات ، وارتكب المعاصى ، ولم يبال بسخط الله ورضاه ووعده ووعيده ، ثم أخذ يقول : أرجو من الله الجنة والنجاة من النار ، فذلك منه أمنية لا حاصل لها ، سماها رجاء وحسن ظن خطأ منه وجهلا .

قال بعضهم : رأيت أبا ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه من الاجتهاد . فقلت : يرحمك الله إن رحمة الله واسعة ، فغضب وقال : هل رأيت مايدل على القنوط ؟ « إن رحمة الله قريب من المحسنين » فأبكانى والله كلامه . ولينظر العاقل إلى حال الرسل والأبدال والأولياء واجتهادهم فى الطاعات ، وصرفهم العمر فى العبادات ، لا يفترون عنها ليلا ولا نهارا ، أما كان لهم حسن ظن بالله ؟ بلى والله ، إنهم كانوا أعلم بسعة رحمة الله وأحسن ظنا بجوده من كل ظان ، ولكن علموا أن ذلك بدون الجد والاجتهاد أمنية محضة ، وغرور بحت فأجهدوا أنفسهم فى العبادة والطاعة ؛ ليتحقق لهم الرجاء الذى هو من أحسن البضاعة .

لابن العفيف فى الاقتباس من التصريف :

يا ساكنا قلبي المعنَّى　　　وليس فيه سواك ثان

لأى شىء كسرت قلبي　　　وما التقى فيه ساكنان

قال الصلاح الصفدى : هذا المعنى فاسد ، لأن القلب ظرف لاجتماع الساكنين ، فالساكنان غير القلب ، ولم يكسر أحد الساكنين كما هو القانون ، وإنما كسر ما اجتمعا فيه . قال : وقد ذكرت ذلك لجماعة من الأدباء فاستحسنوه . انتهى .

مهيار الديلمى من الشعراء المجيدين ، كان مجوسيا وأسلم على يد الشريف المرتضى ، وعظم شأنه ومن شعره يمدح قوما :

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم　　　يتقارعون على قِرى الضيفان

ويكاد موقدهم يجود بنفسه　　　حب القرى حطبا على النيران

فى الشهاب : عن النبى صلى الله عليه وسلم «التّؤدة والرفقُ والاقتِصادُ والصمتُ جزء من ستة وعشرين جزءا من النبوة » قال القطب الراوندى فى شرح الشهاب: فإن قيل لم جعل أجزاء النبوة ستة وعشرين ؟ قلنا روى ابن بابويه فى كتاب النبوّة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أتاه جبريل عليه السلام وأمره أن يقول للناس إنى رسول الله إليكم كان له أربعون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ، وكان صلوات الله عليه وعلى آله يوحى إليه قبل ذلك فى خاصة نفسه ثلاث سنين . ومن قبل ذلك كان محدَّثا بأحكام شرعية يحتاج إليها بنكت فى القلب ونقر فى السمع وإلهام ، فتكون مدّة نبوّته ستا وعشرين سنة ، فأشار بهذا الحديث إلى عظم شأن هذه الخصال الثلاث . وقيل مراده ـ والله أعلم ـ أن الله سبحانه وتعالى، علمنى هذه

الثلاثة الخلالَ فى سنة تامّة ، ولم يوح إلىّ فى تلك السنة إلا الوصية بهذه الأشياء ، فكأنها جزء من أجزاء نبوّته . انتهى كلام القطب .

فى الحديث : الشتاء ربيع المؤمن : طال ليله فقامه ، وقصر نهاره فصامه .

من النهج : أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق ، والسبقة الجنة والغاية النار . أفلا تائب من خطيئته . قبل منيته ؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ؟ ألا وإنكم فى أيام أمل ، من ورائه أجل ، فمن عمل فى أيام أمله قبل حصول أجله نفعه عمله ولم يضره أجله ، ومن قصّر فى أيام عمله قبل حصول أجله فقد خسر عملَه وضرّ أجله ألا فاعملوا فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة . ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبها ؛ ولا كالنار نام هاربها . ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لا يستقيم به الهدى يجره الضلالُ إلى الردى . ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودللتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطولُ الأمل . تزودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا .

[تفسير حديث الشقى من شقى فى بطن أمه]

قال بعض المحدّثين ، فى تفسير قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الشقىّ من شقى فى بطن أمه » إن المراد ـ والله ورسوله أعلم ـ أن الشقىّ من كان فى النار : أى الشقاء الأعظم ذلك ، وكل شقاء سواه فبالنسبة إليه ليس بشقاء . فالمراد ببطن الأم جوف جهنم من قوله تعالى : « فأمّه هاوية » . قال بعض المحققين : لا يخفى ما فيه من البعد .

قال المحقق الهمدانى فى شرح الهياكل : إن للحيوانات عند الصنف نفوسا

مجردة كما هو مذهب الأوائل . وبعضهم أثبت للنبات أيضا نفوسا مجرّدة ويلوّح بعض تلويحات إلى ذلك المصنفُ وبعضهم أثبت ذلك للجمادات .

رأى يهوديّ الحسن عليه السلام فى أبهى زىّ وأحسنه ، واليهودى فى حال رديئة وأسمال رثة ، فقال أليس قال نبيكم « الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر » ؟ قال نعم . فقال هذا حالى وهذا حالك . فقال رضى الله عنه وأرضاه : غلطت يا أخا اليهود ، لو رأيت ما وعدنى الله من الثواب وما أعد لك من العقاب لعلمتَ أنك فى الجنة وأنى فى السجن .

قال القطب الراوندى ، فى شرح الشهاب : سبب قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمالُ بالنيات » أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة هاجر بعضهم لرضا الله ، وبعضهم لغرض دنيوى من تجارة ونكاح ، فأطلعه الله على ذلك فقال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكلّ امرئٍ ما نوى ، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها ، أو امرأة يتزوّجها فهجرته إلى ماهاجر إليه » .

[نور الكواكب]

رأيت فى كتاب الفتوحات المكية فى الباب التاسع والستين منه ، وهو الباب المعقود لبيان أسرار الصلاة ما يدل بصريحه على أن أنوار جميع الكواكب مستفادة من نور الشمس ، وكذا فى كتاب الهياكل للشيخ السهروردى ما يدل على ذلك ، فإنه قال : إن الشمس هى التى تعطى جميعَ الأجرام ضوءها ولا تأخذ منها . قال المحقق الدوانى فى شرحه لهذا الكلام : هذا يدل على أنوار جميع الكواكب مستفادة من الشمس كما هو مذهب بعض أساطين الحكماء . انتهى .

وجامع الكتاب يقول : هذا هو الحق ، ولى فى دلائل مخالفيه كلام تجده فى زوايا هذا الكشكول . وفى المثنوى للعارف الرومى ما يدل على ما ذكرناه وأنه الحق .

قال القطب الراوندى فى شرح الشهاب : الأولى أن يقال صلى الله عليه وعلى آله ، لأن العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار ضعيف . وإذا قيل صلى الله على محمد فالأولى أن يقال وآل محمد ، ولا يعاد الجار ليكون الكلام جملة واحدة . انتهى كلامه .

وأقول : إذا أردنا أن يكون الكلام فى الصورة الأولى أيضا جملة واحدة فإنا نقول وآله بالنصب ، على أن تكون الواو بمعنى مع . كما قالوه فى نحو مالك وزيدا وقد ذكره الكفعمى فى حواشى مصباحه .

[بحث فى ضمير النكرة]

قال الإمام فى كتاب الأربعين : اختلفوا فى أن ضمير النكرة نكرة أو معرفة فى مثل قولك جاءنى رجل وضربته ، فقال بعضهم : إنه نكرة لأن مدلوله كمدلول المرجوع إليه وهو نكرة ، فوجب أيضا أن يكون الراجع نكرة ، إذ التعريف والتنكير باعتبار المعنى . وقال قوم إنه معرفة وهو المختار ، والدليل عليه أن الهاء فى ضربته ليست شائعة شياع رجل ، لأنها تدل على الرجل الجائى خاصة ، لا على رجل ، والذى يحقق ذلك أنك تقول جاءنى رجل ، ثم تقول أكرمنى الرجل ، ولا تعنى بالرجل سوى الجائى ، ولا خلاف فى أن الرجل معرفة ، فوجب أن يكون الضمير معرفة أيضاً ؛ لأنه بمعناه ، ويعلم من هذا جواب شبهة من زعم أنه نكرة ، أعنى قوله لأن مدلوله كمدلول المرجوع إليه ، وهذه المسألة هى المسألة الثانية .

الـكلمة الطيبة صدقة . والصدقة على القرابة صدقة وصلة .

فى الحديث : « إذا دخلت الهدية من الباب خرجت الأمانة من الـكوة » .

فى النهج : أنه لقيه عليه السلام عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترجلوا واشتدوا بين يديه ، فقال كرم الله وجهه : ما هذا الذى صنعتموه ؟ فقالوا خلق منا نعظم به أمراءنا . فقال : والله ما ينتفـــع به أمراؤكم ، وإنكم لتشقون به على أنفسكم فى دنياكم ، وتشقون به فى آخرتكم ، وما أخسر المشقة وراءها العقاب ، وأربح الدعة معها الأمان من النار .

العاقل من يعمل فى يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده .

رأى مالك بن دينار غرابا يطير مع حمامة ، فعجب وقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ، ثم وقعا على الأرض فإذا هما أعرجان ، فقال من ها هنا .

من العصمة تعذر المعاصى .

حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالى : هو تلميذ إمام الحرمين ، اشتغل عليه فى نيسابور مدة ، وخرج منها بعد موته وقد صار ممن يعقد عليه الخناصر ، ثم ورد بغداد فأعجب به فضلاء العراق واشتهر بها ، وفوض إليه تدريس النظامية ، وكان يحضر مجلس درسه ثلثمائة من الأعيان المدرسين فى بغداد ومن أبناء الأمراء أكثر من مائة ثم ترك جميع ذلك وتزهد وآثر العزلة واشتغل بالعبادة ، وأقام بدمشق مدة وبها صنف الإحياء ، ثم انتقل إلى القدس ، ثم إلى مصر ، وأقام بالاسكندرية ، ثم ألقى عصاه بوطنه الأصلى طوس وآثر الخلوة وصنف الـكتب المفيدة ، ونسبته إلى غزالة قرية من قرى طوس .

حكى بعض الصلحاء قال : رأيت الغزالى فى البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة

وعصا ، فقلت : أيها الإمام أليس تدريس العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ فنظر إلىّ نظر الازدراء وقال : لما بزغ بدر السعادة من فلك الإرادة ، وجنحت شمس الأصول إلى مغارب الوصول :

تركتُ هوى سُعدى وليلى بمعزِل   وعدت إلى مصحوب أوّل مَنزل
ونادت بى الأشواق مهلا فهذه   منازلُ من تهوى رويدَك فانزلِ

وبعد اعتزاله كتب إليه الوزير نظام الملك يستدعيه إلى بغداد ، فأبى ، وكتب إليه جوابا شافيا ربما نذكره هنا .

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

دواؤك فيك وما تشعر   وداؤك منك ولا تُبصِر
وتحسب أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالَم الأكبر
وأنت الكتابُ المبين الذى   بأحرفـــه يظهر المضمر

ومنه :

اقبلْ معاذير من يأتيك معتــذرا   إن بر عنــدك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره   وقد أجلك من يعصيك مُستترا

ومنه :

أعاذلتى على إتعاب نفسى   ورعيى فى السُّرى روضَ السُّهاد
إذا شام الفتى برقَ المعــالى   فأهونُ فائتٍ طيبُ الرقاد

ومنه أيضا :

إن الذين بنوا فطال بناؤهم   واستمتعوا بالأهل والأولاد
جرت الرياحُ على محل ديارهم   فكأنهم كانوا على ميعادِ

ومنه :

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت   أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دارَ المرء بعد الموت يسكنها   إلا التى كان قبل الموت بانيها

ومنه :

اغتنم ركعتين زُلفى إلى اللـه   إذا كنت فارغا مستريحا
وإذا ما هممت بالقول فى البا   طل فاجعل مكانه تسبيحا

من كلامهم : من كرُمت نفسه عليه هانت الدنيا فى عينيه .

قال أرسطو للإسكندر وهو صبى : إذا وَليت الملك فأين تضعنى ؟ قال : حيث تضعُك طاعتُك .

ولله در من قال :

خُذ من صديقك ما صفا   ودع الذى فيه الكَدَرْ
فالعُمر أقصرُ من معا   تبة الصديقِ على الغِيَرْ

الصلاح الصفدى مضمنا :

دبّ العذارُ فظن منه لائمى   أنى أكون عن الغرام بمعزِلِ
لا كان ذاك فإننى من مَعشر   لا يَسألون عن السّواد المقبلِ

قال أمير المؤمنين عليه السلام : ليس بلد أحق بك من بلد . خير البلاد ما حملك .

الأول : من ثالثة الأصول تريد أن تجد مركز الدائرة (ا ب) فيعلم على محيطها نقطتى (ح و) كيف اتفق وتصل (و ى) وتنصفه على (ه) وتخرج من (ه) عمودا قاطعاً المحيط فى الجلقتين على (ا ب) وتنصف (ا ب) على (ح) فهو المركز

وإلا فليكن المركز (ط) وتصل (ط ح ٤ ط ه) فمثلثا (ط ح ه ٤ ه) منه متساويا الأضلاع والنظائر فزاويتا (ط ه ح ط ه ٤) منه بل متساويتان قائمتان وكانت زاويتا (ا ه و ا ه ٤) قائمتين (ه ر) فإذا لا مركز غير نقطة (ح) وقد تبين منه أنه لا يتقاطع وزان على قوائم وينصف أحدهما الآخر إلا ويجوز أحدهما بالمركز وبعبارة أخرى لا يخرج عمود من منتصف وتر إلا ويمر بالمركز قال المحرر أقول وإن فرض المركز (ا ب) غير نقطة (ح) كنقطة (٤) كان الخلف من جهة أخرى وهي انتصاب الخط من موضعين هما (ح ر) .

الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله :

خفف السيرَ واتئد ياحادى — إنما أنت سائقٌ بفؤادى
ماترى العيسَ بين سَوق وشَوق — لرَبيع الرُّبوع غرثى صوادى
لم تُبَقِّ لها المهامه جسما — غير جِلْد على عظام بوادى
وتحفّت أخفافُها فهى تمشى — من جَواها فى مثل جمر الرَّماد
وبراها الونَى فخلِّ بُراها — خلِّها ترتعى ثُمام الوِهاد
شفَّها الوخد أن عدمت دواها — فاسقها الوجدَ من حفار المهاد
واستبقْها واستبقها فهى مما — تترامى به إلى خير وادى
عمرك الله إن مررت بوادى — ينبع فالدهْنا فبدرٍ وغادى
وسلكت النقا فأودان ودّا — نِ إلى زابغٍ الروىّ الثَّماد
وقطعت الحِرار عمد الحيا — ت فبدرا مواطن الأمجاد
تدانيت من خليص فعسفا — ن فمر الظهران مَلقى البوادى
ووردت الجموم فالقصرَ فالدكـ — ـناء طُرّا مناهل الوُرّاد
وأتيتَ التنعيم فالزّاهر الزّا — هرَ نورا إلى ذُرا الأطواد

وعَبرت الحَجُون واجتزت فاخترْ ت ازديارا مشــاهد الأوتاد

وبلغتَ الخيام بَلّغ سلامى عن حفاظٍ عريبَ ذاك النادى

وتلطّف واذكر لهم بعضَ ما بى من غرام ما إن له من نفاد

يا أخلّاىَ هل يعود التدانى منــكم بالحى يعُود رقادى

ما أمر الفراقَ يا جيرة الحــىّ وأحلى التلاق بعــد انفراد

كيف يلتذ بالحياة مُعنًّى بين أحشائه كورى الزناد

عُمرُه واصطبارُه فى انتقاص وجَواه ووجدُه فى ازدياد

فى قُرى مصر جسمُه والأصيحا بُ شآما والقلبُ فى أجْيــاد

إن تُعد وفُوَيْقَ الصّخَيْرا ت رواحاً سعدِت بعد بعادى

يا رعى اللهُ يومَنا بالمصــلّى حيث نُدعى إلى سبيل الرشاد

وقبابُ الركاب بين العلميــن سراعا للمــأزمين غوادى

وسَقى جمعنا بغيث مُلثّ ولُوَيلات الخيف صوبُ عهادى

من تمنى مالا وحسن مآل فمنائى مُنًى وأقصى مُرادى

يا أُهَيــل الحجاز إن حكم الدهــرُ ببين قضاه حتمٌ. إرادِى

فغرامى القديمُ فيــكم غرامى ووِدادى كما عَهدتم ودِادى

قد سكنتم من الفؤاد سُوَيدا هُ ومن مُقلتى محلّ السواد

يا تميرى روّح بمــكة رُوحى شاديا إن رغبتَ فى إسعادى

فذُراها سُؤلى وطيبى ثَراها وسبيل المسيل وردى وزادِى

كان فيها أنسى ومعراجُ قدسى ومُقامى المقامُ والفتح بادى

نقلتنى عنها الحظوظُ فجذّت وارداتى ولم تدُم أورادِى

آهِ لو يسمح الزمانُ بعوْد فعسى أن تعودَ لى أعيادى

قسما بالحطيم والركن والأسـتار والمروتين مسعى العباد
وظلال الجناب والحجر والميـزاب والمستجار للقصّاد
ما شممت البشام إلا وأهدى لفؤادى تحية من سعادى

ابن الخيمى :

يا مطلبا ليس لى فى غيره أربُ إليك آل التقصّى وانتهى الطلب
وما طمحت لمـرأى أو لمستمع إلا لمعـنى إلى علياك ينتسب
وما أرانى أهـلا أن تواصلنى حسبى علوّا بأنى فيك مكتئبُ
لكن ينازع شوق تارة أدبى فأطلبُ الوصل لمـا يضعُف الأدبُ
ولستُ أبرح فى الحالين ذا قلق نام وشوق له فى أضلعى لهب
ومدمع كلمـا كفكفتُ أدمعه صونا لذكرك يعصينى وينسكب
والهف نفسىَ لو يُجدى تلهّفها عونا وواحربا لو ينفع الحرب
يمضى الزمانُ وأشواقى مضاعفةٌ يا للرجال ولا وصل ولا سببُ
يا بارقا بأعالى الرقمتـين بدا لقد حكيتَ ولكن فاتك الشنبُ
[أمّا خفوقُ فؤادى فهو عن سبب وعن خفوقك قل لى ما هو السّببُ]

القيراطى فى بادهنج :

بنفسى أفدى بادهنجا موكلا بإطفاء ما ألقاه من ألم الجوى
إذا فتحت فى الحرّ منه طرائق أتانى هواه قبل أن أعرف الهوى

وله فى موسوس :

وموسوس عند الطهارة لم يزل أبدا على الماء الكثير مواظبا
يستصغر النهر الكبيرَ لذقنه ويظن دجلة ليس تكفى شاربا

العرجى فى الوداع :

باتا بأنعَم ليلة حـــتى بدا صبحٌ يلوح كما الأغرّ الأشقر

فتلازما عنـــد الفراق صبابة أخْذَ الغريمِ بفضل ذيل المعسر

الباخرزى :

قالت وقد فتشت عنها كلّ من لاقيته من حاضر أو بادى

أنا فى فؤادك فارم طرفك نحوه ترَنى فقلت لهـــا وأين فؤادى

ولـكم تمنيتُ الفراق مغالطا واحتلت فى استثمار غرس ودادى

وطمعت منها فى الوصال لأنها تبنى الأمور على خلاف مرادى

يا ربع ذى الأثل من شرقى كاظمة قد عاود القلب من ذكراك أشجانا

أشمُّ منك نسيما لستُ أعرفه أظن ليلاى جرّت فيك أردانا

المتنبى :

بأبى من وددته فافترقنا وقضى اللهُ بعد ذاك اجتماعا

وافترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمُه علىّ وداعا

لبعضهم فى الفانوس :

انظر إلى الفانوس تلق متيما ذرفت على فقد الحبيب دموعُه

أحيا لياليَه بقلب مضرَم وتعد من تحت القميص ضلوعُه

وفى التضمين ما يحكى : أن الحيصَ بيْصَ الشاعر قتل جرو كلبة ، فأخذ بعضُ الشعراء كلبة وعلق فى رقبتها رقعة وأطلقها عند باب الوزير ، فأخذت الرقعة فإذا مكتوب فيها :

يا أهلَ بغداد إن الحيصَ بَيْصَ أتى بجُرأة ألبسته العارَ فى البلد

أبدى شجاعته بالليل مجترئا على جُرَيْوٍ ضعيف البطش والجلد

فأنشدت أمُّه من بعد ما احتسبت دم الأُبَيْلق عند الواحد الصمد

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً إحدى يدىّ أصابتنى ولم تُرِد

كلاهما خلفٌ من بعد صاحبه هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

والبيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابنها .

النظام :

توهَّمَه طرْفى فآلم خدَّه فصار مكانُ الوهم من خدّه أثرُ

وصافحه كفِّى فآلم كفَّه فمن صفح كفّى فى أنامله عقرُ

ومرّ بفكرى خاطراً فجرحتُه ولم أر خلقا قط يجرحهُ الفكرُ

يقال إن هذه الأبيات لما بلغت الجاحظ قال : مثل هذا ينبغى أن لا يناك إلا بأير من الوهم .

عير سقراطَ الحكيم رجل بخمول نسبه ، وتاه عليه بشرفه ورياسته ، فقال له سقراط إليك انتهى شرف قومك ، ومنى ابتداء شرف قومى ، فأنا فخر قومى وأنت عار قومك .

من بعض التواريخ : سخط كسرى على بزرجمهر فحبسه فى بيت مظلم ، وأمر أن يصفد بالحديد ، فبقى أياما على تلك الحالة فأرسل إليه من يسأله عن حاله فإذا هو مشروح الصدر مطمئن النفس ، فقالوا له : أنت فى هذه الحالة من الضيق ونراك ناعم البال ، فقال : اصطنعت ستة أخلاط وعجنتها واستعملتها ، فهى التى أبقتنى على ما ترون ، قالوا صف لنا هذه الأخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى ، فقال : نعم ، أما الخلط الأول فالثقة بالله عز وجل . وأما الثانى فكل مقدر كائن . وأما الثالث فالصبر

خير ما استعمله الممتحَنُ . وأما الرابع فإذا لم أصبر فماذا أصنع ؟ ولا أعين على نفسى بالجزع . وأما الخامس فقد يكون أشد مما أنا فيه . وأما السادس فمن ساعة إلى ساعة فرج . فبلغ ما قاله كسرى فأطلقه وأعزه .

قال الفضيل بن عياض : ألا ترون كيف يزوى الله الدنيا عمن يحب ، ويمرّرها عليهم تارة بالجوع ومرة بالحاجة كما تصنع الأم الشفيقة بولدها تفطمه بالصبر مرة وبالحضض أخرى . وإنما تريد إصلاحه .

لقى المنصور سفيان الثورى ، فقال له : ما يمنعك أن تأتينا يا أبا عبد الله ؟ فقال إن الله سبحانه نهانا عنكم حيث يقول : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » ودخل عليه يوما وقد أرسل إليه ، فقال له : سل حاجتك ، قال أو تقضيها . قال نعم ، قال : حاجتى ألا ترسل إلىّ حتى آتيك ، ولا تعطينى شيئاً حتى أسألك . ثم خرج فقال المنصور : ألقينا الحب للعلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان الثورى .

قال أرسطو : الغنى فى الغربة وطن ، والفقر فى الوطن غربة أخذه الشاعر فقال :

الفقر فى أوطانه غربةٌ والمال فى الغربة أوطانُ

كان أبو الشمقمق الشاعرُ الظريف المشهور قد لزم بيته لأطمار رثة كان يستحى أن يخرج بها إلى الناس ، فقال له بعض إخوانه يسليه عما رأى من سوء حاله : أبشر يا أبا الشمقمق فقد روى أن العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة ، فقال له : إن كان ذلك حقا فوالله لأكونن بزازا يوم القيامة .

ومن كلام بعض الحكماء : لأن أترك المال لأعدائى بعد موتى خيرٌ من أن أحتاج لأصدقائى فى حياتى . عدوّ إذا لقيك سألك خيرٌ من صديق إذا افتقرت إليه ملّك .

إذا احتاج إليك عدوّك أحب بقاءك ، وإذا استغنى عنك صديقك هان عليه لقاؤك .

كل الدنيا فضول إلا خمسة : خبز تسيغه ، وماء تروى به ، وثوب تستر به ، وبيت تسكنه ، وعلم تستعمله .

لبعضهم :

كم من قوىٍّ قوىٌّ فى تقلبه ... مهذبُ الرأى عنه الرزقُ مُنحرف

وكم ضعيفٍ ضعيفٌ فى تقلبه ... كأنّه من خليج البحر يغترف

هذا دليل على أن الإله له ... فى الخلق سر خفى ليس ينكشف

لبعضهم :

قلتُ للمعجب لما ... قال مثلى لا يراجع

يا قريبَ العهد بالمخ ... رج لِمْ لا تتواضع

قال المحقق الطوسى فى التجريد فى برهان تناهى الأبعاد : ولحفظ النسبة بيْنَ ضلعى المثلث وما اشتملا عليه مع وجوب إلصاق الثانى به ، والشارح الجديد طوّل الكلام فى حل هذا المقام ، ثم عرض آخرا بأن هذا البرهان إنما يدل على امتناع لاتناهى الأبعاد من جميع الجهات ، أو فى جهتين ، ولا يدل على امتناعه فى جهة واحدة ، ولو جوّز مجوز اسطرانة غير متناهية لم يتم . انتهى كلامه .

ولجامع الكتاب فيه نظر ، فإنه يمكن حمل كلام المحقق على وجه يدل على امتناع اللاتناهى فى جهة واحدة أيضا . والعجب أن جميع الشارحين والمحشّين غفلوا عنه . وتقريره أنه لو فرض اسطوانة غير متناهية مثلا لفرضنا خطا ذاهبا فى طولها إلى غير النهاية ، وآخر فى عرضها عمودا عليه ، ولا شك أن لهما نسبة إلى ما اشتملا

عليه ، أعنى الضلع الثالث الذى يتم به المثلث القائم الزاوية فى الفرض المذكور ؛ لأن مربعه يساوى مربعيهما بشكل العروس ، وهذه النسبة محفوظة مهما امتد الخط الطولى . والثالث متناه لانحصاره بين حاصرين فالأول أولى بالتناهى ، فافهم . وحينئذ فنقول هذه الصورة داخلة فى كلام المصنف لأنه لم يَعن النسبة ، ولا قال إن الانفراج بقدر الامتداد ، ولا فرض ذهاب الضلعين إلى غير النهاية ؛ فجميع الصور داخلة فى كلام المصنف ، وعبارته فى نهاية السداد والله ولى التوفيق والرشاد .

من التشبيه الواقع فى الحركات قول ابن مكانس :

إبريقنا عاكفٌ على قدح كأنه الأمّ يرضعُ الولدا
أو عابدٌ من بنى المجوس إذا توهّم الكأس شعلة سجدا

أول ما ينتبه العبد للعبادة ويستيقظ من سنة الغفلة ، وتتوق نفسه إلى الانخراط فى سلك السعداء يكون بخطرة سماوية وجـــذبة إلٰهية وتحريك ربانى ، وتوفيق سبحانى ، وهو المعنى بقوله «أفمن شَرَحَ اللهُ صدرَه للإسلام فهو على نور من ربه» والمشار إليه فى كلام صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم بقوله : إن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح ، فقيل يا رسول الله هل لذلك علامة يعرف بها ؟ فقال : « التجافى عن دار الغُرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

روى فى الخلاصة عند ذكر صفوان بن يحيى عن أبى الحسن رضى الله عنه : « ما ذئبان ضاريان فى غنم غاب عنها رعاؤهـــا بأضرّ فى دين المسلم من حُبّ الرياسة » .

[مواعظ]

من كلام بعض الواعظين : أن إبليس إنما ينكد مُجاهَدات العابدين، ويكدر صفاء أحوال العارفين ، لأنه يراهم يرفلون فى خلع كانت عليه ، ويتبخترون بأندية كانت إليه ، ومعلوم أن كل من عزل عن ولاية عادى من استبدل به عنه ، غيرة على الولاية وحسرة على أبواب الرعاية .

من كلام بعض العارفين : لا يكن تأخيرُ العطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجبا ليأسك ، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك ، لا فيما تختاره أنت لنفسك ، وفى الوقت الذى يريده لا فى الوقت الذى تريده .

ومن كلامه : لا تتعد همتك إلى غيره ، فالكريم المطلق لا تتخطاه الآمال .

من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا، إذ ليس التواضع إلا عند رفعة، فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت من المتكبرين .

متى آلمك عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك ، فارجع إلى علم الله فيك ، فإن كان لا يقنعك علمه، فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم .

أراد أن يزعجك عن كل شىء حتى لا يشغلك عنه شىء .

ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع هو الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع .

إذا أردت ورود المواهب عليك فصحح الفقر إليه ، إنما الصدقات للفقراء .

سئل جعفر الصادق بن محمد عليه السلام عن قوله تعالى « أو لم نُعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر » فقال هو توبيخ لابن ثمانى عشرة سنة .

[مواعظ]

من كلام بعض الواعظين : أن إبليس إنما ينكد مُجاهَدات العابدين، ويكدر صفاء أحوال العارفين ، لأنه يراهم يرفلون فى خلع كانت عليه ، ويتبخترون بأندية كانت إليه ، ومعلوم أن كل من عزل عن ولاية عادى من استبدل به عنه ، غيرة على الولاية وحسرة على أبواب الرعاية .

من كلام بعض العارفين : لا يكن تأخيرُ العطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجبا ليأسك ، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك ، لا فيما تختاره أنت لنفسك ، وفى الوقت الذى يريده لا فى الوقت الذى تريده .

ومن كلامه : لا تتعد همتك إلى غيره ، فالكريم لا تتخطاه الآمال .

من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا، إذ ليس التواضع إلا عند رفعة، فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت من المتكبرين .

متى آلمك عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك ، فارجع إلى علم الله فيك ، فإن كان لا يقنعك علمه، فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم .

أراد أن يزعجك عن كل شىء حتى لا يشغلك عنه شىء .

ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع هو الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع .

إذا أردت ورود المواهب عليك فصحح الفقر إليه ، إنما الصدقات للفقراء .

سئل جعفر الصادق بن محمد عليه السلام عن قوله تعالى « أو لم نُعمّركم ما يتذكر فيه من تذكر » فقال هو توبيخ لابن ثمانى عشرة سنة .

من مناجاة الحق لموسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته ، لا تنظر فى عبادتك إلى غناه عنها ، فإنه تعالى لو نظر إلى ذلك لم يطلبها منك ، بل نظر إلى حاجتك إليها وكمالك بها ، فانظر إلى ما نظره لك ، واجتهد فى تصحيحه بالاعتماد على غناه ، فإن لم تراع ذلك غيرت المقام وأفسدت النظام .

من كلام بعض العارفين : اضطرّ كل ناظر بعقله إلى تحقق سبق الوجود على العدم، إذ كل موجود يشهد بذلك، ولو سبق العدم المطلق لاستحال وجود موجود، فهو الأولُ والآخرُ والظاهر والباطن .

وفى كلّ شىء له آيةٌ   تدلّ على أنه واحدُ

لا ريب أن اللذة العقلية أتم وأعظم من الحسية بما لا يتناهى ، والترقى إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الحميدة ، والأخلاق المجيدة، ولذة مناجاته السعيدة من أفضل الكمالات، وأعظم اللذات، فمن العجب كيف جعل الحقّ تعالى على طاعته ومايقرّبُ إليه جزاء ، فإن الدالّ على الهدى ـ فضلا عن الموفق ، والممدّ على فعله ـ أو بأن يكون له الجزاء ، لكن بسطة جوده، وسعة رحمته اقتضت الأمرين معا قال تعالى : «هل جزاء الإحسانِ إلاّ الإحسانُ» فانظر كيف أفاد إحسانه إحسانا وسماه جزاء ، واقض حق العجب من دقائق ذلك واشكر من سلك بك هذه المسالك .

* * *

من كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه : العفو عن المصرّ لا عن المقر . قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل . اتقوا من تبغضه قلوبكُم .

قال بعض الصلحاء : لولا أنى أكره أن يعصى اللهُ لتمنيت أن لا يبقى فى هذا المصر أحد إلا وقع فى واغتابنى، وأى شىء أهنأ من حسنة يجدها الرجل فى صحيفته

يوم القيامة لم يعملها ولم يعلم بها . المؤمن لا يثقله كثرة المصائب وتواتر المكاره عن التسليم لربه والرضا بقدره ، كالحمامة التي يؤخذ فرخها من وكرها وتعود إليه . العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا ، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما . عمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيه الأحقاد . من أنس بالله استوحش من الناس .

قال الرشيد لابن السماك : عظني ، فقال: احذر أن تقدم على جنة عرضها السموات والأرض وليس لك فيها موضع قدم .

قال أبو سليمان الداراني : لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على فوت ما مضى منه في غير طاعة الله تعالى لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات ، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله .

قال بعض العارفين : إن هذه النفسَ في غاية الخساسة والدناءة ونهاية الجهل والغباوة ، ينبهك على ذلك أنها إذا همت بمعصية أو انبعثت لشهوة فلو تشفعت إليها بالله سبحانه ، ثم برسوله وبجميع أنبيائه ، ثم بكتبه والسلف الصالح من عباده ، وعرضت عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لا تكاد تعطى القياد ولا تترك الشهوة ، ثم إن منعتها رغيفا سكنت وذلّت ولانت بعد الصعوبة والجماح وتركت الشهوة .

[البرهان على مساواة الزوايا الثلاث في المثلث لقائمتين]

رأيت في بعض التواريخ : أنه سئل المعلم الثاني أبو نصر الفارابي عن البرهان على مساواة الزوايا الثلاث في المثلث لقائمتين ، فقال: البرهان على ذلك أن الستة إذا نقصنا منها أربعة بقي اثنان ، أقول : يظهر ذلك من أنه إذا وقع خط على خطين متوازيين فالداخلتان في جهة معادلتان لقائمتين بالتاسع والعشرين من أدنى الأصول ، ثم بما

خطه هذا الشكل فإن الزاويا الحادثة على (ع ه) كقائمتين ، والحادثة على (ر ح) كأربع قوائم، ومجموع (ر ا) كقائمتين وكذا مجموع (ح ا) انتهى من شرح الهيا كل.

للمحقق الدوانى : البصر قوة مرتبة فى الروح المصبوب فى العصبتين المجوفتين المتلاقيتين ، أو المتقاطعتين المفترقتين بعده إلى العينين ، مدركة للألوان والأضواء بواسطة انطباع صورها فى الرطوبتين الجليديتين ، وثانى صورة واحدة إلى الملتقى ، وذلك الغادى ضرورى ، وإلا لرئى الشىء الواحد شيئين لانطباع صورة منه فى كل من الجلدتين ، كذا قالوا . وأقول : هذا منقوض بالسامعة. انتهى كلامه .

من كلام بعض الحكماء : كل شىء يحتاج إلى العقل ، والعقل محتـــاج إلى التجارب .

قيل لأبى ذر ـ وقد رمدت عيناه ـ هلا داويتهما. فقال : إنى عنهما لمشغول ، فقيل له : هلا سألت الله أن يعافيهما ؟ فقال أسأله فيما هو أهم من ذلك .

مات لبعض العارفين صديق : فرآه فى النوم شاحب اللون ويده مغلولة إلى عنقه ، فقال له : ما حالك فأنشد :

تولّى زمانٌ لعبنا به ... وهذا زمانٌ بنـــا يلعبُ

اعلم أن الغيبة هى الصاعقة المهلكة، ومثل من يغتاب من الناس مثل من نصب منجنيقا يرمى به حسناته شرقا وغربا . وعن الحسن أنه قيل له يا أبا سعيد إنّ فلانا اغتابك ، فبعث له بطبق فيه رطب وقال : بلغنى أنك أهديت إلىّ حسناتك ، فأردت أن أكافئك . وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك فقال : لو كنت مغتابا لاغتبت أمى لأنها أحق بحسناتى .

البها زهير :

من اليوم تساحنـــا ... ونطوى ما جرى منّا

فلا كانَ ولا صارَ ولا قُلتم ولا قُلنـــا
وإن كان ولا بدَّ من العُتبى فبالحسنى
فقد قيل لنـــا عنـكم كما قيل لـكم عنّا
كفى ما كان من هَجر فقد ذُقتم وقـد ذقنا
وما أحسنَ أن نرجِـــع للوصل كما كنـــا

السرى الرفاء :

وصاحبٍ يقدح لى نارَ السرور بالقَدَحْ
فى روضة قد لبِست من لؤلؤ الطَّلّ سُبح
والجوّ فى ممسَّكٍ طرازُه قوسُ قُزح
يبكى بلا حُزن كما يضحكُ من غير فرح

فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «اجتهدوا فى العمل ، فإن قصَّر بكم ضعفٌ فـكفوا عن المعاصى » .

وروى محمد بن يعقوب بإسناده إلى جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه عن النبى صُلى الله عليه وسلم « أفضل الناس من عشِق العبادة فعانقها ، وأحبّها بقلبه ، وباشرها بجسده وتضرّع لهـــا فهو لا يبالى على ما أصبح من الدنيـــا على يُسر أو عسر » .

القاضى الأرّجانى :

تمتعتما يا مقلتىّ بنظرة فأوردتما قلبى أشرّ الموارد
أعينىّ كُفا عن فؤادى فإنه من البغى سعى اثنين فى قتل واحِد

من الاقتباس من علم الرمل لابن مطروح :

حلا ريقُهُ والدُّر فيه منضد ومن ذا رأى فى العذب دُرّا منضدا

رأيت بخديه بياضا وحمرة فقلت لىَ البشرى اجتماعا تولّدا

* * *

قيل لبعض العارفين : كيف حالك ؟ فقال : أجد ما لا أشتهى ، وأشتهى ما لا أجده .

قال ابن مسعود : لا يكونن أحدُكم جيفةَ ليله قطربَ نهاره .

شهاب الدين أحمد الأمشاطى :

وفتّاكِ اللواحظِ بعد هجر حبا كرما وأنعم بالمزار

وظل نهارَه يرمى بقلبى سهاما من جُفونٍ كالشفار

وعندَ النوم قلتُ لمقلتيه وحكمُ النوم فى الأجفانِ سارِ

تبارك من توفاكم بليل ويعلَمُ ما جرحتُم بالنهارِ

من التوجيه : فى العروض قولُ نصر الله الفقيه حسين وهو حسن :

وبقلبى من الجفاء مديدٌ وبَسيط ووافرٌ وطويلُ

لم أكن عالما بذاك إلى أن قطعَ القلبَ بالفراق الخليلُ

ولا بن بشار مثله :

وبى عَروضىٌّ سريع الجفا وَجدى به مثلُ جفاء طويل

قلت له قطّعت قلبى أسى فقال لى التقطيع دأب الخليل

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين كرم الله وجهه :

حلاوة دنياك مسمومةٌ فما تأكل الشهد إلا بسم

فكن مُوسراً شئت أو معسرا فما تقطعُ الدهر إلا بهمّ

إذا تم أمر بدا نقصهُ توقَّع زوالًا إذا قيل تمّ

ومنه :

إذا النائباتُ بلغن المدى وكادت لهنّ تذوب المهجْ
وحل البلاء وقل العزا فعند التناهى يكون الفرَجْ

ومنه :

هوّن الأمر تَعِش فى راحةٍ قلما هونته إلا يهون
ليس أمرُ المرء سهلا كله إنما الأمر سهول وحزون
تطلبُ الراحة فى دارِ العنا خابَ من يطلب شيئاً لا يكون

ومنه :

أصُم عن الكَلِمِ الْمُحفِظات وأحلم والحلم بى أشبَهُ
وإنى لأترك جل المقال لئلا أجابَ بما أكرهُ
إذا ما اجترَرْتُ سِفاه السفيه علىّ فإنى إذن أسْفهُ
ولا تَغتَرِرْ برواء الرّجال وإن زخرفوا لك أو موّهوا
فكم من فتى يعجب الناظرين له ألسنٌ وله أوجُه
ينامُ إذا حضرَ المكرمات وعندَ الدناءة يستَنبهُ

ومنه :

يمثل ذو اللّب فى نفسه مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتةً لم يُرع لما كان فى نفسه مثّلا
رأى الأمر يفضى إلى آخرٍ فصير آخرَه أوّلا
وذو الجهل يأمَن أيامه وينسى مصارعَ من قد خلا
فإن بَدهَتْه صروفُ الزمان ببعض مصائبه أعْولا

ولو قدم الحزمَ فى نفسه لعلّمهُ الصبرَ عنـد البلا

ومنه :

إلامَ تجر أذيالَ التصـابى وشيْبك قد نفى بُردَ الشباب
بلالُ الشيب فى فوديك نادَى بأعلى الصّوت حىّ على الذهاب

ومنه

كِدَّ كدَّ العبد إن أحببـتَ أن تُصبح حرًّا
واقطع الآمال عن ما ل بنى آدم طُرًّا
لا تقل ذا مكسبٌ يُز رى فقصد الناس أزرَى
أنت ما استغنيتَ عن غيـرك أعلى الناس قدرا

[من خصال التقوى]

قال بعض العارفين : إن خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهى التقوى . انظر إلى ما فى القرآن الكريم من ذكرها ، فكم علق عليها من خير ، ووعد عليها من ثواب ، وأضاف إليها من سعادة دنيوية وكرامة أخروية . ولنذكر لك من خصالها وآثارها الواردة فيها اثنتى عشرة خصلة :

الأولى : المدحة والثناء ، قال تعالى : « وإن تَصْبِروا وتتّقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .

الثانية : الحفظ والحراسة ، قال تعالى : « وإن تصبروا وتتقوا لا يَضُرُّكم كيدُهم شيئاً » .

الثالثة : التأييد والنصر ، قال الله تعالى : « إن الله مع الذين اتقوا » .

الرابعة : النجاة من الشدائد ، والرزق الحلال، قال الله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

الخامسة : صلاح العمل، قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يُصلِحْ لكم أعمالكم » .

السادسة : غُفرانُ الذنوب ، قال الله تعالى : « ويغفر لكم ذنوبكم » .

السابعة : محبة الله تعالى ، قال تعالى : « إن الله يحبّ المتّقين » .

الثامنة : قبول الأعمال ، قال تعالى : « إنما يتقبَّل الله من المتّقين » .

التاسعة : الإكرام والإعزاز ، قال تعالى : « إن أكرمَكم عند الله أتقاكم »

العاشرة : البشارة عند الموت ، قال تعالى : « الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .

الحادية عشرة : النجاة من النار ، قال تعالى : « ثُمّ ننجّى الذين اتقوا » .

الثانية عشرة : الخلود فى الجنة، قال تعالى « أُعِدَّت للمتّقين » فقد ظهر لك أن سعادة الدارين منطوية فيها ومندرجة تحتها ، وهى كنز عظيم وغُنم جسيم ، وخير كثير ، وفوز كبير .

قال رجل لإبراهيم بن أدهم : أريد أن تقبل منى هذه الدراهم ، فقال : إن كنت غنيا قبلتها منك، وإن كنت فقيرا لم أقبلها . قال: إنى غنى ، قال: كم تملك؟ قال : ألفى درهم ، قال : أفيسرك أن تكون أربعة آلاف؟ قال : نعم ، قال : اذهب فلست بغنى ، ودراهمك لا أقبلها .

قال الشعبى : ما أعلم أن للدنيا مثالا إلا قول كُثيِّر :

أسيئى بنا أو أحسِنى لا مَلُومةً لدينا ولا مقلُوّة إن تقلت

قال بعض العارفين لشيخه : أوصنى بوصية جامعة ، فقال : أوصيك بوصية

الله رب العالمين للأولين والآخرين، قوله تعالى: « ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن اتقّوا الله » ولاشك أنه تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد، ورحمته ورأفته به أجلّ من كل رأفة ورحمة ، فلو كان فى الدنيا خصلة هى أصلح للعبد ، وأجمع للخير ، وأعظم فى القدر ، وأعرف فى العبودية من هذه الخصلة لكانت هى الأَولى بالذكر ، والأحرى بأن يوصى بها عباده ، فلما اقتصر عليها علم أنها جمعت لكل نصح وإرشاد ، وتنبيه وسداد ، وخير وإرفاد .

وَقال المأمون : لو وصفت الدنيا نفسها لم تصف كما وصفها أبو نواس :

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشّفت   له عن عدوّ فى ثياب صديق

وقال بعض العارفين : الدنيا تُطلب لثلاثٍ: الغنى ، والعز ، والراحة ، فمن زهد فيها عز ، ومن قنع استغنى ، ومن قل سعيه استراح .

لبعضهم :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها   هواناً بها كانت على الناس أهْونا
فنفسَك أكرمها وإن ضاق مَسكنٌ   عليك بها فاطلُب لنفسك مسكنا
وإياك والسّكنى بدار مَذلّة   تعدّ مُسيئاً بعد ما كنت محسنا

آخر :

شُخوصُ الفتى عن منزل الضيم واجبٌ   وإن كان فيه أهلُه والأقاربُ
وللحر أهلٌ إن نأى عنه أهلُه   وجانبُ عزّ إن نأى عنه جانبُ
ومن يَرض دار الضيم داراً لنفسه   فذلك فى دعوى التوكّل كاذبُ

آخر :

إذا أظمأتك أكفُّ اللئام   كفتك القناعةُ شِبْعا وريا

فكن رجلا رجله فى الثرى وهامة همته فى الثريا
أبيًّا بنفسك عن باخـــل تراه بما فى يديه أبيًّا
فإن إراقــة ماء الحيـــا ة دون إراقــة ماء المحيَّا

غيره :

بلادُ الله واسعةٌ فضـــاء ورزقُ اللهِ فى الدنيا فسيحْ
فقُل للقاعِدين على هوانٍ إذا ضاقَتْ بكم أرضٌ فسيحُوا

غيره:

ولا يُقيمُ على ضَيْم يُراد به إلا الأذلَّان عَيْرالحىّ والوتدُ
هذا على الخسْفِ مربوطٌ برُمَّته وذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدُ

[أقوال الحكماء]

قال بعض الحكماء : مَن أظهر شكرك فيما لم تأته ، فاحذر أن يكفر نعمتك فيما أتيته .

ومن كلامهم : اجعل كتابك عالما تختلف إليه .

قال بعض الحكماء : العدوّ عدوّان : عدو ظلمتَه فجنيتَ بظُلمك إياه عداوته، وآخرُ ظلمكَ فجنَى بظُلامته إيّاك عداوتك ، فإن نابتك نائبة تضطرك إلى أحدهما فكنْ بمن ظلمك أوثق منك بمن ظلمته .

ومن كلامهم : حلمك عمن دونك ساتر عليك عيب الذل لمن هو فوقك .

احتُضر بعض الحكماء : فجعل أخوه يبكى بإفراط ، فقال المحتضَر : دون هذا يا أخى ، فمن قليل تُرى ضاحكا فى مجلس أُذكرُ فيه .

قال جالينوس : غرضى من الطعام أن آكل لأحيا ، وغرض غيرى أن يحيا ليأكل .

نظر حكيم : إلى رجل يغسل يده ، فقال : أنقها فإنها ريحانة وجهك .

من كلام بعض الحكماء : لولا ثلاث ما وضع ابن آدم رأسه لشيء : الفقر ، والمرض ، والموت ، وإنه معهن لوثاب .

قيل لحكيم : من أبعدُ الناس سفرا ؟ قال: من كان سفره فى ابتغاء الأخ الصالح.

لما كان التجانس والتشاكل من قواعد الأخوة وأسباب المودة ، كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضى من حال صاحبه قلة إخوانه، لأنه يروم مثله ، ويطلب شكله ، وأمثاله من ذوى العقل والفضل أقل من أضداده من ذوى الحمق والجهل ؛ لأن الخيار فى كل جنس هو الأقل، فهذا هو السبب فى قلة إخوان أصحاب الفضل، وكثرة أصحاب الموصوفين بالجهل .

من النهج : رحم الله امرأ سمع حكماً فوعى ، ودُعى إلى رشاد فدنا ، وأخذ بحجزة هادٍ فنجا ، راقب ربه، وخاف ذنبه، قدم خالصا، وعمل صالحا، واكتسب مدخورا، واجتنب محذوراً ، رمى غرضا، وأحرز عوضا، كابر هواه وكذّب مناه، وجعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عدّة وفاته ، ركب الطريقة الغراء ، ولزم المحجة البيضاء، واغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزود من العمل . انتهى .

* * *

الأوصاف التى نصفه بها جل وعلا إنما هى على قدر عقولنا القاصرة، وأوهامنا الحاصرة ، ومجرى عاداتنا من وصف من نمجده بما هو عندنا وفى معتقدنا كمال ، أعنى أشرف طرفى النقيض لدينا ، وإلى هــذا النمط أشار الباقر محمد بن على عليهما السلام مخاطبا لبعض أصحابه : وهل سمى عالما قادرا إلا لأنه وهب العلم للعلماء ،

والقدرة للقادرين ، فكل ما ميزتموه بأوهامكم فى أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله تعالى زبانتين كما لها ، فإنها تتصور أن عدمهما نقص لمن لا يكونان له . وعلى هذا الكلام عبقة نبوية تعطر مشامّ أرواح أرباب القلوب ، كما لا يخفى ، وإليه ينعطف قول بعض العارفين فى أرجوزة له :

الحمدُ لله بقـــدر الله   لا قدرِ وُسع العبـد ذى التناهى
والحمد لله الذى من أنكرَهْ   فإنمـا أنـكر ما تصوَّرهْ

والحاصل أن جميع محامدنا له جل ثناؤه،وعظمت آلاؤه ، إذا نُظر إليها بعين البصيرة والاعتبار كانت منتظمة مع أقاويل ذلك الراعى الذى مر به موسى عليه السلام فى سلك ، ومنخرطةً مع الماء الذى أهداه ذلك الأعرابى إلى الخليفة فى عقد ، فنسأل الله تعالى قبول بضاعتنا المزجاة بجوده وامتنانه،وعفوه وإحسانه ، إنه جواد كريم ، رءوف رحيم .

أبو الفتح البستى :

إذا أبصرت فى لَفظى قصوراً   وحِفظى والبلاغةِ والبيانِ
فلا تعْجـل إلى لومى ،فرقصى   على مقـدار إيقاع الزّمان

إذا أردت أن تعرف الدائرة بالليل والنهار ، فضع درجة الشمس على مقنطرة الارتفاع ، وأعلم المرئىّ ، ثم على الأفق الشرقى والغربى ، وأعلمه ، وعد من العلامة الأولى إلى الأخيرة على التوالى فهو الدائر الماضى من النهار ، والباقى منه . وإن وضعت شظية الكوكب على مقنطرة ارتفاعه وأعلمت المرئىّ ، ثم درجة الشمس على الأفق الغربى والشرقى وأعلمته وعددت كما مر فهو الدائر الماضى من الليل والباقى منه .

سئل بعض البلغاء : ما أحسن الكلام ؟ فقال : الذى يسرع لفظه إلى أذنك كما يسرع معناه إلى قلبك . انتهى .

من الديوان المنسوب إلى على كرم الله وجهه :

من لم يكن عُنصُره طيبا لم يخرج الطيبُ من فيه
كل امرئ يشبهه فعلُه ويَنْضَحُ الكوز بما فيه

البستى :

قلت لطرْف الطبع لما وَنَى ولم يطع أمرى ولا زجرى
مالك لا تجرى وأنت الذى تحوى مدى العلياء إذْ تجرى
فقال لى دعْنى ولا تُؤذنى إلى متى أُجْرى بلا أجْر

[قنوت أفلاطون]

كان قنوت أفلاطون الإلٰهى هذه الكلمات : يا علة العلل ، يا قديما لم يزل ، يا منشئ مبادى الحركات الأول ، يا من إذا شاء فعل ، احفظ علىّ صحتى النفسانية ما دمت فى عالم الطبيعة .

[دُعاء فيثاغورس]

وكان دعاء فيثاغورس: ياواهب الحياة أنقذنى من درن الطبيعة إلى جوارك على خط مستقيم ، فإن المعوج لا نهاية له . كذا وجدت فى كتاب صحيح معتمد عليه .

إذا أردت أن تعرف عدد الساعات المستوية الماضية والباقية من الليل والنهار ، فخذ لكل خمسة عشر جزءا من الدائرة ساعة ، ولكل جزء مما دون الخمسة عشر أربع دقائق ، فالمجتمع هو الساعات والدقائق الماضية والباقية من الليل والنهار .

[دعاء]

اللهمّ إنى أسألك يامن احتجب بشُعاع نوره عن نواظر خلقه ، يا من تسربل بالجلال والكبرياء واشتهر بالتجبر فى قدسه، يامن تعالى بالجلال والكبرياء فى تفرّد مجده ، يا من انقادت الأمور بأزمّتها طوعا لأمره، يامن قامت السموات والأرض مجيبات لدعوته ، يا من زين السماء بالنجوم الطالعة وجعلها هادية لخلقه ، يامن أنار القمر المنير فى سواد الليل المظلم بلطفه ، يامن أنار الشمس المنيرة وجعلها معاشا لخلقه، وجعلها مفرقة بين الليل والنهار لعظمته ، يا من استوجب الشكر بنشر سحائب نعمه ، أسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وبكل اسم هُولك سميت به نفسك ، واستأثرت به فى علم الغيب عندك ، وبكل اسم هولك أنزلته فى كتابك ، أو أثبته فى قلوب الصافّين الحافّين حول عرشك ، فتراجعت القلوب إلى الصدور عن البيان بإخلاص الوحدانية ، وتحقق الفردانية مقرة لك بالعبودية ، وأنك أنت الله أنت الله لا إله إلا أنت، وأسألك بالأسماء التى تجليت بها للكليم ، موسى على الجبل العظيم ، فلما بدا شعاع نور الحجب من بهاء العظمة خرت الجبال متدكدكة لعظمتك وجلالك وهيبتك ، وخوفا من سطوتك راهبة منك ، فلا إله إلا أنت ، فلا إله إلا أنت، فلا إله إلا أنت ، وأسألك بالاسم الذى فتقت به رتق عظيم جفون العيون للناظرين، الذى به تُدبرت حكمتك وشواهد حجج أنبيائك ، يعرفونك بنظر القلوب وأنت فى غوامض مسرات سوائد القلوب، أسألك بعزة ذلك الاسم أن تصلى على محمد وآل محمد ، وأن تصرف عنى وأهل خزانتى وجميع المؤمنين والمؤمنات، جميعَ الآفات والعاهات ، والأعراض والأمراض،

والخطايا والذنوب ، والشك والشرك ، والكفر ، والنفاق ، والشقاق ، والضلالة والجهل ، والمقت والغضب، والعسر والضيق، وفساد الضمير وحلول النقمة ، وشماتة الأعداء، وغلبة الرجال ، إنك سميع الدعاء لطيف لما تشاء . انتهى .

***

قال بعضهم : لسنا على يقين من تشخيص مقدار ما نبصره ، ولا نقدر على تشخيص حجمه الذى هو عليه فى نفس الأمر ، وليس البصر مأمونا على ذلك ، ولا موثوقا بصدقه ، لأن المرئى كلما ازداد قربا ازداد عظما فى الحس، وكلما بعد ازداد صغرا . وأما حالة توسطه فى القرب والبعد فلسنا على يقين من أن حجمه فى الواقع هو حجمه المرئى فيها ، على أنا نحدس أن الهواء المتوسط بيننا وبين المبصر موجب لرؤية حجمه أعظم ، فلعله لو تحقق الخلاء لكان يرى أصغر . انتهى .

***

فى إجراء الماء من القنوات ، ومعرفة الموضع الذى يسير فيه على وجه الأرض : تقف على رأس البئر الأولى وتضع العضادة على خط المشرق والمغرب ، ويأخذ شخص قصبة يساوى طولها عمقه ، ويبعد عنك فى الجهة التى تريد سوق الماء إليها ناصباً للقصبة إلى أن ترى رأسها من ثقبتى العضادة ، فهناك يجرى الماء على وجه الأرض، وإن بعدت المسافة بحيث لا يرى رأس القصبة ، فأشعل فى رأسها سراجاً ، واعمل ما قلناه ليلا .

[طرق وزن الأرض]

ولوزن الأرض طرق عديدة أشهرها ما أورده صاحب النهاية ، وعسانا أن نذكره فى هذا المجلد من الكشكول .

للمعلم الثانى أبو نصر الفارابى :

أخى خل حيِّز ذى باطل   وكن والحقائقَ فى حيِّز

فما نحن إلا خطوطٌ وقعن على نقطة وقْعَ مستوفز
يُنافس هذا لهـذا على أقلّ من الـكلم الموجَز
محيطُ السموات أولى بنـا فما التزاحمُ فى المركز

[النفى يتوجه إلى القيد]

صرح كثير من محققى أئمة المعانى أن النفى إنما يتوجه إلى القيد إذا صح كون القيد قيداً فى الإثبات ، أما إذا لا فلا . فإذا قلت: زيد لا يحب المال محبة للفقر مثلا، لم يكن النفى متوجها إلى القيد كما لا يخفى ، وعلى هذا فلا احتياج إلى تأويل قول من قال : لم أبالغ فى اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه بترك المبالغة ، كما وقع فى المطول وغيره . تأمل .

من كتاب أنيس العقلاء : كان من عادة ملوك الفرس أنه إذا غضب أحدُهم على عالم حبسه مع جاهل .

ومن كلام بعض الحـكماء : دولة الجاهل عبرة العاقل .

روى عطاء عن جابر قال : كان رجل فى بنى إسرائيل له حمار ، فقال يارب لو كان لك حمار لعلفته مع حمارى ، فهمّ به نبى من أنبياء ذلك العصر ، فأوحى الله سبحانه إليه : إنما أثيبُ كلّ إنسان على قدر عقله .

سئل بعض الحـكماء : ما الزهد ؟ قال : هو أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود .

يوم العدل أشد على الظالم من يوم الظلم على المظلوم .

القرابة أحوجُ إلى المودة من المودّة إلى القرابة .

فى تقلب الأحوال تعلم جواهر الرجال .

روى محمد بن على الباقر عن أبيه عن أبيه عن أبيه أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين قال : كان فى الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه وتعالى ، فرفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به ، أما الأمان الذى رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الأمان الباقى فهو الاستغفار قال الله جل من قائل : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » قال صاحب نهج البلاغة : وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط .

لبعضهم :

ولدتك أمك يابن آدم باكيـــا والناس حولك يضحكون سرورا

فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا فى يوم موتك ضاحكاً مسرورا

قالت امرأة أيوب له ـ وقد اشتد به الحال ـ : هلا دعوت الله تعالى ليشفيك مما أنت فيه ؟ فقد طالت علتك ، فقال لها : ويحك لقد كنا فى النعماء سبعين سنة ، فهلمى نصبر على الضراء مثلها ، فمالبث يسيرا أن عوفى .

مكتوب فى التوراة : يا موسى من أحبنى لم ينسنى ، ومن رجا معروفى ألح فى مسألتى .

من النهج : أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز ، والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها اختبرتم ، ولغيرها خلقتم .

قال بعض العارفين : قد قطعت اليد وهى أعز جوارحك فى الدنيا لربع دينار ، فلا يأمن أن يكون عقابه فى الآخرة على هذا النحو من الشدة .

***

ما قيل فى أدب النفس : قال بعض الحكماء : إن النفس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة ، لا يستغنى بمحمودها عن التأديب ، ولا يكتفى بالمرضى منها عن التهذيب ؛ لأن لمحمودها أضداداً مقابلة ، يسعدها هوى مطاع وشهوة غالبة ، وإن أغفل تأديبها تفويضاً إلى العقل ، أو توكلا على أن ينقاد إلى الأحسن بالطبع، أعدمه التفويض درك المجتهدين ، وأعقبه التوكل ندم الخائبين ، فصار من الأدب عاطلا ، وفى سَوْرة الجهل داخلا .

قال بعض الحكماء : الأدب أحد المنصبين . وقال : الفضل بالعقل والأدب ، لا بالأصل والنسب ، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ، ومن قل عقله ضل أصله . وقال : حسن الأدب يستر قبح النسب . وهو وسيلة إلى كل فضيلة ، وذريعة إلى كل شريعة .

قال أعرابى لابنه : يابنى الأدب دعامة أيد الله بها الألباب ، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب ، والعاقل لا يستغنى – وإن صحت غريزته – عن الأدب المخرج زهرته ، كما لا تستغنى الأرض – وإن عذبت تربتها – عن الماء المخرج ثمرتها.

فى الحديث : إذا آخى أحدكم رجلا فليسأله عن اسمه واسم أبيه وقبيلته ومنزله فإنه من واجب الحق وصافى الإخاء ، وإلا فهى المودة الحمقاء .

نريد عددا إذا ضوعف وزيد على الحاصل واحد ، وضرب الكل فى ثلاثة ، وزيد على الحاصل اثنان ، ثم ضرب ما بلغ فى أربعة . وزيد على الحاصل ثلاثة بلغ خمسة وتسعين ، فبالجبر فرضناه شيئاً ، وعملنا ما قاله السائل ، فانتهى العمل إلى أربعة وعشرين شيئاً وثلاثة وعشرين عدداً ، يعدل خمسة وتسعين ، أسقطنا المشترك بقى أربعة وعشرون شيئا ، معادلا لاثنين وسبعين ، وهى الأولى من المفردات ، قسمنا العدد على عدد الأشياء خرج ثلاثة وهو المجهول ، وبالعمل بالعكس نقصنا من

الخمسة والتسعين ثلاثة ، وقسمنا الباقى على أربعة ، ونقصنا من الخارج اثنين، وقسمنا الباقى على ثلاثة ، ونقصنا من الخارج وهو السبعة واحدا ، ونصفنا الباقى ، وبالخطأين الفرض الأوّل اثنان الخطأ الأوّل أربعة وعشرون ناقصة الفرض الثانى خمسة الخطأ الثانى ثمانية وأربعون زائدة المحفوظ الأوّل ستة وتسعون، المحفوظ الثانى مائة وعشرون والخطآن مختلفان ، فقسمنا مجموع المحفوظين وهو مائتان وستة عشر على مجموع الخطأين وهو اثنان وسبعون ، خرج ثلاثة وهو المطلوب .

لقطرى بن الفجاءة :

أقولُ لها وقد هاجت وماجت	من الأعداء ويحك لا تراعى
فإنَّك لو سألت بقـــاءَ يوم	على الأجل الذى لك لن تُطاعى
فصبراً فى سبيل الموت صبرا	فمانيــل الخلود بمستطاع
سبيلُ الموت غاية كلِّ حى	وداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يغتبط يهرَم ويسأمْ	وتُسلمــه المنونُ إلى انقطاع
وما للمرء خيرٌ فى حيـــاة	إذا ما عُدّ من سَقَط المتاع

فى الفقه : ليس فيما ينفع البدن إسراف ، إنَّما الإسراف فيما أتلف المـــال وأضر البدن .

قوله تعالى : « ويقولون ياوَيْلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » قال فى الكشّاف عن ابن عباس: الصغيرة التبسم، والكبيرة القهقهة. وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال : ضجّوا والله من الصغائر قبل الكبائر .

قال بعض الحكماء : لا سرف فى الخير كما لا خير فى السرف .

روى قيس بن حازم أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما حضر أصابته

دهشة ورعدة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « هوّنْ عليك ، فإنما أنا ابنُ امرأةٍ كانت تأكلُ القديد » وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حَسْما لموادّ الكبر ، وقطعا لذرائع الإعجاب ، وكسرا لأشر النفس، وتذليلا لسطوة الاستعلاء.

ودخل عليه — صلوات الله عليه — عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فوجده على حصير قد أثر فى جنبه ، فكلمه فى ذلك ، فقال صلوات الله عليه وآله « مهلا ياعُمر أتظنها كِسروية » يريد صلى الله عليه وسلم أنها نبوّة لاملك .

فى الحديث « إذا بلغ الإنسان أربعين سنة ولم يتب مسحَ إبليس على وجهه وقال : بابى وجهٌ لا يفلح » .

فى بعض التفاسير ، فى قوله تعالى « وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » إنها أعمال كانوا يرونها حسنات فبدت لهم يوم القيامة سيئات .

تجالس اثنان من أهل القلوب ، فتذاكرا وتحادثا ساعة وبكيا ، فلما عزما على الافتراق قال أحدهما للآخر : إنى لأرجو أن لانكون جلسنا مجلسا أعظم بركة من هذا المجلس ، فقال الآخر : لكنى أخاف أن لانكون جلسنا مجلسا أضرّ علينا منه ، قال ولم ؟ قال : قصدتَ إلى أحسن حديثك فحدثتنى به ، وقصدتُ أنا إلى أحسن حديثى فحدثتك به ، فقد تزينتَ لى وتزينتُ لك ، فهكذا كانت ملاحظاتهم .

قال لقمان لابنه : يابنى اجعل خطاياك بين عينيك إلى أن تموت، وأما حسناتك فالهَ عنها فإنه قد أحصاها من لا ينساها .

فى الحديث : أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بهدية فذهب يلتمس وعاء يفرغها فيه فلم يجد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرغها فى الأرض ، ثم أكل صلوات الله عليه وآله منها وقال : « آكلُ كما يأكل العبد ، وأشرب كما

يشرب العبد ، لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء » .

[القيامة قيامتان]

ملخص من كتاب الصبر والشكر من الإحياء : القيامة قيامتان : القيامة الكبرى ، وهو يوم الحشر ويوم الجزاء ، والقيامة الصغرى وهى حالة الموت ، وإليها الإشارة بقول صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم « من مات فقد قامت قيامته » وفى هذه القيامة يكون الإنسان وحده ، وعندها يقال له « لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرة » وأما فى القيامة الكبرى الجامعة لأصناف الخلائق فلا يكون وحده . وأهوال القيامة الصغرى تحاكى وتماثل أهوال القيامة الكبرى ، إلا أن أهوال الصغرى تخصك وحدك ، وأهوال الكبرى تعم الخلائق أجمعين . وقد تعلم أنك أرضىّ مخلوق من التراب ، وحظك الخالص من التراب بدنك خاصة ، وأما بدن غيرك فليس حظك . والذى يخصك من زلزلة الأرض زلزلةُ بدنك فقط الذى هو أرضك ، فإن انهدمت بالموت أركانُ بدنك فقد زلزت الأرض زلزالها . ولما كانت عظامك جبال أرضك ، ورأسُك سماء أرضك ، وقلبك شمس أرضك ، وسمعك وبصرك وسائر حواسّك نجوم سمائك ، ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك ، فإذا رمّت العظامُ فقد نسفت الجبالُ نسفا ، وإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كوّرت الشمس تكويراً . وإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسّك فقد انكدرت النجوم . فإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا ، فإذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا ، فإذا التفّت إحدى ساقيك

بالأخرى ـ وهما مطيتاك ـ فقد عُطّلت العشار تعطيلا . فإذا فارق الروح الجسد فقد ألقت الأرض ما فيها وتخلت .

واعلم أن أهوال القيامة الكبرى أعظم بكثير من أهوال هذه القيامة الصغرى . وهذه أمثلة لأهوال تلك : فإذا قامت عليك هذه بموتك فقد جرى عليك ما كأنه جرى على كل الخلق ، فهى نموذج للقيامة الكبرى ، فإنّ حواسك إذا عطلت فكأنما الكواكب قد انتثرت ، إذ الأعمى يستوى عنده الليل والنهار ، ومن انشق رأسه فقد انشقت السماء فى حقه ، إذ من لا رأس له لا سماء له ، ونسبة القيامة الصغرى إلى القيامة الكبرى كنسبة الولادة الصغرى ـ وهى الخروج من الصلب والترائب إلى فضاء الرحم ـ إلى الولادة الكبرى ، وهى الخروج من الرحم إلى فضاء الدنيا . ونسبة سعة عالم الآخرة ـ الذى يقدم عليه العبد بالموت ـ إلى فضاء الدنيا ، كنسبة فضاء الرحم إلى فضاء الدنيا ، بل أوسع بما لا يحصى . انتهى .

على بن الجهم يمدح المتوكل :

عُيونُ المها بين الرُّصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

أعدنَ لىَ الشوقَ القديمَ ولم أكن ... سلوتُ ولكن زدن جمرا على جمر

سلمن وأسلمن القلوبَ كأنما ... تُشَكّ بأطراف المثقفة السمر

خليلىّ ما أحلى الهوَى وأمرّه ... وأعرفنى بالحلو منه وبالمرّ

كفى بالهوى شُغلا وبالشيب زاجرا ... لو آن الهوى مما يُنَهْنَه بالزجر

بما بيننا من حُرمة هل علمتما ... أرقَّ من الشكوى وأقسى من الهَجر

وأفضحَ عن عين المحب لسرِّه ... ولا سيما إن أطلقتْ عبرةً تجرى

وما أنسَ للأشياء لا أنسَ قولها ... لجارتها ما أولَعَ الحبَّ بالحر

فقالت لها الأخرى فما لصديقنا ... مُعنّى وهل فى قتله لكِ من عذر

صليه لعلَّ الوصلَ يُحييه واعلمى بأن أسير الحب فى أعظم الأمر
فقالت أذود الناسَ عنه وقلّما يطيب الهوى إلا لمنهتِك السِّتر
وأيقنَتا أن قد سمِعتُ فقالتا من الطارقُ المصغى إلينا وما ندرى
فقلت فتًى إن شئتما كتم الهوى وإلّا فخلّاعُ الأعنة والعذر
على أنه يشكو ظلوما وبخلَها عليه بتسليم البشاشة والبِشر
فقالت هجيناً قلت قد كان بعض ما ذكرت لعل الشر يُدفع بالشر
فقالت كأنى بالقوافى سوائرا يَردن بنا مِصرا ويصدرن عن مِصر
فقلتُ أسأت الظن بى لستُ شاعرا وإن كان أحيانا يجيش به صدرى
صِلى واسألى من شئت يخبِرْك أننى على كل حال نعم مستودعُ السر
وما أنا ممن سار بالشعر ذكرُه ولكنّ أشعارى يسيّرها ذكرى
وللشعر أتباع كثيرٌ ولم أكن له تابعا فى حال عُسْر ولا يُسر
ولكن إحسان الخليفة جعفرٍ دعانى إلى ما قلتُ فيه من الشعرِ
فسار مسير الشمس فى كل بلدةٍ وهبَّ هبوب الريح فى البر والبحر
ولو جلّ عن شكر الصنيعة منعمٌ لجل أمير المؤمنين عن الشكر
ومن قال إن البحر والقَطر أشبها نداه فقد أثنى على البحر والقَطر

من التبيان: قوله تعالى «ولا تقتلُوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم» قدمهم فى الوعد بالرزق على أولادهم لكون الخطاب مع الفقراء بدليل قوله من إملاق، فكان رزق أنفسهم أهم، بخلاف قوله تعالى «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم» فإن المخاطبين أغنياء بدليل قوله خشية إملاق.

* * *

لو وجد الجزء للزم صحة كون قُطر الفلك الأعلى ثلاثة أجزاء، لأنا نفرض قطرا وعن جنبيه وتران ملاصقان له، ثم قطع الثلاثة بقطر مار، من طرف أحد الوترين

إلى طرف الآخر فهو مركب من ثلاثة أجزاء لعدم إمكان التقاطع على أكثر من جزء .

اعترض بعض الأعلام بالاستغناء عن أحد الوترين وحينئذ يلزم كون قطر الفلك جزأين وهو أبلغ . وللجامع الكتاب فيه نظر ؛ لأن الخط الثالث هنا ليس قطرا ، بخلاف الرابع ، والمحذور كون القطر ثلاثة أجزاء ، واللازم من هذا كون الوتَر جزأين ، ويظهر من عدم قطريته من لزوم مروره بالمركز اعوجاجُه لانطباق نصفه على الوتر ونصفه على القطر ، تأمل .

ربما يخبر من يغلب عليه الماليخوليا والسوداء ، واستحكم جنونه عن أمور غيبية فيكون كما أخبر ، وسبب ذلك أن المِرَّة السوداء إذا استولت على الدماغ أذهبت التخيل وحلت الروح المنصبُّ فى وسط الدماغ هو آلته بسبب كثرة الحركة الفكرية اللازمة لها . وإذا وهن التخيل سكن عن التصرف، فتتفرغ النفس عنه ، فإنها لا تزال مشغولة بالتفكر فيما يرد عليها من الحواس باستخدام التخيل ، وعند سكونه ووهنه يحصل لها الفراغ لتعطل الحركة الفكرية ، فتتصل بالعوالم ، العالية القدسية بسهولة ، فيفيض عليها سانح غيبي مما يليق بها من أحوالها وأحوال ما يقرب منها من الأهل والولد والبلد وينتقش فيها، وذلك غيب، فإن انطباع ذلك فيها كانطباع الصور من مرآة فى مرآة أخرى تقابلها عند ارتفاع الحجاب بينهما . انتهى .

* * *

كل حيوان يتنفس باستنشاق الهواء فهو إنما يتنفس من أنفه فقط، إلا الإنسان فإنه يتنفس من أنفه وفيه معا . وسبب ذلك الإنسان يحتاج إلى الكلام بتقطيع

حروف مخرجُ بعضها الأنف فيحتاج إلى نفوذ الهواء فيه . وقد فتح بَيْطارٌ فم فرس بآلة سدت منخريه فمات على المكان . والإنسان أضعف شما من سائر الحيوان فهو يحتال على إدراك الرائحة بالتسخين تارة، وبالحك وتصغير الأجزاء أخرى وعند أعلى الأنف منفذان دقيقان جدا ينفذان إلى داخل العينين بحذاء الموق ، وفيهما تنفذ الروائح الحادة إلى داخل العينين ، فلذلك تتضرر العينان برائحة الصنان، وتدمع من شم البصل ونحوه . ومن هذين المنفذين تنفذ الفضول الغليظة التى فى داخل العينين وهى التى تجهد عند الاندفاع بالدموع ، وإذا حدث لهذين المنفذين انسداد كما فى الغرب كثرت الفضول ، فكثرت أمراض العين لذلك . انتهى .

الخلاف مشهور فى أن رؤية الوجه مثلا فى الصقيل هل هو بالانعكاس عنه أو بالانطباع فيه . والأدلة من الجانبين لا تكاد تسلم من خدش. وللجامع الكتاب دليل على أنه بالانطباع لا بالانعكاس، وهو أن التجربة شاهدة برؤية المستوى فى المرآة معكوسا والمعكوس مستويا ، مثلا الكتابة ترى فى المرآة معكوسة ، ونقش الخاتم يرى مستويا ، وهذا يعطى الانطباع كما ترسم الكتابة من ورقة على أخرى، فترى معكوسة، ويختم بالخاتم فيرى الختم مستويا، ولو كان بالانعكاس لرئى على ما هو عليه إذ المرئى على القول بالانعكاس هو ذلك الشيء بعينه ، إلا أن الرائى يتوهم أنه يراه مقابلا كما هو المعتاد تأمل . انتهى .

[دعاء الحجاج عند موته]

قال الحجاج عند موته : اللهم اغفر لى فإنهم يقولون إنك لا تغفر لى . وكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ، ولما حكى ذلك للحسن البصرى قال : أو قالها ؟ فقيل: نعم ، فقال: عسى .

رأى الشبلى صوفيا يقول لحجام: احلق رأسى لله ، فلما حلقه دفع الشبلى للحجام أربعين دينارا وقال : خذها أجرة خدمتك هذا الفقير ، فقال الحجام : إنما فعلت ذلك لله ، ولا أُحلّ عقدا بينى وبينه بأربعين دينارا ، فلطم الشبلى رأس نفسه وقال كل الناس خير منك حتى الحجام . انتهى .

الإمام الرازى فى تفسيره الكبير، فى تفسير قوله تعالى « يوصيكمُ الله فى أولادكم للذكر مثلُ حظ الأنثيين » بعد أن نقل الحديث الذى رواه أبو بكر رضى الله عنه « نحن معاشرَ الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » قال يحتمل أن يكون قوله ما تركناه صدقة صلةً لقوله لا نورث ، والتقدير : أن الشىء الذى تركناه صدقة لا يورث ، ويكون المراد أن الأنبياء إذا عزموا على التصدق بشىء فبمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم . انتهى .

قال طاوس : كنت فى الحجر ليلة إذ دخل على بن الحسين رضى الله عنهما ، فقلت رجلٌ من أهل بيت النبوّة والله لأسمعن دعاءه ، فسمعته يقول فى أثناء دعائه : عُبَيدُك بفنائك ، سائل بفنائك ، مسكينك بفنائك . قال طاوس : فما دعوت الله بهذه إلا وفرج الله عنى . انتهى .

من كلام بطليموس : المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح .

كان ابن أبى صادق الطبيب حسن الشمائل ، مهذب الأخلاق ، متقنا لأجزاء الحكمة ، دعاه السلطان إلى خدمته ، فأرسل إليه : إن القنوع بما عنده لا يصلح لخدمة السلطان ، ومن أكره على الخدمة لا ينتفع بخدمته .

الشريف الرضى :

أسيغ الغيظ من نُوبِ الليالى ولا يشعرن بالخنقِ المغيظِ
وأرجو الرزق من خَرْق دقيقٍ يُسدُّ بسلكِ حرمان غليظِ

وأرجعُ ليس فى كفىَّ منــهُ سوى عضٌ اليدَيْنَ على الحظوظِ

ابن المعتز :

ودمعةٌ كاللؤلؤ الرطـ ـبِ على الخدّ الأسيلِ

هطلت فى ساعة البَيْـ ـن من الطّرف الكحيل

حين هم القمر الزا هر عنــا بالأفول

إنما يفتضحُ العـا شقُ فى وقتِ الرّحيلِ

الرياشى :

لم يبـق من طلب العُلا إلا التعرض للحُتــوف

فلأقـذفنّ بمهجتى بين الأسنـة والسُّيوف

ولأطلُـبنّ ولو رأيــتُ الموت يلمع فى الصفــوف

لبعضهم :

الدهرُ لا يبقى على حالةٍ لـكنّه يُقبل أو يُدبر

فإن تلقّاك بمـكروهِهِ فاصبر فإن الدهرَ لا يَصبرُ

مما قيل فى تفضيل الموت على الحياة : قال بعض السلف : ما من مؤمن إلا والموت خيرٌ له من الحياة ؛ لأنه إن كان محسنا فالله تعالى يقول : « وما عند اللهِ خيرٌ وأبقى للذين آمنوا » وإن كان مسيئا فالله تعالى يقول : « ولا يحسبنّ الذين كفروا أنمـا نُملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نُملى لهم ليزدادُوا إثماً » .

وقال الفلاسفة : لا يُـكمل الإنسانُ حد الإنسانية إلا بالموت .

وقال بعض الشعراء :

جزى اللهُ عنا الموتَ خيراً فإنه أبرُّ بنــا من كل برّ وأرأفُ

يعجلُ تخليصَ النفوس من الأذى ويُدنى من الدار التى هى أشرفُ

وقال أبو العتاهية :

المرء يأمُل أن يعيش وطولُ عمر قد يضرّهْ
تفنى بشاشتهُ ويبقى بعد حُلو العيش مرّهْ
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئاً يسرّهُ

لجامع الكتاب :

إن هذا الموتَ يكرهُه كلُّ من يمشى على الغبْرا
وبعينِ العقل لو نظروا لرأوهُ الراحةَ الكبرى

من الملل والنحل عند ذكر زيتون الأكبر قال : قيل له وقد هرم : كيف حالك ؟ قال : هو ذا أموت قليلا قليلا على مهل . قيل له : فإذا مت فمن يدفنك ؟ قال : من تؤذيه جيفتى .

الوزير المهلب لما نكب :

ألا موتٌ يُباع فأشتريه فهذا العيشُ مالا خير فيه
جزى اللهُ المهيمنُ نفسَ حر تصدّق بالوفاة على أخيه
إذا أبصرتُ قبرا قلت شوقاً ألا ياليتنى أمسيتُ فيه

من أعظم الآفات العُجبُ ، وهو مهلك كما ورد فى الحديث، قال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » .

[ظهور النار بخارج المدينة]

قال اليافعى فى تاريخه فى سنة ٥٥٤ كان ظهور النار بخارج المدينة النبوية ، وكانت من آيات الله تعالى ؛ ولم يكن لها حر على عظمها وشدّة ضوئها ، وهى التى أضاءت لها

أعناقُ ، الإبل ببُصرى ، فظهرت بظهورها المعجزة العظمى التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان نساء المدينة يغزلن على ضوئها بالليل ، وبقيت أياما ، وظن أهلُ المدينة أنها القيامة ، وضجوا إلى الله تعالى ، وكان ظهورها فى جمادى الآخرة ، وكانت تأكل كل ما تأتى عليه من أحجار أو رمال ، ولا تأكل الشجر ، ولم يكن لها حر وذهب إليها بعض غلمان الشريف صاحب المدينة ، فأدخل فيها سهما فأكلت النارُ نصله ثم قلبه وأدخله فيها فأكلت ريشه وبقى العود بحاله . قال بعضهم : إن علة عدم أكلها للشجر كونُه فى حرم المدينة النبوية . قال صاحب التاريخ : والظاهر أن السهم لم يكن من شجر الحرم ، لأن شجره لا يصلح للسهام . ولعل السرّ أن هذه النار لما كانت آية من آيات الله العظام جاءت خارقة للعادة ، فخالفت النار المعهودة . وكانت تثير كل ما مرت عليه فيصير سدًّا لا يُسلك فيه حتى سدت الوادى الذى ظهرت فيه بسد عظيم بالحجر المسبوك بالنار . انتهى .

لبشار :

خيرُ إخوانك المشاركُ فى المُـــرّ وأين الشريكُ فى المُرِّ أينـــا
الذى إن شهدت سَرّكَ فى الحـــىّ وإن غبت كان سمعا وعينا
أنت فى معشر إذا غبتَ عنهم بدّلوا كلّ ما يَزينك شَينا
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم البرايا علينـــا
ما أرى للأنام ودًّا صحيحا صار كلُّ الوداد زورا ومَينا

قال بعض العرب : إذا متُّ أين يُذهب بى ؟ فقيل إلى الله ، فقال ما أكره أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه . وقد حام حول هذا المعنى أبو الحسن التّهامى فى مرثية لابنه حيث يقول :

أبكيـــه ثم أقول مُعتذراً له وُفّقتَ حيث تركتَ ألأمَ دار

جاوزتُ أعدائى وجاور ربّه شتّان بين جِواره وجوارى

خلا أعرابى بامرأة فلم تنتشر له آلة ، فقالت : قم خائبا ، فقال : الخائب من فتح الجراب ولم يَكتَلْ له .

إسماعيل الدهان :

خفْ إذا أصبحت ترجُو وارجُ إن أصبحتَ خائفْ
ربَّ مكروهٍ مُخافٍ فيه لله لطائفْ

سعد بن عبد العزيز :

يا من تكلّف إخفاء الهوى جلداً إن التكلف يأتى دونه الكلف
وللمحب لسانٌ من شمائله بما يجنُّ من الأهواء يعترِف

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أسرّ المرء سريرة إلا ألبسه الله رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر » أخذه بعض الأعراب فقال :

وإذا أظهرتَ أمرا مُحسَناً فليكن أحسنَ منه ما تُسِر
فمسِرُّ الخير موسومٌ به ومُسِر الشرّ مَوسوم بشر

ولّى الحجاج أعرابيا ولاية ، فتصرف فى الخراج فعزله ، فلما حضر قال له : ياعدوّ الله أكلت مال الله ، فقال الأعرابى : ومال من آكل إن لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس على أن يعطينى فَلسا واحداً فلم يقبل . فضحك وعفا عنه .

[إثبات الجزء]

ليس لمثبتى الجزء حجة أقوى من حكاية وضع الكرة على السطح المستوى ، إذ لو انقسم موضع الملاقاة لوصل من طرفيه إلى مركزها ليحدث مثلث متساوى

الساقين ، ويخرج من ملاقاة القاعدة عمود إلى المركز ، فالخطوط الثلاثة الخارجة من المركز إلى المحيط متساوية ؛ لأنها كذلك ، ويلزم أطوله الساقين من العمود لأنهما وتر القائمتين ، وهو وتر الحادثين . انتهى .

دخل حريم الناعم على معاوية فنظر إلى ساقيه فقال : أى ساقين هما ؟ لو كانا لجارية . فقال حريم فى مثل عجيزتك يا معاوية . فقال معاوية : واحدة بواحدة والبادىء أظلم .

[أمثال عربية]

من الكلمات الجارية مجرى الأمثال الدائرة على الألسنة : الغريب من ليس له حبيب ، إذا نزل القدر عمى البصر . ما الإنسان إلا بالقلب واللسان . الحر حُرٌّ وإن مسه الضر . العبد عبد وإن ساعده جد . الاعتراف يهدم الاقتراف . بعض الكلام أقطع من الحسام . البطنة تُذهب الفطنة . المرأة ريحانة وليست قهرمانة . إذا قدم الإخاء سمج الثناء . لكل ساقطة لاقطة .

لما مات الإسكندر وضعوه فى تابوت من ذهب وحملوه إلى الإسكندرية ، وندبه جماعة من الحكماء يوم موته ، فقال بطليموس : هذا يوم عظيم العبرة ، أقبل من شره ما كان مدبرا ، وأدبر من خيره من كان مقبلا .

وقال ميلاطوس : خرجنا إلى الدنيا جاهلين ، وأقمنا فيها غافلين ، وفارقناها كارهين .

وقال أفلاطون الثانى : أيها الساعى المغتصب ، جمعت ما خذلك ، وتوليت ما تولى عنك ، فلزمتك أوزاره ، وعاد إلى غيرك مهنؤه وثماره .

وقال مسطور : قد كنا بالأمس نقدر على الاستماع ولا نقدر على الكلام ، واليوم نقدر على الكلام ولا نقدر على الاستماع .

وقال ثاون : انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى، وإلى ظل للغمام كيف انجلى .

وقال آخر : ما سافر الإسكندر سفراً بلا أعوان ولا عدّة غير سفره هـذا .

وقال آخر : لم يؤدّبنا بكلامه كما أدبنا بسكوته .

وقال آخر : قد كان بالأمس طاعته علينا حياة ، واليوم النظر إليه سقم .

وقع فى كلام بعض الأفاضل : أن بدل الغلط لا يوجد فى فصيح الـكلام ، بخلاف أخويه ، قال : ولذلك لم يوجد فى القرآن العزيز . انتهى . وفى كلامه هذا شىء ، فإن عدم وقوع بدل الغلط فى القرآن لاستحالة الغلط عليه سبحانه ، لا لما قاله هذا القائل .

قال بعض حكماء الإشراق : إنا والله لنـكره أن تشتغل الناس بهذه العلوم ، فإن المستعدين لها قليلون ، والمتفرغون من المستعدين لها أقل ، والصابرون من المتفرغين أقل .

مرض نصر فعاده أبو صالح وقال : مسح الله ما بك ، فقال له نصر : قل مصح بالصاد ، فقال له أبو صالح السين تبدل من الصاد كما فى الصراط وصقر ، فقال له نصر : إن كان ذلك فأنت إذن أبو سالح، فَخجِل من كلامه . انتهى .

[الاستـكثار من الألفاظ الغريبة]

صاحب المثل السائر، بعد أن شدد النكير و بالغ فى التشنيع على الذين يستـكثرون فى كلامهم من الألفاظ الغريبة المحتاجة إلى التفتيش والتنقير فى كتب اللغة ، أورد أبيات السموءل المشهورة التى أولها :

إذا المرء لم يَدنَس من اللؤم عرضُه   فـكلّ رداء يرتديه جميلُ

أوردتها فى المجلد الرابع ، ثم قال إذا نظرنا إلى ما تضمنته من الجزالة خلناها

زبرا من الحديد، وهى مع ذلك سهلة مستعذبة غير فظة ولا غليظة ، ثم قال : وكذلك ورد للعرب فى جانب الرِّقة ما يكاد يذوب لرقته، وأورد الأبيات المشهورة لعروة ابن أذينة التى أولها :

إن التى زعمت فؤادكَ ملّهـــا خُلِقَتْ هواك كما خُلِقْتَ هوى لها

ثم قال : ومما يُرقص الأسماع ، ويرف على صفحات القلوب قول يزيد ابن الطثرية :

بنفسِيَ من لو مرّ بردُ بنانه على كبدى كانت شفاء أناملُهْ
ومن هابنى فى كل شىء وهِبتُهُ فلا هو يُعطينى ولا أنا سائلُهْ

ثم قال : إذا كان ذا قول ساكن فى الفلاة لا يرى إلا شيحه أو قيصومه ، ولا يأكل إلا ضبًّا أو يربوعا ، فما بال قوم سكنوا الحضر ، ووجدوا رقة العيش، يتعاطون وحشىّ الألفاظ وشظف العبارات. ثم قال : ولا يخلد إلى ذلك إلا جاهل بأسرار الفصاحة، أو عاجز عن سلوك طريقها، فإن كل أحد يمكنه أن يأتى بالوحشى من الكلام ، وذلك بأن يلتقطه من كتب اللغة أو يتلقفه من أربابها . ثم قال : هذا العباس بن الأحنف قد كان من أوائل الشعراء فى الإسلام، وشعره كمر النسيم على عذبات الأغصان ، أو كلؤلؤاتِ طلٍّ على طرر ريحان، وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج إلى استخراجها من كتب اللغة ، فمن ذلك قوله :

وإنى ليرضينى قليـــلُ نوالـكم وإن كنتُ لا أرضى لـكم بقليلِ
بحرمة ما قد كان بينى وبينـكم من الودّ إلا عدتم بجميـــل

وهكذا ورد قوله فى فَوْز التى كان يشبّب بها فى شعره :

يا فوز يا مُنيةَ عبـــاس قلبى يُفَدّى قلبَكِ القاسى
أسأتُ إذ أحسنتُ ظنّى بكم والحزم سوء الظنِّ بالناس

يُقلقُنى الشوقُ فآتيكم والقلبُ مملوءٌ من اليأس

وهل أعذب من هذه الألفاظ ، وأرشق من هذه الأبيات ، وأعلق فى الخاطر ، وأسرى فى السمع . ولمثلها تخف رواجح الأوزان ، وعلى مثلها تسهر رواقد الأجفان ، وعن مثلها تتأخر السوابق عن الرِّهان ، ولم أجرها بلسانى يوما من الأيام إلا تذكرت قول أبى الطيب المتنبى :

إذا شاء أن يلهو بلحيــة أحمق أراه غُبارى ثم قال له الحق

ومن الذى يستطيع أن يسلك هذه الطريقَ التى هى سهلة وعرة ، قريبة بعيدة .

وهذا أبو العتاهية كان فى غرة الدولة العباسية وشعراء العرب إذ ذاك كثيرون ، وإذا تأملت شعره وجدته كالماء الجارى رقة ألفاظٍ ، ولطافة سبكٍ . وكذلك أبو نواس .

ثم قال : ومن أشعار أبى العتاهية الرقيقة قوله فى قصيدة يمدح بها المهدى ويشبب بجاريته عتب . وكان أبو العتاهية يهواها :

أَلا مالسيّدتى مالَها تُدلّ فأحمل إدلالَها

لقد أتعبَ اللهُ قلبى بها وأتعبَ فى اللوم عذّالَها

كأنّ بعينىّ فى حيثُما سلكتُ من الأرض تمثالَها

ومنها فى المديح قوله :

أتتهُ الخلافةُ منقادةً إليه تُجرجِرُ أذيالَها

فلَم تكُ تصلحُ إلا لهُ ولم يك يصلحُ إلا لها

ولو رامَها أحدٌ غيرُه لزلزلَت الأرضُ زلزالَها

ويحكى أن بشاراً كان حاضرا عند إنشاد أبى العتاهية هذه الأبيات فقال :

انظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن كرسيه ؟ ولعمرى إن الأمر كما قال بشار .

واعلم أن هذه الأبيات من رقيق الشعر غزلا ومديحا، فقد أذعن لها شعراء ذلك العصر وناهيك بهم. ومع ذلك فإنك تراها من السلاسة واللطافة فى أقصى الغايات. وهذا هو الكلام الذى يسمى السهل الممتنع فتراه يطيعك ، وإذا أردت مماثلته يروغ عنك كما يروغ الثعلب ، وهكذا ينبغى أن يكون الكلام ، فإن خير الكلام ما دخل فى الأذن بغير إذن ، وأما البداوة والتوعّر فى الألفاظ فتلك أمّة قد خلت ، ومع ذلك فقد عيب على مستعمليها فى ذلك الوقت أيضا . اه

قال ابن عباس لرجل فى يده درهم : ليس لك حتى يخرج من يدك .

ومن هذا أخذ الشاعر قوله :

أنت للمالِ إذا أمسكتَه فإذا أنفقتَه فالمال لكْ

وقد حام حول هذا المعنى الحريرى حيث يقول :

وشرُّ ما فيه من الخلائق[1] أن ليسَ يُغنى عنك فى المضايق

* إلّا إذا فرّ فرار الآبقِ *

قال بعض الأعراب : مالُك إن لم يكن لك كنت له .

قال بشار : ما من شعر تقوله امرأة إلا وفيه سمة الأنوثة . قيل له : فما تقول فى الخنساء؟ قال : لا ، تلك لها أربع خُصى .

وللخنساء فى أخيها صخر :

فما بلغتْ كفُّ امرئٍ متناوِلٍ من المجد إلا حيثُ[2] ما نلتَ أطول

---

(١) الخلائق : جمع خليقة، وهى بمعنى الخلق الذى يجمع على أخلاق، والخليقة والخلق بمعنى الصفة ، سواء كانت مذمومة أو ممدوحة .

(٢) كانت فى المطبوعة : « إلا كانت مانلت » والتصحيح من ديوان الخنساء ص ٦٥ وجاء فى البيت الثانى : « ولا صدقوا إلا الذى فيك » بدل : « وإن أكثروا إلا وما فيك » .

ولا بلغ المهدون فى القول مِدحةً وإن أكثروا إلّا وما فيك أفضل

فى المثل : جاءوا على بكرة أبيهم . هذا مثل يضرب للجماعة إذا جاءوا كلهم ولم يتخلف منهم أحد . والبكرة : الفتية من الإبل . وأصل هذا المثل أنه كان لرجل من العرب عشرة بنين ، فخرجوا إلى الصيد ، فوقعوا فى أرض العدوّ ، فقتلوهم ووضعوا رءوسهم فى مخلاة ، وعلقوا المخلاة فى رقبة بكرة كانت لأبى المقتولين ، فجاءت البكرة بعد هدأة من الليل ، فخرج أبوهم وظن أن الرؤوسَ بيضُ النعام وقال قد اصطادوا نعاما وأرسلوا البيض ، فلما انكشف الأمر قال الناس : جاء بنو فلان على بكرة أبيهم .

من ملح العرب العرباء : غزا أعرابى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ماذلت فى غزاتك هذه ؟ فقال وضع عنا نصفُ الصلاة ونرجو إن غزونا أخرى أن يوضع عنا النصف الآخر .

[الجزء الذى لا يتجزأ]

البرهان السلّمى على نفى الجزء الذى لا يتجزأ : لو وجد الجزء لكان ضلعا المثلث كالثالث ، وهو باطل بالشكل الحمارى ؛ لأنا نفرض سلّما على حائط بين أسفله ورأس السلم عشرة أذرع مثلا ، وكذا بين سفليهما ، ثم يجر السلّم على الأرض ، فهو مماسّ برأسه الحائط بحيث تعظم قاعدة المثلث آنا فآنا ، فكلما قطع على الأرض جزءا قطع رأسه على الحائط جزءا وهكذا . فإذا قطع عشرة أجزاء انطبق السلم على قاعدة المثلث ، فكان السلّم عشرين ذراعا ، فساوى مجموع الضلعين وهو محال .

قولهم انطباق مركز ثقل الأرض علىُ مركز العالم — على ماهو التحقيق — يستلزم حركة الأرض بجملتها بسبب تحرك ثقيل عليها ، يريدون تحركها إلى خلاف جهة

تحرك الثقيل ، كما يظهر بأدنى تحيل ، لا إلى جهة حركته كما ظنه بعض الفضلاء . انتهى .

[ذكاء عربى]

حكى الأصمعى قال: كنت أقرأ « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديَهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله والله غفور رحيم » وبجنبى أعرابى فقال: كلام من هذا ؟ فقلت كلام الله ، قال أعد فأعدت ، فقال ليس هذا كلامَ الله ، فانتبهت ، فقرأت والله عزيز حكيم . فقال : أصبت ، هذا كلام الله . فقلت أتقرأ القرآن ؟ قال لا ، فقلت من أين علمت ؟ فقال : يا هـــذا ، عزّ فحكم ، فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع . انتهى .

قال بعض الحكماء : من شرف الفقر أنك لا تجد أحدا يعصى الله ليفتقر ، وأكثر ما يعصى المرء ليستغنى ، أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

إنك تعصى لتنالَ الغنى ولستَ تعصى الله كى تفتقرْ
يا غائب الفقر ألا تنزجر عيبُ الغنى أكثر لو تعتبرْ

[فى الهندسة]

البرهان الترسى : تفرض جسما مستديرا كالترس ، وتقسمه ثلاثة خطوط متقاطعة على المركز إلى ستة أقسام متساوية ، فكلّ من الزوايا الست الواقعة حول المركز ثلثا قائمة ، والانفراج بين ضلعى كل بقدر امتداده ، إذ لو وصل بين طرفيهما بمستقيم لصار مثلثا متساوىَ الأضلاع ؛ لأن زوايا كل مثلث كقائمتين ، والساقان متساويتان ، فالزوايا متساوية ، فالأضلاع كذلك ، فلو امتد الضلعان إلى غير النهاية

لكان الانفراج كذلك ، مع أنه محصور بين حاصرين . انتهى .

قال بعض الحكماء : من ضاق قلبه اتسع لسانه .

ومن كلامهم : ينبغى للعاقل أن يجمع إلى عقله عقل العقلاء ، وإلى رأيه رأى الحكماء ، فإن الرأى الفذّ ربما زلّ ، وإن العقل الفرد ربما ضل .

قال الحسن البصرى : يامن يطلب من الدنيا مالا يلحقه ، أترجو أن تلحق من الآخرة مالا تطلبه ؟

ومن كلامهم : أنت إلى مالا ترجو أقربُ منك إلى ماترجو .

من كلام أبى الفتح البستى : من أصلح فاسده أرغم حاسده . عادات السادات سادات العادات . من سعادة جدّك وقوفك عند حدك . الرّشوة رشاء الحاجة . اشتغل عن لذّاتك بعمارة ذاتك .

من التوراة : من لم يؤمن بقضائى ، ولم يصبر على بلائى ، ولم يشكر نعمائى ، فليتخذ ربا سوائى . من أصبح حزينا على الدنيا ، فكأنما أصبح ساخطا علىّ . من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه . يا ابن آدم مامن يوم جديد إلا ويأتى إليك من عندى رزقك . وما من ليلة جديدة إلا وتأتى إلىّ الملائكة من عندك بعمل قبيح ، خيرى إليك نازل ، وشرك إلىّ صاعد . يابنى آدم أطيعونى بقدر حاجتكم إلىّ ، واعصونى بقدر صبركم على النار . واعملوا للدنيا بقدر لبثكم فيها . وتزودوا للآخرة بقدر مكثكم فيها . يابنى آدم زارعونى ، وعاملونى ، وأسلفونى أربحكم عندى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ياابن آدم أخرج حُب الدنيا من قلبك فإنه لايجتمع حب الدنيا وحبى فى قلب واحد أبدا . ياابن آدم اعمل بما أمرتك ، وانته عما نهيتك أجعلك حيا لاتموت أبدا . ياابن آدم إذا وجدت قساوة فى قلبك ، وسقما فى جسمك ، ونقيصة فى مالك ، وحريمة فى رزقك ، فاعلم

أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك . ياابن آدم أكثر من الزاد فالطريق بعيد، وخفف الحمل فالصراط دقيق . وأخلص العملَ فإن الناقد بصير . وأخّر نومك إلى القبور، وفخرك إلى الميزان ، ولذّاتك إلى الجنة، وكن لى أكن لك . وتقرب إلىّ بالاستهانة بالدنيا تبعد عن النار . ياابن آدم : ليس من انكسر مركبه وبقى على لوح فى وسط البحر بأعظم مصيبة منك ؛ لأنك من ذنوبك على يقين ، ومن عملك على خطر .

قال فى التبيان ، فى قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » إن قوله اشتروا استعارة تبعية ، وما ربحت تجارتهم ترشيح . وقوله وما كانوا مهتدين تجريد .

وقال الطيبى أيضا فى التبيان فى فن البديع: إن قوله وما كانوا مهتدين، إيغال، قال لأن مطلوب التجار فى متصرفاتهم سلامة رأس المال والربح، وربما تضيع الطلبتان وتبقى معرفة التصرف فى طرق التجارة ، فيتحيل لطرق المعاش ، وهؤلاء أضاعوا الطلبتين ، وضلوا الطريق فدمروا ، ونحو ذلك قاله فى الكشاف .

قال جامع الكتاب : كلام الطيبى فى الاستعارة يعاند كلامه فى الإيغال، لأن ما ذكره فى الإيغال يقتضى أن يكون قوله تعالى : « وما كانوا مهتدين » ترشيحا لا تجريدا ، وهو الحق ، إذ الحمل عليه يكسب الكلام رونقا وطلاوة لا يوجدان فيه لو حمل على التجريد كما لا يخفى على من له دراية فى أساليب الكلام ، فقوله بالتجريد باطل ، وعن حلية الحسن عاطل .

وأقول أيضا : القول بأنه إيغال باطل أيضا؛ لأن الإيغال - كما ذكروه - ختم الكلام بنكتة زائدة يتم المعنى بدونها ، وهو معدود من الإطناب، ومثلوا له بقوله تعالى : « اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون » فإن الرسول مهتد لا محالة ، لكن فيه زيادة حث على الاتباع ، كذا قالوا . وقوله تعالى : « وما كانوا مهتدين »

ليس من هذا القبيل كما لا يخفى ، فالحق أنه ترشيح ليس إلا ، وأن كلامى الطيبى متعارضان ، والمتعارضان ساقطان ، فليتأمل .

قال الأحنف بن قيس : سهرت ليلة فى طلب كلمة أرضى بها سلطانى ولا أسخط بها ربى فما وجدتها .

الصلاح الصفدى :

كيف يزور الخيالُ طرْفا ... أبراه منكم جفًا وبينُ
والنوم قد غاب مُنذ غِبتم ... ولم تقعْ لى عليه عين

وله :

أفدى حَبيبا إن أقلْ لك إنه ... بدرٌ فصدّقنى عليه ولا تَسلْ
وجهٌ حلا إذ أثر الجدرىّ فى ... وجَناته فكأنه قُرص العسلْ

قال فى التحفة : لو جعل للأفق دائرةٌ يرسمها الخط الخارج من البصر ، مماسا للأرض ، منتهيا إلى السماء ، يكون الظاهر من الفلك أكثرَ من الخفى بأربع دقائق وست وعشرين ثانية إن كانت قامة الشخص الخارج الخطُّ من بصره ثلاثة أذرع ونصفا على ما بينه ابن الهيثم فى رسالته ، فى أن الظاهر من السماء أكثر من نصفها .

قال بعض الحكماء فى مدح السفر : ليس بينك وبين البلاد رحم ، فخير البلاد ما حملك .

قال بعض الحكماء : إن الله لم يجمع منافع الدارين فى أرض ، بل فرقها .

لبعضهم :

ليس ارتحالُك ترتادُ العُلا سفرا ... بل المُقامُ على خسف هو السفرُ

غيره :

أشدّ من فاقة الزمان ... مقامُ حرٍّ على هوان

فاسترزق الله واستعِنْه ... فإنه خير مستعانِ
وإن نبا منزلٌ بحُرّ ... فمن مكان إلى مكانِ

ومما كتبه والدى إلىّ :

خفِ الفقرَ ملتمسا للغنى ... فبالفقرِ كم من فقارٍ كسيرْ
وفى كل أرض أنخ برهة ... فإن وافقتْك وإلا فسِرْ
فما الأرض محصورة فى هراة ... ولا الرزق فى وقفها منحصِرْ

الصولى يمدح ابن الزيات :

أسـدٌ ضارٍ إذا هيَّجتَه ... وأبٌ بر إذا ما قدَرَا
يعرفُ الأبعدَ إن أثرى ولا ... يعرِف الأدنى إذا ما افتقرَا

أبو الفتح البستى :

لئن تنقّلتُ من دارٍ إلى دارِ ... وصرتُ بعـد ثَواء رَهن أسفارِ
فالحر حُرٌّ عزيزُ النفس حيث ثوى ... والشمسُ فى كل بُرج ذاتُ أنوارِ

أجمع الحسّاب على أن تعريف العدد بأنه نصف مجموع حاشيتيه ، وهو لا يصدق على الواحد ، إذ ليس له حاشية تحتانية ، وفيه نظر ، إذ الحاشية الفوقانية لكل عدد تزيد عليه بمقدار نقصان الحاشية التحتانية عنـه ، ومن ثمة كان مجموعُهما ضعفه ، وقد أجمعوا على أن العدد إما صحيح أو كسر ، فنقول: الحاشية التحتانية للواحد هى النصف ، فالفوقانية واحد ونصف ؛ لأنها تزيد على الواحد بقدر نقصان النصف عنه كما هو شأن حواشى الأعداد ، والواحد نصف مجموعهما ، فالتعريف المذكور صادق على الواحد ، بل نقول : التعريف المذكور صادق على جميع الكسور أيضاً ، وليس مخصوصا بالصحاح ، مثلا يصدق على الثلث أنه نصف مجموع حاشيتيه ، فالتحتانية

فاسترزِق الله واستعِنْه ... فإنه خـــير مستعانِ
وإن نبا منزلٌ بحُرٍّ ... فمن مكان إلى مكانِ

ومما كتبه والدى إلىّ :

خفِ الفقرَ ملتمسا للغنى ... فبالفقرِ كم من فقارٍ كسيرْ
وفى كل أرض أنخ بُرهة ... فإن وافقتْك وإلا فسِرْ
فما الأرض محصورة فى هراة ... ولا الرزق فى وقفها منحصِرْ

الصولى يمدح ابن الزيات :

أســـدٌ ضارٍ إذا هيَّجته ... وأبٌ بر إذا ما قدَرَا
يعرفُ الأبعدَ إن أثرى ولَا ... يَعرِف الأدنى إذا ماافتقرَا

أبو الفتح البستى :

لئن تنقَّلتُ من دارٍ إلى دارِ ... وصرتُ بعـــد ثَواء رَهن أسفارِ
فالُحر حُرٌّ عزيزُ النفس حيث ثوى ... والشمسُ فى كل بُرج ذاتُ أنوارِ

أجمع الحسّاب على أن تعريف العدد بأنه نصف مجموع حاشيتيه ، وهو لا يصدق على الواحد ، إذ ليس له حاشية تحتانية ، وفيه نظر ، إذ الحاشية الفوقانية لكل عدد تزيد عليه بمقدار نقصان الحاشية التحتانية عنـــه ، ومن ثمة كان مجموعهما ضعفه ، وقد أجمعوا على أن العدد إما صحيح أو كسر ، فنقول: الحاشية التحتانية للواحد هى النصف ، فالفوقانية واحد ونصف ؛ لأنها تزيد على الواحد بقدر نقصان النصف عنه كما هو شأن حواشى الأعداد ، والواحد نصف مجموعهما ، فالتعريف المذكور صادق على الواحد ، بل نقول : التعريف المذكور صادق على جميع الكسور أيضاً ، وليس مخصوصا بالصحاح ، مثلا يصدق على الثلث أنه نصف مجموع حاشيتيه ، فالتحتانية

السدس ، والفوقانية ثلث وسدس ، أعنى نصفا ، ولا شك أن الثلث نصف مجموع النصف والسدس وهو المراد .

أهدى أبو إسحاق الصابى فى يوم المهرجان لعضد الدولة اصطرلابا فى دور الدرهم ، وكتب معه هذه الأبيات :

أهدَى إليك بنُو الأملاك واجتهدوا ... فى مهرجان جديد أنتَ تبليـــه
لـكنَّ عبدكَ إبراهيمَ حين رأى ... سُموَّ قَدرِك عن شيء يُساميــهِ
لم يرض بالأرض يُهديها إليك فقد ... أهدى لكَ الفلكَ الأعلى بما فيهِ

لبعضهم :

إذا غدا ملكٌ باللهو مشتغــلا ... فاحكُم على مُلـكه بالويل والحرَبِ
أما ترى الشمسَ فى الميزان هابطةً ... لما غدا بيت نجم اللهوِ والطربِ

لأنّ الزُّهرة بيتها الميزان .

لبعضهم :

لا يمنعنّك خَفضُ العيش فى دَعة ... من أن تُبدِّل أوطانا بأوطان
تلقى بكل بلاد إن حللتَ بهـــا ... أرضا بأرضٍ وإخوانًا بإخوانِ

ابن نباتة المصرى يهنئ بعض الأمراء بعيد النحر :

تَهنَّ بعيد النحر وابقَ ممتعــا ... بأمثاله سامى العُـلا نافذ الأمر
تُقلِّدنا فيــــه قلائدَ أنعُم ... وأحسنُ ماتبدو القلائدُ فى النَّحر

قال بطليموس: افرَحْ بما لم تنطقْ به من الخطأ أكثرَ من فرحك بما نطقت به من الصواب .

وقال أفلاطون : انبساطك عورة من عوراتك فلا تبذله إلا لمأمون عليه .

ومن كلامهم : احفظ الناموس يحفظك .

وقال أرسطوطاليس : اختصار الكلام طى المعانى . وقيل له : ما أحسن ما حمله الإنسان ؟ قال السكوت .

ومن كلامه : استغناؤك عن الشىء خير من استغنائك به .

ومن كلامه : اللئام أصبر أجساما . والكرام أصبر نفوسا .

وقال سقراط : لولا أن فى قولى لا أعلم إخبارا بأنى أعلم لقلت إنى لا أعلم .

وقال : لا تظهر المحبة دَفعةً واحدة لصديقك ، فإنه متى رأى منك تغيراً عاداك .

قال فى المثل السائر : كان ابن الخشاب إماما فى أكثر العلوم ، وأما العربية فكان أبا عذرتها . وكان يقف كثيرا على حلق القصاصين والمشعبذين ، فإذا جاء طلبة العلم لا يجدونه ، فليم على ذلك وقيل له : أنت إمام فى العلم فما وقوفك فى هذه المواقف ؟ فقال لو علمتم ما أعلم لما لُمتم ، إنى طالما استفدت من محاورات هؤلاء الجهّال فوائد خطابية تجرى فى ضمن هذياناتهم ، لو أردت أن آتى بمثلها لم أستطع ، فإنما أحضر لاستماعها . انتهى .

* * *

قال السيد فى حاشية الكشاف فى قوله تعالى « فأتوا بسورة من مثله » ويجوز أن يتعلق بفأتوا والضمير للعبد ، أورد عليه أنه لم لا يجوز أن يكون الضمير حينئذ لما نزلنا أيضا ، كما جاز ذلك على تقدير أن يكون الظرف صفة للسورة ، وأجيب بوجهين : الأول أن فأتوا أمر قصد به تعجيزهم باعتبار المأتى به ، فلو تعلق به قوله من مثله ، وكان الضمير للمنزل تبادر منه أن له مثلا محققا ، وأن عجزهم إنما هو عن الإتيان بشىء منه ، بخلاف ما إذا رجع الضمير إلى العبد فإن له مثلا فى البشرية والعربية والأمية فلا محذور . الثانى أن كلمة من على هذا التقدير ليست بيانية ؛ إذ لا مبهم هناك ، وأيضا هو مستقر أبداً فلا يتعلق بالأمر لغو ولا تبعيضية ، وإلّا كان الفعل

واقعا عليه حقيقة ، كما فى قولك أخذت من الدراهم ، ولا معنى لإتيان البعض ، بل المقصود الإتيان بالبعض ، ولا مجال لتقدير الباء مع وجود « من » كيف وقد صرح بالمأتى به أعنى بسورة ، فتعين أن تكون ابتدائية ، وحينئذ يجب كون الضمير للعبد ، لأن جعل المتكلم مبدأ للإتيان بالكلام منه ، معنى حسن معقول ، بخلاف جعل الكل مبدأ لما هو بعض منه ، ألا ترى أنك إذا قلت : ائت من زيد بشعر كان القصد إلى معنى الابتداء ، أعنى ابتداء الإتيان بذلك الشعر من زيد مستحسنا فيه ، بخلاف ما لو قلت ائت من الدراهم بدرهم ، فإنه لا يحسن فيه قصد الابتداء ، ولا ترتضيه فطرة سليمة ، وإن فرض صحة ما قيل فى النحو إن جميع معانيها راجعة إليه ، ولا نعنى بالمبدأ الفاعل ليتوجه أن المتكلم مبدأ الكلام نفسه لا للإتيان بالكلام منه ، بل ما يعد عرفا مبدأ من حيث يعتبر أنه اتصل به أمر له امتداد حقيقة أو توهما . انتهى كلام السيد الشريف .

قال ابن أبى الحديد فى كتابه المسمى « بالفلك الدائر على المثل السائر » : إن مازعم صاحب كتاب المثل السائر أنه استطراد ، وهو قول بعض شعراء الموصل يمدح الأمير قرواش بن المقلد ، وقد أمره أن يعبث بهجو وزيره سليمان بن فهد ، وحاجبه أبى جابر ومغنيه البرقعيدى فى ليلة من ليالى الشتاء وأراد بذلك الدعابة والولع بهم فى مجلس الشراب :

وليلٍ كوجه البرقَعيدى ظلمةً ... وبرد أغانيه وطول قُرونه
سريتُ ونومى فيه نومٌ مشردٌ ... كعقل سليمان بن فَهْد ودينه
على أولق فيه الْتفاتٌ كأنه ... أبو جابر فى طيشهِ وجُنونه
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه ... سناوجه قَرواشٍ وضوء جبينه

فليس من الاستطراد فى شىء ، لأن الشاعر قصد إلى هجاء كل واحد منهم ،

ووضع الأبيات لذلك ، ومضمون الأبيات كلها مقصود له فكيف يكون استطرادا.

الأحنف بن العباس :

قلبى إلى ما ضرنى داعى ... يُكثر أحزانى وأوجاعى

كيف احترامى من عدوّى إذا ... كان عدوٌّ بين أضلاعى

لبعضهم :

لم أقل للشباب فى دَعة الله ولا حفظه غداةَ استقلّا

زائرٌ زارنا أقام قليلاً ... سوّد الصحف بالذنوب وولّى

الصلاح الصفدى :

أنا فى حال نقيضٍ معَكم ... وهو فى شرع الهوى مالا يسوغْ

بَلِىَ الصبرُ وأضحى هرِما ... والمنى فى وصلكم دون البلوغْ

غيره :

هل الدهرُ يوما بليلَى يجود ... وأيامُنا باللوى هل تعودْ

عُهودٌ تقضت وعيشٌ مضى ... بنفسِىَ والله تلك العهودْ

ألَا قُل لسكان وادى الحمى ... هنيئاً لكم فى جنان الخلودْ

أفيضوا علينا من الماء فَيْضا ... فنحنُ عطاش وأنتم ورُودْ

[انعكاس نور الشمس على وجه الأرض]

كما أن جرم القمر يقبل ضوء الشمس لكثافته ، وينعكس عنه لصقالته ، كذلك الأرض تقبل ضوءها لكثافتها ، وتنعكس عنها لصقالتها ، لإحاطة الماء بأكثرها ، وصيرورتها معها ككرة واحدة فإذْن لو فرض شخص على القمر ، تكون الأرض بالقياس إليه كالقمر بالنسبة إلينا ، وبحركة القمر

حول الأرض يخيل إليه أنها متحركة حوله ، ويشاهد الأشكال الهلالية والبدرية وغيرهما فى مدة شهر ، لكن إذا كان لنا بدر كان له محاق ، وإذا كان لنا خسوف كان له كسوف ، لوقوع أشعة بصره داخل مخروط ظل الأرض ، ومنعه إياها من وقوعها على المستنير من الأرض والماء بالشمس ، وإذا كان لنا كسوف كان له خسوف ، لوقوع أشعة بصره داخل مخروط ظل القمر ، ومنعه إياها أن تقع على الأرض ، إلا أن خسوفه لا يكون ذا مكث يعتد به ، لكونه بقدر مكث الكسوف ، ويكون لكسوفه مكث كثير لكونه بقدر مكث الخسوف ، ولأن بعض وجه الأرض يابس فلا ينعكس عنه النور بالتساوى ، فكما يرى على وجه القمر المحو ، يرى على وجه الأرض مثله ، وهذا الفرض وإن كان محالا ، لكن تصوره بعض هذه الأوضاع بعد الفكر على تخيل أىّ وضع أراد بسهولة .

[صفة الملائكة]

من النهج : ملائكة أسكنتهم سمواتك، ورفعتهم عن أرضك، هم أعلم خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقربهم منك، لم يسكنوا الأصلاب ، ولم يُضَمَّنوا الأرحام ، ولم يخلقوا من ماء مهين، ولم يتشعبهم ريب المنون ، وإنهم على مكانهم منك، ومنزلتهم عندك ، واستجماع أهوائهم فيك ، وكثرةِ طاعتهم لك ، وقلة غفلتهم عن أمرك ، لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك ، لحقروا أعمالهم، ولأزرَوْا على أنفسهم ، ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك، ولم يطيعوك حق طاعتك، سبحانك خالقا ومعبودا ، خلقت دارا وجعلت فيها مأدبة : مطعما ومشربا ، وأزواجا وخدما ، وقصورا وأنهارا ، وزروعا وثمارا ثم أرسلت داعيا يدعو إليها ، فلا الداعى أجابوا ، ولا فيما رغبت رغبوا ، ولا إلا ما شوقت إليه اشتاقوا ، وأقبلوا على جيفة قد افتضحوا

بأكلها ، واصطلحوا على حبها ، ومن عشق شيئا أعشى بصره وأمرض قلبه ، فهو ينظر بعين غير صحيحة ، ويسمع بأذن غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله ، وأماتت الدنيا قلبه ، وولهت عليها نفسه . فهو عبد لها ولمن فى يديه شىء منها . حيثما زالت زال إليها ، وحيثما أقبلت أقبل عليها ، لا ينزجر إلى الله بزاجر ، ولا يتعظ منه بواعظ وهو يرى المأخوذين على الغرة ، حيث لا إقالة لهم ولا رجعة ، كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون ، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون ، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون ، فغير موصوف ما نزل بهم . اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ، ففترت لها أطرافهم ، وتغيرت ألوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا ، فحيل بين أحدهم وبين منطقه ، وإنه لبين أهله ينظر إليهم ببصره ، ويسمع بأذنه ، على صحة من عقله ، وبقاء من لبه ، يفكر فيم أفنى عمره ، وفيم أذهب دهره ، ويتذكر أموالا جمعها ، أغمض فى مطالبها ، وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها ، قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها ، تبقى لمن وراءه ينعمون بها ويتمتعون ، فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره ، والمرء قد غلقت رهونه بها ، وهو يعض يديه ندامة على ما انكشف له عند الموت من أمره ، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره ، ويتمنى أن الذى كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه ، فلم يزل يبالغ فى جسده حتى خالط الموت سمعه ، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ، ولا يسمع بسمعه ، يردد طرفه بالنظر فى وجوههم ، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ، ثم ازداد الموت التياطا به فقبض بصره كما قبض سمعه ، وخرجت الروح من جسده ، وصار جيفة بين أهله ، قد أوحشوا من جانبه ، وتباعدوا من قربه ، لا يُسعد باكيا ، ولا يجيب داعيا ، ثم حملوه إلى مخط فى الأرض فأسلموه فيه إلى عمله ، وانقطعوا عن رؤيته ، حتى إذا بلغ الكتاب أجله ، والأمر مقاديره ، وألحق

آخر الخلق بأوله ، وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه، أماد السماء وفطرها، وأرجّ الأرض وأرجفها ، وقلع جبالها ونسفها ، ودكّ بعضها من هيبة جلاله وخوف سطوته ، فأخرج من فيها وجدّدهم بعد إخلاقهم ، وجمعهم بعد تفريقهم، ثم ميزهم لما يريد من مساءلتهم عن خفايا الأعمال ، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء .

فأما أهل الطاعة فأثابهم بجواره ، وخلدهم فى داره ، حيث لا يظعن النزول ، ولا يتغير بهم الحال ، فلا تنوبهم الأفزاع ، ولا تنالهم الأسقام ، ولا تعرض لهم الأخطار ، ولا تشخصهم الأسفار .

وأما أهل المعصية فأنزلهم شر دار ، وغل الأيدى إلى الأعناق ، وقرن النواصى بالأقدام ، وألبسهم سرابيل القطران ، ومقطعات النيران ، فى عذاب قد اشتد حره، وباب قد أطبق على أهله ، نار لها كلما خبت جلب ولهيب ساطع ، وقصيف هائل ، لا يظعن مقيمها ، ولا يفادى أسيرها ، ولا تفصم كبولها ، ولا مدة للدار فتفنى، ولا أجل للقوم فينقضى . انتهى .

قيل لبعض الحكماء : أيما أحب إليك أخوك أم صديقك؟ فقال : إنما أحب أخى إذا كان صديقى .

قال بعض العارفين : إن الشيطان قاسم أباك وأمك إنه لهما لمن الناصحين، وقد رأيت ما فعل بهما . وأما أنت فقد أقسم على غوايتك كما قال الله تعالى حكاية عنه « فبعزّتك لأغوينهم أجمعين » فماذا ترى يصنع بك ، فشمر عن ساق الحذر منه ، ومن كيده ومكره وخديعته .

قال بعضهم : الأب دب ، والأخ فخ ، والعم غم ، والخيال وبال، والولد كمد، والأقارب عقارب ، وإنما المرء بصديقه .

قيل لبعض الأعراب : صف لنا فلانا — وكان ثقيلا — فقال : والله إنه ثقيل الطلعة بغيض التفصيل والجملة ، بارد السكون والحركة، قد خرج عن حد الاعتدال، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال . يحكى ثقل الحديث المعاد ، ويمشى على القلوب والأكباد لا أدرى كيف لم تحمل الأمانة أرض حملته ، وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما أقلته ، كأن وجهه أيام المصائب وليالى النوائب ، وكأنما قربه بعد الحبائب وسوء العواقب ، وكأنما وصله عدمُ الحياة ، وموت الفجأة .

وقال بعض الأعراب فى وصف ثقيل : هو أثقل من الدّين على وجع العين ثقيل السكون بغيض الحركة . كثير الشؤم قليل البركة . فهو بين الجفن والعين قذاه ، وبين الأخمص والنعل حصاه .

النضر بن المتوكل العباسى :

متى ترفع الأيامُ من قد وضعنَه وينقـاد لى دهرٌ علىّ جموح
أعلل نفسى بالرجاء وإننى لأغـدو على ما ساءنى وأروح

عدد أثداء كل حيوان : بعدد أكثر ما يمكن أن يولد له فى العادة، ومن ثمة كان أثداء الكلبة ثمانية وأثداء الإنسان اثنين . انتهى .

حدث أبو عمرو الزاهد قال : دلك بعض المرائين جبهته بثوم وأبقاه وعصبه ونام ليصبح بهـا أثر كأثر السجود ، فانحرفت العصـابة إلى صدغه فأثر الثوم هناك ، فقال له ابنه : ما هذا يا أبت ؟ فقال : يابنى أصبح أبوك ممن يعبـد الله على حرف .

صلى رجل إلى جنب عبد الله بن المبارك ثم سلم وقام عجلا ، فجذب عبد الله بثوبه وقال له أما لك إلى ربك حاجة .

من أقوى دلائل القائلين بالخلاء رفع صحيفة ملساء دفعة عن صحيفة ملساء فلا يلزم تدريج تخلل الهواء ، وأجيب بالمنع من دفعية الارتفاع ، بل دفعيته فى حيز الامتناع ؛ إذ الحركة تدريجية من غير نزاع . انتهى .

رأيت فى بعض التواريخ المعتمد عليها أن عبد الله بن طاهر كان يحمل إلى الواثق بالله البطيخ من مرو إلى بغداد ، وكان ينقى فى مدينة الرى ويرمى بما فسد منه ، فيأخذ أهل الرى ذلك الفاسد فيزرعونه وهو أصل بطيخهم الجيد ، وكان ينفق عليه كل سنة خمسمائة ألف درهم .

قال أعرابى : ويل لمن أفسد آخرته بصلاح دنياه ، ففارق ما أصلح غير راجع إليه ، وقدم على ما أفسد غير منتقل عنه .

قال أعرابى لرجل يعظه : غفلنا فلم يغفل الدهر عنا فلم نتعظ بغيرنا حتى اتعظ غيرنا بنا ، فقد أدركت السعادة من تنبه ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظا . انتهى .

قال جوارى المهدى للمهدى يوما : لو أذنت لبشار أن يدخل إلينا فيؤنسنا ويحدثنا وينشدنا وهو محجوب البصر لا غيرة منه ، فأذن له المهدي فكان يدخل إليهن ، فاستظرفنه وقلن له يوما : وددنا والله ياأبا معاذ أنك والدنا حتى لا نفارقك ولا تفارقنا ليلا ولا نهارا ، قال : ونحن على دين كسرى . فلما بلغ ذلك المهدى منعه من الدخول عليهن بعد ذلك . انتهى .

قال المستنصر : لذة العفو أطيب من لذة التشفى ، وذلك لأن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ، ولذة التشفى يلحقها ذم الندم . انتهى

حج أعرابى فكان لا يستغفر والناس يستغفرون ، فقيل له فى ذلك ، فقال :

كما أن تركى الاستغفار مع ماأعلم من عفو الله ورحمته ضعف ، كذلك استغفارى مع ما أعلم من إصرارى لؤم .

سمع بعض العارفين ضجة الناس بالدعاء فى الموقف فقال : لقد هممت أن أحلف أن الله قد غفر لهم ، ثم ذكرت أنى فيهم فكففت .

حكى عروة بن عبد الله قال : كان عروة بن أذينة نازلا فى دارى بالعقيق ، فسمعته ينشد لنفسه هذه الأبيات :

إن التى زعمت فؤادك ملّها ... خُلقت هواك كما خُلقت هوى لها

فيك التى زعمت بها وكلا كما ... أبدى لصاحبه الصبابة كلها

بيضاء باكرها النعيمُ فصاغها ... بلباقة فأدقّها وأجلها

وإذا وجدتُ لها وساوس َسلوة ... شفع الضميرُ إلى الفؤاد فسلّها

لما عرضت مسلّما لى حاجةٌ ... أخشى صُعوبتها وأرجو حلّها

منعت تحيتها فقلت لصاحبى ... ما كان أكثرَها لنا وأقلّها

فدنا وقال لعلّها معذورة ... من بعض رقبتها فقلت لعلها

قال فأتانى أبو السائب المخزومى ، فقلت له بعد الترحيب : ألك حاجة ؟ فقال نعم ، أبياتٌ لعروة بلغنى أنك تحفظها ، فأنشدته الأبيات ، فلما بلغتُ قوله « فدنا » قام وطرب وقال : هذا والله صادق العهد ، وإنى لأرجو أن يغفر الله له لحسن الظن بها ، وطلب العذر لها ، فقال : فعرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات شيئاً ثم خرج . انتهى .

خلا أعرابى بامرأة ، فلما قعدمنها مقعد الرجل من المرأة قام عنها مسرعا ، فقالت ولم؟ فقال: إن امرأً باع جنة عرضُها السموات والأرض بمقدار إصبع من بين فخذين لقليل العلم بالمساحة .

أبو نواس :

خلِّ جنبيك لِرام ... وامض عنه بسلامِ

مُت بداء الصمت خيرٌ ... لكَ من داء الكلام

إنما العاقلُ من ألـــ ... ـجمَ فاهُ بلجـــامِ

شبتَ ياهذا وما تـــ ... ـترك أخلاق الغلام

والمنـايا آكلاتٌ ... شـاربات للأنام

لبعضهم فى قاض اسمه عمر ، عزل عن القضاء وولى مكانه آخر اسمه أحمد لمال بذله لذلك :

أيا عمر استعدّ لغير هــذا ... فأحمدُ بالولاية مطمئنُّ

وتصدقُ فيك معرفةٌ وعدلٌ ... ولـكن فيه معرفةٌ ووزنُ

لبعضهم :

لاتحقرنّ صغيرا فى مخاصمة ... إن الذبابة أدمت مُقلة الأسدِ

[رأى النصارى فى الأقانيم]

النصارى مجمعون على أن الله تعالى واحد بالذات ، ويريدون بالأقانيم الصفات مع الذات ، ويُعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس ، يريدون بالأب الذات مع الوجود ، وبالابن الذات مع العلم ، ويطلقون عليه اسم الكلمـــة ، ويريدون بروح القدس الذات مع الحياة ، وأجمعوا على أن المسيح عليه السلام ولد من مريم وصلب ، والإنجيل الذى بأيديهم إنما هو سيرة المسيح عليه السلام ، جمعه أربعة من أصحابه وهم : متى ، ولوقا ، وماريوس ، ، ويحنا . ولفظة إنجيل معناها البشارة . ولهم كتب تعرف بالقوانين وضعها أكابرهم ، يرجعون إليها فى

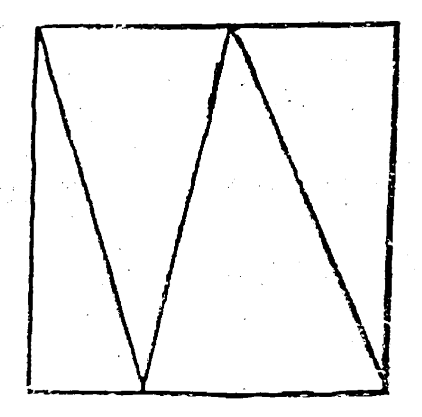
الأحكام من العبادات والمعاملات ، ويصلون بالمزامير . والمشهور من فرقهم ثلاثة :

الأولى الملكانية ، يقولون قد حل جزء من اللاهوت بالناسوت ، واتحد بجسد المسيح ، وتدرع به ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا . وهؤلاء قد صرحوا بالتثليث ، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثةٍ » وهؤلاء قالوا إن القتل والصلب وقع على الناسوتِ لا على اللّاهوت .

الثانية اليعقوبية ، قالوا إن الكلمة انقلبت لحما ودما ، فصار المسيح هو الإله وإليه الإشارة بقوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيحُ ابن مريم » .

الثالثة النسطورية ، قالوا إنّ اللّاهوت أشرقَ على الناسوت كالشمس على بلورة . والقتل والصلب إنما وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته والمراد بالناسوت الجسد ، وباللاهوت الروح . انتهى .

من تحرير أوقلدس : كل مثلث أخرج أحد أضلاعه فزاويته الخارجة مساوية لمقابلتيها الداخلتين، وزوايا الثلاث مساوية لقائمتين، فليكن المثلث ا ب ح والضلع المخرج ب ح إلى ء وليخرج من ح ح ه موازيا ا ب ا فزاوية ا ح ه مساوية لزاوية ا لكونهما متبادلتين وزاوية ه ح ء مساوية لزاوية ب لكونها خارجة وداخلة فإذن جميع زاوية ا ح ء الخارجة من المثلث مساوية لزاويتي ا ب الداخلة ، وزاوية ا ح ء مع زاوية ا ح ب مساوية لقائمتين فإذن الثلاث الداخلة كذلك وذلك ما أوردناه (قال) المحرر للتحرير : أقول وإن أخرجنا ا ز موازيا ا ب ء بدل ح ء كانت زاوية ز ا ب مساوية لمبادلتها أعني زاوية ب وزاوية ز ا ح مساوية لمبادلتها أعني زاوية ا ح ء فإذن زاوية ا ح ء مساوية لزاويتي ا ب .



فصل بوجه آخر : يخرج ا ر موازيا ا ب حـ فزاويتا د ا حـ و ب حـ ا الداخلتان كقائمتين وزاوية ر ا ب مثل زاوية ب (وبوجه آخر) يخرج أيضاً ر ا ك موازيا ا ب حـ فزاويتاه معادلتان لقائمتين و ر ا ب منها مثل ا حـ و ك ا حـ مثل ا حـ ب و ب ا حـ مشتركة .

وبوجه آخر : يخرج أيضاً ب ا حـ ا إلى ط ه فزوايا ر ا ه ه ا ط ط ا ك كقائمتين والأولى مثل ا حـ ب والثانية مثل ب ا حـ والثالثة مثل ا ب حـ .

وبوجه آخر يخرج ر ا ء موازيا ا ب حـ و ب حـ فى جهتية إلى ه ط فزوايا ا ب حـ مساوية لست قوائم فإذا أسقطت منها زاويتى ر ا ب ه ا ب المعادلتين لقائمتين وزاويتى ء ا حـ ط حـ ا المعادلتين لها ثبت زوايا المثلث معادلة لها .

وبوجه آخر : كل مثلث ففيه زاويتان حادثتان بالسابع عشر ، ولنفرضهما فى مثلث ا ب حـ زاويتى ب حـ ونخرج من نقطة ب ا حـ أعمدة ب د ا ز حـ ه على خط ب حـ فزاويتا ء ب حـ ه حـ ب قائمتان وزاوية ء ب ا مثل زاوية ب ا حـ وزاوية ه حـ ا مثل زاوية حـ ا ر والثانى مشترك . انتهى .

فى بعض التفاسير : فى تفسير قوله تعالى : « ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيحَ وجعلناها رُجوماً للشّياطين » إن المراد بالشياطين المنجمون ، فإن كلامهم رجمٌ بالغيب .

[أسماء اللبن]

يسمى اللبن حين يحلب صريفا، فإذا سلبت رغوته فهو الصريح ، فإن لم يخالطه ماء فهو محض ، فإذا حذى اللسان فهو قارص، فإذا خثر فهو رائب ، فإذا اشتدت حموضته فهو خازر . انتهى .

قال أبو زيد البسطامى : جمعت جميع أسباب الدنيا ، وربطتها بحبل القناعة ، ووضعتها فى منجنيق الصدق ، ورميتها فى بحر اليأس فاسترحت .

لبعضهم :

عزيزُ النفس من لزم القناعَهْ ولم يكشف لمخلوق قِناعَه

نفضتُ يدىّ من طمعى وحرصى وقلتُ لفاقتى سمعا وطاعَه

أبو تمام :

ينالُ الغنى فى الدهر من هو جاهلٌ ويُكدى المنا فى الدّهر من هو عالمُ

ولو كانت الأرزاقُ تجرى على الحجَا إذنْ هلكت من جهلهنّ البهائمُ

لبعضهم :

ألا رب نذلٍ كالحمار ورزقُه يدر عليه مثلَ صوب الغمائم

وحُرٍّ كريم ليس يملك درهما يروح ويغدو صائما غيرَ صائم

لبعضهم :

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا وأذهل

وأستفّ ترب الأرض كى لا يرى له علىّ من الطّول امرؤ متطوّل

القيراطى :

كم من أديب فطنٍ عالم مستكملِ العقل مقلٍّ عديمْ

وكم جهولٍ مكثرٍ مالهُ ذلك تقدير العزيز العليمْ

ربما تغير حسن الخلق والوطاء إلى الشراسة والبذاء ؛ لأسباب عارضة ، وأمور طارئة ، تجعل اللين خشونة ، والوطاء غلظة ، والطلاقة عبوسا . وهذه الأسباب تنحصر بالاستقراء فى سبعة : الأول الولاية التى تحدث فى الأخلاق تغيرا ، وعلى الخلطاء تنكرا ، إما من لؤم طبع ، أو من ضيق صدر . الثانى العزل الثالث الغنى قد تتغير به أخلاق اللئيم بطرا ، وتسوء طرائقه أشرا . قال الشاعر :

لقد كشف الإثراء عنك خلائقا من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقرِ

الرابع الفقر ، قد يتغير الخلق به ، إما أنفة من ذل الاستكانة ، أو أسفا من فائت الغنى ، ولذلك قال صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم : كاد الفقر أن يكون كفرا . وبعضهم يسلى هذه الحالة بالأمانى ، قال أبو العتاهية :

حرّك مُناك إذا اغتممـــت فإنهن مراوح

وقال آخر :

إذا تمنيتُ بتُّ الليلَ مغتبطا إن المنى رأسُ أموال المفاليس

الخامس الهموم التى تذهل اللب وتشغل القلب ، فلا يسع الاحتمال ، ولا يقوى على صبر . فقد قال بعض الأدباء : الهمّ هو الداء المخزون فى فؤاد المحزون . السادس الأمراض التى يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم ، فلا تبقى الأخلاق على الاعتدال ، ولا يقدر معها على احتمال . السابع علو السن وحدوث الهرم فكما يضعف به الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من الأثقال ، كذلك تعجز النفس عن احتمال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق ومضض الشقاق .

قال أبو الطيب :

آلة العيش صحة وشباب فإذا وليّا عن المرء ولّى

قال بعض الحكماء : احتمال السفيه أيسر من التحلى بصورته ، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته .

قال بعض السفهاء لبعض الحكماء : والله إن قلت واحدة سمعت عشراً ، فقال الحكيم : والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة .

وقال بعض الحكماء : غضبُ الأحمق فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله .

وقال آخر : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات .

كتب بعض البلغاء كتابة بليغة إلى المنصور يشكو فيها سوء حاله ، وكثرة عيْلته ، وضيق ذات يده ، فكتب المنصور فى جوابه : البلاغة والغنى إذا اجتمعا لامرئ أبطراه ، وإن أمير المؤمنين يشفق عليك من البطر ، فاكتف بأحدهما .

لبعضهم :

سألت زمانى وهو بالجهل مولَعُ ... وبالسخف مستهز وبالنقص مختصّ

فقلتُ له هل من طريق إلى الغنى ... فقال طريقاهُ الوقاحة والنقص

ولبعضهم :

سُبلُ المذاهب فى البلاد كثيرةٌ ... والعجز شؤمٌ والقعود وبالٌ

يامن يُعلّل نفسه برجائه ... ما بالتعلل تدرك الآمالُ

قال بعض الصلحاء : بينا أنا سائر فى بعض جبال بيت المقدس ، إذ هبطتُ إلى واد هناك . وإذا أنا بصوت عال ،ولتلك الجبال دوىّ منه ، فاتبعت الصوت ، فإذا أنا بروضة فيها شجر ملتف ، وإذا برجل قائم يردّد هذه الآية : « يوم تجدُ كلّ نفس ما عملتْ من خير مُحضراً ، وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسه » . قال فوقفت خلفه وهو يردّد هذه الآية، ثم صاح صيحة

خر مغشيا عليه ، فانتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة وهو يقول : أعوذ بك من أعمال البطّالين ، وأعوذ بك من إعراض الغافلين، لك خشعت قلوب الخائفين، وفزعت أعمال المقصرين ، وذلت قلوب العارفين، ثم نفض يديه وهو يقول : مالى والدنيا، وما للدنيا ولى ؟ أين القرون الماضية، وأهل الدهور السالفة، فى التراب يبلون، وعلى مر الدهور يفنون ، فناديته: يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك، أنتظر فراغك . قال : وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره ، كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه . ثم قال : أنت لها ولكل شدّة أتوقع ، يرددها . ثم لهى عنى ساعة وقرأ « وبدا لهم مّن الله ما لم يكونوا يحتسبون » ثم صاح صيحة أشدّ من الأولى، وخر مغشيا عليه ، فقلت قد خرجت نفسه ؛ فدنوت منه فإذا هو يضطرب، ثم أفاق وهو يقول : من أنا ؟ ما خطرى ؟ هب لى إساءتى بفضلك ، وجللنى بسترك، واعف عنى بكرم وجهك ، إذا وقفتُ بين يديك . فقلت له : ياسيدى بالذى ترجوه لنفسك ، وتثق به إلا كلمتنى ، فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه، ودع كلام من أوبقته ذنوبه ، أنا فى هذا الموضع ما شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدنى ، فلم يجد عونا علىّ ليخرجنى مما أنا فيه غيرك، فإليك عنى فقد عطلت لسانى، ومالت إلى حديثك شعبة من قلبى ، فأنا أعوذ من شرك بمن أرجو أن يعيذنى من سخطه . فقلت فى نفسى: هذا ولى مَن أولياء الله أخاف أن أشغله عن ربه. ثم تركته ومضيت لوجهى. انتهى.

يقال : علا فى المكان يعلو عُلُوّا بالواو ، وعلى بالكسر فى الشرف يعلى علاء ، بالألف . قاله فى الصحاح .

لما ملك الإسكندر بلاد فارس كتب إلى أرسطو : إنى قد وترت جميع من فى المشرق ، وقد خشيت أن يتفقوا بعدى على قصد بلادى وأذى قومى . وقد هممت أن أقتل أولاد من بقى من الملوك وألحقهم بآبائهم لئلا يكون لهم رأس يجتمعون إليه فكتب إليه: إنك إن قتلتهم أفضى الملك إلى السفل والأنذال، والسفلة إذا ملكوا

طغوا وبغوا ، وما يخشى منهم أكثر. والرأى أن تملك كلا من أولاد الملوك كورة، ليقوم كل منهم فى وجه الآخر ، ويشتغل بعضهم ببعض ، فلا يتفرغون ، فقسم الإسكندر البلاد على ملوك الطوائف .

لبعضهم :

عِش عزيزا أو مت حميدا بخير   لا تضع للسؤال والذل خدّا
كم كريم أضاعه الدهر حتّى   أكل الفقرُ منه لحما وجِلدا
كلما زاده الزمان اتضاعا   زاد فى نفسه عُلوّا ومجدا
يستحِبُّ الفتى بكل سبيل   أن يرى دهره على الفقر جَلدا

لبعضهم:

قف تحت أذيالِ السيوف تنل عُلا   فالعيشُ فى ظل السُّقوف وبال
لله در فتى يعيش ببأسه   لم يغدُ وهو على النفوس عِيالُ

على المجيب أن يتوخىّ صلاح السائل وما هو أهم بشأنه، وأن يرشده إلى ما فيه صلاحه ، وقد يجيبه بما هو خلاف مطلوبه بسؤاله إذا كان ما طلبه غير لائق بحاله، فإن كان ذلك على نهج أنيق ، وطرز رشيق ، حرك الطباع ، وشنف الأسماع ، مثاله : إذا طلب من غلب عليه السوداء من الطبيب أكل الجبن ، فيقول له الطبيبُ عليك بمائه ، وإذا اشتهى من استولى عليه الصفراء العسل ، فيقول له الطبيب كله ، ولكن مع قليل خل .

قال صاحب التبيان : وقد جرى على الأوّل جواب سؤال الأهلّة ، وعلى الثانى جواب سؤال النفقة فى الآيتين كما هو مشهور .

لبعضهم :

وكن أكيس الكَيْسى إذا كنت فيهم   وإن كنتَ فى الحمقى فكن أحمق الحُمق

لما قطعت أعضاء الحسين بن منصور الحلاج واحدا واحدا لم يتأوه ولم يتألم ، وكان كلما قطع منه عضو يقول :

وحرمةِ الودّ الذى لم يـكن يطمع فى إفساده الدهرُ
ما قُدَّ لى عُضو ولا مِفصلٌ إلا وفيـــه لـكُم ذكرُ

المحقق التفتازانى والسيد الشريف ، قالا فى فى حاشيتيهما على الـكشاف : إن الهداية إن تعدت بنفسها كانت بمعنى الإيصال ، ولهذا تسند إلى الله تعالى كقوله : « لنهدينّهم سبلَنا » وإن تعدت بالحرف كان معناها إراءة الطريق ، فتسند إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، مثل « وإنّك لتَهْدى إلى صراط مستقيم » وكلام هذين المحقّقين منقوض بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم « فاتبّعنى أهدِكَ صراطا سويًّا » . وعن مؤمن آل فرعون « أهدكم سَبيلَ الرشاد » انتهى .

قال بعض أصحاب الارتماطيقى : إن عدةَ التسعة بمنزلة آدم عليه السلام ؛ فإن للآحاد نسبَة الأبوّة إلى سائر الأعداد ، والخمسة بمنزلة حواء ، فإنها التى يتولد منها مثلها ، فإن كل عدد فيه خمسة إذا ضرب فيما فيه الخمسة فلا بد من وجود الخمسة بنفسها فى حاصل الضرب البتة . وقالوا فى قوله تعالى «طه» إشارة إلى آدم وحواء ، وكل من هذين العددين إذا جمع من الواحد إليه على النظم الطبيعى اجتمع ما يساوى عدد الاسم المختص به ، فإذا جمعنا من الواحد إلى التسعة كان خمسة وأربعين ، وهى عدد آدم ، وإذا جمع من الواحد إلى الخمسة كان خمسة عشر وهى عدد حواء ، وقد تقرر فى الحساب أنه إذا ضرب عدد فى عدد يقال لـكل من المضروبين ضلع ، وللحاصل مضلع ، وإذا ضربت الخمسة فى التسعة حصل خمسة وأربعون وهى عدد آدم ، وضلعاه التسعة والخمسة . قالوا وما ورد فى لسان الشارع صلوات الله عليه وآله من قوله : « خلقت حواء من الضلع الأيسر لآدم » إنما ينكشف سره بما ذكرناه ، فإن الخمسة

هى الضلع الأيسر للخمسة والأربعين، والتسعة الضلع الأكبر . والأيسر من اليسير وهو القليل ، لا من اليسار . انتهى .

نقل الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير عن زين العابدين رضى الله عنه أن ناشئة الليل فى قوله تعالى : « إن ناشئة الليل هى أشدّ وطئاً وأقومُ قيلا » هى ما بين المغرب والعشاء . انتهى .

سأل رجل شُريحا : ما تقول فى رجل مات وخلف أبوه وأخوه ؟ فقال شريح ، قل أباه وأخاه . قال الرجل : كم لأباه وأخاه ؟ فقال شريح : قل لأبيه وأخيه . فقال الرجل : أنت الذى علمتنى . يقال إن هذه الواقعة أحد الأسباب الباعثة على وضع النحو . انتهى .

لله در من قال :

صُنِ الودّ إلا عن الأكرمين ومن بمؤاخاتِهِ تشرُف
ولا تغترِرْ من ذوى خَلة وإن موّهوا لك أو زَخرفُوا

لبعضهم :

ألا رُبَّ همٍّ يمنع الغمضُ دونه أقام كقبض الراحتين على جمر
بسطت له وجهى لأكبت حاسدا وأبديْتُ عن نابٍ ضحوك وعن ثغر
وخطبٍ كأطراف الأسنة والقنَا ملكتُ عليه طاعةَ الدمع أن يجرى

* * *

قال ابن الأثير فى المثل السائر : إنّى سافرتُ إلى الشام فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، ودخلت مدينة دمشق ، فوجدت جماعة من أربابها يلهجون ببيت من شعر ابن الخياط من قصيدة أوّلها :

خُذا من صباً نجد أمانا لقلبه   فقد كاد ريّاها يطير بلبه

ويزعمون أنه من المعانى الغريبة وهو قوله :

أغار إذا آنستُ فى الحى أنّةً   حذارا عليه أن تكون لحبّه

فقلت لهم : هذا مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى :

لو قلت للدنف المشوق فديته   ممـــا به لأغرته بفدائه

وقول أبى الطيب أدق معنى وإن كان بيت ابن الخياط أرق لفظا . ثم إنى أوقفتهم على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من شعر المتنبى ، وسافرت إلى الديار المصرية فى سنة ست وتسعين وخمسمائة فوجدت أهلها يعجبون من بيت يعزونه إلى شاعر من اليمن يقال له عمارة ، وكان حديث عهد بزماننا هذا فى آخر الدولة العلوية بمصر، وذلك البيت من قصيدة يمدح بها بعض خلفائها عند قدومه عليه من الحجاز وهو قوله :

فهل درى البيتُ أنى بعد فرقته   ما سرت من حرم إلا إلى حرم

فقلت لهم : هذا مأخوذ من قول أبى تمام يمدح بعض الخلفاء فى حجة حجها ، وهو قوله :

يا من رأى حرما يسرى إلى حَرَم   طوبى لمستلَم يأتى وملتزَم

ثم قلت فى نفسى : ياالله العجب ! ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء الذين درست أشعارهم، ولا هما ممن لا يعرف ولا اشتهر أمره ، بل هما ـ كما يقال ـ أشهر من الشمس والقمر ، وشعرهما دائر فى أيدى الناس ، فكيف خفى على أهل مصر ودمشق بيتا ابن الخياط وعمارة المأخوذان من شعرهما ؟ وعلمت حينئذ أن سبب ذلك

عدم الحفظ للأشعار ، والاقتناع بالنظر فى دواوينهما . ولما نصبت نفسى للخوض فى علم البيان ، ورُمت أن أكونٍ معدودا من علمائه علمت أن هذه الدرجة لا تُنالُ إلا بنقل ما فى الكتب إلى الصدور ، والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور .

ليس بعلم ما حوى القمطرُ ما العلمُ إلا ما حواه الصدرُ

ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفذت شطرا من العمر فى المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحراً لا يوقف على ساحله ، وكيف يُنتهى إلى إحصاء قول لم تُحص أسماء قائله ؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده ، وتتشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم ، فى اتباع من قصَر نظرَه على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إبداء المعنى الشريف ، فى اللفظ الجزْل اللطيف ، فمتى وجدت ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل ، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبى تمام حبيب بن أوس ، وأبى عُبادة الوليدِ ، وأبى الطيب المتنبى ، وهؤلاء الثلاثة هم لاتُ الشعر وعُزّاه ومناته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حوت أشعارُهم غرابةَ المحدَثين وفصاحة القدماء ، وجمعتْ بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء .

أما أبو تمام فإنه رب معان ، وصيقل ألباب وأذهان ، قد شهدت له بكل معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغرابْ ، الذى برّز فيه على الأضراب . ولقد مارست من الشعر كل أوّل وأخير ، ولم أقل ما أقوله إلا عن تنقيب وتنقير ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه ، أطاعته أعنّةُ الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالته حذام . فخذ منى فى ذلك قول حكيم ، وتعلّم ففوق كل ذى علم عليم .

وأما أبو عبادة البحترى ، فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر

فغنّى . ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الإطلاق، فبينا يكون فى شظف نجد حتى يتشبث بريف العراق . وسئل أبو الطيب المتنبى عنه وعن أبى تمام وعن نفسه ، فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى . ولعمرى إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب فى قوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام مع قربه إلى الأفهام . وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ، ورقى فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبى، فإنه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام فقصرت عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه، لكنه حظى فى شعره بالحكم والأمثال، واختص بالإبداع فى وصف مواقف القتال . وأنا أقول قولا ولست فيه متأثما ، ولا منه متلثما، وذلك أنه إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى يظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا . وطريقه فى ذلك يضلّ بسالكه ، ويقوم بعذر تاركه . ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أدّاه إليه عيانه . ومع هذا فإنى رأيت الناس عادلين فيه عن السَّنن المتوسط ، فإما مفرط فى وصفه وإما مفرّط . وهو وإن انفرد بطريق صار أبا عذره، فإن سعادة الرجل كانت أكثر من شعره . وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء، ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء . ولقد صدق فى قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تطلُبنّ كريماً بعد رؤيته ... إن الكرام بأسخاهم يداً خُتِموا

ولا تُبال بشعر بعد شاعره ... قد أفسد القولُ حتى أُحمِد الصَّمَمُ

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التى ما ضل

صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة: خمس منه فى الغاية التى انفرد بها، وخمس من جيد الشعر الذى يشاركه فيه غيره، وخمس منه من متوسط الشعر، وخمس دون ذلك، وخمس فى الغاية المتقهقرة التى لا يُعبأ بها وعدمُها خير من وجودها. ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ؛ فإنها هى التى ألبسته لباس الملام ، وجعلت عرضهُ إشارة لسهام الأقوام . ولسائل هنا أن يسأل ويقول : لم عدلت إلى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم؟ فأقول: إنى لم أعدل إليهم اتفاقاً، وإنما عدلت نظرا واجتهادا. وذلك أنى وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها ، حتى لم يبق ديوان لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك إلا وعرضته على نظرى ، فلم أجد أجمع من ديوان أبى تمام وأبى الطيب للمعانى الدقيقة ، ولا أكثر استخراجا منهما للطيف الأغراض والمقاصد ، ولم أجد أحسن تهذيبا للألفاظ من أبى عبادة ، ولا أنفس ديباجة ولا أبهج سبكا ، فاخترت حينئذ دواوينهم لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعانى والألفاظ ، ولما حفظتها ألقيت ما سواها مع ما بقى على خاطرى من غيرها . انتهى كلام صاحب المثل السائر .

قيل لحكيم : إن الذى قلته لأهل مدينة كذا لم يقبلوه ، فقال : لا يلزمنى أن يقبل ، بل يلزمنى أن يكون صوابا .

قيل لأعرابى : ما السرور؟ فقال: الكفاية فى الأوطان، والجلوس مع الإخوان.

قال حكيم : لا يكون الرجل عاقلا حتى يكون عنده تعنيف الناصح ألطف موقعا من ملق الكاشح .

قال بعض الملوك : إنما الدنيا فيما لا يشاركنا فيه العامة من معالى الأمور .

من كلام بعض الحكماء : حرام على النفس الخبيثة أن تخرج من الدنيا حتى تسىء إلى من أحسن إليها . انتهى .

هارون بن على :

أصلى وفرعى فارقانى معاً ... واجتُثَّ من حبليهما حبلى
فما بقاء الغُصن فى ساقه ... بعد ذهاب الفرع والأصل

لبعضهم :

جسمى معى غير أن الروحَ عندكم ... فالجسمُ فى غُربة والروح فى وطَن

قال بعض الحكماء : إذا قال السلطان لعماله : هاتوا ، فقد قال لهم خذوا .

تعلق أعرابى بأستار الكعبة وقال : اللهم إن قوما آمنوا بك بألسنتهم ليحقنوا دماءهم ، فأدركوا ما أمّلوا ، وقد آمنا بك بقلوبنا لتجيرنا من عذابك ، فبلّغنا ما أملناه .

لبعضهم :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... فأكثر ما يَجْنى عليه اجتهادُه

قال ابن عباس رضى الله عنهما : من حبس الله الدنيا عنه ثلاثة أيام وهو راض عن الله تعالى فهو من أهل الجنة .

قال بعض الزهاد : لو خيرت يوم القيامة بين الجنة والنار لاخترت النار استحياء من دخول الجنة ، فبلغ ذلك الجنيد فقال : وما للعبد والاختيار !

* * *

الصفى الحلى فى غلام جميل قلع ضرسه :

لحى الله الطبيبَ فقد تعدّى ... وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى عن كلتا يديه ... وسلّط كلبتين على غزالِ

قال بعض الوعاظ لبعض الخلفاء : لو مُنِعت شربةً من الماء مع شدة عطشك

بم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكى . قال : فإن احتبست عند البول بم كنت تريقها ؟ قال : بالنصف الآخر . قال : فلا يغرنك مُلك قيمته شربةُ ماء !

من كلامهم : الدنيا ليست تعطيك لتسرّك ، بل لتغرّك .

قال يحيى بن معاذ : الدنيا خمرة الشياطين ، فمن شرب منها سكر فلم يفق إلا وهو فى عسكر الموتى خائب خاسر نادم .

تكلم الناس عند معاوية فى يزيد ابنه إذْ أخذ له البيعة وسكت الأحنف ، فقال له معاوية : ما تقول يا أبا بحر ؟ فقال : أخافك إن صدقت ، وأخاف اللهَ إن كذبت .

حمدة الأندلسية :

ولما أبى الواشون إلا فراقَنا   وما لهمُ عندى وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كلّ غارة   وقلّت حُماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتُهم من مقلتيك وأدمعى   ومن نفَسى بالسيف والسيل والنارِ

لبعضهم :

وإذا ما الصّديق عنك تولى   فتصدّق به على إبليس

ابن نباتة :

أيّها العــــاذلُ الغبى تأمّل   مَن غدا فى صفاته القلبُ ذائبْ
وتعجّب لطُرّة وجبين   إنّ فى الليل والنهار عجائبْ

وله :

أهْواه لدنَ القوام منعطفــا   يَسل من مقلتيه سيفين
وهبتُ قلبى له فقــال عسى   نومُك أيضا فقلت من عينى

ولما وصل الرشيد الكوفة قاصداً الحج، خرج أهل الكوفة للنظر إليه وهو فى هودج عال، فنادى البهلول: ياهٰرون ياهٰرون، فقال من المجترئ علينا، فقيل هو البهلول، فرفع السجف، فقال البهلول: يا أمير المؤمنين روينا بالإسناد عن قدامة بن عبدالله العامرى، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى جمرة العقبة لا ضربَ ولا طردَ ولا قال إليك إليك، وتواضُعك يا أمير المؤمنين فى سفرك هذا خير من تكبرك، فبكى الرشيد حتى جرت دموعه على الأرض وقال: أحسنت يا بهلول زدنا، فقال: أيما رجل آتاه الله مالًا وجمالًا وسلطاناً فأنفق ماله، وعفّ جماله، وعدل فى سلطانه كتب فى ديوان الله من الأبرار. فقال له الرشيد: أحسنت وأمر له بجائزة، فقال: لا حاجة لى فيها ردها إلى من أخذتها منه. قال: فنجرى عليك رزقا يقوم بك، قال فرفع البهلول طرفه إلى السماء وقال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت عيالُ الله، فمحال أن يذكرك وينسانى. انتهى.

تذل الأمور للمقادير، حتى لا يكون الحكم للتدبير.

رئى أعرابى ماسكا بحلقة باب الكعبة وهو يقول: عبدك ببابك، ذهبت أيامه، وبقيت آثامه، وانقطعت شهواته، وبقيت تبعاته، فارض عنه، فإن لم ترض عنه فاعف عنه، فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غير راض.

من النهج: إذا كنت فى إدبار والموت فى إقبال فما أسرع الملتقى!

لبعضهم:

إنّ ذا يومٌ سعيد بك ياقُرّة عينى
حين أبصرتُك فيه ياحبيبى مرتين

ابن رزين:

لأسرّحن نواظرى فى ذلك الروضِ النضير

ولآ كلنك بالمنى ولأشربنك بالضمير

ابن الخيمى فى سبحة سوداء :

وسبحة مسودةٍ لونُها يحكى سواد القلب والناظرِ
كأننى وقتَ اشتغالى بها أعُـد أيامك ياهاجرِى

محاسن الشواء :

لنا صديق له خِلالٌ تُعرب عن أصله الأخسّ
أضحت له مثل حيث كف وددت لو أنهـا كأمس

من بديع الاستتباع قولُ بعض المراقيين - وقد شهد عند القاضى برؤية هلال العيد فرد شهادته :

إن قاضينا لأعمى أم تراه يتعامَى
سرق العيدَ كأن الـــعيد أموالُ اليتامى

من النهج : من ضيّعه الأقربُ أتيح له الأبعد .

لبعضهم :

تلاعُبُ الشَّعرِ على ردفه أوقعَ قلبى فى العريض الطويلْ
يا ردفه جُرْت على خصره رفقا به ما أنت إلا ثقيلْ

أبو الشمقمق :

برزتُ من المنازل والقباب فلم يعسُرْ على أحد حجابى
فمنزلىَ الفضاء وسقفُ بيتى سماء الله أو قطعُ السحاب
وأنت إذا أردت دخول بيتى دخلت مسلّما من غير باب
لأنى لم أجد مصراعَ باب يكونُ من السحاب إلى التراب

إسماعيل بن معمر السكوفى القراطيسى الشاعر المجيد البارع ، كان بيتـه مألفا للشعراء ، وكان يجتمع عنده أبو نواس ، وأبو العتاهية ، ومسلم بن الوليد ، ونظراؤهم يتفاكهون وعندهم القيان .

ومن شعره :

لهفى على الساكن شط القراه مرَّرَ حبيّه علىَّ الحيـاهْ
ما تنقضى من عجب فكرتى من خَصلة فرَّط فيها الولاهْ
تركَ المحبـين بلا حاكم لم يقعـدُوا للعاشقين القُضاهْ
وقد أتانى خبرٌ ساءنى مقالُها فى السرّ واسوأتاهْ
أمِثلُ هذا يبتغى وصلنـا أما يرى ذا وجهه فى المراهْ

قال القراطيسى : قلت للعباس بن الأحنف : هل قلتَ فى معنى قولى هذا شيئاً قال : نعم .

ثم أنشدنى :

جارية أعجبهـا حسنُها ومثلُها فى الناس لم يُخلَقِ
خَبَّرتها أنّى محبّ لهـا فأقبلَتْ تضحك من منطقى
والتفتت نحو فتاةٍ لهـا كالرّشأ الوسنان فى القرطُقِ
قالت لها قُولى لهـذا الفتى انظر إلى وجهِك ثم اعشق

لبعضهم وكان نائبا للقُضاة فى بلاد خوزستان :

ومن النـوائب أننى فى مثل هـذا الشغل نائبْ
ومن العجـايب أن لى صبراً على هـذى العجائبْ

لبعضهم :

سهرُ العيون لغير وجهِكَ باطلٌ وبكاؤهُنّ لغير قطعِك ضائعُ

لبعضهم :

المُقلة الكحلاء أجفانُها ترشق فى وسْط فؤادى نبالْ

وتقطعُ الطرقَ على سَلوتى حتى حسِبنا فى السُّويدا رجالْ

[تحريم السحر]

من كتاب إرشاد القاصد ، إلى أسنى المقاصد : لا نزاع فى تحريم عمل السحر ، إنما النزاع فى تحريم علمه ، والظاهر إباحته ، بل قد ذهب بعض النظار إلى أنه فرض كفاية، لجواز ظهور ساحر يدعى النبوة فيكون فى الأمة من يكشفه ويقطعه، وأيضا يعلم منه ما يَقْتُل فيقتلُ فاعله قصاصا . والسحر منه حقيقى وغير حقيقى ، ويقال له الأخذ بالعيون . وسحرة فرعون أتوا بمجموع الأمرين، وقدموا غير الحقيقى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : « سحَروا أعينَ الناسِ » ثم أردفوه بالحقيقى ، وإليه الإشارة بقوله : « واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » ولما جُهلت أسباب السحر لخفائها ورجمت بها الظنون ، اختلفت الطرق إليها. فطريق الهند، تصفية النفس وتجريدها عن الشواغل البدنية بقدر الطاقة البشرية ، لأنهم يرون أن تلك الآثار إنما تصدر عن النفس البشرية . ومتأخرو الفلاسفة يرون رأى الهند وطائفةٌ من الأتراك تعمل بعملهم أيضا، وطريق النبط عمل أشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة إلى رقية ودخنة بعزيمة فى وقت مختار ، وتلك الأشياء تارة تكون تماثيل ونقوشا ، وتارة تكون عُقدا تعقد وينفث عليها ، وتارة تكون كتبا تكتب وتدفن فى الأرض ، أو تطرح فى الماء ، أو تعلق فى الهواء ، أو تحرق فى النار، وتلك الرُّقية تضرع إلى الكواكب الفاعلة للغرض المطلوب ، وتلك الدخنة عقاقيرُ منسوبة إلى تلك الكواكب لاعتقادهم أن تلك الآثار إنما تصدر عن الكواكب . وطريق اليونان تسخير روحانيات الأفلاك والكواكب ، واستنزال قواها بالوقوف لديها والتضرع إليها، لاعتقادهم أن هذه

الآثار إنما تصدر عن روحانيات الأفلاك والكواكب ، لا عن أجرامها . وهذا الفرق بينهم وبين الصابئة وقدماء الفلاسفة تميل إلى هذا الرأى وطريق العبرانيين والقبط والعرب الاعتماد على ذكر أسماء مجهولة المعانى ، كأنها أقسام وعزائم بترتيب خاص يخاطبون بها حاضراً لاعتقادهم أن هذه الآثار إنما تصدر عن الجن ، ويدّعون أن تلك الأقسام تسخر ملائكة قاهرة للجنّ .

من الكتاب المذكور : النيرنجيات : إظهار خواص الامتزاجات ونحوها . ونيرنج : فارسى معرب ، وأصله نورنك أى لون جديد . والنيرنجيات ألحقها بعضهم بالسحر ، بل ألحق بعضهم به الأفعال العجيبة المرتبة على سرعة الحركة وخفة اليد . والحق أن هذا ليس بعلم وإنما هو شعوذة لا يليق أن تعد فى العلوم . وبعضهم ألحق بالسحر أيضا غرائب الآلات والأعمال المصنوعة على امتناع الخلاء ، والحق أنه من فروع الهندسة . انتهى .

ذكر ابن الأثير فى المثل السائر فى ابتداء وضع النحو : أن ابنة لأبى الأسود الدؤلى قالت له يوما : يا أبت ما أشدُّ الحر ؟ وضمت الدال وكسرت الراء ، فظن أبو الأسود أنها مستفهمة فقال : شهر آب . فقالت : يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أبو الأسود إلى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وأخبره بخبر بنته ، فقال كرم الله وجهه : هلم صحيفة ، ثم أملى عليه أصول النحو . انتهى .

فى الحديث : ماهلك امرؤ عرف قدره .

لبعضهم :

من مُنصِفى ياقومُ من شادنٍ مشْتغل بالنحو لا يُنصف
وصفت ماأضمرت يوما له فقـــال لى المضمر لا يوصف

الشمالية : من قطرى الانقلابين نظيرة الشتوية . والجنوبية نظيرة الصيفية كما

هو ظاهر . وقد وقع فى التحفة أن الشمالية نظيرة الصيفية ، والجنوبية نظيرة الشتوية وهو سهو ظاهر .

قال لبعضهم :

بَرهنَ إقليدسُ فى فنّه . وقال النقّطة لا تنقسِمْ
ولِى حبيب فمه نقطةٌ موهومةٌ تقسَمُ إذ يبتسم

لنا أن نستخرج خط نصف النهار من سعة المشرق ؛ بأن يستعلم سعة مشرق الشمس بميلها فى يوم مفروض وقت الطلوع ، أو سعة مغربها بميلها وقت الغروب، وتعمل دائرة واسعة على موضع موزون مكشوف لا يعوقه شىء عن وقوع الشمس حتى تطلع الشمس أو تغرب عليه ، ويقسم محيط الدائرة إلى ثلثمائة وستين جزءاً ، ويقيم المقياس على مركزها ويترصد طلوع الشمس أو غروبها حتى يكون نصف جرمها ظاهرا فوق الأرض ، ويخطّ فى وسط ظل المقياس خطا ينتهى إلى طرفه ، ثم إلى محيط الدائرة ، ويعلم عليه علامة ، ثم يعدّ من العلامة أو المغرب ويخرج من المنتهى قطرا ، فيكون ذلك الخط الاعتدال .

كتب بعض الأدباء : إلى القاضى ابن قريعة سؤال فتوى : ما يقول القاضى أيده الله تعالى ـ فى رجل سمى ابنه مداما ، وكناه أبا الندامى ، وسمى ابنته الراح ، وكناها ابنة الأفراح ، وسمى عبده الشراب ، وكناه أبا الإطراب ، وسمى وليدته القهوة ، وكناها أم النشوة ، أينهى عن بطالته ؟ أم يترك على خلاعته ؟ فكتب فى الجواب : لو نُعت هذا لأبى حنيفة لأقعده خليفة ، ولعقد له راية ، وقاتل تحتها من خالف رايه ، ولو علمنا مكانه ، لمسحنّا أركانه ، فإن أتبع هذه الأسماء أفعالا ، وهذه الكنى استعمالا ، علمنا أنه قد أحيا دولة المجون ، وأقام لواء ابنة الزرجون ، فبايعناه وشايعناه ، وإن لم يكن إلا أسماء سماها ، ماله بها من

سلطان خلعنا طاعته ، وفرّقنا جماعته ، فنحن إلى إمام فعال ، أحوج منّا إلى إمام قوّال . انتهى .

لله درّ قائله :

لا يصبر الحُرّ تحت ضيم ... وإنما يصبر الحمارُ
فلا تقولن لى ديارٌ ... للمرء كل البلاد دارُ

آخر :

لا تقل دارُها بشرقىّ نجد ... كلّ نجد للعامريّة دارُ
فلها منزلٌ على كل ماء ... وعلى كل دمنة آثارُ

قال موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : لا تذموا السفر ، فإنى قد أدركت فى السفر ما لم يدركه أحد ، يريد أن الله تعالى اصطفاه برسالته وشرفه بكالمته فى السفر .

من كلام بعض الحكماء : من تتبع خفيّات العيوب ، حُرم مودات القلوب .

ومن كلامهم : من نكد الدنيا أنها لا تبقى على حالة ، ولا تخلو عن استحالة ، تُصلِح جانبا بإفساد جانب ، وتسرّ صاحبا بمساءة صاحب .

ومن كلامهم : إياك وفضولَ الكلام فإنها تُظهر من عيوبك ما بطن ، وتحرك من عدوّك ما سكن .

ومن كلامهم : من أفرط فى الكلام زل ، ومن استخف بالرجال ذل .

ومن كلامهم : يستدل على عقل الرجل بقلة مقاله ، وعلى فضله بكثرة احتماله .

لما صلب الرشيد جعفرا البرمكى أمر بإبقائه على الجذع مدة ، وعين له حراسا لئلا ينزله الناس ليلا ، وكان السبب فى الأمر بإنزاله أنه سمع شخصا يخاطبه بهذه الأبيات وهو مصلوب :

وهذا جعفرٌ فى الجذع يمحو محاسن وجهه الريح القَتامُ
أما والله لولا خوف واشٍ وعينٍ للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ

***

قال فى شرح حكمة الإشراق : إن الصور الخيالية لا تكون موجودة فى الأذهان ، لامتناع انطباع الكبير فى الصغير ، ولا فى الأعيان ، وإلا لرآها كل سليم الحس ، وليست عدما محضا ، وإلّا لما كانت متصوَّرة ، ولا متميزا بعضها عن بعض ، ولا محكوما عليها بأحكام مختلفة ، وإذ هى موجودة ، وليست فى الأعيان ، ولا فى الأذهان ، ولا فى عالم المعقول ؛ لكونها صورا جسمانية لا عقلية ، فبا الضرورة تكون موجودة فى صقع،وهو عالم يسمى بالعالم المثالى والخيالىّ،متوسطٌ بين عالمى العقل والحس ، لكونه بالرتبة فوق عالم الحس ودون عالم العقل ؛ لأنه أكثر تجريدا من الحس، وأقل تجريدا من العقل،وفيه جميع الأشكال ، والصور ، والمقادير ، والأجسام ، ومايتعلق بهامن الحركات والسكنات ، والأوضاع والهيآت ، وغير ذلك ، قائمة بذاتها ، معلقة لا فى مكان ولا فى محل ، وإليه الإشارة بقوله : « والحق فى صور المرايا والصور الخيالية أنها ليست منطبعة » : أى فى المرآة والخيال ولا فى غيرهما ، بل هى صياصى : أى أبدان معلقة : أى فى عالم المثال ، ليس لها محل لقيامها بذاتها ، وقد يكون لها - أى لهذه الصياصى المعلقة لا فى مكان - مظاهر ولا تكون فيها لما بيّنا ، فصورة المرآة مظهرها المرآة ، وهى معلقة لا فى مكان ولا فى محل ، وصورة الخيال مظهرها الخيال ، وهى معلقة لا فى مكان ولا فى محل . انتهى .

فى الكلينى عن الصادق عليه السلام : حرام على قلوبكم أن تعرفوا حلاوة الإيمان حتى تزهدوا فى الدنيا .

وفيه عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا يجد الرجل حلاوة الإيمان فى قلبه إذا كان لا يبالى من أكل الدنيا » .

من تفسير النيسابورى : فى تفسير قوله تعالى « ياأيهاالإنسان ما غرك بربك الكريم » قال مؤلف الكتاب : إنى فى عنفوان الشباب رأيت فيما يرى النائم أن القيامة قد قامت ، وقد دار فى خلدى أن الله تعالى لوخاطبنى بقوله « ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم » فماذا أقول ؟ ثم ألهمنى الله فى المنام أن أقول : غرنى كرمك يارب ، ثم إنى وجدت هذا المعنى فى بعض التفاسير .

قال الشيخ الطوسى فى تفسيره الملقب بمجمع البيان ـ بعد أن نقل عن أبى بكر الوراق أنه قال لو قيل لى : ماغرك بربك الكريم ؟ لقلت غرنى كرمك ـ ما صورته : وإنما قال سبحانه الكريم ، دون سائر أسمائه وصفاته ، لأنه تعالى كأنه لقنه الإجابة ، حتى يقول غرنى كرم الكريم . انتهى . والظاهر أن مراد الفاضل المحقق مولانا نظام الدين رحمه الله تعالى ببعض التفاسير هو هذا التفسير ، فإنه مقدم على عصره ، وهو كثيرا ما يأخذ من كلامه كما لا يخفى على من تتبع ذلك . والله أعلم بحقائق الأمور . انتهى .

من كتاب التحصين وصفات العارفين : أن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من يفر من شاهق إلى شاهق ، ومن جحر إلى جحر ، كالثعلب بأشباله ، قالوا ومتى ذلك الزمان ؟ قال إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله عز وجل ، فعند ذلك حلت العزوبة ، قالوا يا رسول الله : ألست تأمرنا بالزواج ؟ قال بلى ، ولكن إذا كان ذلك الزمان فهلاك الرجل على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان فهلاكه على يد زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة فهلاكه على يد قرابته وجيرانه . قالوا وكيف ذلك يارسول الله ،

فقال : يعيّرونه بضيق المعيشة ، ويكلفونه ما لا يطيق حتى يوردوه مورد الملكة .

لله در من قال :

لله در النائبات فإنهـــا　　صدأ اللئام وصَيْقَلُ الأحرار

قال بعض الحكماء : إذا قيل نعم الرجل أنت ، وكان أحب إليك من أن يقال بئس الرجل أنت ، فأنت بئس الرجل .

من وصايا لقمان لابنه : يابنى إن كنت استدبرت الدنيا من يوم نزلتهـــا ، واستقبلت الآخرة ، فأنت إلى دار تقرُب منها أقربُ من دار تَبَاعدُ عنها .

من خط والدى طاب ثراه :

لقد شمتّ بقلبى　　لافرّج الله عـــنه
كم لمُتُه فى هواهُ　　فقال لا بدّ منه

لبعضهم :

أنا والله هالك　　آيسٌ من سلامتى
أو أرى القامة التى　　قد أقامتْ قيامتى

لبعضهم :

قهوةٌ فى الكاس تحكى　　ذوبَ تبْر فى لُجين
فإذا الدِّيك رآها　　قال أفديك بعينى

لبعضهم :

لفضل بن سهل يدٌ　　تقاصر عنها المَثَلْ
فباطنهـــا للغنى　　وظاهرها للقُبَـــلْ

فقال : يعيّرونه بضيق المعيشة ، ويكلفونه ما لا يطيق حتى يوردوه مورد الهلكة».

لله در من قال :

لله در النائبات فإنهـــا صدأ اللئام وصَيْقَلُ الأحرار

قال بعض الحكماء : إذا قيل نعم الرجل أنت ، وكان أحب إليك من أن يقال بئس الرجل أنت ، فأنت بئس الرجل .

من وصايا لقمان لابنه : يابنى إن كنت استدبرت الدنيا من يوم نزلتهـــا ، واستقبلت الآخرة ، فأنت إلى دار تقرُب منها أقربُ من دار تباعدُ عنها .

من خط والدى طاب ثراه :

لقد شمتّ بقلبى لافرّج الله عـــنه
كم لُمتُه فى هواهُ فقال لا بدّ منه

لبعضهم :

أنا والله هالك آيسٌ من سلامتى
أو أرى القامة التى قد أقامتْ قيامتى

لبعضهم :

قهوةٌ فى الكاس تحكى ذوبَ تبر فى لُجين
فإذا الدِّيك رآها قال أفديك بعينى

لبعضهم :

لفضل بن سهل يدٌ تقاصر عنها المثَلْ
فباطنهـــا للغنى وظاهرها للقُبَـــلْ

وبَطشتُها للعدا وسطوتُها للأجَلْ

ابن العفيف فى مؤذن :

ومؤذن فى حبه أنا مغرم لا أصبرُ
لما طلبتُ وصاله أضحى علىّ يُكبّر

وله فى رسام :

رسّامكم قلت له بك الفؤاد مُغْرَم
قل لى متى تُذيبه فقال حين أرسم

أبو نواس :

إنما الدنيا طعامٌ وغلامٌ ومُـــدامُ
فإذا فاتك هـــذا فعلى الدنيا السلامُ

أخذه آخر فقال :

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ بين باديه ومحتضره
فإذا ولىّ أبو دُلفٍ ولت الدنيا على أثرهْ

من كتاب أنيس العقلاء : لا شىء أضر بالرأى ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ، فمن اعتقد أن خوار بقرة ، أو نعيب غراب يردان قضاء ، ويدفعان مقدورا ، فقد جهل .

واعلم أنه قلما يخلو من الطيرة أحد ، لا سيما من عارضته المقادير فى إرادته ، وصده القضاء عن طلبته ، فهو يرجو واليأس عليه أغلب ، ويأمل والخوف إليـــه أقرب . وإذا عاقه القضاء أو خانه الرجاء جعل الطيرة عذر خيبته ، وغفل عن قدرة

الله ومشيئته ، فهو إذا تطير من بعدُ أحجم عن الإقدام ، ويئس من الظفر ، وظن أن القياس فيه مطرد ، وأن العبرة فيه مستمرة ، ثم يصير ذلك له عادة فلا ينجح له سعى ، ولا يتم له قصد .

وأما من ساعدته المقادير ووافقه القضاء فهو قليل الطيرة لإقدامه ، ثقةً بإقباله ، وتعويلا على سعادته ، فلا يصدّه خوف ، ولا يكفه خور ، ولا يؤوب إلّا ظافرا ، ولا يعود إلا مُنجحا لأن الغُنم بالإقدام ، والخيبة مع الإحجام ، فصارت الطيرة من سِمات الإدبار ، واطّراحُها من أمارات الإقبال . فينبغى لمن منى بها وبلى ، أن يصرف عن نفسه وساوس النوكى ، ودواعى الخيبة ، وذرائع الحرمان ، ولا يجعل للشيطان سلطانا فى نقض عزائمه ، ومعارضة خالقه . ويعلم أن قضاء الله تعالى غالب ، وأن رزق العبد له طالب ، وأن الحركة سبب . فليمض فى عزائمه واثقا بالله إن أعطى ، وراضيا به إن مُنع ، وليقل إن عارضه فى الطيرة ريب ، أو خامره فيها وهم ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تطير فليقل : اللهم لا يأتى بالخيرات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم « ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا ويجىء بها ملـكان يناديان يسمعهما خلقُ الله إلا الثقلين : أيها الناس هلموا إلى ربـكم ، إن ماقل وكفى خير مما كثر وألهى » .

قال بعض العارفين : إن الله تعالى جعل خزائن نعمه عرضة لمؤمّليه ، وجعل مفاتيحها صدق نية راجيه .

كتب ابن دريد على دفتره بخطه : حسبى مَن خزائنُ عطاياه مفتوحةٌ لمؤمليه ، ومن جعل مفاتيحها صحة الطمع فيه .

وعليه أيضاً بخطه :

أفوّض ما تضيق به الصدورُ　　　إلى من لا تُغالبه الأمورُ

من كلام بعض الحكماء: الراضى بالدون هو من رضى بالدنيا. من أعرض عن خصومة لم يأسف على تركها . لا تتكل على طول الصحبة ، وجدّد المودة فى كل حين ، فطول الصحبة إذا لم يتعهَّد درست المودة. العاقل لا يشير على المعجَب برأيه. العز فى المجالسة بقلة الكلام وسرعة القيام . ليس لماء الوجه ثمن .

قد يسمع الجاهل ما ذكره أصحاب القلوب من المبالغة والتأكيد فى أمر النية ، وأن العمل بدونها لا طائل تحته ، كما قال سيد البشر « إنما الأعمالُ بالنيات » و « نية المرء خير من عمله » فيظنّ هذا المسكين أن قوله عند تسبيحه أو تدريسه : أسبح قربة إلى الله ، أو أدرس قربة إلى الله ، مخطِرا معنى هذه الألفاظ على خاطره هو النية ، وهيهات ، إنما ذلك تحريك لسان وحديث نفس أو فكر ، وانتقال من خاطر إلى خاطر . والنية عن جميع ذلك بمعزل ، إنما النية انبعاث النفس وانعطافها وميلها وتوجهها إلى فعل ما فيه غرضها وبغيتُها ، إما عاجلا وإما آجلا ، وهذا الانبعاث والميل إذا لم يكن حاصلا لا يمكنه اختراعهُ واكتسابه بمجرد الإرادة المتخيلة . وما ذلك إلا كقول الشبعان: أشتهى الطعام وأميل إليه، قاصدا حصول تلك الحالة، وكقول الفارغ : أعشق فلانا وأحبه ، وأعظمه بقلبى ، بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى شىء وميله وتوجهه إليه إلا باكتساب أسبابه ، فإن النفس إنما تنبعث إلى الفعل وتقصده وتميل إليه إجابة للغرض الموافق الملائم لها بحسب اعتقادها، وما يغلب عليها من الأحوال ، فإذا غلب عليها شهوة النكاح، واشتدّ توقان النفس إليه لا يمكن المواقعة على قصد الولد ، بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة فحسب ، وإن قال بلسانه أفعل السنة وأطلب الولد قربة إلى الله تعالى ، مخطرا معانى هذه

الألفاظ بباله ومحضرا لما فى خياله، فأقول: من هنا يظهر سر قوله صلى الله عليه وسلم « نية المرء خير من عمله » فتبصّر ، فالعاقل تكفيه الإشارة ، والله ولى التوفيق . انتهى .

[حكم]

من كلام بعض الحكماء : أيسر شىء الدخول فى العداوة ، وأصعب شىء الخروج منها .

إذا ذكر جليسك عندك أحداً بسوء فاعلم أنك ثانيه .

من رفعك فوق قدرك فاتقه .

أغلب الناس سلطان جائر ، وامرأة سليطة .

إذا اتهمت وكيلك فاخزن لسانك واستوثق بما فى يديه .

أكرم المجالسة مجالسةُ من لا يدعى الرياسة وهو فى محلها . قال محمد بن مكى: وشر المجالسة مجالسة من يدعى الرياسة وليس هو فى محلها .

ترك المداراة طرف من الجنون .

من قصر بك قبل أن يعرفك فلا تلمه .

من لا يُقبلُ قولُه فلا تصدق يمينه .

لا تصدّق الحلّافَ وإن اجتهد فى اليمين .

جفاء القريب أوجع من ضرب الغريب .

اللطف رشوة من لا رشوة له .

أشدّ ما على السخى عند ذهاب ماله ملامة من كان يمدحه وجفاء من كان يَبَرّه .

القتل أن تتعرض لما فى يد غيرك وأنت فى الوصول إليه على خطر .

من دارى عدوّه هابه صديقه .

من أفسد بين اثنين فعلى أيديهما هلاكه إذا اصطلحا .

شيئان لا ينقطعان أبدا : المصائب والحاجات .

النمام يُخرج منك الكلام بالمناقير .

الرشوة فى السر طرف من السحر .

من عادى من دونه ذهبت هيبته . ومن عادى من فوقه غُلبَ . ومن عادى مثله ندم .

صاح رجل بالمأمون : ياعبد الله ، ياعبدالله فغضب وقال: أتدعونى باسمى ؟ فقال الرجل : نحن ندعو الله باسمه ، فسكت المأمون وقضى حاجته وأنعم عليه . انتهى .

قال الصلاح الصفدى :

ما هذه الدنيا وإن أقبلت ... عليك أو ولّت بدار المقام

فسامٌ لمن سام فيها البقاء[1] ... دار به صرفُ المنايا وحام

قال محمد بن عبد الرحيم بن نباتة : لما مات أبو القاسم المغربى رجم الناسُ ظنونهم فيه متذكرين ما كان يقدم عليه من المعاصى ، فرأيته فى النوم ، فقلت : إن الناسَ قد أكثروا فيك ، فأخذ بيسراى وأنشدنى :

قد كان أمنٌ لك فيما مضى ... واليوم أضحى لك أمنان

والعفوُ لا يحسُن عن محسن ... وإنما يحسُن عن جان

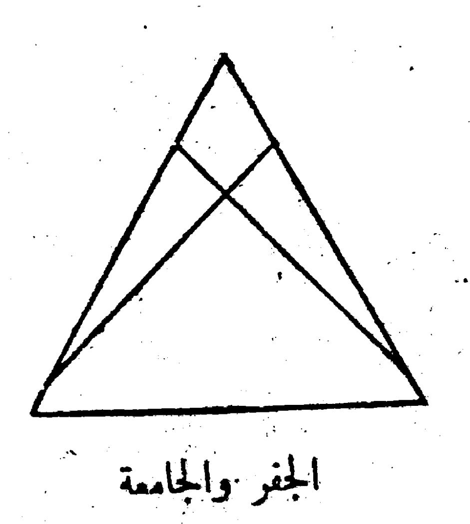
برهان للسيد السمرقندى على امتناع اللاتناهى فى جهة : يخرج من نقطة (ا) خط (ا ى) الغير المتناهى يفصل منه خط (ا ب) ويرسم عليه مثلث (ا ب ح) المتساوى

---

(١) السام الموت — وسام فيها البقاء : من السوم: سمت السلعة أى غاليت فى ثمنها . فهو يدعو على من يريد البقاء فى هذه الدنيا بالموت ؛ لأنها ليست بدار بقاء .

الأضلاع ، ويصل بين (ح) وكل من النقاط الغير المتناهية المفروضة فى خط (ا ى) الغير المتناهى بخط ، فكل من تلك الخطوط وتر منفرجة وهى زوايا (حـ ب ح ه ر ح ر ى) فح ر أعظم من ب ر ، و ح ه أعظم من ب ه إذ وتر المنفرجة أعظم من وتر الحادة فلو ذهب ب ى إلى غير النهاية كان الانفراج بين خط حـ ر والخط المتناهى أطول من غير المتناهى مع أنه محصور بين حاصرين .. هذا آخر كلامه .

واعترض عليه بعض الأعلام بأنه لا حاجة إلى رسم المثلث ، بل يكفى إخراج عمود من نقطة (ا) إلى (حـ) ونسوق البرهان إلى آخره . وللجامع الكتاب فى هذا الاعتراض نظر ، إذ السيد المذكور من أهل الهندسة ، وقد تكرر أن كل مطلب يمكن إثباته بشكل سابق لا يجوز التعويل على إثباته بالشكل اللاحق ، ورسم المثلث المتساوى الأضلاع هو الشكل الأول من المقالة الأولى ، وهو من أجلى المطالب الهندسية . وأما إخراج العمود فموقوف على أشكال كثيرة ، ورسم المثلث المتساوى الأضلاع واحد منها ، فهذا هو الباعث على التعويل على رسم المثلث وصاحب الاعتراض لما لم يكن مطلعا على حقيقة الحال قال ما قال .



الجفر والجامعة

قال السيد المحقق الشريف فى بحث العلم من شرح المواقف : الجفر والجامعة كتابان لعلى كرم الله وجهه ، قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التى تحدث إلى

انقراض العالم ، فكان الأئمة المعروفون من ولده يعرفونهما ويحكمون بهما . وفى كتاب قبول العهد الذى كتبه على بن موسى الرضا عليهما السلام إلى المأمون : إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك ، فقبلت منك ولاية العهد ، إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم .

ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت . ورأيت بالشام نظما أشير فيه بالرمز إلى ملوك مصر ، وسمعت أنه مستخرج من ذينك الكتابين انتهى .

الأمير أبو فراس الحمدانى :

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر	أما للهوى نهى عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاقٌ وعندى لوعة	ولكن مثلى لا يذاع له سر
إذا الليل أضوانى بسطت يد الهوى	وأذللت دمعا من خلائقه الكِبْرُ
تكاد تضىء النار بين جوانحى	إذا هى أذكتها الصبابة والفكر
معللتى بالوصل والموتُ دونه	إذا مت عطشانا فلا نزل القطر
بدوْت وأهلى حاضرون لأننى	أرى أن دارا لست من أهلها قفر
وحاربت أهلى فى هواكِ وإنهم	وإياى لولا حبك الماء والخمر
تسائلنى من أنت وهى عليمة	وهل لفتى مثلى على حاله نُكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى	قتيلُك ، قالت أيهم وهم كثر
فأيقنت أن لا عزّ بعدى لعاشق	وأن يدى مما علقت به صفر
وقلبت أمرى لا أرى لى راحة	إذا البين أنسانى ألحّ بىَ الهجر
فعدت إلى حكم الزمان وحكمها	لها الذنب لا تجزى به ولىَ العذر
وإنى لنزّال لكل مخوفة	كثير إلى نُزّالها النظر الشزر

فأصدأ حتى ترتوى البيضُ والقنا ... وأسغبُ حتى يَشبعَ الذئبُ والنَّسرُ
ويا رُبَّ دار لم تخفنى مَنيعـــةٍ ... طلعت عليها بالردى أنا والفجرُ
وحىٍّ رددت الخيل حتى ملكته ... هَزيما فردّتنى البراقعُ والخُمرُ
وما حاجتى بالمـــال أبغى وفورَه ... إذا لم يَفِرْ عِرضِى فلا وفر الوفرُ
هو الموتُ فاختر ما حَلا لك ذكره ... ولم يمت الإنسانُ ما حيىَ الذكر
ولا خير فى دفع الردى بمذلة ... كما ردّها يوما بسوءته عَمْرُو
فإن عشتُ فالطعنُ الذى يعرفونه ... وتلك القنا والبيضُ والضُّمر الشُّقْر
وإن مت فالإنسان لا بدّ ميتٌ ... وإن طالت الأيام وانفسح العمْر
سيذكرنى قومى إذا جد جِدُّها ... وفى اللّيــلةِ الظلماء يُفتقَدُ البدرُ
ولو سد غيرى ماسددتُ اكتفوْا به ... وما كان يغلو التِّبر لو نفَق الصُّفر
ونحن أناس لا توسطَ بيننا ... لنا الصَّدرُ دون العالمين أو القبر
تهون علينا فى المعالى نفوسُنا ... ومن خطبَ الحسناء لم يُغلِهِ المهرُ

هذا آخر ما اخترته منها ، وهى طويلة ، عذبة جيدة ، رائقة المعـــانى جزلة الألفاظ . اهـ

سمع بعض الحكماء رجلا يقول : قلب الله الدنيا ، فقال : إذن تستوى لأنها مقلوبة .

ومن كلامهم : الابتلاء بمجنون كامل أهون من الابتلاء بنصف مجنون .

ومن كلامهم : عداوة العاقل أقل ضررا من صداقة الأحمق .

قيل لبعض الحكماء : من أسوأ الناس حالا؟ قال : من بعدت همته ، واتسعت أمنيته ، وقصرت مقدرته . وقد لمح هذا المعنى أبو الطيب فقال :

وأتعب خلق الله من زاد همّه ... وقصّر عما تشتهى النفسُ وُجدُه

وله :

وإذا كانت النفوسُ كبارا تعبت فى مُرادها الأجسامُ

لله در قائله :

إن الزمانَ وإن ألا ن لأهله لمُخَاشنُ
نخطو به المتحرّ كا ت كأنهن سواكن .

قال أبو حازم : نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت .

حكى أن بعض الزهاد نظر إلى رجل واقف على باب سلطان وفى وجهه سجادة كبيرة ، فقال له : مثل هذا الدرهم بين عينيك وأنت تقف ها هنا ، وكان بعض الزهاد حاضرا ، فقال : يا هذا ، إنه ضرب على غير السكة . اهـ .

[أسفار التوراة]

التوراة خمسة أسفار :

السفر الأوّل يذكر فيه بدء الخلق والتاريخ من آدم إلى يوسف عليهما السلام .

السفر الثانى فيــه استخدام المصريين لبنى إسرائيل ، وظهور موسى عليه السلام ، وهلاك فرعون وقومه ، ونزول الـكلمات العشر ، وسماع القوم كلام الله تعالى .

السفر الثالث يذكر فيه تعظيم القرابين إجمالا .

السفر الرابع يذكر فيه عدد القوم ، وتقسيم الأرض عليهم ، وأحوال الرسل التى بعثها موسى عليه السلام إلى الشأم ، وأخبار المن والسلوى والغمام .

السفر الخامس يذكر فيه بعض الأحكام ، ووفاة هارون ، وخلافة يوشع عليه

السلام ، والربانيون ، والقرّاءون ينفردون عن بقية اليهود بالقول بنبوّة أنبياء آخرين غير موسى وهارون ويوشع ، وينقلون عنهم تسعة عشر كتاباً ، ويضيفونها إلى خمسة أسفار التوراة . ومجموع كتابهم على أربع مراتب :

المرتبة الأولى : للتوراة وقد ذكرناها .

المرتبة الثانية : أربعة أسفار يسمونها الأولَ .

أوّلها ليوشع عليه السلام ، يذكر فيه ارتفاع المن ، ومحاربة يوشع ، وفتحه البلاد ، وقسمتها بالقرعة .

وثانيها يدعى سفر الحكام ، فيه أخبار قضاة بنى إسرائيل .

وثالثها : لشمويل عليه السلام ، فيه نبوّته ، وملك طالوت ، وقتل داود جالوت .

ورابعها سفر الملوك فيه أخبار ملك داود وسليمان وغيرهما ، والملاحم ، وفيه مجىء بختنصر ، وخراب بيت المقدس .

المرتبة الثالثة أربعة أسفار تسمى الأخيرة :

أوّلها لشعياء ، فيه توبيخ بنى إسرائيل وإنذار بما وقع وبشارة للصابرين .

ثانيها لأرمياء عليه السلام ، يذكر فيه خراب البيت ، والهبوط إلى مصر .

وثالثها لحزقيل يذكر فيه حكمٌ طبيعية وفلكية مرموزة وأخبار يأجوج ومأجوج .

ورابعها اثنا عشر سفرا ، فيه إنذارات بزلازل وجراد وغيرها ، وإشارة إلى المنتظر ، والحشر ، ونبوة يونس عليه السلام ، وابتلاع الحوت له ، ونبوّة زكريا عليه السلام ، وبشارته بورود الخضر عليه السلام .

المرتبة الرابعة من الكتب ، وهى أحد عشر سفرا :

الأول تاريخ نسب الأسباط وغيرهم .

وثانيها مزامير داود : مائة وخمسون مزمورا كلها طلبات وأدعية .

وثالثها قصة أيوب وفيه مباحث كلامية .

ورابعها آثار حِكمية عن سليمان عليه السلام .

وخامسها أخبار الحكام .

وسادسها بشائر عبرانية لسليمان عليه السلام فى مخاطبة النفس والعقل .

وسابعها يدعى جامع الحكمة لسليمان عليه السلام ، فيه الحث على طلب اللذات العقلية الباقية ، وتحقير اللذات الجسمية الفانية ، وتعظيم الله تعالى والتخويف منه .

وثامنهـا يدعى النواح لأرمياء عليه السلام ، فيه خمس مقالات على حروف المعجم ندب على البيت .

وتاسعها فيه ملك أردشير .

وعاشرها لدانيال عليه السلام ، فيه تفسير منامات وحال البعث والنشور .

والحادى عشر لعزير عليه السلام ، فيه صفة عود القوم من أرض بابل إلى البيت وبناؤه . اهـ .

اعلم أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة ، إلا أن هذه الآثار تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه فى وقته ، فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال ، واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب ، وانزعج له وهاج إليه ، فتسمى هذه الحالة شوقا بالإضافة إلى أمر غائب ، وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف ، وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى مالم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظ فيسمى استبشاره أنسا ، وإن كان نظره إلى

صفات العز والاستغناء وعـدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم قلبه بهـذا الاستشعار ، فيسمى تألمه خوفا ، وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات . اهـ

قال عبد الله بن المبارك: قلت لبعض الرهبان: متى عيدكم؟ فقال: يوم لا نعصى الله تعالى فيه فذلك اليوم عيدنا .

خرج بعض الزهاد في يوم عيد في هيئة رثة، فقيل له: أتخرج في مثل هذا اليوم بمثل هذه الهيئة والناس يتزينون ؟ فقال : ما تزين لله تعالى أحد بمثل طاعته .

كل مربع فالفضل بينه وبين أقرب المربعات التي تحته إليه يساوي مجموع جذريهمـا . والفضل بينه وبين أقرب المربعات التي فوقه إليـه يسـاوي مجموع جذريهما .

من كتاب نهج البلاغة : إنه كرم الله وجهه قال لقائل قال بحضرته: أستغفر الله : ثـكلتك أمك ، أتدري ما الاستغفـار ؟ الاستغفار درجة العليين ، وهو اسم واقع على ستة معان : أولها : الندم على ما مضى ، والثاني العزم على ترك العود إليه أبدا، والثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس لك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤدّي حقها ، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت بالسحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول أستغفر الله . وفيه : إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحـكمة .

قال الإمام الرازي في قوله تعالى « هو الذي خلقـكم من طين » : إن الإنسان مخلوق من المني ودم الطمث، وهما يتولدان من الدم، والدم إنما يتولد من الأغذية، والأغذية إما حيوانية أو نباتية فإن كانت حيوانية فالحال في تولد ذلك الحيوان

كالحال فى تولد الإنسان ، فبقى أن تكون نباتية ، فالإنسان مخلوق من الأغذية النباتية ، ولا شك أنها متولدة من الطين ، فيكون هو أيضا متولدا من الطين .

من النهج من أواخر الكتاب الذى كتب إلى سهل بن حنيف : إليكِ عنى يادنيا ، فحبلك على غاربك ، ولقد انسلاتُ من مخالبك ، وأفلت من حبائلك ، وأجبت الذهاب من مداحضك . أين القرون الذين غررتِهم بمداعبتك ؟ أين الأمم الذين فتنتِهم بزخارفك . ها هم رهائن القبور ، ومضامينُ اللحود . والله لو كنتِ شخصا مرئيا ، وقالبا حسيا لأقمت عليك حدود الله فى عباد غررتهم بالأمانى ، وأمم ألقيتهم فى المهاوى ، وملوك أسلمتهم إلى التلف ، وأوردتهم موارد البلاء ، اغربُى عنى ، فوالله لا أذل لك فتذليني ، ولا أسلس لك فتقوديني ، وايم الله يمينا لأستثنى فيها ما روض نفسى رياضة تهش معها إلى القُرْصِ إذا قدرتْ عليه مطعوما ، وتقنع بالملح مأدوما ، ولأدعن مقلتى كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها ، أتمتلئُ السائمة من رعيها فتبرك ، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ، ويأكل علىٌّ من زاده فيهجع ، قرّت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة ، والسائمة المرعية ، طوبى لنفس أدّت لربها فرضه وعركت بجنبها بؤسها ، وهجرت فى الليل غمضها ، حتى إذا الكرى غلبها افترشت أرضها وتوسدت كفها فى معشر أسهر عيونهم خوفُ معادهم ، وتجافت عن مضجعهم جنوبُهم ، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت لطول استغفارهم ذنوبهم . اهـ .

من التائية الصغرى للشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى :

نَعم بالصّبا قلبى صبا لأحبتى … فيا حبّذا ذاك الشّذى حين هبّت

سَرت فأسرّت للفؤاد غُديةً[1] … أحاديثَ جيران العُذيب فسرّت

(١) الغدية — كغنية — بمعنى الغدوة ، وهى البكرة ، الجمع غدوات .

تذكرنى العهد القديم لأنهــا ... حديثة عهد من أُهَيل مَودتى

أيا زاجراً حمر الأوارك تارك الـــموارك من أكوارها كالأريكة(١)

لك الخير إن أوضحت توضح مضحيا ... وجُبت فيافى خبت آرام وجرة

ونـكّبت عن كثب العريض معارضا ... حُزونا لُحزوى سائقا لسويقتى

وباينت بانات كذا عن طويلع ... بسلع فسل عن حِلة فيه حلّت

وعرج بذياك الفريق مبلغــــا ... سلمت — عريبا ثَمّ عنى — تحيتى

فلى بين هاتيك الخيام ضنينةٌ ... علىّ بشملى سمحـــــة بتشتتى

محجبةٌ بين الأسنـــة والظبــا ... إليها انثنت ألبابنــــا إذ تثنت

ممنعةٌ خلع العذار نقابهـــــا ... مسربلةٌ بردين قلبى ومهجتى

تتيحُ المنايا إذ تبيح لى المنى ... وذاك رخيصٌ مُنيتى بمُنيتى

وما غدرت فى الحب إذ هدرت دمى ... بشرع الهوى لـكن وفت إذ توفت

متى أوعدتْ أولتْ وإن وعدت لوت ... وإن أقسمت لاتبرئُ السُّقم برّت

وإن عرضت أُطرِقْ حياء وهيبة ... وإن أعرضت أطرِقْ ولا أتلفت

هى البدر أوصافا وذاتى سماؤهُ ... سمت بى إليها همتى حين همّت

منازلهـا منى الذراعُ توسدا ... وقلبى وطرفى أوطنت إذ تجلّت

منعمّة أحشاى كانت قبـــل ما ... دعتهـا لتشقى بالغرام فلبت

فـلا عاد لى ذاك النعيمُ ولا أرى ... من العيش إلا أن أعيش بشقوتى

ألا فى سبيل الله حالى وما عسى ... بكم أن ألاقى لو دريتم أحبـتى

أخذتم فؤادى وهو بعضىَ عندكم ... فما ضرّكم أن تتبعوه بجملتى

وَجَدت بكم وجدا قُوى كل عاشق ... لو احتملت من عبئه البعضَ كلّت

(١) حمر الأوارك : هى الإبل . والأوارك : جمع موركة — بكسر الميم — قادمة الرحل . والأكوار جمع كور ، وهو السنام .

كأنى هلالُ الشك لولا تأوهى خفيتُ فلم تهد العيون لرؤيتى

وقالوا جرت حمرا دموعُك قلت من أمور جرت فى كثرة الشوق قلّت

نحرت لضيف السهد فى جفنى الكرى قِرًى فجرى دمعى دما فوق وجنتى

ولما توافينا عشاء وضمنا سواء سبيلَىْ ذى طوى والثنية

ومنّتْ وما ضنت علىّ بوقفة تعادلُ عندى بالمعرّف وقفتى

عتبت فلم تعتب كأن لم يكن لقا وما كان إلا أن أشرت وأومت

أيا كعبة الحسن التى لجمالها قلوبُ أولى الألباب لبت وحجت

بريق الثنايا منك أهدى لنا سنا بَريق الثنايا وهو خير هدية

ولُوحى لقلبى إن قلبى مجاور جمالِكِ فتاقت للجمال وحنت

ولولاك مااستهديتُ برقا ولا شجت فؤادى فأشجت إذشدت وُرْقُ أيكة

فذاك هدى أهدى إليك وهذه على العود إذ غنّت عن العُود أغنتِ

أروم وقد طال المدى منكِ نظرةً وكم من دماء دون مرماى طُلَّتِ

أمالك عن صدّ أمالكِ عن صدِ[1] لظلمك ظلما منك ميلا لعطفة

جمال محياك المصونُ لثامُه عن اللثم فيه عُدتَ حيا كميت

وجنّبنى حبيكِ وصلَ معاشرى وحببنى ما عشت قطع عشيرتى

وأبعدنى عن أربُعٍ بعد أربُعٍ شبابى وعقلى وارتياحى وصحتى

فلى بعد أوطانى سكون إلى الفلا وبالأنس وحشى إذ من الأنس وحشتى

إبائى أبى إلّا خلافى ناصحا يحاول منى شيمة غيرَ شيمتى

يلذّ له عذلى عليك كأنما يرى منّه منّى وسلواه سَلوتى

سقى بالصفا الربعىّ ربعا به الصفا وحيّا بأجياد ثرى منه ثروتى

(١) أما لك الأولى استفهام، وأما لك الثانية فعل ماض من الميل فهو يقول: أليس لك صدود يميلك ويبعدك عن صد: أى متعطش لرؤياك.

مخيّمُ آمالى وسُـوق مآربى وقبـلة آمالى وموطنُ صبوتى
منازل أنس كنّ لم أنس ذكرَها فمن بُعـدِها والقربِ نارى وجنتى
غرامى أقمْ صبرى انصرِم دمعى انسجِم عدوى انتقم دهرى احتكم حاسدى اشمت
ويا جلدى بعد النقا لستَ مُسعدى ويا كبِـدى عزّ اللقـا فتفتّت
سلام على تلك المعـاهد من فتى على حِفظ عهد العـامرية ما فتى

لبعضهم :

أعلل القلب بذا كرا كُمُ والقلبُ يأبى غـيرَ لُقيا كم
حلّتم قلبى وبنتم فـا أدنا كم منّى وأقصـا كم
وحبذا ريحُ الصّبا إنهـا تَروّح القلب بريّاكم

[قطب الفلك الأعلى]

ربما يتوهم كثير من الناس أن قطب الفلك الأعلى داخل فى الشـكل الإهليجى الملقب بالسمكة فى لسان الهند ، وبفاس الرحى عند العرب ، وأنه فى وسط الحقيقى ، وهذا توهم باطل ، وإنما قطب المعدل على حدبة القوس الذى من جملة كوا كبه كوكبان من بدن الدب ، وقد صرح بهذا جهابذة الفن .

قال الفاضل عبد الرحمن الصوفى صاحب صور الـكوا كب: أقرب الـكوا كب إلى القطب الشمالى كوكب الدب الأصغر ، وكوا كبه من نفس الصورة سبعة، ثلاثة منها على ذنبها ، وهى الأول والثانى والثالث ، أولها الأنور وهو على طرف الذنب من القدر الثالث ، والباقيان من الرابع ، والأربعة على مربع مستطيل ، على بدنه الاثنان اللذان يليان الذنب أخفى ، وهما الرابع والخامس ، والاثنان التاليان لهما وهما السادس والسابع أنور . والعرب تسمى السبعة على الجملة بنات نعش الصغرى ،

وتسمى النيرين اللذين على المربع الفرقدين ، والنيرَ الذى على طرف الذنب الجدى وهو الذى به تتوخى القبلة ، وبقرب الأنور من الفرقدين وهو السادس كوكب أخفى منه على استقامة الفرقدين ليس من الصورة. وقدذكره بطليموس وسماه خارج الصورة من القدر الرابع . ويتصل هذا الكوكب بالكوكب الذى على طرف الذنب بسطر من كواكب خفية فيه تقويس أيضا مثل تقويس السطر الأوّل ، وقد أحاط القوسان بسطح شبيه بخلقة السمكة تسمى الفأس ، تشبيهالها بفأس الرحى التى يكون القطب فى وسطها ، وقطب معدل النهار على حدبة القوس الثانية عند أقرب كوكب من السطر إلى الجدى . انتهى .

ومثل ذلك قاله العلامة فى كتابه الموسوم « بنهاية الإدراك فى دراية الأفلاك » وكذا غيره من النقاد .

[انطباع الصور فى الحواس]

أنكر محققو الإشراقيين انطباع الصور فى الحواس مطلقا ، لأن المدرك ربما يزداد مقداره على مقدار محل الحس بالأضعاف . قالوا وما يقال من أن النفس تستدل بالصورة وإن كانت أصغر من المرئى على ما عليه المرئى فى نفسه ، بمعنى أن ما مقدار صورته هذا كم يكون أصل مقداره باطل ؛ لأن إدراك مقدرا الشىء بالمشاهدة لا بالاستدلال . وكذا يستحيل عندهم انطباع الصورة فى المرآة لاختلاف مواقع الصور منها باختلاف مقامات النظار ، ولأنه يرى الصورة غائرة فى عمق المرآة بحسب بعد ذى الصورة عنها ، وربما كان ذلك البعد بحيث لا يفى به عمق المرآة . والحق عندهم فى الصور الخيالية وصور المرآة أنها صياصىّ معلقة لا فى مكان ، بل هى موجودة فى عالم آخر متوسط بين التجرد التام والتعلق التام يسمى

عالم المثال ، والنفس تشاهدها هناك ، ولها مظاهر كالمرآة والخيـــال . وأنكروا انحفاظ المعانى الجزئية فى الحافظة ؛ إذ ربما يجتهد الإنسان جهداً عظيما فى تذكر شىء منها فلا يتأتى له ، ثم يتفق له أن يتذكره بعينه ، فلو كان محفوظا فى بعض قوى بدنه لما غاب عنه مع الفحص الشديد ، بل المعانى عندهم محفوظة فى النفس المنطبعة السماوية ، كما أن الكليات محفوظة فى المجردات ، نعم ، جوزوا أن يتعلق بالحافظة استعداد استفادتها من الخزانة .

وحقيقة الإدراك عندهم : إضافة إشراقية النفس بالنسبة إلى المدرك وتلك الإضافة ربما تترتب على استعمال الحواسّ ، وربـــما تتحقق بدونه ، فإن النفوس المنسلخة عن الأبدان ربما تشاهد أمورا يتيقن أنها ليست نقوشا فى بعض القـوى البدنية ، والمشاهدة باقية مع النفس ما بقيت . اهـ

[الحب القاتل]

كان بعض الأعراب يهوى جارية وكانت تتجنى عليه ولا تكلمه ، فأدنفه الهوى إلى أن حضرت الوفاة ، فقيل لها إنه قد أتلفه حبّك فهلا زرتيه وفيه رمق ؟ فأتت إليه وقبضت بعضادة الباب وقالت : كيف حالك ؟ فأنشد :

ولما دنا منّى السياقُ تعطفت ... علىّ وعندى من تعطُّفها شغلُ
أتت وحياضُ الموت بينى وبينها ... وجادت بوصل حين لا ينفعُ الوصلُ

ثم نظر إليها نظرة تحسر ، وتنفس الصعداء ومات . رحمه الله تعالى .

[تشريح القدم]

قال الشيخ الرئيس فى القانون فى تشريح القدم : وخلق له أخمص تلى الجانب الإنسى ليكون ميل القدم عند الانتصاب ـ وخصوصا لدى المشى ـ هو إلى الجهة

المضادة لجهة الرجْل المشيلة ؛ ليقاوم بما يجب أن يشتد من الاعتماد على جهتـــه ، لاستقلال الرجل المشيلة للنقل ، فيعتدل القوام . قال الشارح القرشي فى شرح هذا الـكلام : إن المشى إنما يتم برفع إحدى الرجلين ، ووضعها حيث يراد الانتقال ، ولا بد من ثبات الرجل الأخرى ليمـكن بقاؤه منتصبا ، وعند رفع إحدى الرجلين لا بد وأن يميل البدن إلى ضد جهتها ، كما إذا رفعنا أحد جانبى جسم ثقيل فإنا نجد ذلك الجسم لامحالة يميل إلى ضد جهة ذلك الجانب ، وتقعير الأخمص يوجب ميل البدن إلى جهته وهى جهة الرجل المرفوعة فيتقاوم الميلان لامحالة ، ويبقى البدن على انتصابه ؛ ولذلك من يُفقد له هذا الأخمص فإن بدنه يميل فى حالة مشيه عند رفع كل رجل إلى ضدّ جهتها .

ولقائل أن يقول : إنما يلزم الميل إلى ضد جهة المشيل إذا كان ذلك المشيل بحيث لا تكون حركته بانفراده ، كطرف الخشبة مثلا ، وأما إذا لم يكن كذلك ، بل كان المشيل له انفصال عن الباقى حتى تمكن حركته كما فى الرجْل فإنه إنما يلزم من رفعه ميلُ الباقى إلى تلك الجهة بعينها ، كما لو أزلنا إحدى الدعامتين فإن الجسم المدعوم إنما يميل حينئذ إلى جهة المزيلة . وجوابه أن الميل بعد إزالة الدعامة لاشك أنه إنما يحصل إلى جهة المزيلة ، ولـكن فى حال إزالتها إنما يكون الميل إلى ضـــد تلك الجهة ؛ لأن هذه الإزالة إنما تـكون بعد رفع جزء من الباقى حتى يزول الثقل عن الدعامة فتزول ، ويلزم ذلك ميلُ كل الجسم إلى ضد جهتها ، وليس لكم أن تقولوا إن الدعامة قد يمكن إزالتها بدون ذلك ، بأن تجر مثلا ؛ لأنا نقول : الحال فى رفع الرجل عند المشى ليس كذلك ؛ لأن الرجل إنمـا ترتفع بتقلص العضـــلة الرافعة لها تقلصا إلى فوق ، ويلزم ذلك رفع بعض أجزاء البدن ، وذلك كما قلنـا يلزمه ميله إلى ضد جهة تلك الرجل . اهـ كلام القرشى .

قال جامع الكتاب : كلام هذا الشارح غير منطبق على كلام الشيخ الرئيس؛ فإن كلام الشيخ ظاهر فى أن تقعير الأخمص يوجب الميل إلى الجهة المضادة لجهة الرجل المشيلة، وكلام هذا الشارح صريح فى أن ذلك يوجب الميل إلى جهة الرجل المشيلة ، ودليله على ذلك إلى آخر كلامه لا بأس به ، وإن أمكن خدشه فليتأمل.

من كلام عبد الله بن المعتز : لا يزال الإخوان يسافرون فى المودة حتى يبلغوا الثقة ، فإذا بلغوها ألقوا عصى التسيار ، واطمأنت بهم الدار ، وأقبلت وفود النصائح ، وأمنت خبايا الضمائر ، وحلوا عقدة التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلق .

ومن كلامه : تجاوز عن مذنب لم يسلك من الإقرار طريقا ، حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا .

[فى عالم الفلك]

إذا أردت معرفة تقويم أحد السيارة فاستعلم ارتفاعه ، ثم ارتفاع أحد الثوابت المرسومة فى العنكبوت ، وضع شظية الثابت على ميل ارتفاعه من المقنطرات، فأعلى ميل ارتفاع السيارة من منطقة البروج هو درجة ذلك السيار .

* * *

معرفة ارتفاع قطب البروج أن تضع طالع الوقت على الأفق وتعد منه إلى تسعين على خلاف التوالى ، ثم تنقص ارتفاع المقنطرة المماسة للجزء المنتهى إليه العدد تسعين ، فالباقى ارتفاع قطب البروج ذلك الوقت . انتهى .

نظر رجل إلى امرأة فى رجلها خف مخرّق ، فقال لها : ياهذه خفك يضحك ، فقالت : نعم إنه يسىء الأدب ، ومن عادته إذا رأى كشخانا[1] لم يملك نفسه

(١) الكشخان : الديوث .

أن يضحك ، فقال الرجل : هذا جزاء من يمزح .

تاسع الأولى من كتاب الأصول . نريد أن ننصف زاوية كزاوية ب ا ح فلنعين على ا ب نقطة ء ونفصل من ا ح ا هـ مثل ا ء ونصل ء هـ ونرسم عليه مثلث ء هـ ر المتساوى الإضلاع، ونصل ا ر فهو ينصف الزاوية. وذلك لأن أضلاع مثلثى ء ا ر هـ ا ر متساوية بالتناظر، فزاويتا ر ا ء ر ا هـ متساويتان وذلك ما أردناه . انتهى كلام إقليدس

وللجامع الكتاب وجه آخر: نعين على ا ء ح كيف اتفق ، ونجعل ا ر مثل ا ح ونصل ء ر هـ ح متقاطعين على ر ط ، ونصل ا ط فى مثلثى ء ا ر هـ ا ح ضلعا ء ا ا ر وزاوية ا مساوية لضلعى ا ب ا ح ، وزاوية ا فيتساوى المثلثان فيلزم تساوى مثلثى ء ط ح هـ ط ر لباقيهما بعد إسقاط المشترك بين المتساويين ، فيتساوى ء ط هـ ط هـ ، فأضلاع مثلثى ا ط ء ا ط هـ متساوية كل لنظيره فزواياهما كذلك ، وذلك ما أردناه . انتهى .

لبعضهم:

لما نظر العذالُ حالى بهتوا   فى الحال وقالوا لوم هذا عنت

ما نفرض إلا أننا نعذله   من يسمع من يعقل من يلتفت

لبعضهم :

على بعـــدك لا يصبـــر من عادتهُ القربُ

ولا يقوى على هجر ك من تيمّـــه الحبُّ

إذا تركَ العينُ فقد أبصركَ القلبُ

ذهب بعضهم إلى أن بين العبادة المجزئة والمقبولة عموما مطلقا، فكل عبادة مقبولة مجزئة، ولا عكس. وحاصله عدم التلازم بين القبول والإجزاء، فالمجزئ ما يخرج به المكلف من العهدة، والمقبول ما يترتب على فعله الثواب. واستدلوا بوجوه: الأول سؤال إبراهيم وإسماعيل عليهما وعلى نبينا السلام التقبل، مع أنهما لا يفعلان إلا صحيحا.

الثانى: قوله تعالى «فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر».

الثالث: الحديث «إن من الصلاة لما يقبل ثلثها ونصفها وربعها» الحديث.

الرابع: أن الناس مجمعون على الدعاء بقبول الأعمال، وهو يعطى عدم التلازم.

الخامس: قوله تعالى: «إنما يتقبل الله من المتقين» مع أن عبادة الفاسق مجزئة. وقد تكلف بعضهم فى الجواب عن هذه الوجوه بما لا يخلو عن خدش.

الكسوف: إن كان غير تام والباقى من الشمس هلاليا فالضوء الخارج منها النافذ فى ثقب ضيق مستدير إلى سطح مواز مقابل للثقب يكون هلاليا، وليس ضوء القمر وقد انخسف بعضه، ولا أوائل الشهر وأواخره، مع أن المستنير منه فى الأحوال هلالى إذا نفذ من الثقب إلى السطح الموازى هلاليا، بل مستدير وإن كان الثقب واسعا والسطح الموازى له كان الضوء الخارج من النيرين وقت انخسافهما على هيئة أشكال الثقوب، أعنى مستديرا إن كان الثقب مستديرا، أو مربعا إن كان مربعا إلى غير ذلك، وسببه مذكور فى النهاية فليراجعها من أراد الاطلاع عليه.

[متى يقرأ المنطق]

قال العلامة فى شرح حكمة الإشراق : اعلم أن مرتبة المنطق أن يقرأ بعد تهذيب الأخلاق وتقويم الفكر ببعض العلوم الرياضية من الهندسة والحساب . أما الأول فلما قال أبقراط فى كتاب الفصول : البدن الذى ليس بالنـقى كلما غذيته إنما تزيده شرا ووبالا ، ألا ترى أن من لم تتهذب أخلاقهم ، ولم تطهر أعراقهم ، إذا شرعوا فى المنطق سلكوا نهج الضلال ، وانخرطوا فى سلك الجهال ، وأنفوا أن يكونوا مع الجماعة وأن يتقلدوا ذل الطاعة ، فجعلوا الأعمال الظاهرة والأقوال الظاهرة التى وردت بها الشرائع دبر آذانهم ، والحقّ تحت أقدامهم متمحلين لطريقهم حجة ، ومتطلبين لضلالهم محجة ، وهى أن الحكمة ترك الصور وإنكار الظواهر ، إذ فيها يتحقق معانى الأشياء دون صورها وبممارستها يطلع على حقائق الأمر دون ظواهرها ، ولم يخطر لهم بالبال أن الصور مرتبطة بمعانيها ، وظواهر الأشياء منبئة عن حقائقها ، وأن الحقيقة ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل كما ظنوا ، والله عز شأنه وبهر برهانه ينتصف منهم يوم تبلى السرائر ، وتبدو الضمائر ، فإنهم أبعد الطوائف عن الحكماء عقيدة ، وأظهر المعاندين لهم سريرة . وأما الثانى فلتستأنس طباعهم إلى البرهان .

قال بعضهم : إن الأمل رفيق مؤنس ، إن لم يبلغك فقد ألهاك .

مجنون ليلى :

أمانىُّ من ليلى حسانٌ كأنما ... سقتنى بها ليلى على ظمإٍ بردا
مُنى إن تكن حقا تكن غايةَ المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

لبعضهم :

أعلل بالمنى قلبي لأنى أذود الهمّ بالتعليل عنى
وأعلم أن وصلك لا يرجّى ولكن لا أقل من التمنّى

قيل لأعرابى : مالذة الدنيا ؟ فقال فى ثلاث : ممازحة الحبيب ، ومحادثة الصديق ، وأمانى تقطع بها أيامك .

ابن أبى حازم :

طِب عن الأمة نفسا وارضَ بالوحدةِ أُنسا
ماعليها أحدٌ يسوى على الخبرة فلسا

محمود الوراق :

أظهرُوا للناسِ دِيناً وعلى المنقوش دارُوا
وله صلوا وصاموا وله حجوا وزاروا
لو علا فوق الثّريا ولهم ريش لطاروا

تركان : اسم امرأة فصيحة ، جيدة الشعر ، فمن شعرها إلى رجل خاشنها فى كتابة كتبها إليها :

قد رأينا تنكرا وسمعْنا تنقصا
وأتانا كتابُكم أمس فى كفّه عصا
وتخرصتم الذنو بَ علينا تخرّصا
فعلمنا بأنكم تشتهون التخلّصا

أمر بعض الخلفاء لبعض الفقهاء بكيس فيه دراهم ، فقال : ياأمير المؤمنين آخذ الخيط ؟ فقال له الخليفة : ضع الكيس .

[حكم]

من كلام بعض العارفين : سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك : من عاب نفسك فقد زكاها .

مما أوحى الله به إلى بعض أنبيائه : هب لى من قلبك الخشوع ، ومن عينك الدموع ، وسلنى فإنى قريب مجيب .

كن فى الدنيا وحيدا فريدا ، مهموما حزينا ، كالطائر الواحد الذى يظل بأرض الفلاة يروَى من ماء العيون ، ويأكل من أطراف الشجر ، فإذ جنّ عليه الليل آوى وحده استيحاشا من الطير واستئناسا بربه .

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة من غير عشيرة ، فليتحوّل من ذل المعصية إلى عز الطاعة .

قال بعض الحكماء : لا تُكرهوا أولادكم على أخلاقكم ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم . من أصلح ما بينه وبين الله تعالى أصلح الله ما بينه وبين الناس .

أبو فراس :

إلى الله أشكو أن فى النفس حاجة ... تمرّ بها الأيامُ وهى كما هيا

أبو الطيب :

جمح الزمان فما لذيذٌ خالص ... مما يشوبُ ولا سرور كامل

محمد بن غالب :

لولا شماتةُ أعداء ذوى حسد ... أو اغتمامُ صديق كان يرجونى

لما خطبتُ إلى الدنيا مطالبَها ... ولا بذلتُ لها مالى ولا دينى

لبعضهم :

يا من عَلَوْا وعلوُّهم أعجوبة بين البشرْ
الدهر دولابٌ وليـــس يدور إلا بالبقرْ

أبو إسحاق الصابئ هو إبراهيم بن هلال ، أوحد الزمان فى البلاغة ، وفريد الدهر فى الكتابة ، بلغ التسعين فى خدمة الخلفاء ، وتقلد الأعمـــال الجلائل مع ديوان الرسائل . وذاق حلو الدهر ومرّه ، ولابس خيره وشره . ومدحه شعراء العراق ، وسار ذكره فى الآفاق . راوده العلماء على الإسلام بكل حيلة ، وتوسلوا إلى ذلك بكل وسيلة فلم يسلم ، وعرض عليه السلطان بختيار الوزارة إن أسلم . وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويساعدهم على صيام رمضان ، ويحفظ القرآن حفظا يدور على طرف لسانه . وكان فى زمن شبابه أرخى بالا منه فى زمن كبره ، وإلى ذلك أشار فى قصيدة كتب بها إلى الصاحب يستمطر سحائبه ، ويستدر أخلاف جوده ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ويعده من جملة الأكفاء . فمن أبياتها :

عجـــبا لحظى إذ أراه مُصاحبى عصر الشباب وفى المشيب مُغاضبى
أمن الغوانى كان حتى خاننى شيخا وكان مع الشبيبة صاحبى

وعزل فى آخر عمره ، واعتقل ، وقيد وكان يقوم ويقع إلى أن تهتك ستره ورقت حاله ، وكان الصاحب يحبه أشدّ الحب ، ويتعصب له ، ويتعهده على بعد الدار بالمنح ، وهو يخدم الصاحب بالمدح .

قال المحقق التفتازانىّ فى المختصر : اختلف فى التفضيل بين الصاحب والصابئ ، والحق أنّ الصاحب كان يكتب ما يريد ، والصابئ يكتب ما يؤمر ، وبين المقامين بون بعيد . ومات سنة ٣٨٤ على كفره ، وكذا ابنه المحسن ورثاه الشريف الرضى بقصيدة طويلة جيدة .

[حكم]

من كلامهم : من تاجر الله لم يوكس بيعه ، ولم يبخس ربحه . لا ينال ما عند الله إلا بعين ساهدة ، ونفس مجاهدة . الكريم سلس القياد ، واللئيم عسر الانقياد ، ويل لمن كان بين عز النفس وذل الحاجة . ويل لمن كان بين سخط الخالق وشماتة المخلوق . الآمال متعلقة بالأموال . الأريب لا يجالس من لا يجانس . رب ذئاب فى أهب نعاج ، وصقور فى صور دجاج . رب رقعة تفصح عن رقاعة كاتبها . ربما تطيبُ الغموم بالعموم . إذا نابتك النائبة ولا حيلة لها فلا تجزعن ، وإن كان لها حيلة فلا تعجزن . أدوية الدنيا تقصر عن سمومها ، ونسيمها لا يفى بسمومها . شر النوائب ما وقع من حيث لا يتوقع .

قال بعض الأعراب : أفرش طعامك اسم الله ، وألحفه حمد الله . لا يطيب حضور الخوان إلا مع الإخوان . رب أكلة منعت أكلات .

شكا رجل إلى بعض الزهاد كثرة عياله ، فقال له الزاهد : انظر من كان منهم ليس رزقه على الله فحوله إلى منزلى .

قال ابن سيرين لرجل كان يأتيه على دابة، فأتاه يوما راجلا: مافعلت بدابتك ؟ فقال : قد اشتدّت علىّ مؤنتها فبعتها ، فقال ابن سيرين : أفتراه خاف رزقها عندك .

سئل أنو شروان : ما أعظم المصائب ؟ فقال: أن تقدر على المعروف فلا تصنعه حتى يفوت .

كان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك أيام خلافته ، فسمع صوت رعد ففزع سليمان منه ووضع صدره على مقدم رحل ، فقال له عمر : هذا صوت رحمته ، فكيف صوت عذابه !

قال بعض العارفين : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت ، لأنك إن قلت لا فقد كفرت ، وإن قلت نعم فقد كذبت .

من الإحياء ـ فى كتاب آداب الصحبة ـ قال على بن الحسين رضى الله عنهما : هل يدخل أحدكم يده فى كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد من غير إذن؟ فقيل لا ، فقال : اذهبوا فلستم بإخوان .

وقال أبو سليمان الدارانى : إنى لألقم اللقمة أخا من إخوانى فأجد طعمها فى فمى .

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم ، وهو يريد بيت المقدس ، فقال له : إنى أريد أن أرافقك ، فقال له إبراهيم : على أن أكون أملك لشيئك منك . قال لا ، فقال إبراهيم : أعجبنى صدقك .

بيان اختلاف الخلق فى لذاتهم

انظر إلى الصبىّ فى أوّل حركته وتمييزه ، فإنه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب ، حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء ، ثم يظهر فيه بعد ذلك استلذاذ اللهو ، ولبس الثياب الملوّنة ، وركوب الدواب الفارهة ، فيستخف معه اللعب ، بل يستهجنه ، ثم تظهر فيه بعد ذلك لذة الزينة بالنساء والمنزل والخدم فيحتقر ماسواها لها . ثم تظهر فيه بعد ذلك لذة الجاه والرياسة ، والتكاثر من المال ، والتفاخر بالأعوان والأتباع والأولاد . وهذ آخر لذات الدنيا ، وإلى هذه المراتب أشار سبحانه وتعالى بقوله عز من قائل « إنما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ » الآية ثم بعد ذلك فقد تظهر لذة العلم بالله تعالى ، والقرب منه ، والمحبة له ، والقيام بوظائف عباداته ، وترويح الروح بمناجاته ، فيستحقر معها جميع اللذات السابقة ، ويتعجب من المنهمكين فيها . وكما أن طالب الجاه والمال يضحك من لذة الصبىّ باللعب بالجوز مثلا ،

كذلك صاحب المعرفة والمحبة يضحك من لذة الطالب الجاه والمال ، وانتهى بوصوله إلى ذلك .

ولما كانت الجنة دار اللذات، وكانت اللذات مختلفة باختلاف أصناف الناس ، لاجرم كانت لذات الجنة على أنواع شتى على ما جاءت على به الكتب السماوية ، ونطق به أصحاب الشرائع صلوات الله عليهم، ليعطى كل صنف ما يليق بحالهم منها . فإن كل حزب بما لديهم فرحون ، والناس أعداء لما يجهلون .

ورد فى بعض الكتب السماوية : ياابن آدم ، لو كانت الدنيا كلها لك، لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت ، وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن أم لا ؟

من الإحياء : لما ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ابن عباس رضى الله عنهما أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يهنئونه، وأبطأ عنه أبو ذر، وكان له صديقا، فعاتبه ابن عباس ، فقال أبو ذر رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّ الرجل إذا ولى ولاية تباعد الله عنه » .

قال بعض العارفين : رأيت الفضيل يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثكلى الحزينة ، حتى إذا كادت الشمس تغرب رفع رأسه إلى السماء قابضا على لحيته وقال : واسوأتاه منك وإن غفرت ، ثم انقلب مع الناس .

ورد فى بعض التفاسير : فى تفسير قوله تعالى « إنه كان للأوّابين غفوراً » أن الأوّاب هو الرجل يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .

ابن مسعود : إنّ للجنة أبوابا كلها تفتح وتغلق ، إلا باب التوبة فإنّ عليه ملكا موكلا به لا يغلق .

من الإحياء : قدم هشام بن عبد الملك حاجا أيام خلافته ، فقال ائتونى برجل

من الصحابة ، فقيل قد تفانوا ، قال فمن التابعين ، فأتى بطاوس اليمانى ، فلما دخل عليه خلع نعله بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ، بل قال : السلام عليك ولم يكنه ، ولكن جلس بإزائه وقال : كيف أنت ياهشام ؟ فغضب هشام غضباً شديدا وقال : ياطاوس ما الذى حملك على صنعت ؟ فقال : وما صنعت ؟ فازداد غضبه وقال : خلعت نعلك بحاشية بساطى ، ولم تسلم علىّ بإمرةالمؤمنين،ولم تكننى، وجلست بإزائى ، وقلت كيف أنت ياهشام . فقال طاوس : أما خلع نعلى بحاشية بساطك فإنى أخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يغضب علىّ لذلك، وأما قولك لم تسلم على بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب . وأما قولك لم تكننى فإن الله تعالى سمى أولياءه فقال ياداود يايحيى ياعيسى ، وكنى أعداءه ، فقال : تبت يدا أبى لهب . وأما قولك جلست بإزائى فإنى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام . فقال هشام عظنى . فقال . طاوس : سمعت من أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه: إنّ فى جهنم حيات كالتلال ، وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته ، ثم قام وهرب .

قيل لبعض الزهاد : إلى أى شىء أفضت بكم الخلوة ؟ فقال : إلى الأنس بالله تعالى .

قال سفيان بن عيينة : رأيت إبراهيم بن أدهم فى جبال الشام ، فقلت : ياإبراهيم تركت خراسان ؟ فقال : ما تهنأت بعيشى إلا هنا ، أفرّ بدينى من شاهق إلى شاهق .

لبعضهم فى العزلة :

من حمد النــاسَ ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يُحمَد
وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقربُ والأبعد

وقيل لقرواش الرقاشى : مالك لا تجالس إخوانَك ؟ فقال : إنى أصبت راحة قلبى فى مجالسة من عنده حاجتى .

وكان الفضيل إذا رأى الليل مقبلا فرح به ، وقال : أخلو فيه بربى وإذا أصبح استرجع كراهة لقاء الناس .

وجاء رجل إلى مالك بن دينار فإذا هو جالس وكلب قد وضع رأسه على ركبته ، قال فذهبت أطرده ، فقال دعه ياهذا لايضر ولا يؤذى ، وهو خير من جليس السوء .

وقيل لبعضهم ماحملك أن تعتزل عن الناس . فقال : خشيت أن أسلب دينى ولا أشعر . وهذا إشارة منه إلى مسارقة الطبع واكتسابه الصفات الذميمة من قرناء السوء .

مما ينسب إلى المجنون ، وعليه نفحة معنوية وهو قوله :

وإنى لأستغفى وما بى غفوةٌ لعل خيالا منك يلقى خياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى أحدِّث عنك النفسَ بالليل خاليا

للسودى :

لقد غنى الحبيب لكل صب فأين الراقصون على الغناء

أبو إسحاق الصابى :

إذا جمعت بين امرئين صناعةٌ وأحببتَ أن تدرى الذى هو أحذق
فلا تتفقد منهما غير ما جرت به لهما الأرزاق حيث تفرّق

فحيث يكون الجهل فالرزق واسع وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

وجدت في بعض الكتب المعتمد عليها : أن أفلاطون كان يقول في صلاته هذه الكلمات : يارُوحانيتي المتصلة بالروح الأعلى تضرّعي إلى العلة التي أنت معلولةٌ من جهتها ، لتتضرع إلى العقل الفعال ليحفظ عليّ صحتي النفسانية ، مادمت في عالم التركيب ودار التكليف .

ابن الفارض :

يامحيي مهجتي ويامتلفها شكوى كلفي عساك أن تكشفها
عين نظرت إليك ماأشرفها روح عَرفت هواك ماألطفها

سئل اسطرخس الصامت عن علة لزومه الصمت فقال : إني لن أندم عليه قط، وكم ندمت على الكلام .

قال بعض الحكماء : مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد .

كان الحارث بن عبد الله منفاقا ، فقيل له في ولده ، فقال إني لأستحيي من الله أن أدع لهم ثقة غيره .

قال بزرجمهر : من أعيب عيوب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحقه ، إما تزيده وإما أن تنقصه .

أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم .

وقع بين الحسن عليه السلام وأخيه محمد بن الحنفيّة لحاء ، ومشى الناس بينهما ، فكتب إليه محمد بن الحنفيّة : أما بعد فإن أبي وأباك على بن أبي طالب رضي الله عنه ، لا تفضلني ولا أفضلك ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأمّك فاطمة الزهراء رضي عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملئت الأرض بمثل

أمى لـكانت أمّك خيرا منها ، فإذا قرأت كتابى هذا فأقدم حتى تترضانى ، فإنك أحق بالفضل منى . والسلام

قد يرضى الرب على العبد بما يغضب به على غيره إذا اختلف مقامهما . وفى الذكر الحكيم تنبيه على ذلك ، ألا ترى إلى قصة إبليس وآدم كيف تراهما اشتركا فى اسم المعصية والمخالفة عند من يقول به، ثم تباينا فى الاجتباء والعصمة، أما إبليس فأبلس عن رحمة الله ، وقيل إنه من المبعدين ، وأما آدم فقيل فيه « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » .

فى الحديث « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم » .

فى الحديث « لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو شر من الذنوب ، قيل وما هو يا رسول الله ؟ قال العجب » .

فى كتاب الرجاء من الإحياء : قال إبراهيم : خلا لى المطاف ليلة، وكانت ليلة مطيرة مظلمة ، فوقفت فى الملتزم وقلت : يا رب اعصمنى حتى لا أعصيك أبدا ، فهتف هاتف بى من البيت : يا إبراهيم، أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك ، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل . ولمن أغفر .

حوض أرسل إليه ثلاث أنابيب تملؤه ، إحداها فى ربع يوم ، والأخرى فى سدسه، والأخرى فى سبعه ، وفى أسفله بالوعة تفرغه فى ثمن يوم ، ففى كم يمتلىء .

طريقه: أن يستعلم ما يملؤه الجميع فى يوم ، وهو سبعة عشر حوضا ، وما تفرغه البالوعة وهو ثمانية حياض ، فانقصه من الأول يبقى تسعة ، ففى اليوم يمتلىء تسع مرات ، فيمتلىء مرة فى تسع النهار .

جمع الأعداد على النظم الطبيعى بزيادة واحد على الأخير ، وضرب المجموع فى نصف الأخير ، وجمع الأزواج دون الأفراد بضرب نصف الزوج الأخير فيما يليه بواحد ، والعكس بزيادة واحد على الفرد الأخير ، وتربيع الحاصل ، وجمع المربعات المتوالية بزيادة واحد على ضعف العدد الأخير ، ويضرب ثلث المجموع فى مجموع تلك الأعداد ، وجمع المكعبات المتوالية بضرب مجموع تلك الأعداد المتوالية من الواحد فى نفسه .

سئل سولون الحكيم : أى شىء أصعب على الإنسان ؟ فقال : معرفة عيب نفسه ، والإمساك عن الكلام بما لا يعنيه .

طعن رجل على ديوجانس الحكيم فى حسبه ، فقال له الحكيم : حسبى عيبٌ علىّ عندك وأنت عيبٌ على حسبك عندى .

ابن الفارض :

أوميضُ برق بالأُبيرق لاحا	أم فى ربا نجد أرى مصباحا
أم تلك ليلى العامريةُ أسفرت	ليلا فصيَّرت المساء صباحا
يا راكبَ الوجناء بُلِّغت المنى	إن جُبت حَزنا أو طويت بطاحا
وسلكت نَعمان الأراك فعج إلى	واد هنـــاك عهدته فيّاحا
فبأيمن العلمين من شرقيّه	عرِّج وأمَّ أرينه(١) الفياحا
فإذا وصلت إلى ثنيات اللوى	فانشُد فؤادا بالأبيطح طاحا
واقرِ السلام عُرَيبه عنى وقل	غادرته لجنا(٢) بـكم ملتاحا
يا ساكنى نجد أما من رحمـة	لأسـير إلف لا يريد سراحا
هلا بعثتم للمشوق تحيـةً	فى طىّ صافنـة الرياح رواحا
يحيا بها من كان يحسب هجركم	مزحا ويعتقـد المزاح مزاحا

(١) الأرين : المكان . (٢) لجن به : علق .

يا عاذلَ المشتاق جهــــلا بالذى | يلقى مليًا لا بلغت نجــــاحا
أتعبت نفسك فى نصيحة من يرى | أن لا يرى الإقبال والإفلاحا
أقصر عدمتُك واطَّرح من أثخنت | أحشاءه نُجــلُ العيون جراحا
كنت الصديق قُبيل نصحك مغرَما | أرأيت صبــا يألف النصّاحا
إن رمت إصلاحى فإنى لم أرد | لفساد قلبى فى الهوى إصــلاحا
ماذا يريد العاذلون بعــذل من | لبسَ الخلاعة واستراح وراحا
يا أهل وُدّى هل لراجى وصلـكم | طمعٌ فينعم باله اســـتروحا
مــذ غبتم عن ناظرى لى أنةٌ | ملأت نواحى أرض مصر نُواحا
وإذا ذكرتــكم أميــلُ كأننى | من طيب ذكركم سُقيتُ الراحا
وإذا دُعيتُ إلى تناسى عهــدكم | ألفيتُ أحشائى بذاك شحاحاً
سقيا لأيام مضت مع جــيرة | كانت ليالينــا بهم أفراحا
حيث الحمى وطنى وسكانُ الغضى | سكَنى ووردى الماء فيه مباحا
وأهيلُه أرَبى وظلٌّ نخيــله | طربى ورملة واديــــه مُراحا
واها على ذاك الزمان وطيبه | أيام كنت من اللغوب مُراحا
قسما بزمزم والمقـام ومن أتى الــبيت الحرام ملبيا سيــــاحا
مانحت ريح الصبا شيحَ الربا | إلا وأهــدت منكم أرواحا

من النهج من كتاب كتبه أمير المؤمنين كرّم الله وجهه إلى الحارث الهمدانى جدّ جامع الكتاب : وتمسك بحبل القرآن وانتصحه ، وأحل حلاله ، وحرّمْ حرامه ، وصدقْ بما سلف من الحق ، واعتبرْ بما مضى من الدنيا ما بقى منها ، فإن بعضها يشبه بعضا وآخرها لاحق أولها ، وكلها حائل مفارق ، وعظم اسم الله أن لا تذكره إلا على حق وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت . ولا تتمن الموت

إلا بشرط وثيق . واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامّة المسلمين . واحـذر كل عمل يُعمل فى السر ويستحيا منه فى العلانية . واحذر كل عمـل إذا سئل صاحبه عنه أنـكره ، واعتذر منه . ولا تجعل عرضك غرضا لنبـال القوم . ولا تحدّث بكل ما سمعت فـكفى بذلك كذبا . ولا ترد على الناس كل ما حدّثوك به فـكفى بذلك جهلا . واكظم الغيظ واحلم عند الغضب . وتجاوز عند القدرة . واصفح عن الزلة تـكن لك العـاقبة . واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك . ولا تضيع نعمة من نعم الله عندك . وليبِنْ عليك أثر ما أنعم الله به عليك . واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله ، وإنك ما تقدم من خير يبق لك ذخيرة ، وما تؤخر يكن لغيرك خيره ، واحذر صحبة من تقبل رأيه وتنـكر عمله، فإن الصاحب معتبر بصاحبه . واسكن الأمصار العظام فإنها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الأعوان على طاعة الله . واقصر رأيك على ما يعنيك ، وإياك ومقاعد الأسواق فإنها حاضر الشيطان ومعاريض الفتن . وأكثِرْ أن تنظر إلى من فُضّلت عليه فإن ذلك من أبواب الشـكر . ولا تسافر فى يوم جمعة حتى تشهد الصلوات إلا قاصدا فى سبيل الله أو فى أمر تعذر به . وأطع الله فى كل أمورك ، فإن طاعة الله تعالى فاضلة على ما سواها وخادع نفسك فى العبادة وارفق بها ولا تقهرها ، وخذ عفوها ونشاطها ، إلا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فإنه لابدّ لك من قضائها ، وتعاهدها عند محلها . وإياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربك فى طلب الدنيا . وإياك ومصاحبة الفساق فإن الشر بالشر يلحق . وفرّ إلى الله وأحبّ أحبّـاءه . واحـذر الغضب فإنه جنـــــد من جنود إبليس . والسلام .

من الملل والنحل : بقراط واضع الطب قال بفضله الأوائل والأواخر ، ومن

كلامه : الأمن مع الفقر خير من الخوف مع الغنى . ودخل عليه عليل فقال : أنا والعلة وأنت ثلاثة ، فإن أعنتنى عليها بالقبول لما أقول صرنا اثنين وانفردت العلة ، والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه .

وسئل : ما للإنسان أثورُ ما يكون بدنه إذا شرب الدواء . فقال : كما أن البيت أكثر ما يكون غبارا إذا كنس .

وقال : يداوى كل عليل بعقاقير أرضه، فإن الطبيعة متطلعة إلى هواها ، نازعة إلى غذائها .

منه : كان ثانينة نقاشا حاذقا فأتى ديمقراطيسَ وقال : جصص بيتك حتى أنقشه وأصوره لك ، فقال ديمقراطيسُ : صوره أولًا حتى أجصصه .

من كلام بعض الحكماء : الموت كسهم مرسل إليك ، وعمرك بقدر مسيره إليك .

قيل لأعرابي : كيف غلبت الناس ؟ فقال : كنت أبهت بالكذب ، وأستشهد بالموتى .

غيلان الأصفهانى يهجو :

رغيفُك فى الأمن ياسيد يحُل محل حَمام الحرمْ
فلله درك من ماجد حرامُ الرغيف حلال الحرمْ

ابن فارس :

اسمع مقالة ناصح جمعَ النصيحة والمِقهْ
إياك واحذر أن تبيت من الثقات على ثقَه

فى أحاديث ثفن عن زرارة ، عن أبى جعفر رضى الله عنه ، عن النبىّ صلى الله

عليه وسلم قال : إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان ، واستجيب الدعاء ، فطوبى لمن رُفع له عمل صالح .

السيد الرضى :

أمَلِتُكُمْ لدفاع كل ملمة ... عنى فكنتم عينَ كل ملمة
فلأرحلنّ رحيل لا مُتأسف ... لفراقكم أبدا ولا متلفتِ
ولأنفضنّ يدىّ يأسا منكم ... نفض الأنامل من تُراب الميتِ
وأقولُ للقلب المنازِع نحوَكم ... أقصِر هواك لك اللّتيا والتى
ياضيعةَ الأمل الذى وجهته ... جهلا إلى الأقوام بل ياضيعتى

لبعضهم :

كيف يُرجى الصلاح من أمر قوم ... ضيعوا الحزم فيه أىَّ ضياع
فمطاع المقال غيرُ سديد ... وسديد المقال غيرُ مطاع

من النهج : إن الله افترض عليكم فرائض فلاتضيعوها ، وحدّ لكم حدودا فلا تعتدوها ، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسيانا فلا تكلفوها .

قال بعض العارفين : قد جمعت مكارم الخصال فى أربع : قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام ، والاعتزال عن الأنام .

ينسب إلى المجنون :

تمنيت من ليلى على البعد نظرةً ... ليُطفا جوًى بين الحشا والأضالع
فقال نساء الحى تطمع أن ترى ... بعينك ليلى مُت بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتَها بالمدامع
وتلتذ منها بالحديث وقد جرى ... حديثُ هواها فى خروق المسامع

من النهج : خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم ، وإن عشتم حنوا إليكم .

أعمال العباد فى عاجلهم نصبُ أعينهم فى آجلهم .

من كلامهم : لو صُوِّر الصدقُ كان أسدا ، ولو صوّر الكذب كان ثعلبا .

للبستى :

إذا صحبتَ الملوك فالبس   من التوقّى أعز ملْبسْ
وادخل إذا مادخلت أعمى   واخرج إذا ماخرجت أخرسْ

متاع التاجر فى كسبه ، ومتاع العالم فى كراريسه .

قال يحيى بن معاذ : انكسار العاصين أفضل عندنا من صولة المصلين .

من النهج : من أراد الغنى بلا مال ، والعز بلا عشيرة ، والطاعة بلا سلطان ، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله ، فإنه واجد ذلك كله .

ومنه سئل عليه السلام عن قول النبى صلى الله عليه وسلم : غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود ، فقال كرّم الله وجهه : إنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك والدين قل ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه ، وضرب بجرانه ، فأمره وما اختار . انتهى .

لبعضهم :

لله تحت قِباب العزّ طائفة   أخفاهم فى لباس الفقر إجلالا

[تقويم الشمس]

إذا أردت معرفة تقويم الشمس فى بلد معلوم العرض ، فاعرف الفصل الذى أنت فيه من فصول السنة ، واستعلم غاية ارتفاع الشمس ذلك اليوم ، وخذ التفاوت بينه وبين تمام العرض ، أعنى ميلها ، وعدّ بقدره من أجزاء المقنطرات على خط

وسط السماء مبتدئا من مدار رأس الحمل إلى مدار رأس السرطان ، إن كانت فى الربع الربيعى أو الصيفى ، وإلا فإلى مدار رأس الجدى ، وعلّم ما انتهى إليه العدد ، ثم أمرر ربعها على خط وسط النهار ، فما وقع من المنطقة على العلامة فهو موضعها .

ابن المعلم :

مافى الصِّحاب أخو وجد تُطارحه حديثَ نجد ولا خلٌّ تجاريه

قولهم : هـذا الأمر مما تركَب له أعجاز الإبل : أى مما يقاسى لأجله الذل . والأصل فى هذا المثل أن الرديف ـ كالعبد والأسير ومن يجرى مجراهما ـ يركب عجز البعير ، قاله الرضى فى النهج عند قول أمير المؤمنين عليه السلام : لنا حق ، فإن أعطيناه ، وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السّرى .

من شرح النهج لابن أبى الحديد فى قوله رضوان الله عليه : وطويت دونها كشحا ، قال الشارح : أى قطعتها وسرتها ، وهو مثل ، قالوا لأن من كان إلى جنبك الأيمن مثلا ، فطويت كشحك الأيسر فقد ملت عنه . والكشح ما بين الخاصرة والجنب . وعندى أنهم أرادوا غير ذلك ، وهو أن من أجاع نفسه فقد طوى كشحه ، كما أن من أكل وشبع فقد ملأ كشحه ، فكأنه قال : إنى أجعت نفسى عنها ولم أكتنفها .

وقال الشيخ كمال الدين بن هيثم البحرانى : إنه كرّم الله وجهه نزّلها منزلة المأكول الذى منع نفسه من أكله . وقيل أراد بطى الكشح التفاته عنها كما يفعله المعرض .

عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليجيئنّ يوم القيامة أقوامٌ لهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار ، قالوا يا نبىّ الله أيصلون ؟ فقال كانوا يصلون ،

ويصومون ، ويأخذون وهنا من الليل ، لكنهم كانوا إذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه »

قال بعض السلف : كن وصيّ نفسك ، ولا تجعل الناس أوصياءك ، كيف تلومهم أن يضيعوا وصيتك وقد ضيعتها في حياتك ؟

[طرق معرفة ارتفاع الأرض وانخفاضها]

إذا أردت إنشاء نهر أو قناة وأردت أن تعرف صعود مكان على مكان وانخفاضه عنه فلك فيه طرق : أحدها أن تعمل صفحة من نحاس أو غيره من الأجسام الثقيلة ، وتضع على طرفيها لبنتين كما في عضادتي الاسطرلاب ، وفي موضع العمود منها خيط دقيق في طرفه ثقالة ، فإذا أردت الوزن أدخلت الصفحة في خيط طوله خمسة عشر ذراعا ، ولتكن الصفحة في طاق الوسط منه ، وطرفاه على خشبتين طول كل واحدة خمسة أشبار مقوّمتين غاية التقويم ، بيد رجلين كل منهما في جهة ؛ والبعد بينهما بقدر طول الخيط وأنت تنظر في لسان الميزان ، فإذا انطبق على النجم فالأرض معتدلة ، وإن مال فالمائل عنها هي العليا .

وتعرّف كمية الزيادة في العلو بأن تحط الخيط على رأس الخشبة إلى أن يطابق النجم واللسان ، ومقدار ما نزل من الخيط هو الزيادة ، ثم تنقل إحدى رجلي الميزان إلى الجهة التي تريد وزنها وتثبت الأخرى إلى أن يتم العمل ، وتحفظ مقدار الصعود بخيط على حدة ، وكذا مقدار الهبوط ، ثم يلقى القليل من الكثير ، فالباقي هو تفاوت المكانين في الارتفاع ، وإن تساويا شق نقل الماء ، وإن نزلت ما وقع إليها الثقل سهل ذلك ، وإن علت امتنع . وقد يستغني عن الصفحة بالأنبوبة التي يصب فيها الماء من منتصفها ، فإن قطر من طرفيها على السواء أنبأ عن التعادل وإلا عمل كما عرف .

هذه كتابة كتبها العارف الواصل الصمدانى الشيخ محيي الدين بن عربى حشره الله مع أحبته إلى الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمٰن الرحيم .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى وليي فى الله فخر الدين محمد أعلى الله همته ، وأفاض عليه بركاته ورحمته .

وبعد فإن الله تعالى يقول : « وتواصَوْا بالحق » وقد وقفت على بعض تآليفك وما أيدك الله به من القوة المتخيلة والفكر الجيد ، ومتى قعدت النفس عن كسب يديها فإنها لا تجد حلاوة الجود والوهب ، وتكون ممن أكل من تحته ، والرجل من يأكل من فوقه كما قال الله تعالى : « ولو أنهم أقاموا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » .

وليعلم وليي — وفقه الله تعالى — أن الوراثة الكاملة هى التى تكون من كل الوجوه لا من بعضها . والعلماء ورثة الأنبياء ، فينبغى للعالم العاقل أن يجتهد ليكون وارثا من كل الوجوه ، ولا يكون ناقص الهمة .

وقدم علم وليي وفقه الله تعالى : أن حسن الطبيعة الإنسانية بما تحمله من المعارف الإلٰهية ، وقبحها بضدّ ذلك ، فينبغى للعالى الهمة أن لا يقطع عمره فى معرفة المحدثات وتفاصيلها ، فيفوته حظه من ربه ، وينبغي له أيضاً أن يسرح نفسه من سلطان فكره ، فإن الفكر يعلم مأخذه ، والحق المطلوب ليس ذلك . والعلم بالله خلاف العلم بوجود الله ، فينبغى للعاقل أن يخلى قلبه عن الفكر إذا أراد معرفة الله تعالى من حيث المشاهدة ، وينبغى للعالى الهمة أن لا يكون تلقيه عند هذا من عالم الخيال ،

وهى الأنوار المتجسدة الدالة على معان وراءها ، فإن الخيال ينزل المعانى العقلية فى القوالب الحسية كالعلم فى صورة اللبن ، والقرآن فى صورة الحبل ، والدين فى صورة القيد . وينبغى للعالى الهمة أن لا يكون معلمه مؤنثا ، كالا ينبغى أن يأخذ من فقير أصلا . وكل مالا كال له إلا بغيره فهو فقير . وهذا حال كل ما سوى الله تعالى . فأرفع الهمة فى أن لا تأخذ علماً إلا عن الله سبحانه وتعالى على الكشف واليقين .

واعلم أن أهل الأفكار إذا بلغوا الغاية القصوى أداهم الفكر إلى حال المقلد المصمم ، فإن الأمر أجل وأعظم من أن يقف فيه الفكر ، فما دام الفكر موجوداً فمن المحال أن يطمئن العقل ويسكن ، وللعقول حد تقف عنده من حيث قوتها فى التصرف الفكرى ، ولها صفة القبول لما يهبه الله تعالى ، فإذن ينبغى للعاقل أن يتعرّض لنفحات الجود ، ولا يبقى مأسورا فى قيد نظره وكسبه فإنه على شبهة فى ذلك .

ولقد أخبرنى من ألفت به من إخوانك ممن له فيك نية حسنة أنه رآك وقد بكيت يوما ، فسألك هو ومن حضره عن بكائك فقلت : مسئلة اعتقدتها منذ ثلاثين سنة تبين لى الساعة بدليل لاح لى أن الأمر على خلاف ما كان عندى ، فبكيت وقلت : لعل الذى لاح لى أيضا يكون مثل الأوّل فهذا قولك ، ومن المحال على الواقف بمرتبة العقل والفكر ، أن يستريح أو يسكن ، ولاسيما فى معرفة الله تعالى . فمابالك يا أخى تبقى فى هذه الورطة ولا تدخل طريق الرياضات ، والمكاشفات ، والمجاهدات ، والخلوات التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنال مانال من قال فيه الله سبحانه وتعالى « عبدا من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا علما » ومثلك من يتعرّض لهذه الخطة الشريفة والمرتبة العظيمة الرفيعة .

وهى الأنوار المتجسدة الدالة على معان وراءها ، فإن الخيال ينزل المعانى العقلية فى القوالب الحسية كالعلم فى صورة اللبن ، والقرآن فى صورة الحبل ، والدين فى صورة القيد . وينبغى للعالى الهمة أن لا يكون معلمه مؤنثا ، كالا ينبغى أن يأخذ من فقير أصلا . وكل مالا كال له إلا بغيره فهو فقير . وهذا حال كل ما سوى الله تعالى . فأرفع الهمة فى أن لا تأخذ علماً إلا عن الله سبحانه وتعالى على الكشف واليقين .

واعلم أن أهل الأفكار إذا بلغوا الغاية القصوى أداهم الفكر إلى حال المقلد المصمم ، فإن الأمر أجل وأعظم من أن يقف فيه الفكر ، فما دام الفكر موجوداً فمن المحال أن يطمئن العقل ويسكن ، وللعقول حد تقف عنده من حيث قوتها فى التصرف الفكرى ، ولها صفة القبول لما يهبه الله تعالى ، فإذن ينبغى للعاقل أن يتعرّض لنفحات الجود ، ولا يبقى مأسورا فى قيد نظره وكسبه فإنه على شبهة فى ذلك .

ولقد أخبرنى من ألفت به من إخوانك ممن له فيك نية حسنة أنه رآك وقد بكيت يوما ، فسألك هو ومن حضره عن بكائك فقلت: مسئلة اعتقدتهامنذ ثلاثين سنة تبين لى الساعة بدليل لاح لى أن الأمر على خلاف ما كان عندى ، فبكيت وقلت : لعل الذى لاح لى أيضا يكون مثل الأوّل فهذا قولك ، ومن المحال على الواقف بمرتبة العقل والفكر ، أن يستريح أو يسكن ، ولاسيما فى معرفة الله تعالى . فمابالك يا أخى تبقى فى هذه الورطة ولا تدخل طريق الرياضات ، والمكاشفات ، والمجاهدات ، والخلوات التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنال ما نال من قال فيه الله سبحانه وتعالى « عبدا من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا علما » ومثلك من يتعرّض لهذه الخطة الشريفة والمرتبة العظيمة الرفيعة .

وليعلم وليي وفقه الله تعالى أن كل موجود عند سبب ذلك السبب محدث مثله، فإن له وجهين : وجه ينظر به إلى سببه ، ووجه ينظر به إلى موجده وهو الله تعالى. فالناس كلهم ناظرون إلى وجوه أسبابهم . والحكماء والفلاسفة كلهم وغيرهم . إلا المحققين من أهل الله تعالى كالأنبياء والأولياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام فإنهم مع معرفتهم بالسبب ناظرون من الوجه الآخر إلى موجدهم . ومنهم من نظر إلى ربه من وجه سببه لا من وجهه ، فقال حدثني قلبي عن ربي ، وقال الآخر وهو الكامل : حدثني ربي. ومن كان وجوده مستفادا من غيره فإن حكمه عندنا حكم لا شيء ، فليس للعارف معوّل إلا الله سبحانه وتعالى البتة .

واعلم أن الوجه الإلهي الذي هو الاسم الله: اسم جامع لجميع الأسماء ، مثل الرب والقدير والشكور وجميعها كالذات الجامعة لما فيها من الصفات ، فالاسم الله مستغرق لجميع الأسماء ، فتحفظ عند المشاهدة منه فإنك لا تشاهده أصلا ، فإذا ناجاك به ، وهو الجامع ، فانظر ما يناجيك به ، وانظر المقام الذي تقتضيه تلك المناجاة أو تلك المشاهدة ، وانظر أيّ اسم من الأسماء الإلهية ينظر إليها ، فذلك الاسم هو الذي خاطبك أو شاهدته ، فهو المعبر عنه بالتحوّل في الصورة ، كالغريق إذا قال يا الله، فمعناه ياغيث أو يا منجي ، أو يا منقذ، وصاحب الألم إذا قال يا الله فمعناه يا شافي، أو يا معافي وما أشبه ذلك . وقولي لك: التحول في الصورة ما رواه مسلم في صحيحه أن البارى تعالى يتجلى فينكر ويتعوذ منه ، فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها ، فيقرّون بعد الإنكار . وهذا هو معنى المشاهدة هاهنا والمناجاة والمخاطبات الربانية .

وينبغي للعاقل أن لا يطلب من العلوم إلا ما يكمل به ذاته ، وينتقل معه حيث انتقل ، وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى ، فإن علمك بالطب إنما يحتاج إليه في عالم الأمراض والأسقام ، فإذا انتقلت إلى عالم ما فيه السقم ولا المرض فمن تُداوى

بذلك العلم ؟ وكذلك العلم بالهندسة إنما يحتاج إليه فى عالم المساحة ، فإذا انتقلت تركته فى عالمه ، ومضت النفس ساذجة ليس عندها شىء منه . وكذلك الاشتغال بكل علم تتركه النفس عند انتقالها إلى عالم الآخرة ينبغى للعاقل أن لا يأخذ منه إلا ما مست إليه الحاجة الضرورية ، وليجتهد فى تحصيل ما ينتقل معه حيث انتقل ، فليس ذلك إلا علمان : خاصة العلم بالله، والعلم بمواطن الآخرة، وما يقتضيه مقاماتها حتى يمشى فيها كمشيه فى منزله، فلا ينكر شيئاً أصلا، فلا يكون من الطائفة التى قالت عند ما تجلى لها ربها : نعوذ بالله منك لست ربنا ، نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا ، فلما جاءهم فى الصورة التى عرفوها أقرّوا به ، فما أعظمها حسرة .

فينبغى للعاقل الكشف عن هذين العلمين بطريق الرياضة والمجاهدة والخلوة ، على الطريقة المشروطة .

وكنت أريد أن أذكر الخلوة وشروطها وما يتجلى فيها على الترتيب شيئاً بعد شىء ، ولكن منع من ذلك الوقت، وأعنى بالوقت علماء السوء الذين أنكروا ما جهلوا، وقيدهم التعصب وحب الظهور والرياسة عن الإذعان للحق والتسليم له إن لم يمكن الإيمان به . والله ولى التوفيق . انتهى .

كان توبة بن الصمة محاسبا لنفسه فى أكثر آناء ليله ونهاره ، فحسب يوما مامضى من عمره فإذا هو ستون سنة، فحسب أيامها فكانت أحداً وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم . فقال ياويلتا ألقى مالكا بأحد وعشرين ألف ذنب؟ ثم صعق صعقة كانت فيها نفسه .

قال بزرجمهر : من لم يكن له أخ يرجع إليه فى أموره ، ويبذل نفسه وماله له فى شدّته ، فلا يعدنّ نفسه من الأحياء .

وقال بعض الحكماء : لا نساغ مرارة الحياة إلا بحلاوة الإخوان الثقات .

وقال بعضهم : من لقى الصديق الذى يفضى له بسره فقد لقى السرور بأسره، وخرج من عقال الهم وأسره .

وقيل: لقاء الخليل يفرج الكروب ، وفراقه يقرح القلوب .

من كتاب أدب الكاتب : يذهب الناس إلى أن الظل والفىء واحد، وليس كذلك ، لأن الظل يكون من أول النهار إلى آخره ، ومعنى الظل الستر ، والفىء لا يكون إلا بعد الزوال ، ولا يقال لما كان قبل الزوال فىء . وإنما سمى فيئا لأنه ظل فاء من جانب إلى جانب : أى رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق . والفىء الرجوع قال الله تعالى « حتى تفىء إلى أمر الله » أى ترجع .

قيل لأعرابى: كيف حالك. فقال: بخير، أمزق دينى بالذنوب، وأرقعه بالاستغفار، وإليه ينظر قول الشاعر :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نُرقّع
فطوبى لعبد آثر اللهَ ربّه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

لبعضهم:

ولما توافينا بمنعرج اللوى ... بكيت إلى أن كدت بالدمع أشرق
فقالت أتبكى والتواصل بيننا ... فقلت ألسنا بعده نتفرق

قال بعضهم : عشيرتُك من أحسن عشرتَك، وعمك من عمك خيرُه ، وقريبك من قرب منك نفعه .

قال ابن السكّيت : الشرف والمجد يكونان بالآباء، يقال رجل شريف ماجد: أى له آباء متقدّمون فى النبالة والشأن . وأما الحسب والكرم فيكونان فى الرجل وإن لم يكن له آباء ذوو نبل وشرف .

لبعض الأعراب :

تسبق أموالنا مؤمّلنا ... لا يعتريها مطل ولا بُخل

تسمح قبل السؤال أنفسُنا ... بخلا على ماء وجه من يَسلُ

لبعضهم :

إذا قلّ مال المرء قلّ بهاؤه ... وضاقت عليه أرضُه وسماؤه

وأصبح لايَدْرى وإن كان حازما ... أقُدّامُه خيرٌ له أم وراؤه

وإن غاب لم يشتق إليه خليلُه ... وإن عاش لم يسرُر صديقا بقاؤه

وللموتُ خير لامرئٍ ذى خصاصة ... من العيش فى ذل كثير عناؤه

لبعضهم :

إنما الدنيا فناء ... ليس للدنيا ثبوتُ

إنما الدنيا كبيتٍ ... نسجته العنكبوتُ

كل مافيها لعَمرى ... عن قليل سيفوتُ

ولقد يكفيك منها ... أيها الطالبُ قوتُ

الإبل : اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وهو مؤنث ، لأن اسم الجمع لغير العاقل يلزم التأنيث . وإذا صغرتَ الإبل قلت أبيلة بالهاء .

سأل بعض العارفين امرأة فى البادية ما الحبّ عندكم : فقالت : جل فلا يخفى ، ودق فلا يرى ، وهو كامن فى الحشا كمون النار فى الصفا ، إن قدحته أورى ، وإن تركته توارى .

من كتاب أنيس العقلاء : اعلم أن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، واليسر مع العسر .

قال بعض الحكماء : بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور .

وقال بعضهم : عند انسداد الفُرج تبدو مطالع الفَرج .

ولله در من قال :

الصبرُ مفتاح ما يرجّى　　وكل صعب به يهون
فاصبر وإن طالت الليالى　　فربما أمكن الحرون
وربما نيل باصطبار　　ما قيل هيهات لا يكون

جار الله الزمخشرى

وقائلة ما هذه الدرر التى　　تساقَطُ من عينيك سِمْطين سمطين
فقلت هو الدر الذى كان قد حشا　　أبو مضر أذنى تساقط من عينى

الصلاح الصفدى :

نزهت طرفى فى وجه ظبى　　كم نلت فى الحب منه منَّه
لم أشق من بعدها لأنى　　نعمت فى وَجنة وجنّه

دخل بعضهم على المأمون فى مرضه الذى مات فيه ، فوجده قد أمر أن يفرش له جُلُّ دابة ، وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ عليه ويقول : يامن لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه .

[لغويات]

من كتاب تقويم اللسان لابن الجوزى: جواب لا يجمع ، وقول العامة أجوبة كتبى ، وجوابات كتبى غلط . والصحيح جواب كتبى .

حاجات وحاج جمع حاجة ، وحوائج غلط .

يقال حميت المريض لا أحميته .

يقال للقائم اقعد ، وللنائم اجلس ، والعكس غلط .

يقال : الحمد لله كان كذا ، لا الذى كان كذا .

العروس يقال للرجل والمرأة ، لا للمرأة فقط .

لا يقال كثرت عيْلته ، إنما يقال كثرت عياله ، والعيلة الفقر .

المصطكى بفتح الميم ، والضم غلط .

الصلاح الصفدى :

قد أنزل الدهر حظى بالحضيض إلى	أن اغتديت بما ألقاه منه لقا
يضوع عَرف اصطبارى إذ يضيمنى	والعود يزداد طيبا كلما حُرقا

أبو الفتح البستى :

تحمّل أخاك على ما به	فما فى استقامته مطمع
وأنّى له خُلُق واحد	وفيه طبائعه الأربعُ

محمد بن عبد العزيز النبلى :

وذى جدال لنا كشفتُ له	عن خطأ كان قد تعسّفه
فلم يجبنى بغير ضحكته	والضحك فى غير موضع سَفَهُ

لبعضهم :

لسان من يعقل فى قلبه	وقلبُ مَن يجهل فى فيه

يمكن استخراج خط نصف النهار من الارتفاع ، بأن ترصد غاية الارتفاع للشمس فى يوم مفروض ، وتخرج من أصل المقياس فى الأرض المستوية على منتصف عرض الظل خطا على استقامة الظل ، وتمدّه فى الجهتين فهو خط نصف النهار . انتهى .

خسروفر يدوزين جلال الدين يصف ناقته :

إذا براها السُّرى مالت نواظرها	تشكو إلى الركب ماتلقاه فى الركب

[دعاء السمات]

اللهم إنى أسألك باسمك العظيم الأعظم ، الأعز الأجل الأكرم ، الذى إذا دعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت ، وإذا دعيت به على مضايق أبواب الأرض للفرج انفرجت ، وإذا دعيت به على العسر لليسر تيسرت . وإذا دعيت به على الأموات للنشور انتشرت ، وإذا دعيت به على كشف البأساء والضراء انكشفت ، وبجلال وجهك الكريم أكرم الوجوه وأعز الوجوه ، الذى عنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأصوات ، ووجلت له القلوب من مخافتك . وبقوتك التى تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، وتمسك السموات والأرض أن تزولا ، وبمشيئتك التى دان لها العالمون ، وبكلمتك التى خلقت بها السموات والأرض ، وبحكمتك التى صنعت بها العجائب ، وخلقت بها الظلمة ، وجعلتها ليلا ، وجعلت الليل سكنا ، وخلقت بها النور وجعلته نهارا ، وجعلت النهار نشورا مبصرا ، وخلقت بها الشمس وجعلت الشمس ضياء ، وخلقت بها القمر وجعلت القمر نورا ، وخلقت بها الكواكب وجعلتها نجوما ، وبروجا ومصابيح وزينة ورجوما ، وجعلت لها مشارق ومغارب ، وجعلت لها مطالع ومجارى ، وجعلت لها فلكا ومسابح ، وقدرتها فى السماء منازل فأحسنت تقديرها ، وصورتها فأحسنت تصويرها ، وأحصيتها بأسمائك إحصاء ، ودبرتها بحكمتك تدبيرا ، فأحسنت تدبيرها ، وسخرتها لسلطان الليل وسلطان النهار ، والساعات وعدد السنين والحساب ، وجعلت رؤيتها لجميع الناس مرأى واحدا .

وأسألك اللهم بمجدك الذى كلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام ، فى المقدسين ، فوق إحساس الكروبيين فوق غمائم النور ، فوق

تابوت الشهادة فى عمود النار فى طور سيناء، أوفى جبل طور زيتا فى الوادى المقدس فى البقعة المباركة من جانب الطور الأيمن من الشجرة، وفى أرض مصر بتسع آيات بينات ، ويوم فرقت لبنى إسرائيل البحر، وفى المنبجسات التى صنعت بها العجائب فى بحر سوف ، وعقدت ماء البحر فى قلب الغمر كالحجارة، وجاوزت ببنى إسرائيل البحر ، وتمت كلمتك الحسنى عليهم بما صبروا، وأورثتهم مشارق الأرض ومغاربها التى باركت فيها للعالمين ، وأغرقت فرعون وجنوده ومراكبه فى اليم .

وباسمك العظيم الأعظم، الأعز الأجل الأكرم، وبمجدك الذى تجليت به لموسى كليمك عليه السلام فى طور سيناء ، ولإبراهيم خليلك عليه السلام من قبل فى مسجد الخيف ، ولإسحٰق صفيك عليه السلام فى بئر متسع ، وليعقوب نبيك عليه السلام فى بيت ايل ، وأوفيت لإبراهيم عليه السلام بميثاقك ولإسحٰق بحلفك ، وليعقوب بشهادتك ، وللمؤمنين بوعدك ، وللداعين بأسمائك فأجبت ، وبمجدك الذى ظهر لموسى بن عمران عليه السلام على قبة الرمان ، وأيدك الذى رفعت على أرض مصر بمجد العزة والغلبة بآيات عزيزة ، وبسلطان القوة ، وبعز القدرة ، وبشأن الكلمة التامة ، وبكلماتك التى تفضلت بها على السموات والأرض وأهل الدنيا والآخرة وبرحمتك التى مننت بها على جميع خلقك وباستطاعتك التى أقمت بها العالمين ، وبنورك الذى خر من فزعه طور سيناء ، وبعلمك وجلالك وكبريائك ، وعزتك وجبروتك التى لم تستقلها الأرض، وانخفضت لها السموات ، وانزجر لها العمق الأكبر وركدت لها البحار والأنهار ، وخضعت لها الجبال ، وسكنت لها الأرض بمناكبها ، واستسلمت لها الخلائق كلها وخفقت لها الرياح فى جريانها ، وخمدت لها النيران فى أوطانها ، وسلطانك الذى عُرفت لك به الغلبة فى دهر الدهور ، وحمدت به فى السموات والأرضين ، وبكلمتك الصدق التى سبقت لأبينا آدم وذريته بالرحمة .

وأسألك بكلمتك التي غلبت كل شيء، وبنور وجهك الذي تجليت به للجبل فجعلته دكا وخرّ موسى صعقا، وبمجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلمت به عبدك ورسولك ابن عمران، وبطلعتك في ساعر وظهورك في جبـــل فاران، بربوات المقدّسين، وجنود الملائـكة الصادقين، وخشوع الملائـكة المسبحين، وببركاتك التي باركت فيها على إبراهيم خليلك عليه السلام، في أمة محمد صلواتك عليه وآله، وباركت لإسحٰق صفيك في أمة عيسى عليه السلام، وباركت ليعقوب إسرائيلك في أمة موسى عليه السلام، وباركت لحبيبك محمد صلى الله عليـــه وسلم وآله في عترته وذريته، وأمته، وكما غبنا عن ذلك ولم نشهده، وآمنا به ولم نره، صدقا وعدلا أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تبارك على محمد وآل محمد، وترحّم على محمد وآل محمد، كأفضل ما صليت وباركت وترحّمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، فعال لما تريد، وأنت على كل شيء شهيد، ثم اذكر ما تريد، ثم قل يا ألله يا حنان، يامنان، يابديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين اللهم بحق هذا الدعاء وبحق هذه الأسماء التي لا يعلم تفسيرها ولا يعلم باطنها غيرك صل على محمد وآل محمد، وافعل بي كذا وكذا، وانتقم لي من فلان ابن فلان، واغفر لي ذنوبي ما تقدّم منها وماتأخر ووسع علي من حلال رزقك. واكفني مؤنة إنسان سوء، وجار سوء، وسلطان سوء، إنك على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، آمين يارب العالمين. انتهى.

قال في حكمة الإشراق عند ذكر الجنّ والشياطين: وقد شهد جمع لا يحصى عددهم من أهل دربند من مدن شروان، وقوم لا يعدون من أهـــل ميانج من مدن أذربيجان، أنهم شاهدوا هذه الصور كثيراً بحيث أكثر أهل المدينـــة كانوا يرونهم دفعة في جمع عظيم على وجه ما أمكنهم دفعهم، وليس ذلك مرة

واحدة أو مرتين ، بل كل وقت يظهرون ولا تصل إليهم أيدى الناس . انتهى .

لله در من قال :

عوى الذئبُ فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت إنسان فكدت أطير

لبعضهم :

اسلك من الطرق المناهج . واصبر ولو حُمّلت عالج
وسِّع همومك لا تضق ذرعا بها فلها مخارج

لبعضهم :

إذا رأيت أمورا منها الفؤاد تفتّت
فتش عليها تجدها من النساء تأتّتْ

ابن الفارض :

قلبى يحدثنى بأنك مُتلفى روحى فِداك عرفت أم لم تعرف
لم أقض حقَّ هواك إن كنت الذى لم أقضِ فيه أسى ومثلى من يَفى
مالى سوى رُوحى وباذلُ نفسه فى حبِّ من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيتَ بها فقد أسعفتنى ياخيبة المسعى إذا لم تُسعف
يا مانعى طيبَ المنام ومانحى ثوبَ السّقام به ووجدى المتلف
عطفا على رمَقى وما أبقيتَ لى من جسمى المضنى وقلبى المدنف
فالوجد باقٍ والوصالُ مماطلى والصبرُ فانٍ واللقاء مسوّفى
لم أخلُ من حسد عليك فلا تُضِع سهرى بتشنيع الخيال المرجف
واسأل نجومَ الليل هل زار الكرى جفنى وكيف يزور من لم يعرف
لا غرو إن شحّت بغمض جفونها عينى وسحّت بالدموع الذرّف

وبما جرى في موقف التوديع من ... ألم النوى شاهدت هولَ الموقف

إن لم يكن وصلٌ لديك فعِدْ به ... أملى وماطلْ إن وعدت ولا تفى

فالمطل منك لدىّ إن عزّ اللقا ... يحلو كوصل من حبيب مسعف

أهفو لأنفاس النسيم تعـلة ... ولوجه من نَقَلَتْ شذاه تشوُّفى

فلعل نارَ جوانحى أن تنطفى ... بهبوبهـا وأود أن لا تنطفى

يا أهل ودِّى أنتم أملى ومن ... ناداكم يا أهل وُدى قد كُفى

عودوا لما كنتم عليه من الوفا ... كرماً فإنى ذلك الخلُّ الوفى

وحياتكم وحياتكم قسمًا وفى ... عمرى بغير حياتكم لم أحلِف

لو أن رُوحى فى يدى ووهبتُها ... لمبشّرى بقدومكم لم أنصف

لاتحسبونى فى الهوى متصنعا ... كلفى بكم خُلقٌ بغير تكلُّف

أخفيتُ حبّكم فأخفانى أسًى ... حتى لعمرى كدت عنى أختفى

وكتمتُه عنى فلو أبديتُه ... لوجدته أخفى من اللُّطف الخفى

ولقد أقولُ لمن تحرَّش بالهوى ... عرَّضت نفسك للبلا فاستهدف

أنت القتيلُ بأىّ من أحببتَه ... فاختر لنفسك فى الهوى من تصطفى

قل للعذول أطلت لومى طامعا ... إن الملام عن الهوى مستوقفى

دع عنك تعنيفى وذُق طعم الهوى ... فإذا عشِقت فبعد ذلك عنِّف

برح الخفاء بحبّ من لو فى الدّجى ... سفر اللثامَ لقلتُ يا بدر اختفى

وإن اكتفى غيرى بطيف خياله ... فأنا الذى بوصاله لا أكتفى

وقفا عليه محبّتى ولمحنتى ... بأقلّ من تلفى به لا أشتفى

وهواهُ وهو أليّتى وكفى به ... قسما أكاد أجلُّه كالمصحف

لو قال تِيهاً قف على جمر الغضى ... لوقفتُ ممتثلا ولم أتوقّف

أو كان من يرضى بخدّى موطئا | لوضعته أرضـا ولم أستنكف
غلب الهوى فأطعت أمر صبابتى | من حيث فيه عصيت نهى معنّفى
منى له ذلّ الخضوع ومنـه لى | عز المنوع وقوة المستضعف
ألف الصدودَ ولى فؤاد لم يزل | مذ كنتُ غيرَ وداده لم يألف
ياما أُمَيْلِحَ كلّ مايرضى به | ورضابه ياما أُحَيْلاهُ بفى
لو أسمعوا يعقوب بعض ملاحة | فى وجهه نسى الجمال اليوسفى
أو لو رآه عائدا أيوبُ فى | سِنة الكرى قِدْماً من البلوى شُفى
كلُّ البـدور إذا تجلّى مقبلا | تعنو إليه وكلُّ قَدٍّ أهيف
إن قلت عندى فيك كلُّ صبابة | قال الملاحةُ لى وكل الحسنِ فِى
كملت محاسنُه فلو أهـدى السنا | للبدر عنـد تمامه لم يُخسَف
وعلى تفنن واصفيه بحسنه | يفنى الزمان وفيه مالم يوصف
ولقد صرفت بحبه كلّى على | يد حسنه فحمدت حسنَ تصرُّفى
فالعينُ تهوى صورةَ الحسن التى | روحى لها تصبُو إلى معنًى خفى
أسعد أُخىّ وغننى بحديثه | وانثر على سمعى حُلاه وشنّف
لأرى بعين السمع شاهد حُسنه | معنى فأتحفنى بذاك وشرّف
ياأختَ سَعد من حبيبى جئتنى | برسالة أديتهـا بتلطف
فسمعت مالم تسمعى ونظرت ما | لم تنظرى وعرفت مالم تعرف
إن زار يوما يا حشاى تقطّعى | كلفا به أو سار ياعينى اذرفى
ما للنوى ذنبٌ ومن أهوى معى | إن غاب عن إنسان عينى فهو فى

قال الشريف المرتضى رحمه الله خطر ببالى أن أفرد ماقيل فيمن ضاجع محبوبه وهو مرتد سيفا فى تلك الحال ، فأتكلم على محاسنه ، فإنه معنى مثمر مقصود ، ثم إنه أورد بعد كلام طويل هذه الأبيات الثلاثة لامرئ القيس :

فبتنا نذودُ الوحش عنّا كأننا قتيلان لم يعرف لنا الناسُ مضجعا

تجافى عن المأثور بينى وبينها وترخى على السابرىّ المضلعا

إذا أخذتها هزّة الروع أمسكتْ بمنكب مقدام على الهول أروعا

وقال : رأيت قوما من متعمقى أصحاب المعانى يقولون : أراد بالمأثور السيف ، وعنَى أنه كان مقلدا حال مضاجعته لها سيفا ، وأنها كانت تتجافى عنه اشتغالا به ، ثم قال بعد كلام : والذى يقوى فى نفسى أن امرأ القيس لم يعن هذا المعنى ، وإنما عنى أنها تتجافى عن الحديث المأثور بينى وبينها من الوشايات والسعايات التى يقصد بها الوشاة تفريق الشمل وتقطيع الحبل ، وأنها تعرض عن ذلك كله وتطرحه وتقبل على ضمى واعتناقى ، وإدخالى معها فى غطاء واحد . ثم قال : ولفظة المأثور تصلح للحديث وللسيف ، فمن أين لنا بغير دليل القطعُ على أحد المعنيين ، فالأولى التوقف عن القطع . ثم إنه طول الكلام ورجّح فى آخره أن إرادة الكلام أولى. ثم قال : ولم أجد ما بين امرئ القيس وبين أبى الطيب من ألم بهذ المعنى . ثم أورد لأبى الطيب قوله :

وقد طرقتُ فتاة الحى مرتديا بصاحب غير عزهاة ولا غزِل

فبات بين تراقينا ندفعه وليس يعلم بالشكوى ولا القُبَل

ثم إنه أورد بعد كلام طويل يستغرق بياض الصفحة أبياتا لأخيه الشريف الرضى فى هذا المضمون ، وقال : ما وجدت لأحد من الشعراء بين المتنبى وبين أخى شيئا

فى هذا المعنى ، ووجدت له رحمه الله تعالى أبياتا جيدة وهى هذه :

تضاجعنى الحسناء والسيف دونها ضجيعان لى والعضب أدناهما منّى
إذا دنت البيضاء منى لحاجة أبى الأبيضُ الماضى فماطلها عني
وإن نام لى فى الجفن إنسانُ ناظرٍ تيقظ منى ناظر لىَ فى الجفن
أغارت فتاة الحى مما ألفته أعلاه بين الشعار من الضنّ
وقالوا هبوه ليلة الروع ضمه فما عذره فى ضمه ليلة الأمن

ثم قال : وهذه الأبيات استوفت هذا المعنى واستوعبته واستغرقته ، وطوّل الكلام فى مدحها ، ثم قال : ويمضى فى ديوان شعرى نظم هذا المعنى فى أقطاع أنا أثبتها لتعلم زيادتها على ما تقدم ورجحانها ، فمن تلك الأقطاع قولى :

لمـا اعتنقنا ليلة الرمل ومُضاجعى ما بيننا نصلى
قالت أما ترضى ضجيعك من جسمى الرطيب ومعصمى الطفلى
ألّا احتملت فراقَ نصلك ذا فى هذه الظلماء من أجلى
انظر إلى ضيق العِناق بنا تنظر إلى عقد بلا حلّ
لا بيننا يجرى العفار ولا فصل به لمـدبة النمل
فأجبتُهـا إنى أخاف إذا فطنوا بنا أهلوكِ أو أهلى
عُدّيه مثل تميمة نُصبت كى لا نصابَ بأعين نُجْـل
إنى أخاف العار يَلصق بى يوما ولا أخشى من القتلِ

ثم قال ومن ذلك قولى أيضا :

ولمـا تعانقنا ولم يك بيننـا سوّى صارم فى جَفنه لا من الجبن
كرهت عناق السيف من أجل جفنه فما عانقى منى حساما بلا جفن
فما كنتُ إلا منه فى قبضة الحمى ولا ذقت إلا عنده لذة الأمن

ويجنى على من شئت منك غراره وأما عليك ساعةً فهو لا يجنى

ثم قال ولى مثله :

أنكرتْ ليلة اعتنقنا حسامى وهو مُلقًى بينى و بين الفتاة

إن يكن عائقاً يسيراً عن الضم فما زال واقيا من عِداتى

هو قِرنٌ صفو ولا بد فى كل صفاء تناله من قذاة

وانتفاع وما رأينا انتفاعا أبد الدهر خاليا من بذاة

ثم قال ولى مثله :

زرتُ هندا ومن ظلام قميصى لا بوعد ومن بخار ردائى

واعتنقنا وبيننا جفن ماض فى فراش الرؤوس أىّ مضاء

وتجافتْ عنه وليس لها إن أنصفت عن جِواره من إباء

إنه حارس لنا غير أن ليس علينا من جملة الرقباء

لك فى النحر من عيون تميم فاحسبيه تميمة الأعداء

هو ساه عن الذى نحن فيه من حديث وقبلة واشتكاء

ودعينى طوال هذا التدانى ناعما لا أخاف غير التنائى

فلئن مس فيه بعض عناء فعناء مستقصر من عناء

ثم قال ومثل هذا قولى :

ولما أردت طروقَ الفتاه وصاحبنى صاحبٌ لا يغار

صَموتُ اللسان بعيدُ السماع فسرِّىَ مكتتَمٌ والجهارُ

وضاق العِناق فصار الرداء لها ملبسا ولباسى الخمارُ

وما لفنا كالتفاف الغصون جميعا هنالك إلا الإزارُ

وطاب لنا بعد طول البعاد
رواء الحديث وذاك الجوارُ
شربت بريقتها خمرةً
ولكنها خمرةٌ لا تدار
كأنّ الظلام بإشراق ما
أنالت وأعطته منها نهارُ
وأثر فى جيدها ساعدى
وأثّر فى جانبىّ السِّوارُ
فلو صُبت الكاس ما بيننا
لما خرجت من يدينا العقار
وناب مناب ليال طوال
تُقصِّر هذى الليالى القصارُ

ثم قال : وأنا الآن أنبه على معانى أبياتى ، وما شابه منها ما تقدم ، وما زاد عليه وتجاوزه ، ثم إنه أطنب الكلام فى ذلك وأخذ فى ذكر محاسن أبياته ، وبيان ما لاحظه فيها من النكات بيانا طويلا قريبا من خمسين سطرا ، وبه انتهت الرسالة وهى منقولة من خطه .

[حكم]

مقاربة الناس فى أخلاقهم أمن غوائلهم . من طلب شيئاً ناله أو بعضه . زهدك فى راغب فيك نقصان حظ ، ورغبتك فى زاهد فيك ذل نفس .

ذكروا أن من التجنيس التام قوله تعالى « ويومَ تقومُ الساعةُ يقسم المجرمون ، مالبثوا غير ساعة » وابن أبى الحديد فى كتابه المسمى « بالفلك الدائر على المثل السائر » ينازع فى هذا ويقول : إن المعنى واحد ، فإن يوم القيامة وإن طال فهو عند الله تعالى كالساعة الواحدة عند أحدنا ، وحينئذ فإطلاق الساعة عليه مجاز ، فهو كقولنا رأيت أسدا ، وزيد أسد ، وأردنا بالأوّل حيوانا ، وبالثانى الرجل الشجاع .

معرفة عرض البلد : خذ غاية ارتفاع الشمس متى شئت ، وانقص منها ميلها إن

كان شماليا ، أو زد عليه إن كان جنوبيا ، فما بقى أو حصل فهو تمام العرض فانقصه من (ص) يبقى العرض .

طريق أخرى : أسقط غاية انحطاط كوكب أبدىّ الظهور من غاية ارتفاعه ، وزد نصف الباقى على غاية الانحطاط ، أو انقصه من غاية الارتفاع ، فما بقى أو حصل فهو عرض البلد .

لله در من قال :

تحامَقْ مع الحمقى إذا ما لقيتَهم ... ولاقهمُ بالجهل فعلُ ذوى الجهل

وخلّطْ إذا لاقيت يوما مخلطا ... يخلّطُ فى قول صحيح وفى هزل

فإنى رأيت المرء يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يسعَد بالعقل

السيد عبد الرحيم العباسى :

وافؤادى وأين منى فؤادى ... لست أدريه ضلّ فى أى وادى

شُعَب الحب قد تشعّب قلبى ... فى ذراها وغاب عنها الهادى

يا خليلىّ إن تمرا بلعـــلٍ ... فأنشداه ما بين تلك الوهاد

فهو فى قبضة الغرام أسير ... دون فاد وهالك دون وأد

ليس غيرُ الصّدا يردّ جوابا ... لى منـــه فى حالة الإنشاد

كلما قلتُ أين غاب فؤادى ... ردّ لى منه أين غاب فؤادى

أبو الشيص :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخرٌ عنـــه ولا متقـــدم

أجد الملامةَ فى هـــواك لذيذة ... حبـــا لذكرك فليلمنى اللوم

أشبهتَ أعدائى فصرتُ أحبهم ... إذ كان حظى منك حظى منهم

وأهنتنى فأهنتُ نفسى صـــاغرا ... ما من يهـــون عليك ممن يكرم

[أشرف الأعداد]

أشرف الأعداد العدد التام ، وهو ما كانت أجزاؤه مساوية له . قالوا ولهذا كان عدد الأيام التى خلقت فيها السموات والأرض هو الستة كما نطق به الذكر الحكيم . وأما العدد الزائد الناقص فما زادت عليه أجزاؤه أو نقصت ، كالاثنى عشر فإنه زائد ، والسبعة فإنها ناقصة ، إذ ليس لها إلا السبع . قال فى الأنموذج : وقد نظمت قاعدة فى تحصيل العدد التام فقلت :

چو باشد فرد أول ضعف زوج الزوج كم واحد
بود مضرب إيشان تام وزنه ناقص وزايد

ومعناه أنه يؤخذ زوج الزوج ، وهو زوج لا يعده من الأفراد سوى الواحد ، وبعبارة أخرى عدد لا يعده عدد فرد ، وهذا مبنى على أن الواحد ليس بعدد ، كالاثنين فى المثال المذكور ويضعّف حتى يصير أربعة ، ويسقط منه واحد فيصير ثلاثة ، وهو فرد أول ، لأنه لا يعده سوى الواحد فرد آخر ، وهو المراد بالفرد الأول ، فتضرب الثلاثة فى الاثنين الذى هو زوج الزوج ، فيصير ستة ، وهو العدد التام وقس عليه ، مثلا تأخذ الأربعة وهو زوج الزوج ، وتضعّفه حتى يصير ثمانية ، وتسقط منه واحدا فيصير سبعة وهو فرد أول ، فتضرب به فى الأربعة فيصير ثمانية وعشرين ، وهو أيضا عدد تام .

ومن خواصّ العدد التام أنه لا يوجد فى كل مرتبة من الآحاد والعشرات وما فوقها إلا واحدا ، لا يوجد مثلا فى مرتبة الآحاد إلا الستة وفى العشرات إلا الثمانية والعشرين ، فقس واستخرج الباقى كما عرفت .

المعلول : إن اعتبر من حيث نسبته إلى العلة على الوجه الذى انتسب إليها

كان له تحقق ، وإن اعتبر ذاتا مستقلة كان معدوما ، بل ممتنعا ، كالسواد إن اعتبر على النحو الذي هو في الجسم كان موجودا ، وإن اعتبر على أنه ذات مستقلة كان معدوما بل ممتنعا . انتهى .

روى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو يجود بنفسه فقال : كيف تجدك ؟ قال أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الرجاء والخوف لا يجتمعـــان في قلب عبد في هذا الموطن إلا بلغه الله ما يرجو وآمنـــه مما يخاف » .

قال بعض الحكماء : الصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر على ما تحب . والصبر الثاني أشدهما على النفوس .

لبعضهم :

دهرٌ علا قدرُ الوضيع بهِ وترى الشريف يحطه شرفُهْ
كالبحر يرسُبُ فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفُهْ

لبعضهم :

لا غرو أن فاق الدنيء أخا العلا في ذا الزمان وهل لذلك جاحدُ
فالدهر كالميزان يرفع كل ما هو ناقص ويحط ما هو زائدُ

[من كتاب أنيس العقلاء]

قال إنه قد تُحدِث الولاية لأقوام أخلاقاً مذمومةً يظهرها سوء طباعهم ، ولآخرين فضائل محمودةً ينشرها ذكي شيمهم ، لأنّ لتقلب الأحوال سكرة تُظهر من الأخلاق مكنونها ، وتبرز من السرائر مخزونها ، لا سيما إذا هبت من غير تأهب ، وهجمت من غير تدريج .

كان له تحقق ، وإن اعتبر ذاتا مستقلة كان معدوما ، بل ممتنعا ، كالسواد إن اعتبر على النحو الذى هو فى الجسم كان موجودا ، وإن اعتبر على أنه ذات مستقلة كان معدوما بل ممتنعا . انتهى .

روى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو يجود بنفسه فقال : كيف تجدك ؟ قال أرجو الله وأخاف ذنوبى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الرجاء والخوف لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا بلغه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف » .

قال بعض الحكماء : الصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر على ما تحب . والصبر الثانى أشدهما على النفوس .

لبعضهم :

دهر علا قدرُ الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفُه
كالبحر يرسُبُ فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفُه

لبعضهم :

لا غرو أن فاق الدنىء أخا العلا فى ذا الزمان وهل لذلك جاحدُ
فالدهر كالميزان يرفع كل ما هو ناقص ويحط ما هو زائدُ

[من كتاب أنيس العقلاء]

قال إنه قد تُحدث الولاية لأقوام أخلاقاً مذمومةً يظهرها سوء طباعهم ، ولآخرين فضائل محمودةً ينشرها ذكى شيمهم ، لأنّ لتقلب الأحوال سكرة تُظهر من الأخلاق مكنونها ، وتبرز من السرائر مخزونها ، لا سيما إذا هبت من غير تأهب ، وهجمت من غير تدريج .

قال الفضل بن سهل : من كانت ولايته فوق قدره تكبّر لها ، ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها . وأخذ هذا المضمونَ بعض البلغاء وزاد عليه فقال : الناس فى الولاية اثنان : رجل يجل عن العمل بفضله ومروءته ، ورجل يجل بالعمل لنقصه ودناءته ، فمن جل عن عمله ازداد به تواضعا وبشرا ، ومن جل عنه بإعماله تلبس به تجبرا وكبرا .

[من صفات الدنيا]

من كلام بعض البلغاء : الدنيا إن أقبلت بلت ، وإن أدبرت برّت ، أو أطنبت نبت ، أو أركبت كبت ، أو أبهجت هجت ، أو أسعفت عفت ، أو أينعت نعت ، أو أكرمت رمت ، أو عاونت ونت ، أو ماجنت جنت ، أو سامحت محت ، أو صالحت لحت ، أو واصلت صلت ، أو بالغت لغت ، أو وفرت فرت ، أو زوّجت وجت ، أو نوّهت وهت ، أو ولهت لهت ، أو بسطت سطت .

الذى فى أكثر التفاسير أن المحدّث عنه بقوله تعالى : « عبس وتولّى » وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، لما أتاه ابن أم مكتوم ، وعنده صناديد قريش . والقصة مشهورة .

وذهب بعضهم إلى أن المحدث عنه رجل من بنى أمية كان عند النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو الذى عبس لما دخل ابن أم مكتوم ، وهو مذهب الشريف المرتضى قال : إن العبوس ليس من صفاته صلى الله عليه وسلم مع الأعداء المباينين ، فضلا عن المؤمنين المسترشدين . وكذا التصدى للأغنياء والتلهى عن الفقراء ليسا من سماته . كيف وهو القائل « الفقر فخرى » والوارد فى شأنه « وإنك لعلى خلق عظيم » .

وقد روى عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه أن الذى عبس كان رجلا من بنى أمية لا النبي صلى الله عليه وسلم .

قال بعض الحكماء : ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك .

وقال بعضهم : من عمل فى السر عملا يستحى منه فى العلانية فليس لنفسه عنده قدر .

ودعا قوم رجلا كان يألفهم فى المداعبات فلم يجبهم ، وقال : إنى دخلت البارحة الأربعين وأنا أستحى من سنى .

قال بعض الحكماء : ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة ، ولا معقلا من البطشة .

من الإحياء خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر يغتسل ، فأمسك حذيفة بن اليمان بالثوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وستره به حتى اغتسل ، ثم جلس حذيفة ليغتسل ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة ، فأبى حذيفة وقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله لا تفعل ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما اصطحب اثنان قط إلا وكان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » .

لبعضهم :

من كان فى قلبه مثقال خردلة سوى جلالك فاعلم أنه مرض

[حكم]

نبذ من كلام جار الله الزمخشري : من زرع الإحن حصد المحن . كثرة المقالة عثرة غير مقالة . إلى كم أصبح وأمسى ويومى شر من أمسى . لا بدّ للفرس من سوط وإن كان بعيد الشوط. لا بدّ من ذا مع ذيا والدبران تلو الثريا. شعاع الشمس لا يخفى ونور الحق لا يطفى . كم لأيدى الركاب من أياد فى الرقاب . البراطيل تنصر الأباطيل . أتزعم أنك صائم وأنت فى لحم أخيك سائم . ما أدرى أيهما أشقى من يعوم فى الأمواج أم من يقوم على الأزواج . لا ترض لمجالستك إلا أهل مجانستك. أهيب وطأة من الأسد من يمشى فى الطريق الأسدّ . إذا كثر الطاغون أرسل الله الطاعون . أعمالك نيّة إن لم تنضجها بنية . لا يجد الأحمق لذة الحكمة كما لا يلتذ بالورد صاحب الزكمة . طوبى لمن كانت خاتمة عمره كفاتحته وليست أعماله بفاضحته .

حدث بعض الثقات أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته لتنفّر الطباع منه، فاستأجرت من حملها إلى المصلى فما صلى عليها أحد ، فحملوها إلى الصحراء للدفن ، وكان على جبل قريب من الموضع زاهد مشهور ، فرأوه كالمنتظر للجنازة ، فقصدها ليصلى عليها، فانتشر الخبر فى البلد أن فلانا الزاهد نزل يصلى على فلان ، فخرج أهل البلد فصلوا معه عليها ، وتعجب الناس من صلاة الزاهد، فقيل له فى ذلك ، فقال رأيت فى المنام قائلا يقول لى : انزل إلى الموضع الفلانى تر فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلّ عليها فإنه مغفور له ، فازداد تعجب الناس من ذلك ، فاستدعى الزاهد امرأة الميت وسألها عن حاله فقالت : كان طول نهاره مشغولا بشرب الخمر . فقال هل تعرفين

له شيئا من أعمال الخير ؟ فقالت ثلاثة : كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح . الثانى أنه كان لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين، وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده . الثالث أنه كان يفيق من سكره فى أثناء الليل فيبكى ويقول : يارب أىّ زاوية من زاويا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث .

يحصل جذر الأصم بالتقريب ، بأن تأخذ أقرب الأعداد المجذورة إليه ويسقط منه ويحفظ الباقى ، ثم نأخذ جذره وتضعفه وتزيد عليه واحدا ، ثم تنسب ما يبقى بعد الإسقاط إلى الحاصل ، ثم تزيد على جذره حاصل النسبة فالمجتمع جذر الأصم . انتهى .

لما مات المهدى لبست جواريه مسوحاً سوداً ، وفى ذلك يقول أبو العتاهية :

رحن بالوشى وأصبحـــن عليهنّ المسوح

كل نطّاح وإن عا ش له يوم نطوح

بين عينى كل حى علـمُ الموت يلوح

كلنـا فى غفلة والـموت يغدو ويروح

أحسن الله بنـا أن الخطايا لا تفوح

نح على نفسك يامســكين إن كنت تنوح

لتموتن ولو عُمّــرت ماعمر نوح

غيره :

ياقلب صبرا على الفراق ولو روّعت ممن تحب بالبين

وأنت يادمع إن أبحت بما أخفاه سرى سقطت من عينى

***

من كتاب الإحياء : فى كتاب الخوف والرجاء .

روى محمد بن الحنفية رضى الله عنه عن أبيه علىّ كرم الله وجهه قال : لما نزل قوله تعالى : «فاصفح الصفحَ الجميل» قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل وماالصفح الجميل ؟ قال : إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه ، فقال : يا جبريل : إن الله تعالى أكرم من يعاتب من عفا عنه، فبكى جبريل وبكى النبى صلى الله عليه وسلم، فبعث الله إليهما ميكائيل وقال : إنّ ربكما يقرئكما السلام ويقول : كيف أعاتب من عفوت عنه ؟ هذا مالا يشبه كرمى .

فى الحديث : ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ماخطرت قط على قلب أحد ، حتى إن إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه .

كان بعض العارفين يصلى أكثر ليله ، ثم يأوى إلى فراشه ويقول: يا مأوى كل شر ، والله ما رضيتك لله طرفة عين، ثم يبكى ، فيقال له ما يبكيك؟ فيقول قوله تعالى « إنما يتقبلُ الله من المتقين » .

إذا أردنا أن نعرف ارتفاع الشمس أبدا من غير إسطرلاب ولا آلة ارتفاع ، فإنا نقيم شاخصا فى أرض موزونة ، ثم نعلّم على طرف الظل فى ذلك الوقت ، ونمدّ خطا مستقيما من محل قيام الشاخص يمرر على طرف الظل إلى ما لا نهاية معينة له ، ثم نخرج من ذلك المحل على خط الظل فى ذلك السطح عمودا طوله مثل طول الشاخص ، ثم نمدّ خطا مستقيما من طرف العمود الذى فى السطح إلى طرف الظل فيحدث سطح مثلث قائم الزاوية ، ثم نجعل طرف الظل مركزا وندير عليه دائرة بأى قدر شئنا ، ونقسم الدائرة بأربعة أقسام متساوية على زوايا قائمة يجمعها المركز ، ونقسم الربع الذى قطعه المثلث من الدائرة بتسعين جزءا مما قطعه الضلع الذى يوتر الزاوية القائمة من الدائرة مما يلى الخط ، والظل هو الارتفاع ،

وليكن محل الشاخص نقطة (ا) وطرف الظل (ب) والخط المخرج (ا ح) والعمود في السطح (ا د) و (ا) هى الزاوية القائمة ، والمستقيم الواصل بين طرف العمود وطرف الظـــل (ى ب) والمثلث (ا ب ى) ومركز الدائرة (ب) والدائرة (ى ر ح ه) والرابع المقسوم بتسعين (ى ه) والضلع الموتر للزاوية القائمة من المثلث ضلع (ب ج) فإذا كان قاطعا للربع على نقطة (ك) كانت قوس (ى ك) مقدار الارتفاع فى ذلك الوقت من ذلك اليوم. وهذا مما برهن عليه، لـكن برهانه مما يطول ولا يتسع له الـكشكول .

قال بعض العارفين : والله ما أحب أن يجعل حسابى يوم القيامة إلى أبوى ، لأنى أعلم أنّ الله تعالى أرحم بى منهما .

وفى الخبر : إن الله تعالى خلق جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده إلى الجنة .

وفى الخبر أيضا إن الله تعالى يقول: إنما خلقت الخلق ليربحوا علىّ، ولم أخلقهم لأربح عليهم .

كل عدد قسم على عدد فيـكون نسبة الخارج من القسمة إلى مربعه كنسبة المقسوم عليه إلى المقسوم ، فإذا أردنا أن نحصل مجذورا يكون نسبته إلى جـذره كنسبة عدد إلى عدد آخر، نقسم العدد الأول على العدد الثانى، فما خرج من القسمة يكون مضروبه فى نفسه العدد المطلوب .

قال الأصمعى : رآنى أعرابى وأنا أكتب كل ما يقوله ، فقال ما أنت إلا الحفظة تـكتب لفظ اللفظة .

رأى بعض الصلحاء أبا سهل الزجاجى فى المنام على هيئة حسنة ، وكان يقول بوعيد الأبد ، فقال له كيف حالك ؟ فقال وجدنا الأمر أسهل مما توهمناه .

وما أحسن قول أبى نواس فى عِظم الرجاء :

تكثّر ما استطعت من الخطايا | فإنك بالغٌ ربا غفورا
ستبُصر إن وردت عليه عفوا | وتلقى سيداً ملكا كبيرا
تعضّ ندامة كفيك مما | تركت مخافة النار الشرورا

قال ابن الأعرابى : نظر إلىّ أعرابى وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال : إنك لحتف الكلمة الشرود .

البهازهير :

ماله عنىَ مالا | وتجنى فأطالا
أترى ذاك دلالا | من حبيبى أو مَلالا
فلقد أرخصنى من | أنا فيه أتغالى
سيدى لم يُبقِ لى حبك | بين الناس حالا
فإذا غبت تلفتّ | يمينا وشِمالا
أنت فى الحسن إمام | بك قلبى يتوالى
لا وحق الله ما ظنك | فى حقى حلالا
إن بعض الظن إثم | صدق الله تعالى

الغيبة جهد العاجز .

لبعضهم :

وذى سفه يخاطبنى بجهل | فآنف أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما | كعودٍ زاده الإحراق طيبا

لبعضهم :

بدا على خده عذار | فى مثله يعذر الكئيب

لمـــا أراق الدماء ظلما بدت على خده الذنوب

القاضى منصور الهروى :

ومنتقب بالورد قبلت خـدّه وما لفؤادى من هواه خلاصُ
فأعرض عنى مُغضبا قلت لا تَجُرْ وقبّل فمى إن الجروح قصاصُ

ابن هلال العسكرى :

ومهفهف قال الإله لوجهه كن مجمعا للطيبات فـكانَهُ
زعم البنفسج أنه كعذاره حسنا فسلوا من قفاه لسانهُ

لبعضهم :

كفى زاجرا للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدى

كتب الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير إلى الشيخ الرئيس أبى على بن سينا :

أيها العالم وفقك الله لما ينبغى ، ورزقك من سعادة الأبد ما تبتغى . إنى من الطريق المستقيم على يقين ، إلا أن أودية الظنون على الطريق المستجد متشعبة ، وإنى من كل لطالبُ طريقه . ولعل الله يفتح لى من باب حقيقة حاله بوسيلة تحقيقه ، وصدق تصديقه . وإنك بالعلم وفقت لموسوم ، وبمذاكرة أهل هـــذا الطريق مرسوم . فأسمعنى مما رزقت ، وبين لى ما عليه وقفت ، وإليه وفقت .

واعلم أنّ التذبذب بداية حال الترهب . ومن ترهب تراب . وهذا سهل جدا ، وعسرٌ إن عدّ عدا . والله ولى التوفيق .

فأجابه الشيخ الرئيس : وصل خطاب فلان مبيناصنع الله تعالى لديه ، وسبوغ نعمه عليه . والاستمساك بعروته الوثقى . والاعتصام بحبله المتين . والضرب فى سبيله والتولية شطر التقرّب إليه . والتوجه تلقاء وجهه ، نافضا عن نفسه غبرة هـــذه

الحربة ، رافضا بهمته الاهتمام بهذه القذرة . أعز وارد ، وأيسر واصل ، وأنفس طالع ، وأكرم طارق . فقرأته وفهمته ، وتدبرته وكررته . وحققته فى نفسى ، وقررته . فبدأت بشكر الله واهب العقل ، ومفيض العدل . وحمدته على ما أولاه ، وسألته أن يوفقه فى أخراه وأولاه . وأن يثبت قدمه على ما توطاه ، ولا يلقيه إلى ماتخطاه : ويزيد إلى هدايته هداية ، وإلى درايته التى آتاه دراية . إنه الهادى الميسر ، والمدبر المقدر ، عنه يتشعب كل أثر ، وإليه تستندالحوادث والغير وكذلك يقضى الملكوت ويقتضى الجبروت . وهو من سر الله الأعظم يعلمه من يُعلّمه ، ويذهل عنه من لا يعصمه . طوبى لمن قاده القدر إلى زمرة السعداء ، وحاد به عن رتبة الأشقياء . وأوزعه استرباح البقاء ، من رأس مال الفناء . وما نزهة هذا العاقل فى دار يتشابه فيها عقبى مدرَك ومفوّت ، ويتساويان عند حلول وقت مؤقت . دار أليمها موجع ، ولذيذها مستبشع . وصحتها قسر الأضداد على وزن وأعداد . وسلامتها استمرار فاقة ، إلى استمرار مذاقة . ودوام حاجة إلى مج مجاجة ، نعم والله ما المشغول بها إلا متبط ، والمتصرف فيها إلا مخبط . موزع البال بين أمل وياس ، ونقود وأجناس . أخيذ حركات شتى ، وعسيف أوطار تترى . وأين هو عن المهاجرة إلى التوحيد . واعتماد النظام بالتفريد . والخلوص من التشعب إلى التراب ، وعن التذبذب إلى التهذب . وعن بادٍ يمارسه ، إلى أبد يشارفه . هنالك اللذة حقا ، والحسن صدقا . سلسال كلما سقيته على الرىّ كان أهنى وأشفى ، ورزق كلما أطعمته على الشبع كان أغذى وأمرى . رىّ استبقاء لا رىّ إباء ، وشبع استشباع لا شبع استبشاع . ونسأل الله تعالى أن يجلو عن أبصارنا الغشاوة ، وعن قلوبنا القساوة . وأن يهدينا كما هداه ويؤتينا مما آتاه . وأن يحجز بيننا وبين هذه الغارّة الغاشّة ، البسور فى هيئة الباشّة . المعاسرة فى حلية المياسرة ،

المفاصلة فى معرض المواصلة . وأن يجعله إمامنا فيما آثر وأثار ، وقائدنا إلى ماصار إليه وسار . إنه ولى ذلك .

فأما ما التمسه من تذكرة ترد منى ، وتبصرة تأتيه من قبلى . وبيان يشفيه من كلامى . فكبصير استرشد من مكفوف ، وسميع استخبر من موقور السمع غير خبير . فهل لمثلى أن يخاطبه بموعظة حسنة ، ومثل صالح ، وصواب مرشد، وطريق أسنّه له منقذ ، وإلى غرضه الذى أمه منفذ . ومع ذلك فليكن الله تعالى أوّل فكره وآخره ، وباطن اعتباره وظاهره . ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه ، وقدمُها موقوفة على المثول بين يديه . مسافرا بعقله فى الملكوت الأعلى ، وما فيه من آيات ربه الكبرى . فإذا انحط إلى قراره فلير الله تعالى فى آثاره . فإنه باطن ظاهر . تجلى لكل شىء بكل شىء .

فنى كل شىء له آيةٌ تدل على أنه واحد

فإذا صارت هذه الحال ملكته ، وهذه الخصلة وتيرته ، انطبع فى فصه نقش الملكوت ، وتجلت لمرآته قدسُ اللاهوت . فألف الأُنس الأعلى ، وذاق اللذة القصوى . وأخذ عن نفسه لمن هو به أولى . وفاضت عليه السكينة ، وحفت به الطمأنينة . واطّلع على العالم الأدنى اطلاع راحم لأهله ، مستوهن لحبله ، مستخف لثقله .

وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة ، وأفضل السكنات الصيام . وأرفع البر الصدقة . وأزكى السير الاحتمال . وأبطل السعى الريا ، ولن تخلص النفس عن البدن ما التفتت إلى قيل وقال ، ومناقشة وجدال . وخير العمل ما صدر عن مقام نية ، وخير النية ما ينفرج عن جناب علم . والحكمة أم الفضائل ، ومعرفة الله أوّل الأوائل إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم وأستهديه، وأتوب إليه وأستكفيه . وأسأله أن يقرّبني إليه إنه سميع مجيب . انتهى .

قال في الملل والنحل : إن سقراط الحكيم كان تلميذا لفيثاغورس ، وكان مشتغلا بالزهد ، ورياضة النفس ، وتهذيب الأخلاق ، والإعراض عن ملاذ الدنيا واعتزل إلى جبل وأقام في غارٍ به ، ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمنه من الشرك وَعبادة الأوثان ، فثوّروا عليه القائمة ، وألجأوا الملك إلى قتله ، فحبسه الملك ثم سقاه السمّ .

[توحيد سقراط]

قال سقراط : أخص ما يوصف به الباري تعالى هو كونه حيا قيوما . لأن العلم والقدرة ، والجود والحكمة تندرج تحت كونه حيا . والحياة صفة جامعة للكل والبقاء والسرمد والدوام يندرج تحت كونه قيوما ، والقيوميّة صفة جامعة للكل . وكان من مذهبه أن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل وجود الأبدان فاتصلت بالأبدان لاستكمالها ، فإذا بطلت الأبدان رجعت النفوس إلى كليتها .

وقال للملك لما أراد قتله: إن سُقراط في حُبٍّ ، والملك لا يقدر إلا على كسر الحُب[1] فالحب يكسر ويرجع الماء إلى البحر .

وله حكم مرموزة منها : لا تنفس على باب أعدائك. اضرب الأترجة بالرمان . اقتل العقرب بالصوم . إن أحببت أن تكون ملكا فكن حمار وحش . ازرع بالأسود واحصد بالأبيض . أمِتِ الحي تحيا بموته .

روى العارف الرباني مولانا عبد الرازق الكاشاني في تأويلاته عن الصادق

---

(١) الحب ـ بضم الحاء ـ : الخابية .

جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : لقد تجلى الله لعباده فى كلامه ولكن لا يبصرون .

وروى فى الكتاب المذكور أنه خرّ مغشيا عليه فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال : مازلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها .

نقل الفاضل المبيدى فى شرح الديوان عن الشيخ السُّهروردى أنه قال : بعد نقل هذه الحكاية عن الصادق رضى الله عنه أن لسان الإمام فى ذلك الوقت كان كشجرة موسى عند قوله إنى أنا الله ، وهو مذكور فى الإحياء فى تلاوة القرآن .

قال معاذ بن جبل : ارض من أخيك إذا ولى ولاية بعشر ودّه قبلها .

وقال بعضهم : التواضع من مصائد الشرف ، من لم يصبر على كلمة سمع كلمات .

وقيل لبعضهم : من السيد ؟ فقال الذى إذا حضر هابوه ، وإذا غاب عابوه .

ما أنصفك من كلفك إجلاله ، ومنعك ماله . إن امرأ ليس بينه وبين آدم أب حىّ لعريق فى الموت . لا تكن ممن يلعن إبليس فى العلانية ويواليه فى السر .

كُثيِّر عزة :

وكنت إذا ما زرت ليلى بأرضها ... أرى الأرض تُطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفِرات البيض ودّ جليسُها ... إذا ما انقضت أُحدوثةٌ لو تعيدها

وله من أبيات :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن ... على شجن فى البين حين تبينُ

وإن هى أعطتك الليان فإنها ... لآخَرَ من خِلانها ستلينُ

وإن حلفت لا ينقض النأىُ عهدها فليس لمخضوب البنـــان يمينُ

لبعضهم :

حسبُ المحب تلذذٌ بغرامـــه من كل مايهوى وما يتحبّب
خمرُ المحبة لا يُشم نسيمها من كان فى شىء سواها يرغبُ

عن علىّ بن أبى رافع قال : كنت على بيت مال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكاتبه ، فكان فى بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة ، فأرسلت إلىّ بنت علىّ بن أبى طالب ، فقالت : إنه بلغنى أن فى بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ وهو فى يدك، وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به فى يوم الأضحى، فأرسلت إليها : عارية مضمونة ، مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنت أمير المؤمنين ، فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام، فدفعته إليها، وإن أمير المؤمنين عليه السلام رآه عليها فعرفه ، فقال لها : متى أين جاء إليك هذا العقد . فقالت : استعرته من ابن أبى رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزين به فى العيد ، ثم أردّه . قال فبعث إلىّ أمير المؤمنين فجئته ، فقال لى : أتخون المسلمين يا ابن أبى رافع ؟ فقلت معاذ الله أن أخون المسلمين . فقال كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير إذنى ورضاهم؟ فقلت ياأمير المؤمنين، إنها بنتك وسألتنى أن أعيرها تتزين به ، فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة ، على أن ترده سالمـــا إلى موضعه . فقال ردّه من يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله فتنالك عقوبتى . ثم قال: ويل لابنتى لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة ، لكانت إذن أول هاشمية قطعت يدها فى سرقة . فبلغت مقالتُه كرّم الله وجهه ابنتَه ، فقالت له: يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك ، فمن أحق بلبسه منى ؟ فقال لها : يا بنت ابن أبى طالب ، لاتذهبين بنفسك عن الحق، أكل نساء المهاجرين والأنصار يتزيّن

فى مثل هذا العيد بمثل هذا ؟ فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

يقال شغلت فلانا فأنا شاغل له ، ولا يقـــال أشغلته فإنها لغة رديئة ، قاله فى الصحاح .

[نصائح نبوية]

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس إن هذه الدار دار الثوى لا دار استوا ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولا يحزن لشقاء ، ألا وإن الله تعالى خلق الدنيا دار بلوى ، والآخرة دار عقبى ، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببــا ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا ، فيأخـــذ ليعطى ، ويبتلى ليجزى ، إنها لسريعة الذهاب ، وشيكة الانقلاب ، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها ، واحذروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها ولا تسعوا فى تعمير دار قد قضى الله خرابها ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها ، فتكونوا لسخطه متعرضين ، ولعقوبته مستحقين » .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيها الناس بسط الأمل متقدم على حلول الأجل ، والمعاد مضمار العمل ، فمغتبط بما احتقب غانم ، ومستيئس لما فاته من عمل نادم . أيها الناس إن الطمع فقر . واليأس غنى . والقناعة راحة ، والعزلة عبادة ، والعمل كنز ، والدنيا معدن . وما بقى منها أشبه بما مضى من الماء بالماء . وكل إلى نفاد وشيك وزوال قريب . فبادروا أنتم فى مهل الأنفاس ، ومدة الأجلاس ، قبل أن يؤخذ بالكظم ، فلا يغنى الندم » انتهى .

[من كلام أرسطوطاليس]

من شرح حكمة الإشراق ، للعلامة على الإطلاق ، والمعلم الأول أرسطوطاليس ، وإن كان كبير القدر عظيم الشأن ، بعيد الغور تام النظر لا تجوز المبالغة فيه على وجه يفضى إلى الإزراء بأساتذته ، كأنه يشير إلى الشيخ أبى علىّ بن سينا ، حيث قال فى آخر معرض منطق الشفاء فى تفخيم قدر أرسطو وتعظيم شأنه ، بعد أن نقل عنه مامعناه : إنا ماروينا عمن تقدمنا فى الأقيسة إلا ضوابط غير مفصلة . وأما تفصيلها ، وإفراد كل قياس بشروطه وضروبه ، وتمييز المنتج عن العقيم إلى غير ذلك من الأحكام ، فهو أمر قد كددنا فيه أنفسنا ، وأسهرنا فيه أعيننا ، حتى استقام هذا الأمر فإن وقع لأحد ممن يأتى بعدنافيه زيادة أو إصلاح فليصلحه ، أو خلل فليسدّه .

انظروا معاشر المتعلمين هل أتى بعده أحد زاد عليه ، أو أظهر فيه قصورا ، أو أخذ عليه مأخذا مع طول المدة وبعد العهد ، بل كان ما ذكره هو التام ، والميزان الصحيح ، والحق الصريح . ثم قال فى تحقير أفلاطون : وأما أفلاطون الإلهى ؛ فإنه كانت بضاعته من الحكمة ما وصــــل إلينا من كتبه وكلامه . فلقد كانت بضاعته من العلم مزجاةً . قال العلامة بعد أسطر : ولو أنصف أبو على لعلم أن الأصول التى بسطها ، وهذّبها أرسطوطاليس مأخوذة عن أفلاطون ، وأنه ما كان ـ والعلم عند الله ـ عاجزا عن ذلك ، وإنما عاقه عنه شغل القلب بالأمور الكشفية الجليلة ، والذوقية الجميلة ، التى هى الحكمة بالحقيقة دون غيرها . ومن هو مشغول بهذه الأمور المهمة النفيسة الشريفة كيف يتفرّغ لتفريع الأصول وتفصيل المجمل الغير المهمّ . انتهى كلام العلامة طاب ثراه .

[حقائق الأشياء]

حقائق الأشياء مغايرة ٥٢١١١ لجميع ٧١٤٣٣ الصور التى ينجلى فيها على المشاعر الظاهرة ، ويتحيز بها لدى المدارك الباطنة . وكل منها فى حدّ ذاتها قابلة للظهور ٢٦٥٩٣٣ فى صور متخالفة ومظاهر متباينة، وتلك الصور متساوية الأقدار بالنسبة إليها . ليس بعضها فى حدّ ذاته أولى ببعض ، وإنما يختص الظهور ٢٦٥٩٣١ فى بعض الصور بحسب المواطن والمشاعر والنشآت ، فليلبس فى كل موطن لباسا ، ويتجلبب فى كل مشعر بجلباب ، ويتزيى فى كل نشأة بزى ، ويتّسم فى كل عالم باسم . وأما السنخ الذى هو معروض هذه الصور فلا يعلمه إلا علام الغيوب .

ووجه واحد فى كل حال وما التعداد إلا فى المرايا

[من كلام سقراط]

قال سقراط : وهو تلميذ فيثاغورس الحكيم : إذا أقبلت الحكمة خدمت الشهواتُ العقولَ ، وإذا أدبرت خدمت العقولُ الشهوات .

وقال : لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم .

وقال : ينبغى أن تفرح بالموت وتغتم بالحياة ، لأنا نحيا لنموت ونموت لنحيا .

وقال : قلوب المعترفين فى المعرفة منابر الملائكة ، وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة .

وقال : للحياة حدّان الأول الأمل، والثانى الأجل . فبالأول بقاؤها ، وبالثانى فناؤها . انتهى .

كان أبو الحسن النورى مع جماعة فى دعوة ، فجرت بينهم مسألة فى العلم

وطال البحث وهو ساكت ، فقالوا لم لا تتكلم . فرفع رأسه وأنشد :

ربّ ورقاء هتوف فى الضحى ذات شجو صدحت فى فَنَن

ذكرت إلفا ودهرا صالحا فبكت حزنا فهاجت حزنى

فبكائى ربما أرّقها وبكاها ربما أرّقنى

ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمنى

غير أنى بالجَوَى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفنى

قال بعض الحكماء : أحق الناس بالهوان المتحدّث لمن لا يصغى إلى حديثه .

ومن كلامهم : من ألبسه الليل ثوب ظلمائه ، نزعه عنه النهارُ بضيائه .

[لغويات]

من كتاب أدب الكاتب

يقال لولد كل سبع جرو . ولولد كل ذى ريش فرخ . ولولد كل وحشيّة طفل . ولولد الفرس مهر ، وفلو . ولولد الحمار جحش وعفر . ولولد البقرة عجل ، والأنثى عجلة . ولولد الضأن ـ ذكراً أو أنثى ـ سخلة ، وبهيمة . فإذ بلغ أربعة أشهر فهو حَمَل . وخروف ، والأنثى خروفة . وولد الماعز سخلة ، وبهمة إلى أربعة أشهر فهو جفر ، والأنثى جفرة . ثم جدى ، والأنثى عناق . وولد الأسد شبل . وولد الضبع فرغل . وولد الدب ديسم . وولد الغزال خشف ، وطلا . وولد الخنزير خِنَّوص . وولد الذئب والكلبة والهرة والجراد درص[1] . وولد الثعلب هجرس .

[الحزن والغضب]

سبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن هو فوقها . وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن هو دونها . والغضب حركة إلى الخارج . والحزن حركة إلى الداخل . فيحدث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه . ويحدث عن الحزن

(١) لم أجد هذه التسمية فى القاموس .

المرض والسقم لسكونه ، ولهذا يعرض الموت من الحزن ولا يعرض من الغضب .

من التحفة للعلامة قطب الدين الشيرازى : ليست رؤية الكوكب فى الأفق أعظم لكونه أقرب إلينا فينافى الاستدارة ، بل لأن البخار يُرى ما وراءه أعظم مما هو عليه ، لأنّ رؤية الكوكب فى البخار إنما يكون بأشعة مستقيمة تخرج من البصر إلى سطح البخار الواقع بين البصر والمبصر ، ثم ينعطف منه إليه ، ولهذا تعظم الزاوية الجليدية ، ويرى الشىء أعظم ، لما تقرر فى علم المناظر أن عظم المرئى وصغره إنما هو بعظم الزاوية الجليدية وصغرها ، لا لسمك البخار ، بل البعد بين البصر والكوكب وهو على الأفق أكثر مما بينهما وهو على سمت الرأس إذ قصر الخطوط الخارجة من نقطة داخل دائرة غير مركزها إلى محيطها تمام القطر ، لما بينه إقليدس بكون الانعطاف عند الأفق من أجزاء أبعد من سهم المخروط البصرى ، بخلافه فى وسط السماء ؛ ولذلك تعظم الزاوية الجليدية ، وتكون رؤية الكوكب بالأفق أعظم من رؤيته فى وسط السماء ، مع توسط البخار بينهما فى الحالين . وعنه يظهر أن الكوكب فى وسط السماء كان يرى أعظم مما يرى فى الأفق وأصغر مما تراه الآن لولا البخار . انتهى .

من تفسير القاضى ، فى تفسير قوله تعالى : « إن الله يأمرُكم أن تذبَحوا بقرة » الآيات قال : من أراد أن يعرف أعدى عدوّه ، الساعى فى إماتته الموت الحقيقى ، فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوّة الشهوية ، حين زال عنها شره الصبا ، ولم يلحقها ضعف الكبر ، وكانت معجبة رائقة المنظر ، غير مذللة فى طلبها الدنيوى ، مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها ، بحيث يصل أثره إلى نفسه ، فيحيا حياة طيبة ، ويعرب عما ينكشف به الحال ، ويرتفع ما بين العقل والوهم من الشرازة والنزاع .

قوله تعالى : « ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً » قال جار الله فى قوله وآتينا داود زبوراً دلالة على وجه تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خاتم الأنبياء ، وأن أمته خير الأمم ؛ لأن ذلك مكتوب فى الزبور . قال الله تعالى: «ولقد كتبنا فى الزّبور من بعد الذكر» أقول : ومن هذا يظهر وجه عطف قوله : وآتينا على ولقد فضلنا، إذ المراد بالبعض المفضل نبينا صلوات الله عليه كما قاله بعض المفسرين .

الشريف الرضى يرثى أبا إسحاق الصابى :

أعلمتَ من حملوا على الأعواد ... أرأيت كيف خبا ضياء النادى

جبلٌ رسا لو خرّ فى البحر اغتدى ... من وقعه متتابع الإزباد

ما كنت أعلم قبل حطّك فى الثرى ... أن الثرى يعلو على الأطواد

بُعداً ليومك فى الزمان لأنه ... أقذى العيون وفتّ فى الأعضاد

لو كنت تُفدى لا فتدتك فوارس ... مطروا بعارض كل يوم طراد

وإذا تألق بارقٌ لوقيعة ... والخيل تفحص بالرجال بداد

نثلوا الدروع عن القباب وأقبلوا ... يتحدثون على القنا الميّاد

لكن رماك مُحيّن الشجعان عن ... إقدامهم ومضعضِعُ الأنجاد

أعززْ علىّ بأنّ أراك وقد خلت ... من جانبيك مقاعدُ العوّاد

من للبلاغة والفصاحة إن همَى ... ذاك الغمامُ وعب ذاك النادى

من للملوك تحزّ فى أعدائها ... بظُبى من القرن البليغ حداد

إن الدموعَ عليك غيرُ بخيلة ... والقلبَ بالسلوان غيرُ جواد

ليس الفجائع بالذخائر مثلها ... يا ماجد الأعيان والأفراد

ويقول من لم يدر كنهك إنهم نقصوا به عدداً من الأعداد

هيهات درّج بين برديك الرّدى رجلَ الرجال وواحد الآحاد

لا تطلبي يا نفس خِلّا بعده أبداً ولا ماء الحيا ببرادى

ما مَطعَم الدنيا بحُلو بعده فلَمِثْلُه أغنى عن المرتاد

الفضل ناسب بيننا إن لم يكن شرفى يناسبه ولا ميلادى

لك فى الحشا قبر وإن لم تأته ومن الدموع روائح وغوادى

ما مات من جهل الزمانُ لسانَه يتلو مناقبه مدى الآباد

لا تبعدن وإنّ قربك بعدها إن المنية غايةُ الإبعاد

صفح الثرى عن حر وجهك إنه مُغرًى بطىّ محاسن الأمجاد

وتماسكت تلك البنان فطالما عبث البلى بأنامل الأجواد

وسقاك فضلكُ أنه أروى حيا من رائح متعرض أو غادى

هذا آخر ما انتخبته منها وهى نحو من تسعين بيتا فى غاية الجودة والحسن .

لبعضهم :

قلت مستعطفا لساقٍ سقانى من طلا نيل مصر أطيبَ كاس

أنت أشهى لدىّ منه ولكن قلبُه لَيِّن وقلبك قاسى

برهان على أن غاية غلط كل من التممين بقدر ضعف ما بين المركزين . ومنه يظهر فساد ما قاله صاحب المواقف من أنه غاية تساوى ما بين المركزين ، إذا فرضنا ا ب ح محدب فلك يكون الخارج فى تحت و ء ه ر مقعره، فمن ء إلى ا ، ومن ه إلى ب، ومن ر إلى ح ، يكون حجم ذلك الفلك، و ح م مركز ن، و ا ح ح قطره، و ا ط ى محدب الخارج ، و ك ل ر مقعره . ومن ك إلى ا ، ومن ل إلى ط ، ومن ر إلى ى حجم الخارج ، و ى مركزه، و ا ن قطره ، و ن ح ما بين المركزين

فنقول : ن ا يساوى ن ى لأن كل واحد منهما قد خرج من المركز إلى المحيط فينقص من ن ى ن ى ن ح ، فيبقى ح ى فح ى أقصر من ن بمقدار ن ح الذى هو ما بين المركزين ، وأضفنا ح ن إلى ن ا فيكون ح ن أعظم من ح ى بمقدار ضعف ن ر ح الذى هو ما بين المركزين . وإذا أضفنا ح ى الذى هو غاية الغلظ من المتمم الحاوى إلى ح ى صار مساويا لح ا . ولما كان ح ا أعظم من ح ى بضعف ما بين المركزين وقد ساواه بإضافة مقدار المتمم الحاوى إليه يكون ح المتمم الحاوى مساويا بالضعف ما بين المركزين . وبهذه الطريقة نثبت أن المحوى أيضاً ضعف ما بين المركزين ، وينقص من ح ا ح ى مثل ح ر و ى ا مثل ى فيبقى من ح ا بعد نقصان ح ى ى الذى هو المتمم للمحوى . وقد كان زائداً عليه بضعف ما بين المركزين ، فيكون ى ى ضعف ما بين المركزين . انتهى .

من تأويلات الشيخ العارف الكامل عبد الرزاق الكاشى رحمه الله تعالى عند قوله تعالى فى سورة يس : «واضرب لهم مثلا أصحابَ القرية إذ جاءها المرسلون» قال : أصحاب القرية هم أهل مدينة البدن ، والرسل الثلاثة : الروح ، والقلب ، والعقل ، إذ أرسل إليهم اثنان أولا فكذبوهما لعدم التناسب بينهما وبينهم ، ومخالفتهم إياهما فى النور والظلمة ، فعززنا بالعقل الذى يوافق النفس فى المصالح والمناجح ، ويدعوها وقومها إلى ما يدعو إليه القلب والروح ، وتشاؤمهم بهم ، وتنفرهم منهم لحملهم إياهم على الرياضة والمجاهدة ، ومنعهم عن اللذات والحضور ، ورجمهم إياهم ورميهم بالدواعى الطبيعية والمطالب البدنية ، وتعذيبهم إياهم واستيلاؤهم عليهم ، واستعمالهم فى تحصيل الشهوات البهيمية والسبعية ، والرجل الذى جاء من أقصى المدينة : أى من أبعد مكان فيها هو العشق المنبعث من أعلى وأرفع موضع منها ، بدلالة شمعون العقل يسعى بسرعة حركته ، ويدعو الكل بالقهر والإجبار إلى متابعة

الرسل فى التوحيد ، ويقول : « ما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون » وكان اسمه حبيبا ، وكان نجارا ينحت فى مدينة أصنام مظاهر الصفات من الصور لاحتجابه بحسنها عن جمال الذات ، وهو المأمور بدخول جنة الذات قائلا : ياليت قومى المحجوبين عن مقامى وحالى يعلمون بما غفرلى ربى ذنب عبادة أصنام مظاهر الصفات وتنجيرها ، وجعلنى من المكرمين بغاية قربى فى الحضرة الأحدية .

من إيجاز البيان فى تفسير القرآن ، لأبى القاسم محمود النيسابورى ، قوله تعالى: « ولا الليل سابق النهار » سئل الرضى رضى الله عنه عند المأمون عن الليل والنهار أيهما أسبق ؟ فقال النهار ، ودليله : أما من القرآن ولا الليل سابق النهار ، وأما من الحساب فإن الدنيا خلقت بطالع السرطان ، والكواكب فى إشراقها فتكون الشمس فى الحمل عاشر الطالع وسط السماء .

من الجزء الثالث من الفتوحات المكية ، لجمال العارفين الشيخ محيى الدين ابن عربى قال : اتفق العلماء على أن الرّجْلين من أعضاء الوضوء ، واختلفوا فى صورة طهارتهما هل ذلك بالغسل ، أو المسح ، أو بالتخيير بينهما ، ومذهبنا التخيير ، والجمع أولى وما من قول إلا وبه قائل : فالمسح بظاهر الكتاب ، والغسل بالسنة . ثم قال بعد كلام طويل تعلق بالباطن : وأما القراءة فى قوله تعالى وأرجلهم بفتح اللام وكسرها ، من أجل العطف على الممسوح فالخفض ، أو على المغسول فالفتح ، فمذهبنا أن الفتح فى اللام لا يخرجه عن الممسوح فإن هذه الواو قد تكون واو مع ، وواو المعية تنصب ، فحجة من يقول بالمسح فى هذه الآية أقوى ، لأنه يشارك القائل بالغسل فى الدلالة التى اعتبرها وهى فتح اللام ، ولم يشاركه من يقول بالغسل فى فتح اللام .

من كلام أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه : والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا ، وأجرّ فى الأغلال مصفدا ، أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد ، وغاصبا شيئا من الحطام . كيف أظلم أحدا والنفس يسرع إلى البلى قفولها ، ويطول فى الثرى حلولها . والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نملة أسلبها لب شعيرة ما فعلت . وإن دنياكم لأهون علىّ من ورقة فى فم جرادة تقضمها . ما لعلىٍّ ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى ، نعوذ بالله من سيئات الفعل وقبح الزلل .

رأى زيتون الحكيم رجلا على شاطئ البحر مهموما محزونا يتلهف على الدنيا ، فقال له : يا فتى ، ما تلهفك على الدنيا ؟ لو كنت فى غاية الغنى وأنتَ راكب لجة البحر ، وقد انكسرت بك السفينة وأشرفت على الغرق أما كانت غاية مطلوبك النجاة ، وأن يفوت كل ما بيدك ؟ قال نعم . قال : ولو كنت ملكا على الدنيا ، وأحاط بك من يريد قتلك أما كان مرادك النجاة من يده ولو ذهب جميع ما تملك ؟ قال نعم . قال فأنت ذلك الغنىّ الآن وأنت ذلك الملك ، فتسلى الرجل بكلامه .

***

كتب العلامة المحقق الطوسى إلى صاحب حلب بعد فتح بغداد : أما بعد فقد نزلنا بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة فساء صباح المنذرين ، فدعونا مالكها إلى طاعتنا فأبى ، فحق القول عليه فأخذناه أخذا وبيلا . وقد دعوناك إلى طاعتنا ، فإن أتيت فروح وريحان وجنة نعيم ، وإن أبيت فلأسلطن منك عليك ، فلا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه . والسلام .

من خطب النبىّ صلى الله عليه وسلم « أيها الناس ، إن الأيام تطوى والأعمار تفنى ، والأبدان فى الثرى تبلى ، وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ،

يقربان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ، ورغّب فى الباقيات الصالحات » .

من كلام بعض العارفين : اعملوا لآخرتكم فى هذه الأيام التى تسير كأنها تطير . إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما .

التفاضل بين كل مربعين بقدر حاصل ضرب مجموع جذريهما فى التفاضل بين ذينك الجذرين .

لبعضهم :

من غاب عنكم نسيتموه وقلبه عندكم رهينهْ
أظنكم فى الوفاء ممن صُحبتُه صحبة السفينهْ

لما حضر بشر بن منصور الموتُ فرحَ ، فقيل له أتفرح بالموت ! فقال أتجعلون قدومى على خالق أرجوه ، كمقامى مع مخلوق أخافه .

ظهر إبليس لعيسى عليه السلام فقال له : ألست تقول : لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك ؟ قال بلى ، قال فارم نفسك من ذروة هذا الجبل ، فإذا قدر الله لك السلامة تسلم ، فقال له : يا ملعون ، إنّ الله تعالى يختبر عباده وليس لعبد أن يختبر ربه .

هذه المناظرة بعينها أوردها المحقق الرومى وقال : إنها جرت بين أمير المؤمنين رضى الله عنه ، ويهودى .

مر بعض العارفين بقوم فقيل هؤلاء زهاد ، فقال وما قدر الدنيا حتى يحمد من يزهد فيها . ليس قبل الموت شىء إلا والموت أشدّ منه ، وليس بعد الموت شىء إلا والموت أيسرُ منه إن بقاءك إلى فناء ، وإن فناءك إلى بقاء ، فخذ من فنائك الذى لا يبقى لبقائك الذى لا يفنى . اعمل عمل المرتحل ، فإن حادى الموت

بحدوك ليوم ليس يعــــدوك . إذا تيسر الأُنس به لم يكن مطلب المحب إلا الانفراد والخلوة ، وكان ضَيِّقَ الصدر من معاشرة الخلق متبرما منهم ، فإن خالطهم كان كمنفرد فى جماعة مجتمعا بالبدن ، منفردا بالقلب ، المستغرق بعذوبة الفكر وحلاوة الذكر .

حكى أن إبراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له : من أين أقبلت ؟ قال من الأنس بالله .

وروى أن موسى عليه وعلى نبينا السلام لما كلم ربه تعالى وتقدس مكث دهرا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغثيان ، وما ذلك إلا لأن الحب يوجب حلاوة وعذوبة كلام المحبوب ، فيخرج من القلب عذوبة كلام ما سواه ، بل يتنفر منه كال التنفر . والأنس بالله ملازمة التوحش من غير الله ، بل كان مايعوق عن الخلوة به يكون من أثقل الأشياء على القلب .

قال عبد الواحد : مررت براهب فقلت : يا راهب لقد أعجبتك الوحدة ، فقال : يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك ، قلت ، يا راهب ما أقل ما تجد فى الوحدة ؟ فقال : الراحة من مداراة الناس ، والسلامة من شرهم . قلت : ياراهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله ؟ قال إذا صفا الود وخلصت المعاملة ، قلت : متى يصفو الودّ ؟ قال إذا اجتمع الهم فصار هما واحدا فى الطاعة .

من كلام أمير المؤمنين : كرم الله وجهه : قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحُها معلقة بالملأ الأعلى ، أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة إلى دينه .

لبعضهم :

وأطيب الأرض ما للنفس فيه هوى سم الخياط مع الأحباب ميدان

قال صلى الله عليه وسلم : « خذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لوفاتك ، فإنك لا تدرى ما اسمك غدا » .

روى ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا ذكر هاذم اللذات ، فإنكم إن ذكرتموه فى ضيق وسعه عليكم فرضيتم به فأجرتم ، وإن ذكرتموه فى غنى بغّضه إليكم فجدتم به فأثبتم ، فإن المنايا قاطعات الآمال ، والليالى مدنيات الآجال . وإن المرء بين يومين : يوم قد مضى أُحصى فيه عملُه فختم عليه ، ويوم قد بقى لا يدرى لعله لا يصل إليه . إن العبد عند خروج نفسه ، وحلول رمسه ، يرى جزاء ما أسلف ، وقلة غَناء ما خلف ، ولعله من باطل جمعه ، أو من حق منعه » .

أبو الحسن التهامى يرثى ولده :

حكم المنية فى البرية جارى ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يُرى الإنسان فيها مُخبرا حتى يُرَى خبرا من الأخبار
طبعت على كدر وأنت تريدُها صفوا من الأقذاء والأكدار
ومكلِّفُ الأيام ضد طباعها متطلّبٌ فى الماء جذوةَ نار
والعيش نوم والمنيةُ يقظة والمرء بينهما خيالٌ سار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت منقادة بأزمّة الأقدار
فاقضوا مآربكم عجالى إنما أعماركم سِفر من الأسفار
وتراكضوا خيلَ الشباب وبادروا أن تُستردَّ فإنهن عوار
فالدهر يُشرق إن سقى ويُغص إن هنى ويهدم ما بنى ببوار

ليس الزمان ولو حرصتم سالما ... خُلق الزمان عداوةُ الأحرار
يا كوكبا ما كان أقصر عمره ... وكذاك عمرُ كواكب الأسحار
وهلالَ أيام مضى لم يستدر ... بدرا ولم يُمهَل لوقت سِرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه ... فمحاه قبل مظنة الإبدار
فكأن قلبي قبرُه وكأنه ... في طيه سرٌّ من الأسرار
إن يُحتقَر صغر فرب مفخَّم ... يبدو ضئيل الشخص للنظار
إن الكواكبَ في علوّ محلها ... لَتُرى صغارا وهي غير صغار
ولدُ المعزَّى بعضُه فإذا انقضى ... بعضُ الفتى فالكلّ في الآثار
أبكيه ثم أقول معتذرا له ... وفِّقت حيث تركت ألأم دار
جاورتُ أعدائي وجاور ربَّه ... شتان بين جِواره وجِواري
ولقد جريتَ كما جريتُ لغاية ... فبلغتَها وأبوك في المضمار
فإذا نطقتُ فأنت أوّل منطقي ... وإذا سكت فأنت في إضماري
لو كنتَ تُمنع خاض دونك فتيةٌ ... منا بحار عوامل وشفار
قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها ... سحبا مزررة على أقمار
وترى سيوفَ الدارعين كأنها ... خُلج تمد بها أكفٌّ بحار
من كل من جعل الظُّبا أنصاره ... أو كرّ فاستغنى عن الأنصار
وإذا هو اعتقل القناة حسبتَها ... صِلّا تأبطه هزبر ضاري
يزداد همًا كلما ازددنا غنى ... والفقر كلُّ الفقر في الإكثار
إنى لأرحم حاسديّ لحرّ ما ... ضمت صدورُهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونُهم ... في جنة وقلوبهم في نار
لا ذنب لي قد رمتُ كتم فضائلي ... فكأنما برقعت وجه نهار

وسترتها . بتواضعي فتطلعت أعناقها تعلو على الأستار

هذا آخر ما اخترته من هذه القصيدة الفريدة ، وهي نحو مائة بيت كلها في غاية الجودة .

[وصف المتقين]

من النهج : روى أن صاحبا له كرم الله وجهه يقال له همام ، وكان عابدا ، فقال ياأمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم ، فتشاغل رضوان الله عليه عن جوابه ، وقال ياهمام اتق الله وأحسن ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فلم يقنع همام بذلك القول حتى عزم عليه ، قال فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : أما بعد فإن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم، آمنا من معصيتهم ، لأنه لا تضره معصية من عصاه ، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معايشهم ، ووضعهم في الدنيا مواضعهم ، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء ، لولا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب ، وخوفا من العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم فصغر مادونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها ، فهم فيها متنعمون ، وهم والنار كمن قد رآها ، فهم فيها خالدون معذبون ، قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم ، تالون لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا، يحزنون به أنفسهم

ويستبشرون به دواء دائهم ، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا، وتطلعت نفوسهم إليها تشوقا ، وظنوا أنها نُصب أعينهم ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها بمسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم ، فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون من الله فكاك رقابهم ، أما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء، وقد براهم الخوف برى القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ، ويقول : قد خولطوا أو قد خالطهم أمر عظيم . لا يرضون من أعمالهم القليل. ولا يستكثرون الكثير . فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون . إذا زُكى أحدهم خاف مما يقال له، فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى ، وربى أعلم بنفسى منى ، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون ، واجعلنى أفضل مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون . فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى الدين ، وحزما فى لين ، وإيمانا فى يقين ، وحرصاً فى علم ، وعملا فى حلم ، وقصداً فى غنى ، وخشوعاً فى عبادة ، وتجملا فى فاقة ، وصبرا فى شدة، وطلبا فى حلال ونشاطا فى هدى ، وتحرجا عن طمع . يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل . يمسى وهمه الشكر ، ويُصبح وهمه الذكر ، يبيت حذرا ويصبح فرحا : حذرا لما حذر من الغفلة ، وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة . إذا استصعبت عليه نفسه فيما يكره لم يعطها سؤلها فيما تحب . قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل . تراه قريباً أمله ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه، قانعة نفسه، متزودا أكله ، سهلا أمره ، حريزا دينه ، ميتة شهوته ، كظوما غيظه . الخير منه مأمول، والشر منه مأمون . إن كان فى الغافلين كتب فى الذاكرين، وإن كان فى الذاكرين لم يكتب من الغافلين ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه . بعيدا فحشه . لينا قوله . غائبا منكره . حاضراً معروفه . مقبلا خيره . مدبرا شره .

فى الزلازل وقور ، وفى المكاره صبور ، وفى الرخاء شكور . لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب . يعترف بالحق قبل أن يُشهد عليه . لا يضيع ما استحفظ ، ولا ينسى ما ذكر ، ولا ينابز بالألقاب ، ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل فى الباطل ، ولا يخرج من الحق . إن صمت لم يغمه صمته ، وإن ضحك لم يعل صوته ، وإن بُغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له . نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى راحة . أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه . بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة .

قال فصعق همام صعقة كانت فيها نفسه ، فقال علىّ كرم الله وجهه : أما والله لقد كنت أخافها عليه . ثم قال : هكذا والله تصنع المواعظ البليغة بأهلها .

لبعضهم :

نيل المعالى وحب الأهل والوطن ضدان ما اجتمعا للمرء فى قرن
إن كنت تطلب عزا فادّرع تعبا أو فارض بالذل واختر راحة البدن

قال المحقق الدوانى فى الأنموذج : ذكر بعض العرفاء أن جذب المغناطيس الحديد مستند إلى كون مزاجهما على نسبة الأعداد المتحابة ، وكون مزاج أحدهما على العدد الأقل والآخر على العدد الأكثر .

أقول هذا خيال لطيف ، لكن لا تساعده التجربة ، فإنا نشاهد أن المغناطيس يجذب المغناطيس ، وكان عندنا قطعة قطعناها قطعا متخالفة ، وشاهدنا القطعة الصغيرة تنجذب إلى القطعة الكبيرة ، والقطعتان المتساويتان تجذب كل منهما الأخرى ، وهذه التجربة تقضى أن لا يكون الجذب والانجذاب لما ذكره ؛ فإن أجزاء المغناطيس الواحد يجذب بعضها بعضا ، ولا اختلاف بينهما بحسب المزاج .

وقد يتوهم أن ذلك لكون الأجزاء العنصرية الممازجة فى الصغير والكبير على تلك النسبة، وهذا التوهم باطل؛ لأن الصغير على أى حد كان من الصغر ينجذب إلى الكبير . ولو كان الأمر كما توهم لم يستمر الحكم فى جميع مراتب الصغر . وأيضا القطعتان المتساويتان متساويتان فى عدد أجزاء العناصر ، فاوجه انجذاب كل منهما إلى الأخرى . ولو كان العددان المتساويان يفيدان هذه الخاصية لم يحتج إلى الأعداد المتحابة . انتهى كلام الأنموذج .

قال النبي صلى الله عليه وسلم . « لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ، فعليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر ، إنه إذا قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه » .

مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة .

[نصائح]

قال علىّ كرم الله وجهه : قصّر ثيابك فإنه أبقى وأتقى وأنقى. برّئ قلبك من الذنوب، ووجّه وجهك إلى علام الغيوب، بعزم صادق ورجاء واثق، وعد أنك عبد آبق من مولى كريم رحيم حليم ، يحب عودك إلى بابه ، واستجارتك به من عذابه . وقد طلب منك العود مرارا عديدة ، وأنت معرض عن الرجوع إليه مدّة مديدة ، مع أنه وعدك إن عدت إليه ، وأقلعت عما أنت عليه بالعفو عن جميع ماصدر عنك ، والصفح عن كل ماوقع منك، فقم واغتسل احتياطا ، وطهر ثوبك، وصل الفرائض، وأتبعها بشيء من النوافل . ولتكن تلك الصلاة على الأرض بخشوع وخضوع ، واستحياء وانكسار ، و بكاء وفاقة وافتقار ، فى مكان لا يراك فيه ولا يسمع صوتك إلا الله سبحانه ، فإذا سلمت فعقب صلاتك وأنت حزين مستحى وجلٌ راجٍ .

ثم اقرأ الدعاء المأثور عن زين العابدين رضى الله عنه الذى أوله : اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون ، ويا من إلى ذكر إحسانه يفزع المضطرون . ثم ضع وجهك على الأرض ، واجعل التراب على رأسك ، ومرغ وجهك الذى هو أجل أعضائك فى التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال ، وأنت تقول : عظُم الذنب من عبدك ، فليحسُن العفو من عندك ، تكرر ذلك ، وتعد ماتذكر من ذنوبك ، لائما نفسك موبّخا لها نائحا عليها نادما على ما صدر منها ، وابق على ذلك ساعة طويلة ، ثم قم وارفع يديك إلى التوّاب الرحيم وقل إلهى: عبدك الآبق رجع إلى بابك ، عبدك العاصى رجع إلى الصلح ، عبدك المذنب أتاك بالعذر وأنت أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين. ثم تدعو ودموعك تنهل بالدعاء المأثور عن زين العابدين فى طلب التوبة ، وهو الذى أوله : اللهم يامن لا يصفه نعت الناعتين إلى آخره. واجهد فى توجه قلبك إليه، وإقبالك بكليتك عليه مشعرا نفسك سعة الجود والرحمة، ثم اسجد سجدة تكثر فيها البكاء والعويل، والانتحاب بصوت عال لا يسمعه إلا الله تعالى، ثم ارفع رأسك واثقا بالقبول فرحا ببلوغ المأمول .

لبعضهم :

وإذا صفا لك من زمانك واحد ... فهو المراد وأين ذاك الواحد

كان عمر بن الوردى جالسا مع بعض الأدباء إذ مر بهم شاب جميل بأذنه قرط فيه لؤلؤة ، فقال كل منهم فيه شيئا ، فقال عمر بن الوردى :

مرّ بنا مُقرطق (١) ... ووجهه يحكى القمرْ
قلت أبو لؤلؤة ... منه خذوا ثار عمرْ

فاستحسنوه وأخفوا ما قالوه .

---

(١) المقرطق : لابس القرط .

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو فليصمت .

قال العلامة فى التحفة: الأشبه أن أنوار سائر الكواكب ذاتية ، إذ لو كانت من الشمس لظهرت فيها التشكلات البدرية والهلالية باختلاف وضعها منها كما فى القمر .

قال جامع الكتاب : لعل القائل بأن نورها من نور الشمس يقول بنفوذ نور الشمس فى أعماقها ، لأن المنير وجهها المقابل لنا هو المقابل للشمس ، كما فى القمر فلا يرد هذا الكلام عليه ، تأمل .

ثم قال صاحب التحفة : فإن قيل إنما يلزم هذا فى السفلية لا فى العلوية ، لأن وجهها المقابل لنا هو المقابل للشمس ، بخلاف القمر .

لا يقال لو كانت كذلك لانخسفت فى المقابلات إذا كانت على نفس المنطقة ؛ لأن ظل الأرض لا يصل إليها ، قلنا العلوية إذا كانت على سمت الرأس غير مقابلة لها ولا مقارنة لم يكن وجهها المقابل لنا هو المقابل لها ، بل بعضه ، ولزم ما قلنا .

فإن قيل إنما لا يرى هلاليا لخفاء طرفه ولصغر حجم الكوكب فى النظر ، وظهوره من البعد المتفاوت مستديرا، قلنا لو كان كذلك لرئى الكوكب فى قرب الشمس أصغر منه فى بعدها . انتهى كلام صاحب التحفة .

فى الحديث « من صمت نجا » .

ومن أمثالهم : لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب .

الشيخ سعدى الشيرازى :

يا نديمى قم بليل واسقنى واسق الندامى
خلنى أسهر ليلى ودع الناس نياما

اسقيانى وهديرُ الرعــد قد أبكى الغماما

فى أوان كشف الور دُ عن الوجه اللثاما

أيهــا المُصغى إلى الزهّــاد دع عنك الملاما

فز بها من قبل أن يجـعلك الدهرُ عظاما

قل لمن عير أهل الـحب بالحب ولاما

لا عرفت الحب هيها ت ولا ذقت الغراما

لا تلمنى فى غلام أودع القلبَ سَقاما

فبِداء الحب كم من سيّد أضحى غُلاما

من كلام جالينوس : رؤساء الشياطين ثلاثة : شوائب الطبيعة ، ووساوس العامة ونواميس العادة .

لبعضهم :

لو كنت ساعة بينِنا ما بيننا وشهدت حين نكرر التوديعا

أيقنت أن من الدموع محدثا وعلمت أن من الحديث دموعا

استدل النفيسى فى شرح الموجز على أرطبية السمن من باقى الأعضاء بثلاثة وجوه : الأوّل أنه يتولد من مائية الدم ، والثانى أنه يغلب عليه الهوائية ، والثالث لين الجوهر ، ولين الجوهر يكون لزيادة الرطوبة من اللحم المجاور له .

أقول : فى الثالث ، نظر ، فإن استفادة الأقوى كيفية من الأضعف غير معقولة ، وهو مثل أن يقال : إن المـــاء يستفيد الرطوبة من مجاورة البطيخ مثلا ، فتأمل .

قال النفيسى فى بحث الصداع : والصداع الذى يكون عن دود متولد فى مقدم الدماغ مؤذ بحركته وتمريغه ، فيكون مع نتن فى رائحة الأنف ، لأن الدود إنما

يتولد من رطوبة قد تعفنت بالحرارة الغريبة ، فينفصل عنها قبل استحالتهـا إلى الدود ، وعما لم يستحل قبل أبخرة نتنة . انتهى كلامه .

وفى قوله عما لم يستحل قبل نظر ، فإن هذا هو بعينه ما قبل الاستحالة والصواب إبدال لفظة قبل ببعد .

ويمكن التكلف فى إصلاح كلامه بأن مراده أن الأبخرة تنفصل عن جميع تلك الرطوبة قبل استحالة شىء منها دودا ، وعن بعضها وهو ما لم يستحل قبل إذا استحال البعض الآخر وهو كما ترى .

قوله : والصواب إلى آخره ، هنا مسامحة من وجهين : الأول أن الأقرب إبدال لفظة قبل ببعد ، فإن قوله عما لم يستحل متروك ، الثانى أن التكلف تقلق كما قاله سلمه الله .

[وصف القرآن]

قال الإمام الراغب : القرآن منطو على الحكم كلها . عِلميّها وعمليّها ، كما قال جل وعلا « وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين » . لكن ليس يظهر ذلك إلا للراسخين ، وما من برهان ودليل وتقسيم وتحديد فى المعلومات العقلية والسمعية إلا وكلام الله تعالى قد نطق به ، وأورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين لأمرين : أحدهما ما أشار إليه سبحانه بقوله « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » والثانى أن المائل إلى دقيق المحاجّة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام ، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأدق . وقد ورد القرآن العظيم فى صورة جلية ، تحتها كنوز خفية ، ليفهم العوام من جليه ما يقنعهم ، ويفهم الخواص من دقائقه ما يزيد

على ما أدركه فهم الحكماء بمراتب شتى . ومن هذا الوجه كل من كان حظه من العلوم أوفر ، كان نصيبه من القرآن أكثر . وكذلك إذا ذكر سبحانه حجة أتبعها مرة بالإضافة إلى أولى العلم ، ومرة إلى ذوى العقل ، ومرة إلى المتفكرين ، ومرة إلى المتذكرين . وبالجملة قد انطوى على أصول علوم الأولين والآخرين ، وأنباء السابقين واللاحقين . وفيه تجلى الله سبحانه لعباده المؤمنين ، وهو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم . وهو الذى تندفع به الأهواء والشبه عن العلماء . ولكن محاسن أنواره لا يفقهها إلا البصائر الجلية ، ولطائف ثماره لا يقطفها إلا الأيدى الزكية ، ومنافع شفائه لا تنالها إلا الأنفس التقية « إنه لقرآن كريم فى كتابٍ مكنونٍ لا يمسّه إلا المطهّرون » .

فى تفسير النيسابورى رحمه الله عند قوله تعالى « وهو الذى يقبلُ التوبة عن عباده » ما صورته : قيل علامة قبول التوبة هجران إخوان السوء وقرناء الشر ؛ ومجانبة البقعة التى باشر فيها الذنوب والخطايا . وأن يبدل بالإخوان إخوانا ، وبالأخدان أخدانا ، وبالبقعة بقعة ، ثم يكثر الندامة والبكاء على ما سلف منه ، والأسف على ما ضيع من أيامه ، ولا تفارقه حسرة ما فرط وأهمل فى البطالات ، ويرى نفسه مستحقة لكل عذاب وسخط .

[خطبة النبي صلى الله عليه وسلم]

قال سيد المرسلين وأشرف الأولين والآخرين ، صلوات الله عليه وآله أجمعين فى خطبة خطبها وهو على ناقته العضباء « أيها الناس كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحق على غيرنا وجب ، وكأن الذى يُشيَّع من الأموات سَفْر عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة ، وأمِنّا كل جائحة . طوبى لمن أنفق ما اكتسبه فى غير معصية ،

وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالف أهل الذلة والمسكنة . طوبى لمن ذلت نفسه ، وحسنت خليقته ، وصلحت سريرته ، وعزل عن الناس شره . طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم تستهوه البدعة ».

بسط الكلام مع الأحباب مطلوب ، وإطالة شعبه معهم أمر مرغوب . على أن القرب من الحبيب يبسط اللسان ، وينشط الجنان ، وعلى هذا المنوال جرى قول موسى على نبينا وعليه السلام هى عصاى ، الآية .

ولبعضهم هنا سؤال : أن تكليم العبد للرب سبحانه ميسّر كل وقت ، لكل أحد فى الدعاء ونحوه ، فإنه أقرب إلينا من حبل الوريد . وأما العكس فهو منال عزيز لا يفوز به إلا صفوة الصفوة ، فكان ينبغى لموسى عليه السلام أن لا يطيل الكلام بل يختصر فيه ويسكت ليفوز بسماع الكلام مرة أخرى ، فإنه أعظم اللذتين كما عرفت .

الجواب : إن تكليم موسى للحق جل وعلا فى ذلك الوقت ليس من قبيل التكليم الميسّر كل وقت ؛ لأنه جواب عن سؤاله تعالى ومكالمته له سبحانه كما يتكلم جليس الملك مع الملك . وفرق بين تكليم الجليس للملك ، وبين سماع الملك كلام شخص محجوب عن بساط القرب ، يصيح خارج الباب ، وهذا هو الميسر لكل أحد . على أن موسى عليه السلام لم يكن على يقين من أنه إن اختصر وسكت فاز بالمخاطبة مرة أخرى ، ألا ترى كيف أجمل فى آخر كلامه بقوله : ولى فيها مآرب أخرى ، لرجاء أن يسأل عن تلك المآرب فيبسط الكلام مرة أخرى .

ولا يبعد أن يكون عليه السلام قد فهم أن سؤال الحق تعالى له إنما هو لمحض رفع الدهشة عنه ، فأخذ يجرى فى كلامه ، مظهراً ارتفاع الدهشة ، أو أن السؤال إنما هو لتقريره أنها عصا ، كمن يريد تعجب الحاضرين من قلب النحاس ذهباً

وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالف أهل الذلة والمسكنة . طوبى لمن ذلت نفسه ، وحسنت خليقته ، وصلحت سريرته ، وعزل عن الناس شره . طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ، ولم تستهوه البدعة ».

بسط الكلام مع الأحباب مطلوب ، وإطالة شعبه معهم أمر مرغوب . على أن القرب من الحبيب يبسط اللسان ، وينشط الجنان ، وعلى هذا المنوال جرى قول موسى على نبينا وعليه السلام هى عصاى، الآية .

ولبعضهم هنا سؤال : أن تكليم العبد للرب سبحانه ميسّر كل وقت ، لكل أحد فى الدعاء ونحوه ، فإنه أقرب إلينا من حبل الوريد . وأما العكس فهو منال عزيز لا يفوز به إلا صفوة الصفوة ، فكان ينبغى لموسى عليه السلام أن لا يطيل الكلام بل يختصر فيه ويسكت ليفوز بسماع الكلام مرة أخرى ، فإنه أعظم اللذتين كما عرفت .

الجواب : إن تكليم موسى للحق جل وعلا فى ذلك الوقت ليس من قبيل التكليم الميسّر كل وقت ؛ لأنه جواب عن سؤاله تعالى ومكالمته له سبحانه كما يتكلم جليس الملك مع الملك . وفرق بين تكليم الجليس للملك ، وبين سماع الملك كلام شخص محجوب عن بساط القرب ، يصيح خارج الباب ، وهذا هو الميسر لكل أحد . على أن موسى عليه السلام لم يكن على يقين من أنه إن اختصر وسكت فاز بالمخاطبة مرة أخرى ، ألا ترى كيف أجمل فى آخر كلامه بقوله : ولى فيها مآرب أخرى ، لرجاء أن يسأل عن تلك المآرب فيبسط الكلام مرة أخرى.

ولا يبعد أن يكون عليه السلام قد فهم أن سؤال الحق تعالى له إنما هو لمحض رفع الدهشة عنه ، فأخذ يجرى فى كلامه ، مظهراً ارتفاع الدهشة ، أو أن السؤال إنما هو لتقريره أنها عصا ، كمن يريد تعجب الحاضرين من قلب النحاس ذهبا

فيقول ماهذا ؟ فيقولون نحاس ، فيخرجه لهم ذهبا ، فأخذ موسى عليه السلام فى ذكر خواص العصا لتأكيد الإقرار بأنها عصا ، فيكون بسطُ الكلامُ لهذا أيضاً ، لا للاستلذاذ وحده كما هو مشهور .

فى شرح النهج ، للشيخ كمال الدين ميثم : إن قلت كيف يجوز أن يتجاوز الإنسان فى تفسير القرآن المسموع ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» . وفى النهى عن ذلك آثار كثيرة .

قلت : الجواب عنه من وجوه كثيرة :

الأول أنه معـارَض بقوله صلى الله عليه وسلم : إن للقرآن ظهرا وبطنا ، وحدا ومطلعا . وبقول أمير المؤمنين كرّم الله وجهه : إلا أن يؤتِىَ الله عبدافهما فى القرآن ، ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما فائدة ذلك الفهم ؟

الثانى : لو لم يكن غير المنقول لاشترط أن يكون مسموعا من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك مما لا يتأتى إلا فى بعض القرآن ، فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل ، ويقال هو تفسير بالرأى .

الثالث : أن الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات ، وقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ، فكيف يكون الكل مسموعا .

الرابع أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال : اللهم فقّهْهُ فى الدين وعلمه التأويل ، فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك .

الخامس : قوله تعالى : « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » فأثبت للعلماء استنباطا ، ومعلوم أنه وراء المسموع ، فإذن الواجب أن يحمل النهى عن التفسير بالرأى على

أحد معنيين : أحدهما أن يكون للإنسان فى شىء رأى وله إليه ميل بطبعه فيتأوّل القرآن على وفق طبعه ورأيه ، حتى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر ذلك التأويل بباله ، سواء كان ذلك الرأى مقصدا صحيحا أو غير صحيح ، وذلك كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى ، فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله : « اذهب إلى فرعون إنه طغى » ويشير إلى أن قلبه هو المراد بفرعون ، كما يستعمله بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع ، وهو ممنوع . الثانى أن يتسرع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ، وما فيها من الألفاظ المبهمة ، وما يتعلق به من الاختصار والحذف والإضمار ، والتقديم والتأخير والمجاز ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرّد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل فى زمرة من فسر القرآن بالرأى : مثاله قوله تعالى : « وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها » فالناظر إلى ظاهر العربية ربما يظن أنّ المراد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ، والمعنى آية مبصرة فظلموا غيرهم . انتهى .

وفد حاجب بن زرارة على أنوشروان ، فاستأذن عليه ، فقال للحاجب سله من هو ؟ فقال: رجل من العرب ، فلما مثل بين يديه قال له أنوشروان : من أنت ؟ فقال سيد العرب ، قال أليس زعمت أنك واحد منهم . فقال: إنى كنت كذلك ، فلما أكرمنى الملك بمكالمته صرت سيدهم ، فأمر بحشو فيه درا .

استماح أعرابى : خالد بن عبد الله وألح فى سؤاله وأطنب فى الإبرام ، فقال خالد أعطوه بدرة يضعها فى حر أمّه ، فقال الأعرابى : وأخرى لاستها يا سيدى لئلا تبقى فارغة ، فضحك وأمر له بأخرى أيضاً .

قال بعض الخلفاء إنى لأبغض فلانا وماله إلىّ ذنب ، فقال بعض الحاضرين : أولِه خيرا تحبه ، فأنعم عليه فما لبث أن صار من خواصه .

سئل بعض الجند عن نسبه فقال : أنا ابن أخت فلان ، فسمعه أعرابى فقال: الناس ينتسبون طولا وهذا الفتى ينتسب عرضا .

لبعضهم :

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم نفسى الفداء له من كل محذورِ
فليت علته بى غـير أنّ له أجرَ العليل وأنى غـيرُ مأجور

قال بعض الحكماء : اصنع المعروف إلى من يشكره ، واطلبه ممن ينساه وقال: النعم وحشية فأشكِلوها بالشكر .

أثنى بعضهم على زاهد فقال الزاهد : يا هـذا لو عرفت منى ما أعرفه من نفسى لأبغضتنى .

ولبعضهم :

إذا كان ربى عالما بسريرتى فما الناس فى عينى بأعظم من ربّى

خطب معاوية خطبة أعجبته ، فقال : أيها الناس هل من خلل . فقال رجل من عرض الناس : نعم خللٌ كخلل المنخل ، فقال وما هو ؟ فقال : إعجابك بهـا ومدحك إياها .

من أمثال العرب : قالوا شتم جدْىٌ على سطح ذئباً مرّ تحته ، فقال الذئب : لم تشتمنى أنت وإنما شتمنى مكانك .

من كلام الحكماء : لا تكن ممن يرى القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع المعترض فى حلق نفسه .

ومن كلامهم : إذا رأيت من يغتاب الناس فأجهد جهدك أن لا يعرفك ، فإن أشقى الناس به معارفه .

قال الواثق لأحمد بن أبى دواد : إن فلانا قال فيك . فقال : الحمد لله الذى أحوجه إلى الكذب فىّ ونزهنى عن الصدق فيه .

قالت امرأة لرجل أحسن إليها : أذل الله كل عدوّ لك إلا نفسك ، وجعل نعمته عليك هبة لك لا عارية عندك، وأعاذك الله من بطر الغنى وذل الفقر ، وفرّغك الله لما خلقك له ، ولا شغلك بما تكفل به لك .

دعا رجل آخر إلى منزله وقال : لنأ كل معك خبزا وملحا، فظن الرجل أن ذلك كناية عن طعام لطيف لذيذ أعده صاحب المنزل ، فمضى معه ، فلم يزد على الخبز والملح . فبينما هما يأ كلان إذ وقف بالباب سائل ، فنهره صاحب المنزل مرارا فلم ينزجر ، فقال له اذهب وإلا خرجت وكسرت رأسك. فقال المدعو: ياهذا انصرف فإنك لو عرفتَ من صدق وعيده ما عرفتُ من صدق وعده ما تعرضتَ له .

المنع الجميل خير من الوعد الطويل . استظهر على الدهر بخفة الظهر .

قال جار الله الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار فى الباب السابع والتسعين منه :

مر رجل بأديب فقال : كيف طريق البغداد . فقال من هنا ، ثم مر به آخر فقال : كيف طريق كوفة ؟ فقال من هنا، وبادرْ مسرعا فمع ذلك المار ألفٌ ولام لايحتاج إليهما ، وهو مستغن عنهما فخذهما ، فإنك أحوج إليهما منه .

أنشد الفرزدقُ سليمانَ بن عبد الملك قصيدته التى يقول فيها :

فبتن بجانبىّ مصرّعات وبت أفض أغلاق الختام

فقال له : ويحك يا فرزدق ، أقررت عندى بالزنا ، ولا بد من حدك ، فقال : كتاب الله يدرأ عنى الحد ، قال وأين ذلك ؟ قال قوله تعالى : « والشعراء يتّبعهم الغاوون » إلى قوله « وأنهم يقولون ما لا يفعلون » فضحك وأجازه .

قال جامع الكتاب : ومن هذه القصة أخذ الصفى قوله :

نحنُ الذين أتى الكتاب مُخبِّرا بعفاف أنفسنا وفسقِ الألسن

لبعضهم :

يا هند ما في زماني مساعف أو مساعد
قولي صدقت وإلا فكذبيني بواحد

قال بعضهم : الدنيا مدورة ، ومدارها على ثلاثة مدورات : الدرهم ، والدينار ، والرغيف .

وجد يهودي مسلما يأكل شواء في نهار رمضان ، فطلب أن يطعمه ، فقال له المسلم : يا هذا إن ذبيحتنا لا تحل على اليهود ، فقال : أنا في اليهود مثلك في المسلمين .

استأذن مسلم بن قتيبة في تقبيل يد المهدي ، فقال : إنا نصونها عن غيرك ونصونك عنها .

كتب ملك الهند إلى الرشيد يتهدده في كتاب طويل ، فكتب إليه الرشيد : الجواب ما تراه لا ما تقرؤه .

ومن كلامهم : موائد الملوك للشرف لا للعلف .

لا تستمتع ببرد الظلال مع حر القلال .

قال هشام لبعض نساك الشام : عظني ، فقرأ الناسك « ويل للمطففين » الآيات ، ثم قال هذا لمن طفف المكيال والميزان ، فما ظنك بمن أخذه كله ، فبكى هشام من كلامه .

* * *

دخل الشعبي على عبد الملك وعنده ليلى الأخيلية ، فقال إن هذه لم يخجلها أحد في كلام ، فقال الشعبي : إن قومها يسمُّون ولا يكتنون ، فقالت ولم لا نِكتني فقال : لو فعلت لزمني الغسل ، فأخجلها . وكانت قبيلتها يكسرون نون المضارعة .

دخل ثمامة دار المأمون وفيها روح بن عبادة ، فقال له روح : المعتزلة حمقى ، وذلك أنهم يزعمون أن التوبة بأيديهم ، وأنهم يقدرون عليها متى شاءوا وهم مع ذلك دائبون يسألون الله تعالى أن يتوب عليهم ، فما معنى مسألتهم إياه بما هو بأيديهم والأمر فيه إليهم لولا الحمق ؟ فقال له ثمامة : ألست تزعم أن التوبة من الله وهو يطلبها من العباد أجمع فى كلامه وعلى لسان أنبيائه . فكيف يطلب الله تعالى من العباد شيئاً ليس بأيديهم ، ولا يجدون إليه سبيلا ؟ فأجب حتى أجيب .

قال محمد بن شبيب غلام النظام : دخلت إلى دار الأمير بالبصرة ، وأرسلت حمارى ، فأخذه صبى ليلعب عليه ، فقلت له دعه ، فقال إنى أحفظه لك ، فقلت إنى لا أريد حفظه ، فقال يضيع إذن ، قلت لا أبالى بضياعه ، فقال : إن كنت لاتبالى بضياعه فهبه لى ، فانقطعتُ من كلامه .

من كلامهم : الكريم شجاع القلب ، والشحيح شجاع الوجه . لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود .

بعث ملك فى طلب إقليدس الحكيم فامتنع ، وكتب إليه : إن الذى منعك أن تجيئنا منعنا أن نجيئك .

قال رجل للفرزدق : متى عهدك بالزنا يا أبا فراس ؟ فقال منـــــذ ماتت أمك يا أبا فلان .

قيل لعاشق : لو كانت لك دعوة مستجابة ما كنت تدعو ؟ قال : تسوية الحب بينى وبين من أحب ، حتى يمتزج قلبانا سرا وعلانية .

قال رجل ليوسف عليه السلام : إنى أحبك ، فقال : وهل أتيت إلا من المحبة ! أحبنى أبى فألقيت فى الجب واستعبدت . وأحبتنى امرأة العزيز فلبثت فى السجن بضع سنين .

ومن كلام بعض الحكماء: ثلاثة لا يستخف بهم: السلطان، والعالم، والصديق، فمن استخف بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالعالم ذهب دينه، ومن استخف بالصديق ذهبت مروءته.

قال ولد الأحنف لجارية أبيه: يا زانية، فقالت لو كنت زانية لما أتيت بمثلك.

لما مات جالينوس، وجد فى جيبه رقعة مكتوب فيها: ما أكلته مقتصدا فلجسمك. وما تصدقتَ به فلروحك. وما خلفته فلغيرك. والمحسن حى وإن نقل إلى دار البلا. والمسىء ميت وإن بقى فى دار الدنيا. والقناعة تستر الخلة. والتدبير يكثر القليل. وليس لابن آدم أنفع من التوكل على الله سبحانه.

من كتاب المدهش، فى حوادث سنة ٢٤١ ماجت النجوم، وتطايرت شرقاً وغربا كالجراد من قبل غروب الشمس إلى الفجر، وفى السنة التى بعدها رجمت السويداء — وهى ناحية من نواحى مصر — بحجارة فوزن منها حجر فكان عشرة أرطال. وزلزلت الرى، وجُرجان، وطبرستان، ونيسابور، وأصفهان، وقمُّ، وقاشان، ودامغان فى وقت واحد، فهلك فى دامغان خمسة وعشرون ألفا، وتقطعت جبال، ودنا بعضها من بعض، حتى سار جبل اليمن وعليه مزارع قوم فأتى مزارع آخرين. ووقع طائر أبيض بحلب وصاح أربعين صوتا: يا أيها الناس اتقوا ربكم، ثم طار، وأتى من الغد ثم فعل ذلك، ثم ما رئى بعدها.

ومات رجل فى بعض أكوار الأهواز فسقط طائر على جنازته وصاح بالفارسية إن الله قد غفر لهذا الميت ومن حضر جنازته. انتهى.

[وجود الله سبحانه]

إن التصديق بوجوده تعالى من أجلى البديهيّات، كما قال: « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » كذلك تصور كنه الحقيقة أو ما يقرب من الكنه من

أمحل المحالات « لا يحيطون به علما » كيف وسيد البشر صلوات الله عليه وآله يقول: « ما عرفناك حق معرفتك » وقال عليه السلام « إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم » . وما أحسن قول ابن أبي الحديد :

تاه الأنامُ بسكرهم فلذاك صاحي القوم عربدْ
تالله لا موسى الكليمُ ولا المسيحُ ولا محمدْ
كلا ولا جبريلُ وهو إلى محل القدس يصعدْ
علموا ولا النفسُ البسيطةُ لا ولا العقلُ المجردْ
من كنه ذاتك غير أنك أوحديّ الذات سرمدْ
فليخسأ الحكماء عن حرم له الأفلاكُ سجّدْ
من أنتَ يارسطو ومن أفلاطُ قبلك يا مبلّدْ
ومن ابن سينا حين هذّب ما أتيت به وشيّدْ
ما أنتم إلا الفراش رأى السراج وقد توقد
فدنا فأحرق نفسه ولو اهتدى رشداً لأبعد

والحاصل أن كل مايتصورة العالم الراسخ فهو عن كنه الحقيقة بفراسخ . وكل ما وصل إليه النظر العميق ، فهو غاية مبلغه من التدقيق ، وسرادقات الذات عن ذلك بمراحل وأميال ، لا يستطيع سلوكها بريد الوهم والخيال . ولله در من قال :

فيك يا أغلوطةَ الفكر تاه عقلي وانقضى عمري
سافرت فيك العقولُ فما ربحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقعت لا على عين ولا أثر

فلا يلتفت إلى هذيان من يزعم أنه وصل إلى كنه الحقيقة ، بل احثوا التراب

بفيه ، فقد ضل وغوى ، وكذب وافترى . فإن الأمر أجل وأرفع وأعلى من أن يحيط به عقل بشر .

وأما ماينقل عن سيد الأولياء وسند الأصفياء أمير المؤمنين كرم الله وجهه من قوله: لو كشف الغطاء ماازددت يقيناً، فالمراد لو كشف عن أحوال النشأة الأخرى وعما هو خفي عن النشأة الأولى ، ولو كان المراد غير ذلك لنافى قولَ سيد البشر : ما عرفناك حق معرفتك . وقول الحكماء: جل جنابُ الحق عن أن يكون شريعةً لكل وارد ، وأن يطلع عليه إلا واحدٌ بعد واحد ، لا يريدون به الاطلاع التام ولا ما يزاحم التمام .

لبعضهم :

لو صادف نوح دمع عيني غرقا أو حل بمهجتي الخليلُ احترقا
أو حملت الجبـال حبي لكمُ مالت وتململت وخرت صعقـا

رأيت في كتابي بخط قديم أن الحب سرٌّ روحاني ، يهوى من عالم الغيب إلى القلب ، ولذلك سمي هوى ، من هوى يهوى إذا سقط ، وسُمي الحب بالحب لوصوله إلى حبة القلب التي هي منبع الحياة ، وإذا اتصل بها سرى مع الحياة في جميع أجزاء البدن ، وأثبت في كل جزء صورة المحبوب ، كما حكي عن الحلاج أنه لما قطعت أطرافه كتبت في مواقع الدم « الله الله » وفي ذلك قال هو :

ما قدّ لي عضو ولا مفصلٌ إلا وفيـه لكمو ذكرُ

وهكذا حكي عن زَليخا أنها افتصدت يوما ، فارتسم من دمها على الأرض « يوسف يوسف » .

قال صاحب الكتاب : ولا تعجب من هذا ، لأن عجائب بحر المحبة كثير .

قال حكيم لرجل كان مولعا بحب جارية له ، مشتغلا بها عما يهمه من أمر

معاده : ياهذا هل تشك فى أنك لا بد أن تفارقها ؟ فقال : نعم ، قال فاجعل تلك المرارة المتجرّعة فى ذلك اليوم فى يومك هذا واربح ما بينهما من الحزن المنتظر ، وصعوبة معالجات ذلك بعد الاستحكام واشتداد الألفة .

مر الجنيد برجل فرآه يحرك شفتيه ، فقال : بم اشتغالك ياهذا ؟ قال بذكر الله. فقال إنك اشتغلت بالذكر عن المذكور .

ومر الشبلى بمؤذن وهو يؤذن ، فقال : اشتدت الغفلة فكررت الدعوة .

لبعضهم :

غيرى جنى وأنا المعذَّب فيكم ... فكأننى سبّابةُ المتندِّمِ

وعلى هذا المنوال لبعض الأعراب :

وحملتنى ذنبَ امرئٍ وتركته ... كذى العر يُكوى غيرهُ وهو رانع

العرقروح تخرج فى مشافر الإبل وقوائمها . قال فى كتاب مجمع الأمثال : الإبل إذا فشا فيها العر أخذ بعير صحيحٌ وكوى بين يدى الإبل ، بحيث تنظر إليه فتبرأ كلها بإذن الله تعالى . ومنه قول النابغة: وحملتنى ذنب امرئٍ.. البيت . انتهى .

دعت أعرابية فى الموقف فقالت : سبحانك ما أشق الطريق على من لم تكن دليله ! وأوحشه على من لم تكن أنيسه !

بنى أردشير بناء أعجبه ، فقال لبعض الحكماء : هل تجد فيه عيبا . فقال : ما رأيت مثله ، ولكن فيه عيب واحد ، قال وماهو ؟ قال : إن لك منه خرجةً لا تعود بعدها إليه ، أو دخلة إليه لا تخرج بعدها منه . فبكى أردشير من كلامه .

لبعضهم :

رأيت العشق ـ حوشيتم ـ عيونا ... تسيل دما وأكباداً تَشظى

ألا يا معشر العشـاق توبوا　　　فقـد أنذرتكم نارا تلظى

فى كتاب رياض النعيم عن إبراهيم بن نفطويه النحوى قال : دخلت على محمد ابن داود الأصفهانى صاحب المهذب فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت : كيف تجدك؟ فقال : حب من تعلم أورثنى ما ترى . قلت : ما منعك منه مع القدرة عليه ؟ فقال : الاستمتاع على وجهين : النظر المباح ، واللذة المحظورة . أما النظر المباح فقد أوصلنى إلى ما ترى ، وأما اللذة المحظورة فقد منعنى منها ما بلغنى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عشق وكتم وعفّ غفر الله له وأدخله الجنة » قال ثم أنشد أبياتاً لنفسه . فلما انتهى إلى قوله :

إن يكن عيبُ خـده من عذار　　　فعيوب العيون شَعرُ الجفون

فقلت له : أنت تنفى القياس فى الفقه ، وتثبته فى الشعر ، فقال : غلبة الهوى وملـكة النفس دعوا إليه . قال ومات من ليلته . وقد ذكرت شرذمة من أحوال محمد بن داود الأصفهانى فى المجلد الأوّل من هذا الـكشكول فمن شاء وقف عليه .

لبعضهم :

أمرّ بالحجر القاسى فألثمه　　　لأن قلبك قاس يشبه الحجرا

قال رجل لأحمد بن خالد الوزير : لقد أعطيت مالم يعطه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكيف ذاك يا أحمق . قال : لأن الله تعالى يقول لنبيه «ولو كنت فظّا غليظ القلب لانفضوا من حولك» وأنت فظ غليظ ، ونحن لا نبرح من حولك .

لمـا قتل جعفر بن يحيى البرمكى ، قال أبو نواس : والله مات الـكرم والجود والفضل والأدب . فقيل له : ألم تـكن تهجوه حال حياته ؟ فقال ذلك والله لشقائى ، وركونى إلى أهوائى ، وكيف يكون فى الدنيا مثله فى الجود والأدب ، ولمـا سمع قولى فيه :

لقد غرنى من جعفر حسنُ بابه ولم أدر أن اللؤم حشوُ إهابه
ولستُ إذا أطنبت فى مدح جعفر بأول إنسان خرى فى ثيابه

بعث إلىّ بعشرين ألف درهم وقال : اغسل ثيابك بها .

قيل لبعض الظرفاء : ما أهزل برذونك قال نعم ، يده مع أيدينا .

ضرب رجل أعور بحجر فأصاب العين الصحيحة ، فوضع الأعور يده على عينه وقال : أمسينا والحمد لله .

حجب بعض الأمراء أبا العيناء ، ثم كتب إليه يعتذر منه ، فقال : تحجبنى مشافهة وتعتذر إلى مكاتبة .

مدح بعض الشعراء صاحب شرطة ، فقال : أما إنى أعطيك شيئاً من مالى فلا يكون أبدا ، ولكن اجن جناية حتى لا أعاقبك بها .

قيل لمؤاجر فى شهر رمضان : هذا شهر الكساد . فقال : أبقى اللهُ اليهود والنصارى[1] .

قال الشيخ فى الشفاء : المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوّة ، وهو الذى للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم حالَ السعادة والشقاوة التى بحسب البدن . ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى ، وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة التابعتان للأنفس ، وإن كانت الأوهام تقصر عن مقصودها الآن لما توضحه من العلل . والحكماء الإلهيون رغبتهم فى إصابة هذه السعادة أعظمُ من رغبتهم فى إصابة هذه السعادة البدنية . انتهى .

---

(١) يدعو عليهم بالبقاء فى الكساد ، وقلة رواج تجارتهم .

دخلت عزة على عبد الملك ، فقال لها : أنت عزة كثير ؟ فقالت أنا عزة بنت جميل . قال أتروى قول كثير :

لقد زعمت أنى تغيرت بعدها ... ومن ذا الذى يا عزّ لا يتغير

تغيّر جسمى والخليقة كالتى ... عهدتِ ولم يُخبَرْ بسرك مخبرُ

فقالت لا أروى ذلك ولكنى أروى قوله :

كأنى أنادى صخرة حين أدبرتْ ... من الصم لو تمشى بها العصمُ زلّت

صفوح فما تلقاك إلا بخيلةً ... فمن ملّ منها ذلك البخلَ ملّتِ

قال فأمرها بالدخول على زوجته عاتكة، فلما دخلت قالت لها عاتكة: خبرينى عن قول كُثيِّر فيك :

قضى كلّ ذى دين فوفّى غريمه ... وعزّة ممطولٌ مُعنّى غريمُها

ما هذا الدين؟ فقالت : وعدته قبلة، فقالت عاتكة: أنجزى وعدك وعلىّ إثمه.

قال بعض الفضلاء : ذهبت لذات الدنيا بأجمعها ولم يبق منها إلا حكّ الجرب والوقيعة فى الثقلاء .

سئل بعض الأعراب ممن رأى مسيلمة : كيف وجدته ؟ فقال ماهو نبى صادق ولا متنبئٌ حاذق .

قال بعض الأمراء لجنده : يا كلاب ، فقال له أحدهم : لا تقل ذلك فإنك أميرنا .

لبعضهم فى بخيل :

فتى لرغيفه قرطٌ وشنف ... وأكليلان من حرز وشزر

إذا كسر الرغيفُ بكى عليه ... بكا الخنساء إذ فجعت بصخر

قال أبو العيناء : أخجلنى ابن صغير لعبد الرحمن بن خاقان . قلت له :

وددت أن لى ابنـــا مثلك ، قال : هذا بيدك. قلت كيف ذلك ؟ قال احمل أبى على امرأتك لتلد لك ابنا مثلى .

وقال رجل لابن عمر : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه ، فقال : صدق ، إن الله يقول : « وإن الشياطين ليوحُون إلى أوليائهم » .

قيل لحكيم ظريف : هل يولد لابن خمس وتسعين ولد ؟ فقال نعم : إن كان فى جيرانه ابن خمس وعشرين سنة .

رأيت فى بعض الكتب : أن الوجـــه فى تسمية الشيخ العارف كمال الدين بالكُبْرى أن مشايخ زمانه كانوا يقولون فى شأنه : قد قامت عليه قيامة العشـاق فأتت عليه الطامة الكبرى ، فاشتهر بذلك وغلب عليه حتى عرف به .

فى بعض التواريخ المعتمد عليها أن معن بن زائدة كان يتصيد ، فعطش ولم يكن فى تلك الحال ماء مع غلمانه ، فبينما هو كذلك إذ مرت به جاريتان من حىّ هناك ، فى جيد كل واحدة قربةٌ من الماء فشرب منهما ، وقال لغلمانه : هل معكم شىء من نفقتنا ؟ فقالوا : ليس معنا شىء ، فدفع لكل منهما عشرة أسهم من سهامه ، وكان نصالها من ذهب ، فقالت إحداهما للأخرى : ويحك ، ماهذه الشمائل إلا لمعن ابن زائدة ، فلتقل كل منا فى ذلك شيئاً ، فقالت إحداهما :

يُركّب فى السهام نصال تبر ... ويَرميها العدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح ... وأكفانٌ لمن سكن اللحودا

وقالت الأخرى :

ومحاربٌ من فَرط جود بنانه ... عمّت مكارمُه الأقاربَ والعدا
صيغت نصال سهامه من عسجد ... كى لا يعوّقه القتالُ عن الندى

فى كشف الغمة عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أنه قال : جعت يوما بالمدينة، فخرجتُ أطلب العمل فى عوالى المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدَراً فظننت أنها تريد بلّه ، فقاطعتها كل ذنوب على تمرة ، فملأت ستة عشر ذَنوباً ، حتى مجلت يداى ، ثم أتيت الماء فأصبت منه ، ثم أتيتها فقلت بكفىّ هكذا بين يديها ، وبسط الراوى كفيه ، فعدّت لى ستّ عشرة تمرة ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأكل معى منها

قولهم : إن سر الحقيقة مما لا يمكن أن يقال، له محملان : أحدهما أنه مخالف لظاهر الشريعة فى نظر العلماء ، فلا يمكن قوله ، وعلى هذا جرى قول زين العابدين رضى الله عنه :

يارُبَّ جوهر علم لو أبوح به   لقيل لى أنتَ ممن يعبد الوثنا
ولا استحلّ رجال مسلمون دمى   يرون أقبح ما يأتونه حسنا

الثانى أن العبارات قاصرة عن أدائه ، غير وافية ببيانه ، فكل عبارة قربته إلى الذهن من وجه أبعدته عنه من وجوه .

كلما أقبل فكرى   فيك شبراً فرّ ميلا

وعلى هذا جرى قول بعضهم:

وإن قميصا خيط من نسج تسعة   وعشرين حرفا عن معاليك قاصرُ

ومن هذا يظهر أن قولهم: إفشاء سر الربوبية كفر له محملان أيضا ، فعلى المحمل الأول يراد بالكفر ما يقابل الإسلام ، وعلى المحمل الثانى يراد بالكفر ما يقابل الإظهار ، إذ الكفر فى اللغة السّتر ، فيكون معنى الكلام : أن كل ما يقال فى كشف الحقيقة فهو سبب لإخفائها ، وستر لها فى الحقيقة .

الصاحب :

غزالٌ له وجه ينال به المنى   يرى الفرض كل الفرض قتل صديقه

فإن هو لم يكفف عقارب صدغه فقولوا له يسمح بترياق ريقه

لبعضهم :

ما فى زمانك من ترجو مودّته ولا صديقٌ إذا جار الزمان وفَى
فعش فريدا ولا تركن إلى أحد ها قد نصحتُك فيما قلتهُ وكفى

لبعضهم :

وإنى لتعرونى لذكرك هِزةٌ لها بين جلدى والعظام دبيبُ
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأُبهت حتى لا أكادُ أجيبُ
ويضمر قلبى حبّها ويعينها علىّ فما لى فى الفؤاد نصيب

السبب فى تسمية الأيام التى فى آخر البرد بأيام العجوز : ما يحكى أن عجوزا كاهنة فى العرب كانت تخبر قومها ببرد يقع وهم لا يكترثون بقولها ، حتى جاء فأهلك زروعهم وضروعهم ، فقيل أيام العجوز ، وبرد العجوز .

وقال جار الله الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار : قيل الصواب أنها أيام العجُز : أى آخر البرد ، وقيل إن عجوزا طلبت من أولادها أن يزوّجوها ، فشرطوا عليها أن تبرز إلى الهواء سبع ليال ففعلت ، فماتت .

لبعضهم :

وإنى وإن أخّرت عنكم زيارتى لعذر فإنى فى المحبة أوّل
فما الودُّ تكرارُ الزيارة دائما ولكن على ما فى القلوب المعوّل

الحاجرى :

هبّت فعلمت أنها من نجد ريح بنسيمها أريجُ النّدِّ
لكن أنا قد قلت لواش عندى هذى النسمات للكثيب الفردِ

وله :

يا عاذلُ كم تطيل فى العذْل علىْ   دعنى وتَشَكِّى فقد راق لدىْ
خذ رشدك وانصرف ودعنى والغىْ   ما أحسن ما يقال قد جُن بمىْ

وله :

حيا وسقى الحمى سحابٌ هامى   ما كان ألذ عامه من عام
يامىَّ وما ذكرت أيامكم   إلا وتظلمت علىَّ أيامى

سئل الصادق رضى الله عنه : لِمَ تكالب الناس على الأكل فى أيام الغلاء .
فقال : لأنهم بنو الأرض ، فإذا قحطت قحطوا ، وإذا أخصبت أخصبوا .

فى كتاب ربيع الأبرار : إن من عجائب بغداد أنها موطن الخلفاء ، ولم يمت بها خليفة أبدا .

وفيه : طوّل ثقيل عند رجل ، فلما أمسى وأظلم البيت لم يأته بسراج ، فقال الرجل : أين السراج ؟ فقال صاحب البيت: إن الله تعالى يقول « وإذا أظلم عليهم قاموا » ، فقام وخرج .

لبعضهم :

دع الأيام تفعل ما تشاء   وطب نفسا إذا نزل البلاء
ولا تجزع لحادثة الليـــالى   فما لحوادث الدنيـــا بقاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع   فأنت ومالِكُ الدنيـــا سواء

قال جامع الكتاب : لا والله، فإن صاحب القناعة ومالك الدنيا غير متساويين كما قاله صاحب الأبيات ، بل صاحب القناعة أقل حزنا ، وأطيب نفسا ، وأقر عينا . ولله در من قال :

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه   فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

الوجه المشهور فى علة رؤية قوس قزح لم يرتض به المولى الفاضل مولانا كمال الدين حسين الفارسى ، وتصدى لتخطئة القائلين به فى أواخر تنقيح المناظر ، وأورد هو فى الكتاب المذكور وجها لطيفا فى غاية الدقة والمتانة ، وعساك تجده فى بعض مجلدات الكشكول .

لأصحاب النفوس القدسية التصرف فى الأجرام الأرضيـــة والسماوية بالتأييدات الإلهية ، ألا ترى إلى تصرف إبراهيم على نبينا وعليه السلام فى النار « يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم » وموسى فى الماء والأرض « وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق » « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » . وسليمان فى الهواء « ولسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر » . وداود فى المعدن « وألنّا له الحديد » . ومريم فى النبات « وهُزّى إليك بجذع النخلة » . وعيسى فى الحيوان : « كونوا قردة خاسئين » . ونبينا صلى الله عليه وسلم فى السماويات « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

قال فى الهياكل : لمـــا رأيت الحديدة الحامية تتشبه بالنار لمجاورتها ، وتفعل فعلها ، فلا يتعجب من نفس استشرقت واستنارت واستضـــاءت بنور الله فأطاعتها الأكوان .

قال القيصرى فى شرح فصوص الحكم : الأرواح منها كلية ومنها جزئية ، فأرواح الأنبياء كلية يشتمل كل منها على أرواح من يدخل فى حكمه ويصير من أمته ، كما تدخل الأسماء الجزئية فى الأسماء الكلية ؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى : « إن إبراهيم كان أمة قانتا لله » .

[مسيلمة وسجاح]

كتب مسيلمة الكذّاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله . أما بعد ، فإن لنا نصف الأرض ، ولقريش

نصف الأرض ، ولـكنّ قريش قوم يعتدون . وبعث بها رجلين ، فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم : أتشهدان أنى رسول الله؟ قالا نعم . قال: أتشهدان أنّ مسيلمة رسول الله ؟ قالا نعم ، إنه قد أشرك معك . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لولا أن الرسول لا يقتل لضربت أعناقـكما . ثم كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الـكذاب ، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وادّعت سجاح بنت الحارث النبوّة فى أيام مسيلمة وقصدت حربه ، فأهدى إليها مالا ، واستأمنها فأمنته وأمنها، فجاء إليها واستدعاها ، وقال لأصحابه : اضربوا لها قبة وجمروها لعلها تذكر الباه ، ففعلوا ، فلما أتت قالت له اعرض علىّ ماعندك ، فقال لها : إنى أريد أن أخلو معك حتى نتدارس . فلما خلت معه فى القبة قالت : اقرأ علىّ ما يأتيك به جبريل ، فقال اسمعى هذه الآية : إنـكن معشر النساء خلقتن أفواجا ، وجعلتن لنا أزواجا ، نولجه فيـكن إيلاجا ، ثم نخرجه منكن إخراجا . فقالت : صدقت ، إنك نبى مرسل . فقال لها : هل لك فى أن أتزوجك فيقال نبى تزوج نبية فقالت افعل ما بدا لك . فقال لها :

ألا قومى إلى المخدعْ فقد هُيِّى لك المضجعْ
فإن شئتِ فملقاة وإن شئتِ على الأربعْ
وإن شئتِ بثلثيه وإن شئتِ به أجمعْ

فقالت بل به أجمع ، فإنه للشمل أجمع ، فضرب بعض ظرفاء العرب لذلك مثلا فقال : أغلم من سجاح . فأقامت معه ثلاثا وخرجت إلى قومها ، فقالوا كيف وجدتيه . فقالت لقد سألته فوجدت نبوّته حقا ، وإنى قد تزوجته . فقال قومها : ومثلك يتزوج بلا مهر ؟ فقال مسيلمة : مهرها أنى قد رفعت عنـكم صلاة الفجر

والعتمة . قال أهل التاريخ ثم أقامت بعد ذلك مـــدة فى بنى تغلب ، ثم أسلمت وحسن إسلامها .

ومن خزعبلات مسيلمة : والزارعات زرعا ، والحاصدات حصدا ، فالذاريات ذروا ، فالطاحنات طحنا ، فالعاجنات عجنا ، فالآكلات أكلا . فقال بعض ظرفاء العرب : فالخاريات خريا .

قد تستعين النفوس فى إحداث التعاليم بمزاولة أعمال مخصوصة وهى السحر ، أو بقوى بعض الروحانيات ، وهى العزائم ، أو بالأجرام الفلـكية ، وهى دعوة الـكوكب ، أو بتمزيج القوى السماوية بالأرضية ، وهى الطلسمات ، أو بالخواصّ العنصرية وهى النيرنجيات ، أو بالنسب الرياضية وهى الحيل .

قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن من الفتوحات: إلى من جملة العوالم عالما على صورنا ، إذا أبصره العارف يشاهد نفسه فيه ، وقد أشار إلى ذلك عبد الله بن عباس فيما روى عنه فى حديث الـكعبة أنها بيت واحد من أربعة عشر بيتا ، وأن فى كل أرض من الأرضين السبع خلقا مثلنا ، حتى إن فيهم ابن عَباس مثلى . وصدقت هذه الرواية عند أهل الـكشف . وكل مافيه حى ناطق وهو باق لايتبدل . وإذا دخله العارفون فإنما يدخلونه بأرواحهم لا بأجسامهم ، فيتركون هياكلهم فى هذه الأرض ، ويتجردون ، وفيها مدائن لاتحصى ، وبعضها يسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين إلا كل مصطفى مختار ، وكل حديث وآية وردت عندنا مما صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها فى هذه الأرض . انتهى كلام الشيخ .

وهذا العالم تسميه حكماء الأشراق الاقليمَ الثامنَ ، وعالم المثال ، وعالم الأشباح.

قال التفتازانى فى شرح المقاصد: وعلى هذا بنوا أمر المعاد الجسمانى ، فإن البدن المثالى الذى تتصرف فيه النفس حكمه حكم البدن الحسى فى أن له جميع الحواس

الظاهرة والباطنة ، فيلتذ ويتألم باللذات والآلام الجسمانية .

قال جامع الـكتاب: ومما يلائم مانحن فيه ماروواه الشيخ أبو جعفر الطوسى فى كتاب تهذيب الأحكام ، فى أواخر الجلد الأول منه عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال ليونس بن ظبيان : ما يقول الناس فى أرواح المؤمنين ؟ فقال يونس : يقولون تـكون فى حواصل طيور خضر فى قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد الله : سبحان الله ، المؤمن أكرم على الله من ذلك أن يجعل روحه فى حوصلة طائر أخضر ، يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صَيّر روحه فى قالب كقالبه فى الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التى كانت فى الدنيا . وروى بعد هذا الحديث أن أبا بصير قال : سألت أبا عبد الله رضى الله عنه عن أرواح المؤمنين ، فقال : فى الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان .

قال الراغب فى المحاضرات: كان الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام عند المأمون ، فلما حضر وقت الصلاة رأى الخدم يأتونه بالماء والطست ، فقال الرضا : لو توليت هذا بنفسك فإنّ الله تعالى يقول: « فمن كان يرجُو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشركْ بعبادة ربه أحدا » .

قال بعض الخالديين : رأيت الجنيد فى النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك العلوم ، ودرست هاتيك الرسوم ، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها فى السحر .

عن بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم قالت : ذبحنا شاة فتصدقنا بها إلا الـكتف ، فقلت للنبى صلى الله عليه وسلم: ما بقى إلا الـكتف، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : كلها بقى إلا الـكتف .

قال الحسن البصرى: مارأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت.

قيل لبعض الحكماء : ما سبب موت فلان . قال : كونه .

أبو العتاهية :

الموت لو صحّ اليقين به ... لم ينتفع بالعيش ذاكرُه

دخل العتبى المقابر فأنشأ يقول :

سَقيا ورعيا لإخوان لنا سلفوا ... أفناهم حدثان الدهر والأبدُ

نمدهم كل يوم من بقيتنا ... ولا يؤوب إلينا منهم أحدُ

قال رجل لأبى الدرداء : مالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب .

قال الحسن البصرى لرجل حضر جنازة : أتراه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالحا، قال : نعم . قال : فإن لم يكن هو فكن أنت .

قال الشيخ فى آخر الشفا : رأس الفضائل : عفة وحكمة وشجاعة، ومن اجتمعت له منها الحكمة النظرية فقد سعد ، وفاز مع ذلك بالخواص النبوية ، وكاد يصير ربًّا إنسانيا. ويكاد أن تحل عبادته بعد الله تعالى ، وهو سلطان الأرض وخليفة الله فيهم.

لبعضهم :

وجاهلةٍ بالحب لم تدر طعمَه ... وقد تركتنى أعلم الناس بالحب

جميل بثينة :

وإنى لأستحييكِ حتى كأنما ... علىّ بظهر الغيب منكِ رقيب

آخر :

أقول لهم كروا الحديث الذى مضى ... وذكرَك من بين الأنام أريد

أناشدُه إلا أعاد حديثَه ... كأنى بطىء الفهم حين يُعيد

ابن المعتز :

يارب إن لم يكن فى وصله طمع   وليس لى فرجٌ من طول هجرته
فاشف السقام الذى فى لحظ مقلته   واستر ملاحة خديه بلحيته

بعض الأعراب :

ماء المدامع نار الشوق تحدره   فهل سمعتم بماء فاض من نار

الخيرازى :

يا من إذا أقبل قال الهوى   هذا أمير الجيش فى موكبه
كل الهوى صعب ولكننى   بليت بالأصعب من أصعبه
عبدك لا تسأل عن حاله   حلّ بأعدائك ما حل به
قد كان لى قبل الهوى خاتم   واليوم لو شئت تمنطقت به
فنيت حتى صرت لو زج بى   فى مقلة الوسنان لم ينتبه

ابن المعتز :

وجاءنى فى قميص الليل مستترا   مستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت أفرش خدى فى الطريق له   ذلا وأسحب أذيالى على الأثر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا   مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست أذكره   فظُنّ خيرا ولا تسأل عن الخبر

ابن بسام :

ليلِى كما شاءت فإن لم تزر   طال وإن زارت فليلِى قصير
لا أظلم الليل ولا أدّعى   أن نجوم الليل ليست تغور

العباس :

قد سحب الناسُ أذيال الظنون بنا   وفرق الخلق فينا قولهم فِرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدرى أنه صدقا

الصاحب :

صرحت فى حبى عن شكله ولم أصخ فيـــه إلى عذله
وبحت للعالم باسم الهوى فليقعد المغتاب فى نزله

قال فى المحاضرات : نظرت امرأة من أهل البادية فى المرآة ـ وكانت حسنة الصورة ، وكان زوجها ردىء الصورة جدا ـ فقالت له ـ والمرآة فى يدها ـ : إنى لأرجو أن ندخل الجنة أنا وأنت ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقالت : أما أنا فلأنى ابتليت بك فصبرت ، وأما أنت فلأن الله تعالى قد أنعم عليك بى فشكرتَ ، والصابر والشاكر فى الجنة .

ابن المعمار :

يا صاح قد ولى زمان الردى والهم قد كشّر عن نابه
باكر الكرم المنب المجتنى واستجنه من عند عِنّابه
واعصره واستخرج لنا ماءه لكى يزول الهم عنا به
ولا تراع فى الهوى عاذلا أفرط فى العذل وغنّى به

كتب العباس بن معلى الكاتب إلى القاضى ابن قريعة فتوى : ما يقول القاضى أدام الله أيامه فى يهودى زنى بنصرانية ، فولدت له ولدا جسمه للبشر ، ووجهه للبقر ، فما يرى القاضى فى ذلك فليفتنا مأجورا . فأجاب : هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود ، إنهم أشربوا حب العجل فى صدورهم ، فخرج من أيورهم ، وأرى أن يعلق على اليهودى رأس العجل ويربط مع النصرانية الساق مع الرجل ، ويسحبا سحبا على الأرض وينادى عليهما : ظلمات بعضها فوق بعض .

لما تزوج المهلّب بن أبى صفرة بديعة المطربة أراد الدخول بها ففجأها الحيض ،

فقرأت « وفار التنور » فقرأ هو « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » فقرأت هى « لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ».

لبعضهم :

القلب لديك عــذره متضح ... والعين عليك دمعهـــا منسفح
يا غاية منيتى وأقصى أمــلى ... قد طال عتابنـــا متى نصطلح

الصفى الحلى :

قد قضينا العمر فى مطلـكمو ... فظننا وعدكم كان مَناما
أئذا متنا نرى وعــدكمو ... أم إذا كنا ترابا وعظاما

لبعضهم :

أرى الأيام صبغتُها تحول ... وما لهواك من قلبى نُصول
حُداة العيس بالأظعان مهلا ... فلى فى ذلك الوادى خليلُ
فوا أسفا على عيش تقضّى ... وعمرٍ منه قد بقى القليل
أتت ودموعها فى الخد تحـكى ... قلائدَها وقد أخذت تقول
غداة غد تزم بنـــا المطايا ... فهل لك فى وَداع يا خليل
فقلت لهـا وعيشك لا أبالى ... أقام الحى أو جدّ الرحيل
يخاف من النوى من كان حيا ... وإنى بعدكم رجل قتيل

البها زهير :

ويحك يا قلبى أما قلتُ لك ... إياك أن تهلك فيمن هلك
حركتَ من نارالهوى ساكنا ... ما كان أغناك وما أحملك
وبى حبيبٌ لم يدع مسلـكا ... يُشمت بى الأعداء إلا سلك

ملكته رقِّ فياليتـه لو رق أو أحسن فيما ملك
بالله يا أحمرَ خـديه من عضّك أو أدماك أو أخجلك
وأنت يا نرجسَ عينيه كم تشرب من قلبي وما أذبلك
ويا لَمى مرشفِه إننى يغيرنى المسواك مـذ قبلك
ويا مهزّ الرمح من قدّه تبارك الله الذى عـدّلك
مولاى حاشاك تُرى غادرا ما أقبح الغدرَ وما أجملك
مالك فى حسنك من مُشبه ما ثمّ للعالم ماثم لك

لبعضهم :

لا سلامٌ لا كلام لارسول لارساله
كل هذا ياحبيبى من علامات الملاله

رأيت فى بعض كتب التواريخ أنه لما قتل الفضل بن سهل فى الحمام بسرخس، كما هو فى الكتب مسطور ، أرسل المأمون إلى أمه أن ترسل من متروكاته ما يليق بالخليفة من الجواهر الثمينة والكتب النفيسة ، وأمثال ذلك ، فأرسلت إلى المأمون سفَطا مقفلا مختوما بختم الفضل ، ففتح المأمون السفط ، فإذا فيه درج بخط الفضل مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماقضى الفضل بن سهل على نفسه أن يعيش ثمانية وأربعين سنة ثم يقتل بين ماء ونار .

وفى عيون الأخبار أنه لما كان صباح اليوم الذى قتل فيه دخل الحمام وأمر أن يحجم ويلطخ جسده بالدم ليكون ذلك تأويل مادلت عليه النجوم من أنه يهراق دمه ذلك اليوم بين ماء ونار ، ثم أرسل إلى المأمون والرضا أن يحضرا إلى الحمام أيضا ، فامتنع الرضا وأرسل إلى المأمون يمنعه من ذلك ، فلما دخل الحمام جرى دمه .

لما ادعى إبراهيم بن المهدى الخلافة أتى إليه المعتصم بابنه الواثق فقال: هذا عبدك هرون ، ولما استخلف المعتصم قبض إبراهيم بيد ابنه ودخل عليه وقال : هذا عبدك هبة الله . قال أصحاب التواريخ : وكانت الواقعة فى بيت واحد .

قال فى كامل التاريخ : لما قتل الوزيرُ نظام الملك أكثر الشعراء من المراثى فيه فمن ذلك قول شبل الدولة مقاتل بن عطية :

كان الوزير نظام الملك جوهرةً مكنونة صاغها البارى من النطف
جاءت فلم تعرف الأيامُ قيمتَها فردها غيرة منه إلى الصّدف

وفيه أيضا : أن الأسعار غلت بمصر سنة ٤٦٥ وكثر الموت ، وبلغ الغلاء إلى أن امرأة تقوم عليها رغيف بألف دينار ، وسبب ذلك أنها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلاثمائة دينار ، واشترت عشرين رطلا حنطة ، فنهبت عن ظهر الحمال، فذهبت هى أيضا مع الناس ، فأصابها مما خبزته رغيف . انتهى .

أبو الرضا الفضل بن منصور الظريف الأديب حسن الشعر ، وله ديوان جيد ، توفى سنة ٤٣٥ ومن شعره :

وأهيف القدّ مطبوع على صلَف عشِقته ودواعى البين تعشقه
وكيف أطمع منه فى مواصلة وكل يوم لنا شمل يفرقه
وقد تسامح قلبى فى موافقتى على السلوّ ولكن من يصدقه
أهابهُ وهو طلق الوجه مبتسم وكيف يُطمعنى فى السيف رونقه

ياقوت بن عبد الله المستعصمى الكاتب ، أشهر من أن يذكر ، وكان مولعا بكتابة نهج البلاغة وصحاح الجوهرى ، ومن شعره :

يا مجلسا مذ فقدت بهجته أصبحتُ والحادثاتِ فى قرن
وأوجها مذ عدمت رؤيتها مانظرت مقلتى إلى حسن

لا بلغت مهجتى مآربها إن سكنتُ بعدكم إلى سكن

لبعضهم :

ما حكَم الحبُّ فهـو ممتثَل وما جناه الحبيب محتمَل
تهوى وتشكو الضنى وكل هوى لا ينحل الجسمَ فهـو منتحَل

شُكر العلوى أمير مكة له شعر حسن توفى سنة ٤٥٣ ، ومن شعره :

قوّض خيامك عن أرض تضام بها وجانب الذل إن الذل يُجتنَب
وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

مهيار الديلمى الشاعر الأديب صاحب المحاسن ، والشعر العذب الرائق ، كان مجوسيا فأسلم على يد السيد المرتضى ، وكان يتشيع . قال فى كامل التاريخ : إن أبا القاسم بن برهان قال له يوما : يا مهيار قد انتقلت بإسلامك فى النار من زاوية، إلى زاوية ، قال وكيف ذلك ؟ قال لأنك كنت مجوسيا فصرت تسب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى شعرك .

أحمد بن على بن الحسين المؤدب المعروف بالقالى توفى سنة ٤٤٨ ومن شعره .

تصدّر للتدريس كل مهوِّس بليدٍ تَسمى بالفقيه المدرّسِ
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ببيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هُزلت حتى بدا من هزالها كُلاها وحتى سامها كل مفلس

القاضى أبو القاسم على بن محسن التنوخى ، ولد بالبصرة سنة ٤٦٥ وتوفى فى شوال سنة ٤٩٤ ومن شعره :

أرى ولد الفتى كَلّا عليه لقد سعد الذى أمسى عقيما
فإما أن يربّيه عدوا وإما أن يخلّفه يتيما

أحمد بن عمر بن روح النهروانى ، من الأدباء المشهورين ، توفى سنة ٤٤٧ ، شعره جيد ، سمع رجلا يغنى :

وما طلبوا سوى قتـلى   فهان علىّ ما طلبوا

فاستوقفه وقال : أضف إليه هذين البيتين :

على قلبى الأحبـةُ بالتّـمادى فى الهوى غلبوا

وبالهجران من عينى   لطيب النوم قد سلبوا

وما طلبوا سوى قتلى   فهان علىّ ما طلبوا

أبو الجوائز الحسن بن على بن محمد الواسطى كان أديباً شاعرا، توفى سنة ٤٤٦ ومن شعره :

واحسرتا من قولها   خان عهودى ولها[1]

وحقٍّ من صيرنى   وقفا عليها ولهـا

ما خطرت بخاطرى   إلا كستنى ولهـا

يحيى بن سلامة الحصكفى الأديب كان يتشيع . توفى سنة ٥٥٢ . ومن شعره :

وخليعٍ بت أعـذِلُه   ويرى عذلى من العبث

قلت إن الخمر مخبثـة   قال حاشاها من الخبث

قلت فالإرفاث يتبعها   قال طيبُ العيش فى الرفث

قلت منها القىء قال نعم   شرفت عن مخرج الحدث

وسأسلوها فقلت متى   قال عند السكون فى الجدث

---

(١) الواو حرف عطف ، لها : فعل ماض ، من اللهو . . . ولها فى البيت الثانى : الواو حرف عطف، لها : اللام حرف جر، والضمير مجرور به ، يعنى أنه وقف لها لا لغيرها . . ولها فى البيت الثالث : مصدر وله ولها .

أبو جعفر البياضى :

يامن لبست لأجله ثوبَ الضنى   حتى خفيت به عن العوّاد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت   أجفان عينى كيف كان رقادى
إن كان يوسف بالجمال مقطعِّ الـ   أيدى فأنت مفتت الأكباد

أبو المعمار :

قد بلينا بأمير   ظلم الناس وسبّح
فهو كالجزار فيهم   يذكر الله ويذبح

لبعضهم :

عذبه بالهجر مولاه   وملّه ظلما وأقصاه
قد كتب الدمعُ على خده   مت كدا يرحمك الله

أبو الحسن محمد بن جعفر الجرهمى الشاعر ، توفى سنة ٤٣٣ . وكان بينه وبين الطرزى مهاجاة . ومن شعره :

ياويح قلبى من تقلّبه   أبدا يحنّ إلى معذّبه
بأبى حبيبا غيرَ مكترث   يجنى ويكثر من تعتبه
قالوا كتمت هواه قلت لهم   لو أن لى رمقا لبحت به

وأبو بكر محمد بن عمر العنبرى الشاعر الأديب توفى سنة[1] وشعره جيد ومنه قوله :

ذنبى إلى الدهر أنى لم أمد يدى   فى الراغبين ولم أطلب ولم أسَل
وأننى كلما نابت نوائبه   ألفيتنى بالرزايا غيرَ محتفِل

(١) بياض بالأصل .

قال الشيخ فى فصل المبدأ والمعاد من إلهيات الشفاء : لو أمكن إنسانا من الناس أن يعرف الحوادث التى فى الأرض والسماء جميعا ، وطبائعها ، لفهم كيفية ما يحدث فى المستقبل .

وهذا المنجم القائل بالأحكام مع أن أوضاعه الأولى ومقدماته ليست مستندة إلى برهان ، بل عسى أن يدعى فيها التجربة أو الوحى ، وربما حاول قياسات شعرية أو خطابية فى إثباتها ، وإنما يعول على دلائل جنس يجمع الأحوال التى فى السماء ، ولو ضمن لنا ذلك ووفى به لم يمكنه أن يجعلنا ونفسه بحيث نقف على وجود جميعها فى كل وقت ، وإن كان جميعها من حيث فعله وطبعه معلوما عنده ؛ وذلك لأنه لا يكفيك أن تعلم أن النار حارة مسخّنة وفاعلة كذا وكذا فى أن تعلم أنها مسخنة مالم تعلم أنها حصلت وأى طريق فى الحساب يعطينا المعرفة بكل حدث فى الفلك .

ولو أمكنه أن يجعلنا ونفسه بحيث نقف على وجود ذلك لم يتم لنا به الانتقال إلى المغيبات ؛ فإن الأمور المغيبة التى فى طريق الحدوث إنما تتم بمخالطات بين الأمور السماوية والأمور الأرضية المتقدّمة واللاحقة، فاعلها ومنفعلها، طبيعتها ومادتها، وليست تتم بالسماويات وحدها مالم نحط بجميع الأمرين وموجب كل منهما ، خصوصا ما كان متعلقا بالمغيب ولم يتمكن من الانتقال إلى المغيب ، فليس لنا إذن اعتماد على أقوالهم . وإن سلمنا ـ متبرعين ـ أن جميع ما يعطونا من مقدماتهم الحكمية صادقة . انتهى كلام الشيخ فى الشفاء .

عن محمد بن عبد العزيز قال : قال لى عبد الله جعفر بن محمد الصادق ياعبد العزيز ، الإيمان على عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة ، ولا يقولنّ صاحب الواحدة لصاحب الاثنتين لست على شىء حتى تنتهى إلى

العاشرة ، ولا تسقط من هو دونك بسقطتك ولا من هو فوقك . وإذا رأيت من هو أسفل منك درجة فارفعه إليك برفق ، ولا تحمل عليه مالا يطيق فتكسره فإن من كسر مؤمنا فعليه جبره . وكان المقداد فى الثامنة ، وأبو ذر فى التاسعة ، وسلمان فى العاشرة .

قال فى كامل التاريخ فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة : توفى فى هذه السنة عبد الباقى بن محمد بن الحسين الشاعر البغدادى، وكان يتهم بأنه يطعن على الشرائع ، فلما مات كانت يده مطبوقة مقبوضة ، فلم يطق الغاسل فتحها ، فبعد جهد فتحت فإذا فيها مكتوب :

نزلت بجار لا يُخيِّب ضيفَه أرجِّى نجاتى من عذاب جهنّم

وإنى على خوفى من الله واثقٌ بإنعامه والله أكرمُ منعم

ومن التاريخ المذكور فى حوادث سنة ثلاث وستمائة ما صورته : فى هذه السنة قتل صبى صبيا ببغداد كانا يتهاوران ، وعمر كل منهما يقارب عشر سنين ، فقال أحدهما للآخر : الآن أضربك بهذا السكين وأهوى بها نحوه فدخل رأسها فى جوفه فمات ، فهرب القاتل ، ثم أخذ وأمر بقتله ، فلما أرادوا قتله طلب دواة وبياضا وكتب فيها قوله :

قدمت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم

وسوء الظن أن يُعتقدَ زادٌ إذا كان القدوم على كريم

قيل لأنوشروان : ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فيحتمله ، ولا يحتمل مجالسة الثقيل . فقال : لأن الحمل تشترك فيه جميع الأعضاء، والثقيل تنفرد به الروح انتهى.

ابن المعتز فى وصف الإبريق :

كأنّ إبريقنا والراح فى فمه طيرٌ تناول ياقوتا بمنقار

عميد الملك وزير ألب أرسلان فى غلام تركى واقف على رأسه يقطع بالسكين:

أنا مشغول بحبه وهو مشغوف بلعبه
صانه الله فما أكثر إعجابى بعجبه
لو أراد الله خيرا وصلاحا لمحبه
نقلت رقة خديه إلى قسوة قلبه

سمع بعض العارفين غناء مخارق وعلّوية ، فقال : نعم الوسيلتان لإبليس فى الأرض .

من كلام حكماء الهند : إذا احتاج إليك عدوك أحب بقاءك ، وإذا استغنى عنك وليّك هان عليه موتك .

من كلامهم : كل مودة عقدها الطمع حلها اليأس .

قال رجل لابن عباس : ادع الله أن يغنينى عن الناس ، فقال: إن حوائج الناس متصل بعضها ببعض ، فما يستغنى المرء عن بعض جوارحه ، ولكن قل : اللهم أغننى عن شرار الناس .

سمع أعرابى ابن عباس يقرأ « وكنتم على شفا حُفرة من النار فأنقذكم منها » فقال الأعرابى : والله ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها ، فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

أوصى بعض الوزراء أن يكتب على كفنه : اللهم حقق حسن ظنى بك .

ضحك العبد وهو مشفق من ذنبه ، خير من بكائه وهو مدِلّ على ربه .

لبعض الأعراب :

ليس فى الناس وفاء لا ولا فى الناس خيرُ
قد بلوت الناس ، فى النا س كسير وعوير

من كلام بعض العارفين : الأخ الصالح خير من نفسك ، لأن النفس أمارة بالسوء ، والأخ الصالح لا يأمر إلا بالخير .

قيل لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، وهو على بغلة له فى بعض الحروب : لو اتخذت الخيل ياأمير المؤمنين ، فقال : لا أفر ممن كرّ ، ولا أكرّ على من فر ، فالبغلة تكفينى .

رأيت فى بعض الكتب : أن الشطرنج إنما وضعها الحكماء لملوك الروم والفرس ؛ لأنهم لم يكن لهم علم ، وكانوا لا يطيلون الجلوس مع العلماء لجهلهم ، وإذا اجتمعوا مع أمثالهم كانوا يتلاحظون بالبصر ، فوضعوا لهم ذلك ليشتغلوا به .

وأما ملوك اليونان وقدماء الفرس والروم ، فكان لكل منهم كعب عال فى العلم ، وكانوا لا يتفرّغون عنه لأمثال هذه الأمور الواهية .

وصفت أم معبد النبى صلى الله عليه وسلم فأجادت ، فقيل لها ما بال صفتك أوفى وأتم من صفتنا ؟ فقالت : أما علمتم أن المرأة إذا نظرت إلى الرجل كان نظرها أشفى من نظر الرجل إلى الرجل .

قيل لأبى العيناء : فيم أنت ؟ قال : فى الداء الذى يتمناه الناس ، يعنى الهرم .

قال الحجاج لشيخ من الأعراب: كيف حالك ؟ قال : إن أكلت ثقلت ، وإن تركت ضعفت . قال فكيف نكاحك ؟ قال : إذا بذل لى عجزت ، وإذا منعت شرهت. قال : فكيف نومك ؟ قال : أنام فى المجمع ، وأسهر فى المضجع. قال : كيف قيامك وقعودك ؟ قال : إذا قعدت تباعدت عنى الأرض ، فإذا قمت لزمتنى . قال : فكيف مشيك ؟ قال تعقلنى الشعرة وتعثرنى البعرة .

كان يحيى بن أكثم يناظر فى إبطال القياس ، وكان الرجل يقول فى مناظرته يا أبا زكريا ، فقال لست أبا زكريا ، فقال : يحيى تكون كنيته أبا زكريا ، فقال

يحيى بن أكثم : ففيم بحثنا إلى الآن ، يعنى أنك قلت بالقياس وعملت .

دق رجل الباب على الجاحظ ، فقال الجاحظ : من أنت ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال الجاحظ : أنت والدق سواء .

هٰرون بن على المنجم :

سقى الله أياما لنــا ولياليــا ... مضين فلا يرجى لهن رجوع

إذ العيش صاف والأحبةُ جيرة ... جميعــا وإذْ كل الزمان ربيع

وإذ أنا أما للعواذل فى الصبــا ... فعـــاصٍ وأما للهوى فمطيع

قال الصاحب ابن عباد : هذا الشعر إن أردت كان أعرابيا فى شملته ، وإن أردت كان عراقيا فى حلته . انتهى .

كشاجم :

ما لذة أكملُ فى طيبها ... من قبلة فى إثْرها عضّه

خالستُها بالكره من شادن ... يعشق فيه بعضُه بعضَه

لبعضهم :

وُدُّه ودٌّ صحيح ... وهو عنى متغاضى

فهو فى الظاهر غضبا ... نٌ وفى الباطن راضى

قدماء الحكماء : على أن للحيوانات نفوسا ناطقة مجردة ، وهو مذهب الشيخ المقتول . وقد صرّح الشيخ الرئيس فى جواب أسئلة بهمينار : بأن الفرق بين الإنسان والحيوانات فى هذا الحكم مشكل . وقال القيصرى فى شرح فصوص الحكم : ما قاله المتأخرون من أن المراد بالنطق هو إدراك الكليات لا التكلم ، مع كونه مخالفا لوضع اللغة لا يفيدهم ؛ لأنه موقوف على أن النفس الناطقة المجردة ، للإنسان فقط ، ولا دليل لهم على ذلك ، ولا شعور لهم بأن الحيوانات ليس لهــا

إدراك الكليات ، والجهل بالشيء لا ينافي وجوده ، وإمعان النظر فيما يصدر عنها من العجائب يوجب أن يكون لها أيضا كليات . انتهى كلامه .

ولا يخفى أن كلام القيصري يعطي أن مراد المتقدمين بالنطق هو المعنى اللغوي ، وبذلك صرح الشيخ الرئيس في أول كتابه الموسوم بدانش نامه علائي ، كما نقله الفاضل الميبدي في شرح الديوان .

قال السيد الشريف في حواشي شرح التجريد : إن قلت : فما تقول فيمن يرى أن الوجود مع كونه عين الواجب غيرُ قابل للتجريد والانقسام ، قد انبسط على هيا كل الموجودات وظهر فيها فلا يخلو عنه شيء من الأشياء ، بل هو حقيقتها وعينها ، وإنما امتازت وتميزت بتقيدات وتعينات وتشخصات اعتبارية ، ويمثل ذلك بالبحر وظهوره في صور الأمواج المتكثرة ، مع أنه ليس هناك إلا حقيقة البحر فقط . قلت : هذا طور العقل لا يتوصل إليه إلا بالمجاهدات الكشفية دون المناظرات العقلية . وكل ميسر لما خلق له .

لبعضهم :

أنت في الأربعين مثلك في العشرين قل لي متى يكون الفلاح .

نور الأنوار محيط بجميع الأرواح والأشباح ، ولا تخلو منه ذرة من ذرات الأرضين والسموات ، « ألا إنه بكل شيء محيط ... ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ... فأينما تولوا فثم وجهُ الله ... وهو معكم أينما كنتم ... ونحن أقرب إليه منكم ... ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

قال أرسطو في كتابه الموسوم باولوجيا : إن من وراء هذا العالم سماء ، وأرضا ، وبحرا ، ونباتا ، وناسا سماويين وكل من ذلك العالم سماوي وليس هناك شيء ، والروحانيون الذين هناك ملائمون للإنس الذين هناك ، لا ينفر بعضهم عن بعض ،

وكل واحد لا ينافى صاحبه ولا يضاره ، بل يستريح إليه .

بعض الحكماء على أن الفلزات المنطرقة أنواع مندرجة تحت جنس، وصيرورةُ نوع نوعا آخر محال عنده . وأصحاب الكيمياء وبعض الحكماء على أن الأجساد المذكورة إنما هى أصناف مندرجة تحت نوع واحد والذهب كالإنسان الصحيح، وبقية الأجساد ناس مرضى دواؤهم الإكسير .

قال بعض المحققين : وعلى تقدير تسليم كونها أنواعا لا يلزم استحالة الانقلاب، فإنا نشاهد صيرورة النواة عقربا . والشيخ الرئيس بعد ما تصدى لإبطال الكيمياء فى كتاب الشفاء ألف فى صحتها رسالة سمّاها « حقائق الإشهاد » .

شكى رجل خلته، فقال له بعض العارفين: أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟

دخل الإمام الحسن بن على عليهما السلام على عليل فقال : إن الله تعالى قد آتاك فاشكره ، وذكرك فاذكره .

اعتل جعفرُ بن محمد الصادق فقال : اللهم اجعله أدبا ، ولا تجعله غضبا .

قيل : العلة تحمل على الأجمال ، والعافية تحمل على النمال[1] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم على النبى صلى الله عليه وسلم قوم فقالوا : إن فلانا صائم الدهر ، قائم الليل ، كثير الذكر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أيكم يكفيه طعامه وشرابه . فقالوا : كلنا . قال : كلكم خير منه .

قال بعض الحكماء : لا ينبغى لعاقل أن يجهد إلا فى إحدى خصال ثلاث . تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرّم .

ذكر الزهد عند الفضيل بن عياض فقال : هو حرفان فى كتاب الله تعالى : « لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

---

(١) النمال : جمع نملة .

ابن الرومى من أبيات :

رأيت الدهر يرفع كل وغد ويخفض كل ذى زنة شريفه

كمثل البحر يغرق فيه دُر ولا ينفكّ تطفو فيه جيفه

وكالميزان يخفِض كل واف ويرفع كلّ ذى زنة خفيفه

قال بعض الأماجد : مارددت أحدا عن حاجة إلا رأيت العزّ فى قفاه والذل فى وجهى .

وقف أعرابى على قوم يسألهم ، فقالوا من أنت ؟ فقال : إن سوء الاكتساب يمنعنى من الانتساب .

قال بعضهم : كان الناس يفعلون ولا يقولون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون.

من كلام بعض الحكماء : من لم يستوحش من ذل السؤال لم يأنف من لؤم الرد .

قال فى الكشاف فى تفسير سورة التطفيف : الضمير فى كالُوهم أو وزنوهم ضمير منصوب راجع إلى الناس ، وفيه وجهان : أن يراد كالُوا لهم أو وزنوا لهم ، فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال :

ولقد جنيتك أكمأ وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

والحريص يصيدك لا الجـــواد ، بمعنى جنيت لك ، ويصيد لك ، وأن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والمضاف هو المكيل أو الموزون ، ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين، لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد ، وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا، وإذا أعطوهم أخسروا . وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك : إذا أخـذوا من الناس استوفوا ، وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا ، وهو كلام متنافر ، لأن الحديث

واقع فى الفعل لا فى المباشر ، والتعلق فى إبطاله بخط المصحف وأن الألف التى تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك ، لأن خط المصحف لم يراع فى كثير منه حدُّ المصطلح عليه فى علم الخط . على أنى رأيت فى الكتب المخطوطة بأيدى الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة فى اللفظ والمعنى جميعا ؛ لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع ، وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها فى نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو ، فمن لم يثبتها قال المعنى كاف فى التفرقة بينهما . وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان ذلك: أي يجعلان الضميرين للمطففين ، ويقفان عند الواوين وقفة يبينان بها ما أرادوا .

لفظ خاتم فى قولنا: نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، يجوز فيه فتح التاء وكسرها ، والفتح بمعنى الزينة مأخوذ من الخاتم الذى هو زينة للابسه . والكسر اسم فاعل بمعنى الآخر . ذكر ذلك الكفعمى فى حواشى المصباح .

وفى الصحاح : الخاتم بكسر التاء وفتحها ، وخاتمة الشيء : آخره. ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقوله تعالى : « ختامه مسك » أى آخره ؛ لأن آخر ما يجدون رائحة المسك .

فى الكشاف : أن امرأة أيوب عليه السلام قالت له يوما : لو دعوت الله . فقال لها : كم كانت مدة الرخاء ، فقالت : ثمانين سنة ، فقال : أنا أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى .

[الحب القاتل]

حكى بعض الثقات قال : اجتزت فى بعض أسفاري حى بنى عُذرة فنزلت فى بعض بيوته فرأيت جارية قد ألبست من الجمال حلة الكمال ، فأعجبنى حسنها وكلامها ، فخرجت فى بعض الأيام أدور فى الحى ، وإذا أنا بشابّ حسن الوجه ،

عليه أثرُ الوجد ، أضعفَ من الهلال ، وأنحلَ من الخلال ، وهو يوقد نارا تحت قدر ، ويردد أبياتا ودموعه تجرى على خديه ، فما حفظت منه إلا قوله :

فلا عنكِ لى صبرٌ ولا فيك حيلة ولا منك لى بدٌّ ولا عنك مهرب
ولى ألفُ باب قد عرفت طريقها ولكن بلا قلب إلى أين أذهب
فلو كان لى قلبان عشت بواحد وأفردت قلبا فى هواك يعذّب

فسألت عن الشاب وشأنه، فقيل لى يهوى الجارية التى أنت نازل بيت أبيها، وهى محتجبة عنه منذ أعوام . قال : فرجعت إلى البيت وذكرت لها ما رأيت ، فقالت ذاك ابن عمى ، فقلت لها: يا هذه إن للضيف حرمة ، فنشدتك بالله إلا متعتيه بالنظر إليك فى يومك هذا ، فقالت : صلاح حاله فى أن لا يرانى . قال فحسبت أن امتناعها فتنة منها ، فما زلت أقسم حتى أظهرت القبول ، وهى متكرهة ، فلما قبلت ذلك منى قلت : انجزى الآن وعدك فداك أبى وأمى ، فقالت : تقدمنى فإنى ناهضة فى أثرك ، فأسرعت نحو الغلام وقلت : أبشر بحضور من تريد فإنها مقبلة نحوك الآن ، فبينا أنا أتكلم معه إذ خرجت من خبائها مقبلة تجر أذيالها ، وقد أثارت الريح غبار أقدامها حتى ستر الغبار شخصها، فقلت للشاب: هاهى قد أقبلت، فلما نظر إلى الغبار صعق وخر على النار لوجهه ، فما أقعدته إلا وقد أخذت النار من صدره ووجهه ، فرجعت الجارية وهى تقول : من لا يطيق غبار نعالنا كيف يطيق مطالعة جمالنا .

أقول : وما أشبه هذه القصة بقصة موسى عليه السلام « ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف ترانى. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

قيل لبعض العارفين : هل تعرف بلية لا يرحم من ابتلى بها، ونعمة لا يحسد

المنعم عليه بها ؟ قال : هى الفقر . ويقال إنه لما سمع بعض العارفين الكلام المشهور : نعمتان مكفورتان الصحة والأمن، قال: إن لهما ثالثا لا شكر عليه أصلا ، بخلاف الصحة والأمن فإنه قد يشكر عليهما . فقيل : وما هو ؟ فقال ذاك الفقر ، فإنه نعمة مكفورة من كل من أنعم عليه به ، إلا من عصمه الله .

[الوقت عند الصوفية]

الوقت فى اصطلاح الصوفية هى الحال الحاضرة التى يتصف السالك بها ، فإن كان مسرورا فالوقت مسرور ، وإن كان حزينا فالوقت حزين ، وهكذا قولهم : الصوفى ابن الوقت ، يريدون به ألّا يشتغل فى كل وقت إلا بمقتضياته من غير التفات إلى ماض ومستقبل

لبعضهم :

أديرت علينا بالمعارف قهوةٌ ... يطوف بها من جوهر العقل خمار
فلما شربناها بأفواه فهمنا ... أضاءت لنا منه شموس وأقمار
وكاشفنا حتى رأيناه جهرة ... بأبصار صدق لا تواريه أستار
فغبنا به عنا فنلنا مرادنا ... فلم يبق منا عند ذلك آثار

لبعضهم :

يا مالكا ليس لى سواه ... وكم له فى الورى سوائى
وليس لى عنه من بَراح ... فى العسر واليسر والرجاء
ظهرتَ للكل لست تخفى ... وأنت أخفى من الخفاء
وكل شىء أراك فيه ... بلا جدال ولا مراء
فمن يمينى وعن شمالى ... ومن أمامى ومن ورائى

* * *

مما ينسب إلى الشيخ العارف الشهروردى :

آيات قيامة الهوى لى ظهرت قبلى سترت وفى زمانى اشتهرت
هذى كبدى إذا السماء انفطرت شوقا وكواكب الدموع انتثرت

لبعضهم :

نحن فى عيشة الوصال المنيّه نجتلى الراح فى الكؤوس السنيه
قد لبسنا هياكل النور لما فارقتنا الهياكل البشريه

من كلام بعض العارفين : إن للعارف تحت كل لفظة نكتة ، وفى ضمن كل قصة حصة ، وفى أثناء كل إشارة بشارة ، وفى طى كل حكاية كناية ، ولذلك تراهم يستكثرون من الحكايات فى تضاعيف محاوراتهم ليأخذ كل من السامعين ما يصيبه ، ويحظى بما هو نصيبه، على حسب استعداده « قد علم كل أناس مشربهم » . وعلى هذا ورد : إن للقرآن ظهرا وبطنا ، إلى سبعة أبطن ، فلا يظن أن المراد بالقصص والحكايات التى هى واردة فى القرآن العزيز محض القصة والحكاية لا غير ؛ فإن كلام الحكيم يجل عن ذلك .

ومن كلامهم : إذا أعيد الحديث ذهب رونقه .

دخلت سودة بنت عمارة الهمدانيةُ على معاوية بعد موت أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفّين ، وآل أمره إلى أن قال : ما حاجتك ؟ فقالت إن الله مسائلك عن أمرنا ، وما افترض عليك من حقنا ، ولا زال يعدو علينا من قبلك من يسمو بمكانك ، ويبطش بسلطانك ، فيحصدنا حصد السنبل ، ويدوسنا دوس الحرمل ، يسومنا الخسف ، ويذيقنا الحيف . هذا بشر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا . ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فإن عزلته عنا شكرناك . وإلا كفرناك . فقال لها معاوية :

تهددين بقومك ، لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس ، فأديرك إليه فينفذ فيك حكمه ، فأطرقت سودة ساعة ثم قالت :

صلى الإله على روح تضمنها قبر فأصبح فيه العز مدفونا
قد حالف الحق لا يبغى به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية : من هذا ياسودة ؟ قالت والله هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، والله لقد جئته فى رجل قد كان ولى صدقاتنا ، فجار علينا ، فصادفته قائما يصلى ، فلما رآنى انفتل من صلاته ثم أقبل على بوجهه برفق ورأفة ، وتعطف وقال : ألك حاجة . قلت نعم ، فأخبرته ، فبكى ثم قال : اللهم أنت الشاهد على وعليهم إنى لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا بترك حقك ، ثم أخرج قطعة من جلد فكتب فيها « بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين » فإذا قرأت كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك من عملنا حتى يقدم من يقبضه منك والسلام . ثم دفع الرقعة إلى ، فوالله ما ختمها بطين ، ولا حزمها ، فجئت بالرقعة إلى صاحبه ، فانصرف عنا معزولا، فقال معاوية: اكتبوا لها ما تريد ، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية .

قيل لامرأة من الأعراب : من أين معاشكم ؟ فقالت : لو لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش .

خفف أعرابى صلاته فلاموه على ذلك ، فقال : إن الغريم كريم .

قال ابن السماك لبعض الصوفية : إن كان لباسكم هذا موافقا لسرائركم فقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم .

فى كتاب ما لا يحضره الفقيه : إن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه

خرج من الحمام ، فقال له رجل : طاب استحمامك ، فقال له : يالكم وما تصنع الاست ههنا ! قال . فطاب حمامك ، قال إذا طاب الحمام إذن فما راحة البدن . قال: طاب حميمك ، قال ويحك أما علمت أن الحميم هو العرق ، فقال كيف أقول ؟ قال قل : طاب ما طهر منك وطهر ما طاب .

قال بعض الأمراء لمعلم ابنه : علمه السباحة قبل الكتابة ، فإنه يجد من يكتب له ، ولا يجد من يسبح عنه .

كانت العرب إذا أوفدت وافدا قالوا له : إياك والهيبة فإنها الخيبة ، وعليك بالفرصة فإنها مزيلة للغصة .

هذا آخر المجلد الثالث من الكشكول .

وعلى هذه المجلدات الثلاثة اقتصرت النسخة الأميرية .

وقد وجدنا فى بعض نسخ الكشكول زيادة كبيرة تشتمل على المجلد الرابع والخامس ، فأحببنا إلحاقهما بنسختنا ، لتمتاز بهذه الزيادة عن النسخ التى طبعت فى مصر . وبذلك تكون نسختنا اشتملت على المجلدات الخمسة التى هى كل ما اشتملت عليه نسخ الكشكول المختلفة .

وكان المؤلف رحمه الله يعبر بكلمة المجلد عن الجزء . . وتبتدئ هذه الزيادة بالمجلد الرابع ، وتنتهى بنهاية المجلد الخامس الذى هو آخر الجزء الثانى من نسختنا .

المجلد الرابع من

الكشكول

لبهاء الدين العاملي

أول الزيادات التى عثرنا عليها
فى نسخ الكشكول ولم تطبع قبل

المجلد الرابع

من كشكول الشيخ بهاء الدين محمد العاملي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيد المرسلين ، وأشرف الأولين والآخرين ، صلوات الله وسلامه عليه وآله أجمعين ، في خطبة خطبها وهو على ناقته العضباء :

أيها الناس كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحق على غيرنا وجب ، وكأن الذي يشيّع من الأموات سَفْرٌ عما قليل إلينا راجعون ، نبوّئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلّدون بعدهم . وقد نسينا كل واعظة ، وأمِنّا كل جائحة، طوبى لمن أنفق ما اكتسب من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالف أهل الذلّة والمسكنة .

طوبى لمن ذلت نفسه ، وحسنت خليقته ، وصلحت سريرته ، وأمن الناس شرّه .

طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم تستهوه البدعة .

قيل لأعرابية : ما الذلّ ؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له . قيل وما الشرف ؟ قالت : عَقد المِنن في أعناق الرجال .

قيل لإياس القاضي : لا عيب فيك إلا أنك تعجل في القضاء من غير تروٍّ فيما تحكم به ، فرفع كفه وقال : كَمْ إصبعا؟ فقالوا خمسة،قال : عجلتم ، هلا قلتم واحد، اثنان، ثلاثة ، أربعة ، خمسة . فقالوا : لا نعد ما عرفناهُ ، فقال : أنا لا أؤخر ما تبيّن لي الحكم فيه .

قال رجل للأعمش : إنك تحب الدراهم ، فقال إنّما أحب الاستغناء عن السؤال .

* * *

من كلام بعض العارفين : الأخ الصالح خير لك من نفسك ؛ لأن النفس أمّارة بالسوء ، والأخ الصالح لا يأمرك إلا بالخير .

قيل لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام — وهو على بغلة له ، وهو فى بعض الحروب — : لو اتخذت الخيل ياأمير المؤمنين؟ فقال أناأ كرّ على من كرّ ولا أ كرّ على من فرّ ، فالبغلة تكفينى .

لما حضرت الحطيئةَ الوفاةُ قيل له : أوصنا ، قال : احملونى على حمار فإنه لم يمت عليه كريم ، فلعلى لا أموتُ ، ثم أنشد :

لكل جديد لذّة غير أننى وجدت جديد الموت غير لذيذ

من كلام الحكماء : إذا أردت أن تعذب عالماً فاقرن معه جاهلا .

غضب الرشيد على ثمامة بن الأبرش ، وكان فاضلًا ، فسلّمه إلى خادم له يقال له ياسر ، وكان الخادم يتفقده ويحسن إليه ، فسمعه ثمامة يوماً يقرأ « ويلٌ يومئذٍ للمكذَّبين » بفتح الذال ، فقال له ثمامة : ويحك ! إن المكذَّبين هم الأنبياء ، فقال الخادم : كان يقال إنك زنديق ، وما كنتُ أصدق ، أتشتم الأنبياء يا ثمامة. فتركه وهجره ، فلما رضى عنه الرشيد وردّه إلى مجلسه سأله يوما فى أثناء محادثة : ما أشد الأشياء ؟ فقال : عالم يجرى عليه حُكمُ جاهل .

قالت امرأة مالك بن دينار له فى أثناء مجادلته : يا مُرائِى ، فقال لها : لبيْك ، هذا اسم ما عرفنى به أحد منذ أربعين سنة إلّا أنت .

من كلام بعض الحكماء : الصديق نصيبُ الروح ، والقريب نصيب الجسم .

قيل لراعٍ عابد وُجِدت الذئابُ بين غنمه وهى لا تؤذيها : متى اصطلحت الذئاب مع غنمك ؟ قال : منذ اصطلح الراعى مع الله .

عن زين العابدين عليه السلام : الدنيا سُبات والآخرة يقظة ، ونحن بينهما أضغاث .

وفى ربيع الأبرار : يقال : إن من لا يعلم إلا فنًّا واحداً من العلم ينبغى أن يسمى خَصِى العلماء .

لبعضهم :

دافع الأيام بالتفكير فى يوم الممات
وارض عن عيشك بالكسرة والماء الفرات
فهى تكفيك وتغنى عن جميع الشهوات

فى ذم قوم :

قومٌ إذا اشتهرت للمرء بينهم فضيلةٌ جعلوها من رذائله
يُعنّفون على المعروف باذلَهُ ويقدحون به فى عقل فاعله

قال فى ربيع الأبرار : كان المعتصم ثامن خلفاء العباسيين ، وكان ملكه ثمان سنين وثمانية أشهر ، وكان له من الأولاد ثمانية ذكورا ، وثمانية إناثا ، وفتح ثمانية حصون ، وبنى ثمانية قصور ، وخلّف ثمانية آلاف درهم ، وثمانية آلاف دينار .

قيل للبهلول : أتعدّ مجانين بلدك ؟ قال : هذا شىء يطول ، ولكن أعد عقلاءه .

قال رجل لفيلسوف : إن فلانا عابك بكذا وكذا ، فقال الفيلسوف : لقد واجهتنى أنت بما استحى الرجلُ من استقبالى به .

***

قال بعض الزهاد : لولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا . وقال آخر ما غمنى إلّا طلوعُ الفجر .

سمع بعضهم بكاء على ميتٍ فقال : عجباً من قوم مسافرين يبكون على مسافر قد بلغ منزله .

قيل لواحد من الحكماء : هل تزوّجت ؟ قال : لو قدرت لطلقت نفسى .

اختصم رجلان فى مجلس المأمون فرفع أحدهما صوته ، فقال المأمون : يا هذا ، إنما الصواب فى الأَسَدِّ لا فى الأشدِّ .

من كلامهم : إذا أردت أن تفتضح فمر من لا يمتثل أمرك . .

أبو نواس :

واللّه واللّه وحق الهوى ... وهو يمين ليس يُرتاب

ما حطّك الواشون من رتبة ... عندى ولا ضرّك مُغتاب

كأنما أثنوا ولم يعلمـــوا ... عليك عندى بالذى عابوا

لبعضهم :

ولقد قصدتك حين جرّبتُ الورى ... فوجـدت مثلك فى الورى معدُوما

وكذا الليـــالى صيّرتنى سائلًا ... لا تجعلنّى ســـائِلا محروماً

كتب هشام بن عبد الملك إلى ملك الروم : من هشام أمير المؤمنين إلى الملك الطاغية . فكتب فى جوابه : ما كنت أظن أن الملوك يسب بعضها بعضاً ، وإلّا لكنت أكتب إليك : من ملك الروم إلى الملك المذمـــوم ، وهشام الأحول المشئوم .

لبعضهم :

وقالوا فى الهجاء عليك إثمٌ ... وليس الإثم إلا فى المديح

لأنى إن مدحتُ مدحتُ زوراً   وأهجو حين أهجو بالصّحيح

قال رجل لأبى العيناء : يا مخنث ، فقال وضرب لنا مثلًا ونسى خلقَهُ .

من كلامهم : الهدية ترد بلاء الدنيا ، والصدقة ترد بلاء الآخرة .

فلّس القاضى بمصر رجلا كثرت ديونه ، فأركبه حمارا وطوّف به فى البلد ليحترز الناس من معاملته بعد ذلك ، فلما أُنزل عن الحمار قال له صاحب الحمار : أدّ الكِراء ، فقال : ففيم كُنّا طول النهار يا أبله ؟ !

لكاتبه :

جاء البريدُ مبشرا   من بعد ما طال المدى
بالله خبّرنى بمـــا   قد قال جيران الحمى
يا أيّهـــا الساقى أدر   مفتاح أبواب الهنا
كأس المدام فإنّها   مشكاة أنوار الهدى
قد ذاب قلبى يابُنىْ   شوقاً إلى أهل الحمى
هـذا الربيعُ أتى أتى   يا شيخ قل حتى متى
فالقلب ضيّع رشده   ومن المواعظ ما اهتدى

[رأى الصوفية فى الجنّ]

الصوفية يقولون : إنّ الجنّ أرواح متجسدة فى أجرام لطيفة ، الغالب عليها النار والهواء ، كما أنّ الغالبَ على بدن الإنسان التراب والماء . وهم قادرون على التشكل بالأشكال المختلفة وخلع الصور، والدخول فى الصورة الأخرى ، ومزاولة الأعمال الخارجة عن طوق البشر ، وغذاؤهم الهواء المتكيّف برائحة الطعام . وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الاستنجاء بالعظام وقال : إنّها زاد إخوانكم الجن .

وقال الشيخ العارف الشيخ محيي الدين بن عربي فى الفتوحات : أخبرنى بعض المكاشفين أنه رأى الجنّ يأتون إلى العظم فيشمونه ثم يرجعون .

قيل لرجل : ما بلغ بك عشق فلانة ؟ فقال : وايمُ الله إنى كنت أرى القمر فى دارها أضوأ منه فى دار غيرها .

***

من دعاء أمّ الإسكندر للإسكندر : رزقك الله حظًّا يخدمك به ذوو العقول ، ولا رزقك عقلًا تخدم به ذوى الحظوظ .

قال أبو يزيد البسطامى : ليس الزاهد من لا يملك شيئاً ، إنما الزاهد من لا يملكه شىء .

قال أرسطو : العاقل يوافق العاقل ، وأمّا الجاهل فلا يوافق العاقلَ ولا الجاهل . كما أن الخط المستقيم ينطبق على المستقيم . وأما المعوجّ فلا ينطبق على المعوج ولا المستقيم .

بعث السلطان محمود إلى الخليفة القادر بالله يتهدّده بخراب بغداد ، وأن يحمل تراب بغداد على الفيلة إلى غزنة . فبعث إليه الخليفة كتاباً فيه « أ ل م » وليس فيه سوى ذلك ، فلم يدر السلطان ما معنى ذلك وتحيّر العلماء فى حلّ هذا الرمز ، وجمعوا كل سُورة فى القرآن فى أولها « ا ل م » فلم يكن فيها ما يناسب الجواب . وكان فى جملة الكتّاب شاب لا يُعبأ به فقال : إن أذن لى السلطان حللتُ الرمز ، فأذن له ، فقال ألم تتهدده بالفيلة ؟ قال نعم . قال قد كتب إليك : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » فاستحسن السلطان ذلك ، فقربه وأجازه . .

العرب تسمى المائة سنة من التاريخ حماراً ، وسُمى مروان بالحمار لأنه كان على رأس المائة من دولة بنى أمية .

وفى المحاضرات : أن المأمون مرّ متنكراً ، وإذا برجل يقول : قد سقط المأمون من عينى منذ قتل أخاه ، فبعث إليه بَدرةً وقال له : إن رأيت أن ترضى عنّى فعلتَ .

* * *

[لغويات]

قال ابن خالويه النحوى : من كلام العرب الذى غُلِّب فيه المؤنث على المذكر: تقول صمت عشراً ، ولا تقل عشرة ، مع أن الصوم لا يكون إلّا بالنهار وكذا تقول : سرت عشراً ، لا عشرة . . والنفس مؤنثة . وتقول ثلاثة أنفسٍ على لفظ الرجال ، ولا يقال ثلاث أنفس .

الباخرزى :

وطمعت منها بالوصال لأنّها ... تبنى الأمور على خلاف مرادى

قالت وقد فتّشت عنها كلّ من ... لاقيته من حاضرٍ أو بادى

أنا فى فؤادك فارم طرفك نحوه ... ترنى فقلت لهـا فأين فؤادى

قال بعض العلماء: حججت فى بعض السنين، فبينما أنا أطوف بالبيت إذا بأعرابى متوشح بجلد غزال ويقول :

أما تستحى ياربّ أنت خلقتنى ... أناجيك عريانا وأنت كريم ؟

قال وحججت فى العام القابل ، فرأيت الأعرابىّ وعليه ثياب وحشم وغلمان، فقلت له : أنت الذى رأيتك فى العام الماضى وأنت تنشد ذلك البيت !

فقال : نعم ، خدعت كريمًا فانخدع .

كان بعضهم فى أيام صغره ينشد أشدّ ورعاً منه أيام كبره . وقد أنشأ فى هذا المعنى يقول :

عصيتُ هوى نفسى صغيرا وعندما أتتنى الليالى بالمشيب وبالكبرْ
أطعت الهوى عكسَ القضية ليتنى خُلقت كبيراً ثم عدت إلى الصِّغرْ

من كتاب تعبير الرؤيا للكلبى : جاء رجل إلى الصادق عليه السلام وقال : رأيت أن فى بستانى كرْماً يحمل بطيخاً ، فقــال له : احفظ امرأتك لا تحمل من غيرك .

وأتاه رجل فقال : كنت فى سفر ، فرأيت كأن كبشين ينتطحان على فرج امرأتى ، وقد عزمت على طلاقها لمــا رأيت . فقال صلوات الله عليه : أمسك أهلك ، إنها لما سمعت بقرب قدومك أرادت نتفَ المكان ، فعالجته بالمقراض .

وجد بعض الأعراب رجلا مع أمه فقتلها، فقيل له: هلّا قتلت الرجل وتركت أمّك ؟ فقال : كنت أحتاج كل يوم إلى أن أقتل رجلًا .

شهد رجل عند ابن شبرمة ، فردّ شهادته وقال : بلغنى أن جارية غنّت ، فقلتَ لها أحسنتِ ، فقال: قلتُ ذلك حين ابتدأت أو حين سكتت؟ قال : حين سكتت، قال : إنّما استحسنتُ سكوتها أيّها القاضى ، فقبل شهادته .

قال أبو العيناء يوماً لبعض الصبيان : فى أىّ باب من أبواب النحو أنت ؟ قال : فى باب الفاعل والمفعول به . فقال : أنت فى باب أبويك إذن .

وقالت له فتاة يوما : يا أعمى ، فقال ما أستعين على قبح وجهك بشىء أنفع منه .

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين علىّ صلوات الله عليه :

يعيبُ الرّجال زماناً مضى وما لزمان مضى من غيرْ
فقل للّذى ذمّ صرف الزمان ظلمتَ الزمان فَذُمّ البشر

كانت علية بنت المهدى أختُ هارون الرشيد من أجمل الناس وأظرفهم ،

وأعقلهم . وأشعرهم ، وأمهرهم في صناعة الموسيقى والألحان . وكانت عفيفة ، حسنة الدين ، لا تغنّي ولا تشرب إلّا أيام اعتزالها الصّلاة . فإذا طهُرت لازمت الصّلاة ، وتلاوة القرآن . ومن كلامها : ما حرّم الله تعالى شيئاً إلا وجعل فيما حلّل عوضاً عنه ، فبأي شيء يحتج عاصيه . وهي التي كانت تهوى غلاماً للرشيد وحكايتها فيه مشهورة . وقد أوردتّها في المجلد الأول من الكشكول ، وفي أولها أبيات رائعة فمن ذلك قولها :

وُضع الحبُّ على الجور فلو ... أنصف المعشوق فيه لسمجْ

ليس يُستحسن في فنّ الهوى ... عاشقٌ يُحسِن تأليفَ الحججْ

للرشيد في جواريه الثلاث :

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِناني ... وحلَلْن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البريّة كلُّها ... وأُطيعُهن وهنّ في عصياني

ما ذاك إلّا حكمُ سلطان الهوى ... وبه غلبن أعزّ من سلطاني

مما قاله أمير المؤمنين على في مرثيّة النبي صلى الله عليه وسلم :

كنتَ السوادَ لناظري ... فبكى عليك الناظرُ

من شاء بعدك فليمُتْ ... فعليك كنتُ أحاذرُ

قالت امرأة بعض الأجواد لزوجها : أما ترى أصحابَك إذا أيسرت لزموك ، إذا أعسرت رفضوك . فقال هذا من كرم نفوسهم ، يأتُوننا في حال القوة منّا على الإحسان إليهم ، ويتركوننا في حال الضّعف عنهم .

وفد بعض الشعراء على زُبيدة فقال في مدحها :

أزبيدةُ ابنةُ جعفرٍ ... طوبى لزائرك المثاب

تعطيه من رجليك ما ... تعطي الأكفُّ من الرغاب

فوثب الخدم لضربه ، فقال : كفّوا عنه ، فما قصد ما فهمتموه ، إنه لما رأى الناس يقولون شِمال فلان أندى من كل يمين ، أراد أن ينسج على هذا المنوال .

ومن شعر السهروردى :

وكم قلت للقوم أنتم على شَفا حفرة من كتاب الشفا
فلما استهانوا بتوبيخنا فزعنا إلى الله حتى كفى
فماتوا على دين رسطاليس ومتنا على ملّة المصطفى

قيل لأعرابى على مائدة بعض الخلفاء ـ وقد حضر فالوذج وهو يأكل منه ـ يا هذا ، إنه لم يشبع منه أحد إلّا مات ، فأمسك يده ساعة ، ثم ضرب بالخمس وقال : استوصوا بعيالى خيراً .

حكى الأصمعى قال : نزلت فى بعض الأحياء ، فنظرتُ إلى قطع من القديد منظومة فى خيط ، فأخذت فى أكلها ، فلمّا استوفيتها أقبلت المرأة صاحبة الخباء وقالت : أين ما كان فى الخيط ؟ فقلت : أكلته ، فقالت : ليس هـذا مما يؤكل ، إننى امرأةٌ أخفض الجوارى ، وكلما خفضت جارية علقت خفضتها فى هذا الخيط .

***

كان الجاحظ قبيح الصُّورة جداً ، حتى قال الشاعر فيه :

لو يُمسخ الخنزيرُ مسخاً ثانياً ما كان إلّا دون قبح الجاحظ

قال يوماً لتلامذته : ما أخجلنى إلا امرأة أتت بى إلى صائغ ، فقالت : مثلُ هذا ، فبقيت حائراً فى كلامها ، فلما ذهبت سألت الصائغ ، فقال : استعملتنى أن أصنع لها صورة جنى فقلت : لا أدرى كيف صورته ، فأتت بك .

جلس كسرى يوماً للمظالم ، فتقدم إليه رجل قصير وجعل يقول : أنا مظلومٌ وهو لا يلتفت إليه ، فقال الوزير : أنصف الرجل ، فقال : إن القصير لا يظلمه أحد . فقال : أصلح الله الملك ، إن الذى ظلمنى أقصر منّى .

قال حائك للأعمش: ما تقول فى الصلاة خلف الحائك؟ قال : لا بأس بها على غير وضوء . قال : فما تقول فى شهادته ؟ قال : تقبل مع عدلين يشهدان معه .

لبعضهم :

والله والله وحقّ الهوى وعيشنا الماضى ووُدّى القديم
ما خطر السلوان فى خاطرى . أعوذ بالله السميع العليم

ولىَ أعرابىٌ اليمن ، فجمع اليهودَ فقال : ما تقولون فى عيسى ؟ قالوا : قتلناه وصلبناه ، فقال : لا تخرجوا من السجن حتى تؤدّوا ديته .

عزم الحجاج على قتل رجل فهرب واستخفى منه، ثم جاء إليه بعد أيام وقال : أيها الأمير اضرب عنقى ، فقال له الحجاج : وكيف جئت؟ قال : أصلح الله الأمير، إنّى أرى كل ليلة أنك قتلتنى ، فأردت أن أقتل مرة واحدة ، فعفا عنه .

لمّا خرج سقراط ليُقتل بكت زوجته ، فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : لأنك تقتل مظلوماً ، فقال : يا هذه ، أو كنت تحبين أن أقتل ظالماً ؟

لغز فى باب :

ما اسمٌ إذا عكستَه فعكسُه كطرده
يُباع لكن حفظ ما لِ المشترى فى ردّه

فى المكارم : أن النّبي صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذرّ: إن أكثر من يدخل النار المتكبرون ، فقال رجل وهل ينجو من الكِبْر أحد يا رسول الله ؟ قال : نعم ، من لبس الصوف ، وركب الحمار ، وحلب النّعم ، وجالسَ المساكين .

قيل لبعض العباد ـ وكان شيخا هرما ـ : يا شيخ هل بقى منك ما تحب له الحياة ؟ فقال نعم : الإنابة إلى الله ، والبكاء من الذنوب السّوالف .

وجد مكتوباً على صخرة فى جبال بيت المقدس : كُلّ عاصٍ مستوحشٌ ، وكلّ طائع مُستأنسٌ ، وكل قانعٍ عزيزٌ ، وكُلّ حريصٍ ذليلٌ .

فى كتاب الرّوضة عن الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليهما أنّه قال : إنّ الله ليحْفظ من يحفظ صديق أبيه .

كان أبو القيس يهوى جارية وكانت مولعة بهجره وتعذيبه حتى أدنف وأشرف على التلف ، فلما احتضر بلغها ذلك، فأتت إليه ، وأخذت بعضادتى الباب وقالت : كيف حالك ؟ فلما رآها وسمع كلامها أنشد :

ولمـا رأتنى فى السياق تعطفت ... علىّ وعندى من تعطفها شغل

أتت وحياض الموت بينى وبينها ... وجادت بِوصْل حين لا ينفع الوصلُ

ثم وضع رأسه على قدميها ، ومات ، رحمه الله تعالى .

كان رجل جاراً لفيروز الديلمى، فأراد بيع داره لدين ركبه، فلما سامها وأحضر المشترى الثمن قال البائع : هذا ثمنُ الدار ، فأين ثمن الجار ؟ فقال نعم ، جوار فيروز يباع بأضعاف ثمن الدار. فلما بلغ ذلك فيروز بعث إليه ضعف ثمن الدار وقال: بعها على نفسك بورك لك فيها .

نجد بالتجربة أن الأرض فى الصيف حارة الظاهر باردة الباطن ، وفى الشتاء بالعكس ولذا كانت مياهُ العُيون والآبار حارةً فى الشتاء باردةً فى الصيف ؛ لأن الحرارة والبرودة يهرب كل منهما عن الآخر، فإذا استولى الحرّ على ظاهر الأرض هرب البرد إلى باطنها ، وبالعكس .

على بن الجهم :

وارحمتاه للغريب فى البلد النـــــازح ماذا بنفسه صنعـــــا

فارق أحبابه فـــا انتفعوا ... بالعيش من بعده وما انتفعا

من كلام بعض الأعراب : الصبر مرٌّ لا يتجرّعه إلّا حرّ .

ومن كلامهم : الصبر على ما تحب أشدّ على النفس من الصبر على ما تكره .

ومن كلامهم : كن حُلوَ الصبر عند مرارة النازلة .

* * *

قال كسرى لبزرجمهر : ما علامة الظفر بالأمور المطلوبة المستعصية ؟ قال : ملازمة الطلب ، والمحافظة على الصبر ، وكتمان السر .

لبعضهم :

وإذا تكامل للفتى من عُمره   خمسون وهو إلى التُّقى لا يجنح

عكفت عليه المحزناتُ فما لهُ   متأخَّرٌ عنها ولا متزحزَح

وإذا رأى الشيطان صورة وجهه   حَيَّا وقال فديتُ من لا يُفلح

قيل لابن المهلَّب : مالك لا تبنى لك فى البصرة داراً ؟ فقال : أنا لا أدخلها إلّا أميراً أو أسيراً ، فإن كنت أسيراً فالسجن دارى ، وإن كنتُ أميراً فدار الإمارة دارى .

قال طاوُس : رأيت رجلا يصلّى فى المسجد الحرام تحت الميزاب ، وهو يدعو ويبكى ، فجئته وقد فرغ من الصلاة فإذا هو علىٌّ بن الحسين صلوات الله عليه ، فقلت : يابن رسول الله رأيتك على حالة كذا وكذا ، ولك ثلاثة ، أرجو أن يؤمنك من الخوف أحدها : أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، والثانى شفاعة جدك ، والثالث رحمة الله . فقال : يا طاوس ، أمّا أنى ابن رسول الله ، فلا تؤمننى ، وقد سمعت الله يقول : « فلا أنساب بينهم يومئذ » وأمّا شفاعة جدى فلا تؤمننى ؛ لأن الله تعالى يقول « ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى » . وأمّا رحمة الله فإن الله تعالى يقول : « إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين » ولا أعلم أنى محسنٌ .

السموأل بن عاديا :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها : إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
وإنا لقوم لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد في فراشه ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل
إذا مات منا سيد قام سيد قئول بما قال الكرام فعول
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
وما أخمدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول
معودة ألا تسل نصالها فتغمد حتى يستباح قبيل

* * *

من كلام المعلم الأول أرسطو : الإنسان حقير بالجثة عظيم بالحكمة ، شريف بالعقل . والعقل أعظم وأعلى من سائر المخلوقات .

الشيخ المقتول : هو أبو الفتح شهاب الدين يحيى ، ابن أخت الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وكان مرتاضاً سياحاً ، أعزه الملك الظاهر فحسده فقهاء حلب ، وأفتوا بقتله فقتل سنة ٥٨٦ .

اختلفوا في أن الإنسان هل يمكنه تغيير خلقه أم لا ، فالغزالي في الإحياء

والمحقق الطوسي في الأخلاق على الأول ، ويعضده قول النبي صلى الله عليه وآله « حسّنوا أخلاقكم » وبعض الأكابر على الثاني ، وعليه قول بعضهم :

لكل داء دواء يُستطبُّ به إلا الحماقة أعيت من يُداويها

وفي الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

وكل جراحة فلها دواء وسوء الخُلْق ليس له دواء

تظلم أهل الكوفة عند المأمون من والٍ كان عليهم ، فقال المأمون: كفّوا فلا أعلم أعدلَ منه في عُمالي ولا أقوم ، فقال المتظلم : إذا كان هذا الوصف ، فاجعل لكل بلد فيه نصيباً ليستووا في العدل ، فضحك المأمون وعزله .

إذا أنت لم تطرَبْ ولم تدرِ ما الهوى فكن حجراً يابس الصخر جلمدا

بعض الشعراء في عاملٍ يقال له أبو عليّ طالت مدّة ولايته :

وقالوا العدلُ للعمالِ حيضٌ لحاه الله من حيضٍ بغيض

فإن يك هكذا فأبو عليّ من اللائي يئسنَ من المحيض

قال بعض الحكماء: إذا وُلِّيت ولايةً ، فإياك أن تستعين في ولايتك بأقربائك ، فتبتلى بما ابتلي به عثمان بن عفان ، واقض حقوقهم بالمال لا بالولاية .

قال المنصور العباسي لجنده : صدق القائل : أجع كلبك يتبعْك ، فقال بعض الجند : نعم ولكن ربما يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .

زعمت العرب أن من ضل في مفازة فنزع ثوبه ولبسه مقلوباً اهتدى إلى الطريق .

من كلام أنو شروان :

حصّن البلد بالعدل، فهو سور لا يغرقه ماء، ولا تحرقه نار، ولا يهدمه منجنيق.

والمحقق الطوسى فى الأخلاق على الأول ، ويعضده قول النبى صلى الله عليه وآله « حسّنوا أخلاقكم » وبعض الأكابر على الثانى ، وعليه قول بعضهم :

لكل داء دواء يُستطبُّ به   إلا الحماقة أعيت من يُداويها

وفى الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام :

وكل جراحة فلها دواء   وسوء الخُلق ليس له دواء

تظلم أهل الكوفة عند المأمون من وال كان عليهم، فقال المأمون: كفّوا فلا أعلم أعدلَ منه فى عُمالى ولا أقوَم ، فقال المتظلم : إذا كان هذا الوصف ، فاجعل لكل بلد فيه نصيباً ليستووا فى العدل ، فضحك المأمون وعزله.

إذا أنت لم تطرَبْ ولم تدرِ ما الهوى   فكن حجراً يابس الصخر جلمدا

بعض الشعراء فى عاملٍ يقال له أبو علىّ طالت مدّة ولايته :

وقالوا العدلُ للعمالِ حيضٌ   لحاه الله من حيضٍ بغيض

فإن يك هكذا فأبو علىّ   من اللائى يئسنَ من المحيض

قال بعض الحكماء: إذا وُلّيت ولايةً ، فإياك أن تستعين فى ولايتك بأقربائك ، فتبتلى بما ابتلى به عثمان بن عفان ، واقض حقوقهم بالمال لا بالولاية .

قال المنصور العباسى لجنده : صدق القائل : أجع كلبك يتبعْك ، فقال بعض الجند : نعم ولكن ربما يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك.

زعمت العرب أن من ضل فى مفازة فنزع ثوبه ولبسه مقلوباً اهتدى إلى الطريق .

من كلام أنوشروان :

حصّن البلد بالعدل، فهو سورٌ لا يغرقه ماء، ولا تحرقه نار، ولا يهدمه منجنيق.

لبعضهم :

ألا يا دولة السِّفَل — أطلتِ المكث فانتقلى

ويا رَيْبَ الزمان أفق — نقضت الشرط فى الدّول

كتب بعض العمال إلى والٍ ولّاهُ ولايةً يقال لها الشيز ، يستعفى منها ويطلب العزل :

ولايةُ الشيز عزلٌ — والعزلُ فيها ولايَهْ

فولّنى العزلَ عنها — إن كنتَ بى ذا عنايهْ

كان عبد الملك قبل ولايته ملازما للمسجد الحرام ، مواظبا على الصلاة وتلاوة القرآن ، حتى سمّوه حمامة المسجد . فلما جاء خبر ولايته كان المصحف فى حجره ، فوضعه وقال : هذا فراق بينى وبينك .

ابن عبد الجليل الأندلسى :

أتراه يترك العذلا — وعليه شبّ واكتهلا

علقٌ بالبيض ما علقت — نفسُه السلوان مذ عقلا

غير راض عن سجيّة مَن — ذاق طعمَ الحب ثم سلا

أيها اللُّوّامُ ويحكم — إنّ لى عن لومكم شغُلا

ثقُلت عن لومكم أذنِى — لم يجد فيه الهوى ثقلا

تسمع النجوى وإن خفيت — وهى ليست تسمع العذلا

نظرت عينى لشقوتها — نظراتٍ صادفت أجلا

غادةٌ لما مثُلت لها — تركتنى فى الهوى مثلا

أبطلَ الحقّ الذى بيدى — سحرُ عينَيها وما بطلا

حسبتْ أنى سأحرِقها — مذ رأت رأسى قد اشتعلا

يا سَراةَ الحيِّ مثلُكم يتلافى الحادثَ الجللا
قد نزلنا فى جواركم فشكرنا ذلك النزلا
ثم واجهنا ظباءكم فلقينا الهول والوهلا

* * *

كان أمير المؤمنين عليه السلام يقذف بابنه محمد بن الحنفية فى المهالك، ويقدمه فى الحروب، ولا يسمح فى ذلك بالحسن والحسين عليهما السلام، حتى إنه كان يقول: هو ولدى، وهما أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقيل لمحمد: كيف يسمح بك أبوك فى الحروب ويبخل بهما؟ فقال أنا يمينه، وهما عيناه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه.

قال كميل بن زياد: سألتُ مولاى أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ما الحقيقة؟ فقال: مالك والحقيقة! قلت: أولستُ صاحبَ سِرِّك؟ قال: بلى، قلت: ومثلك يخيّب سائلًا؟ فقال: الحقيقة كشف سُبحات الجلال من غير إشارة. قلت: زدنى بيانًا، فقال: محوُ الرُّسُوم مع صحو المعلوم. قلت زدنى بيانًا، قال نورٌ يشرق مع صبح الأزل، فتلوح على هياكل التوحيد آثاره، قلت زدنى بيانًا، فقال: أطفىء السراجَ فقد طلع الصُّبْح.

أهدى بعضهم موسى لمن يدعى موسى وكتب معه، وفيه تورية:

بعثتُ إلى موسى بموسى هديّةً ولم يحْظَ فى التأليف بينهما العبد
فهذا له حدٌّ ولا نصْل عنده وذاك له نصل وليس له حدّ

ذو الرمة:

وقفتُ على ربع لمية ناقتى وما زلتُ أبكى عنده وأخاطبُهْ
وأسقيه حتى كاد مما أبثّه تكلّمُنى أحجارُه وملاعبُه

الباخرزى :

يوم دعانا إلى حث الكؤوس به ثلجٌ سقيطٌ وغيمٌ غير مُنجاب
وأطنب البردُ حتى الشمسُ ماطلعت إلاّ مزمَّلةً فى فروِ سِنجاب

لبعضهم :

لقد ظلمَ القُمْرىَّ إذ ناح باكياً وليس له من مثل ماذقته ذَوق
فها أنا ذا شوقٌ ولا طوق لى به وها هو ذا طوقٌ وليس له شوق

لبعضهم :

وقالوا فى العزوبة ألف هَمّ فقلت لهم وفى التزويج أيضاً
فذا فى حيصَ بيصَ بغير أهل وذا فى أهله فى حيصَ بيصا

عاد بعضهم بعض العارفين فوجده مبتلًى بأمراضٍ عديدة وآلام شديدة، فقل له يسلّيه : ياهذا من لم يصبر على البلاء فليس صادقا فى دعوى المحبة. فقال العارف: ليس كما قلت ، ولـكن من لم يجد لذّة فى البلاء فليس صادقاً فى دعوى المحبّة .

قال بعض العـــارفين : إذا أُشرب القلبُ حبَّ الدنيـــا لم تنجع فيه كثرة المواعظ ، كما أنِ الجسد إذا استحكم فيه الدّاء لم ينجع فيه كثرة الدواء .

لبعضهم :

ربَّ ورقاءَ هتوفٍ بالضُّحى ذاتِ شجوٍ صدحت فى فنن
ذكرتْ إلفاً ودهراً ماضياً فبكت حُزناً فهاجتْ حزَنى
فبُكائى ربما أرَّقهـــا وبُكاها ربمـا أرَّقنى
قـــد أثارت فى فؤادى لهباً كاد لولا أدمعى يُحْرقنى
أتراها بالبـكا مولَعةً أم سقاها البينُ ما جرعنى

فمتى تُسعدنى أسعِدُها ومتى أسعِدها تُسعدنى
ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمُنى
غير أنى بالجوى أعرِفها وهى أيضاً بالجوى تعرفنى

***

سئل الصادق عليه السلام عن قوله : « إلّا من أتى الله بقلب سليم » قال : القلب السليم الذى يلقى ربّه وليس فيه أحدٌ سواه .

قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر : لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطِئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

قال الإمام في المباحث المشرقية : زعم بعض الحكماء أن السّبب فى حدوث الحوادث الجوية كالهالة وقوس قزح هو اتصالات فلكيّة وقوًى روحانيةٌ ، اقتضت وجودها ولا يكون من قبيل الخيالات . ثم قال : وهذا الوجه يؤيده أن أصحاب التجارب شهدوا بأن أمثال هذه الحوادث فى الجوّ تدلّ على حدوث حوادث فى الأرض ، ولولا أنّها موجودات مستندة إلى تلك الاتصالاتِ والأوضاع لم يستمر هذا الاستدلال .

من وصية النبي عليه السلام لأبى ذر : « يا أباذر ، إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك قبل سقمك ، ومن حياتك قبل موتك ، فإنك لا تدرى ما اسمك غداً ، يا أبا ذر ، كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك ، يا أباذر ، من طلب علماً ليصرف وجوه الناس إليه لم يجد ريح الجنّة ، يا أبا ذرّ ، لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر لمن عصيت ، يا أباذر ، دع ما لست منه فى شيء ، ولا تنطق فيما لا يعنيك ، واخزن لسانك كما تخزن ورِقك ، يا أبا ذر ، لو نظرت إلى الأجل ومسيره لأبغضتَ الأمل وغرُورَه » .

قال المنصور لبعض الخوارج وقد أُتى به أسيراً : عرّفنى أى أصحابى أشدّ إقداماً فى الحرب؟ فقال : إنى لا أعرفهم بوجُوههم، فإنى لم أر فى الحرب إلا قفاهم .

لبعضهم :

خذ الوقت أخذ اللّص واسرقه واختلس　　فوائدَه بالطيب أو بالتطايُب
ولا تتعلّل بالأمانى فإنّهـــا　　عطايا أحاديثِ النفُوسِ الكواذبِ

لمـا أسرت أمُّ علقمة الخارجيّةُ وأتى بها إلى الحجاج ، وكان قد وقع بينها وبين الحجاج حروبٌ شديدة ، فقال لها : يا عدوةَ الله ، تخبطين الناس بسيفك خبط عشواء ؟ فقالت : ويحك ، أعلىّ تُرعدُ وتُبرقُ ولقد خفتُ اللهَ خوفاً صيرك فى عينى أصغر من ذباب ، وكانت منكّسة ، فقال : ارفعى رأسَك وانظرى إلىّ ، قالت : أكره النَّظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فقال : يا أهل الشام ما تقولون فى دمها ؟ فقالوا جميعاً : حلال أيّها الأمير ، فقالت : ويحك ، لقد كان جلساء أخيك فرعون خيراً من جلسائك حيث استشارهم فى موسى وهرون ، فقالُوا « أرجه وأخاهُ » وهؤلاء الفسقةُ أمروا بقتلى ، فأمر بها فقتلت .

سأل شقيق البلخى رجلا : كيف يفعل فقراؤكم ؟ قال : إن وجدوا أكلوا ، وإن فقدوا صبروا . قال : هكذا كلاب بلخ . قال : فأنتم؟ قال: إن وجدنا آثرنا ، وإن فقدنا شكرنا .

أكل أعرابى مع معاوية ، وجعل يمزق جدياً على الخوان تمزيقاً عنيفاً ، ويأكله أكلاً ذريعاً ، فقال له معاوية : إنك تمزقه كأن أمّه نطحتك ؟ فقال : وإنّك تشفق عليه كأنّ أمّهُ أرضعتك .

مرت أعرابية بقوم يشربون ، فسقوها ، فلما شربت أقداحاً وجدت خفة وطرباً ، فقالت : أيشرب نساؤكم فى العراق من هـــذا ؟ فقالوا ربما شربن ،

فقالت : فما يدرى أحدكم من أبوه ، زنين إذَنْ وربِّ الكعبة .

لبعضهم :

مهفهف القدِّ هضمُ الحشا يكادُ ينقدُّ من اللين
كأن فى أجفانه منتضى سيفَ علىٍّ يومَ صفينِ

لبعضهم :

غَنينا بنا عن كل من لا يريدنا وإن كثرت أوصافُه ونعوته
ومن صدَّ عنا حسبهُ الصدُّ والقِلا ومن فاتنا يكفيه أنّا نفوتُه

لبعضهم :

قالت متى الظعنُ يا هذا فقلتُ لها إما غداً زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضّت على العُنّاب بالبرد

ابن المعلم من أبيات طويلة :

هو الحمَى ومغانيه مغانيه فاجلس وعانى خليلى ما نُعانيه
ما فى الصِّحاب أخو وَجدٍ نُطارحُه حديثَ وجدٍ ولا خلٌّ نجاريه
إليك عن كل قلب فى أماكنه ساهٍ وعن كلّ دمع فى مآقيه
ما واجبُ القلب فى المغنى كقاعده وجمدُ الدّمع فى المغنى كجاريه
نجدد الحبَّ والأشجانُ تُخلِقُه وننشر الدمع والأحزانُ تَطويه
ومُوجَعُ القلب إذ أسمعتهُ شَجَنى حاشاه حاشاه من قلبى وما فيه
لم أدر حين بدا والكأس فى يده من كأسه السُّكرُ من عينيه أم فيه
يَنأى ويقربُ والأيام تُبعده عن المتيَّم والأحلامُ تُدنيه
يا مالكا غيرُ ذُلّى ليس يُقنعه وفاتِكا غيرُ قتلى ليس يُرضيه

أهدى السلام تُحيِّي من قتلت أمَّى فيتُ الحبِّ محييه محيِّيه

سُوف – فى لغة اليونانيين – اسمٌ للعلم ، وأسطا اسم للغلط ، فسوفسطا : أى علم الغلط .

وفَيْلا : اسمٌ للمحبِّ ، ففيلسوف معناه محبّ العلم . ثم عُرِّب هذان اللفظان ، واشتق منهما السَّفسطة ، والفلسفة ، ونسب إليهما فقيل سوفسطائى وفلسفى . وكان الأولى سفسطى ، وفلسفى ، وسوفسطائىٌ ، وفيلسوفىّ .

قال رجل للحسن : ما أعظمك فى نفسك ! فقال : من قول الله تعالى : «ولله العزّةُ ولرسُولِهِ وللمؤمنين » .

قيل فى أصحاب الكشف :

لله تحت قِباب العز طائفةٌ أخفاهمُ فى لباس الفقر إجلالا

غُبْرٌ ملابسهم شمٌّ معاطسُهُم جرُّوا على فلك الأفلاك أذيالا

مثل لظهور آثار القدرة الإلٰهية فى جميع المخلوقات :

لا تقل دارُها بشرقىّ نجدٍ كل نجدٍ للعامرية دارُ

ولها منزلٌ على كل أرضٍ وعلى كلّ دِمْنَةٍ آثارُ

***

قصيدة عائشة بنت الباعونى تمدح بها الحبيب الأعظم ، صلى الله عليه وعلى آله وكرّم وعظّم :

سعدُ إن جئت ثنيّات اللِّوَى حىِّ عنى الحىَّ من آل لُؤَىْ

واجرِ ذكرى فإذا أصغوا له صف لهم ماقد جرى من مُقلتىْ

وبشرح الحال فانشر ماانطوى فى سقامٍ قد طوانى أىَّ طىّ

فى هوى أقمارِ تيمٍ نصبوا حسنَهم أشراك صيد للفتىْ

عربٌ في ربع قلبي نزلوا وأقاموا في السويدا من حشى
أطلقوا دمعي ولكن قيّدوا بهواهم عن سواهم سودّى
ذبت حتى كاد شخصي يختفي عن جليسي فكأنّي رسمُ فَيْ
وجنوبي قد تجافت مضجعي وجفوني قد تجافاها الكرى
قال لي الآسي وقد شفّ الضنى وتمادى الداء من فرط الهوى
لا شفا إلّا بترياق اللقا وبرشف الشهد من ذاك اللّمى
آهِ واحرّ غليلي في الهوى وبغير الرّاي مالي قطُّ ريْ
أترى هل يُسعفوني بالمنى قبل موتي وأرى ذاك المُحيّ
ما قلوني لا ولكن قد شوَوْا بالجفا والصدّ قلبي أيّ شيْ
وإذا هبّت صبا من نحوهم بلبلات لُبّي صباباتٌ لديْ
بان عُذري وغدا متّضحاً وكمال الحسن إحدى حُجّتي
غاض سُلواني فهل من رحمة هي أقصى القصد من آلِ قُصيْ
ولعمري كلّ حُسنٍ في الورى قاصرٌ عن حُسنِ جدِّ الحسنيْ
خيرِ مبعوث محت أنوارُه بصباح الرشد عنّا ليلَ غيْ
صاحبِ الجاه الذي لا يُحتمى بسواه يوم تُطوى الأرضُ طيْ
وبه أُسري إلى معرجه لاختصاص من ورا فهم النُّهى
وأراه الله من آياته ما أراه فكأيّ وكأيْ
وله كم معجزاتٌ ظهرت وتبدّى نورُها في كل حيْ

هذا آخر ما وقع عليه الاختيار من هذه القصيدة ، وفيها أبياتٌ رائقةٌ أخرى أوردت بعضها في المجلد الأول من الكشكول .

حسام الدين الحاجرى :

لمع البرق اليمانى فشجانى ما شجانى
ذكرُ دهرٍ وزمانٍ بالحمى أى زمان
يا وميض البرق هل ترجع أيامُ التدانى
وترى يجتمع الشمل فأحظى بالأمانى
أى سهم فوّق البين مصيباً فرمانى
أبعد الأحبابَ عنّى فأرانى ما أرانى
يا خليلىّ إذا لم تُسعدانى فذَرانى
هذه أطلال سعدى والحمى والعَلمان
أين أيام التّصابى وزمان العنفوان
والأمانى فى أمانٍ من صروف الحدثان

إسماعيل بن بشر :

بأبى غزالًا أسقم الجسمَ الصحيح وأنحله
قصُر النهارُ بوصله والهجر منه طوّله
فأجبته يا من عرفت به الصبابةَ والولَهْ
من كان قاضى نفسه فالحق فى يده وله

أظنه لابن المسلمى :

كلّما أنشد حاديهم وغنّى هام قلبى نحوهم شوقاً وحَنّ
وإذا فكّر قلبى فى الذى مرّ من أيامه هام وجُنّ
أترى عصر الصِّبَا أين مضى آهِ ما أحلى لياليه وأهنَى
يازمان البين لا كنتَ ولا كان قلبى إنه قلبٌ مُعنَّى

أى معنًى لحيـاتى بعدهم بعدهم واللهِ ماللعيش مَعنى
سادتى باللّه عُودونى ولو ساعة فالعمر قد قارب يَفنى
وارحَمُوا من قد مضت أيامه فى الترجّى والمنى خُسْراً وغُبْنا
بعتموه ثوبَ سقم وعَنًى وأخذتم قلبه فى البيع رهنـا
يتمنى القلب منكم نظرة آهِ من أين لقلبى ماتمنى
أيّها السائق إن جُزت على أثلات فى رُبى حُزوَى ولُبْنَى
فقل الصبُّ المعنّى بعدكم غيرَكم من دهره ما يتمنى
كل شىء بعدكم قد خانه وعليه كل شىء يتجنَّى
أبعدتنا عنكم أيدى النّوى فتفرقنا كأنا ما اجتمعنا

***

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

إذا أظمأتك أكف اللئـام كفتك القناعةُ شِبعاً ورِيا
فكن رجلًا رجلُه فى الثّرى وهامـــة همّته فى الثريا
أبيًّا بوجهكَ عن باخلٍ تراه بما فى يديه أبيا
فإن إراقةَ ماء الحيـــاةِ دون إراقة ماء المُحيّا

ومنه:

وفى قَبض كفّ الطفل عند ولاده دليل على الحرص المركب فى الحىِّ
وفى بسطها عند الممات مواعظٌ ألا فانظرونى قد خرجت بلا شىٍّ

حركة النبض عند الحكماء من مقولة الأين ، وعند بعضهم من مقولة الوضع وعند بعضهم من مقولة الكم ، والقول الأوسط أوسط الأقوال .

ولله در أبو نواس :

حامل الهوى تَعِب يستخفّه الطربُ

لا تَلمه فى ولهٍ ليس مابه لعِبُ

كلما انقضى سبب منكِ جاءه سببُ

تعجبين من سقمى صحتى هى العجب

قيل لبعض الحكماء : أتدّخر المال وأنت ابن سبعين سنة ، قال : يموت الرجل فيخلّف مالاً لعدوّه خيرٌ من أن يحتاج فى حياته لصديقه .

من كلامهم : إذا أثريت فكل رجلٍ رجُلُك ، وإذا افتقرت أنكرك أهلك .

قيل لأفلاطون : لم لا يجتمع العلم والمال ؟ فقال : لعزّ الكمال .

كان سقراط فقيراً ، فقال له بعض الملوك : ما أفقرك ؟ فقال أيّها الملك ، لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجّع لنفسك عن التوجّع لى .

عن محمد بن الحنفيّة قال : من كرُمت نفسُه عليه هانت الدنيا فى عينيه .

***

قال بعض الحكماء : لا تصحب من هو أغنى منك ، فإنك إن ساويته فى الإنفاق أضرّ بك ، وإن زاد عليك استذلّك .

لمّا مات حاتم أراد أخوه أن يتشبّه به ، فقالت أمّه : لا تتعبنّ ، فلن تناله ، قال : وما يمنعنى وهو أخى وشقيقى ؟ فقالت : إنّه كان كلّما أرضعته لا يرضى أن يرضع حتى آتيه بمن يشاركه فيرضع معه الثدى الآخر . وكنتَ إذا أرضعتُك ودخل رضيعٌ بكيتَ حتى يخرج .

قال النّظّام : مما يدلّ على لُؤْم الذّهب والفضة كثرتهما عند اللئام؛ لأن الشىء يصير إلى شكله .

قال الراغب فى المحاضرات : فرّق الإمام علىّ بن موسى الرّضا عليه السلام مذ كان بخراسان أمواله كلها فى يوم عرفة ، فقال له الفضل بن سهل : ما هذا المغرم ! فقال بل هو المغنم .

لبعضهم :

لو ضرط الموسرُ فى مجلسٍ　　قالوا له يرحمُك اللهُ

أو عطسَ المفلسُ فى مجلسٍ　　سُبَّ وقالوا له ماساهُ(١)

فضرطُ المفلسِ عرنينُهُ　　وعطسُ الموسر مفساهُ

الحكماء عندهم أن وجود العالم على هذا النظام خيرٌ محض ، وإيجاده كمالٌ تام . والواجب جلّ وعلا هو المبدأ الفيّاض ، والجواد المطلق فلا تنفكّ ذاته عن هذا الخير المحض والكمال التام ؛ لأنّ انفكاكها عنه نقصٌ ، وهو منزّهٌ عن النقائص : وهذا هو الذى دعاهم إلى القول بقدم العالَم .

والمتكلّمون يقولون : إنّه يصحّ منه إيجاد العالم وتركه ، وليس الإيجاد لازماً لذاته ، وهذا هو معنى القدرة والاختيار عند المتكلّمين . وأمّا كونه تعالى قادراً بمعنى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ، فهو متفق عليه بين الحكماء والمتكلمين ، ولا نزاع فيه بين العقلاء .

لبعضهم :

همُ رحلوا يوم الخميس عشيّةً　　فودّعتهم لما استقلّوا وودّعوا

---

(١) يعنى ما ساءه .

ولمّا تولوا ولّت النفسُ معهمُ ___ فقلت ارجعى قالت إلى أين أرجع

يُستغرب أن الصّاعقة تُذيب الذهب والفضّة فى الصرّة ، ولا تحرق الخرقة المصرُورين فيها . قال المحقق الشريف فى شرح المواقف قد أخبرنا أهــلُ التواتر بأن الصاعقة وقعت بشيراز على قبة الشيخ الـكبير أبى عبد الله بن خفيف ، فأذابت قنديلا فيها ولم تحرق شيئاً فيها . والسّبب فى ذلك : أن تلك النارَ لغاية لَطافتهـا تنفذُ فى المتخلّل ، وهى سريعة الحركة جدًّا ، فلا تبقى فيها حتى تذيبها . وأمّا الأجسامُ المندمجة فتنفذ فيها فى زمان أطول ، فتبقى فيها قدراً يعتدّ به فتذيبها .

جاء فاعلٌ فى القرآن بمعنى المفعول فى موضعين الأول قوله تعالى « لاعاصمَ » أى لا معصوم . والثانى فى قوله تعالى : « ماء دافق » أى مدفوق وجاء اسم المفعول بمعنى الفاعل فى ثلاثة مواضع : الأول قوله تعالى « حجاباً مستوراً » أى ساترا . والثانى قوله تعالى : « كان وعدُه مأتيا » أى آتيا . والثالث قوله تعالى : « جزاء موفوراً » أى وافراً .

قال الراغب فى المحاضرات : إن بقزوين قريةً أهلُها متناهون فى التشيع ، مر بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال : عمر ، فضربوه ضرباً شديداً . فقال : ليس اسمى عمر ، بل عمران ، فقالوا : هذا أشدّ من الأول ، فإنه عمر ، وفيـه حرفان من اسم عثمان ، فهو أحقّ بالضرب ، فضربوه أشدّ من الأول .

سئل يحيى بن معاذ عن حقيقة المحبة فقال : هى التى لا تزيد بالبرّ ولا تنقص بالجفاء .

قيل لبعض العارفين : ما الفرق بين المحبة والهوى فقال : الهوى يحل فى القلب ، والمحبة يحل فيها القلب .

محمد بن غالب :

أحسن إذا أحسن الزمان وصحّ منـه لك الضمان

بادر بإحسانك الليالى فليس من غـدرها أمان

قال بعض الأعراب لابن عباس : من يحاسب الناس يوم القيامة ؟ فقال : يحاسبهم الله تعالى ، فقال الأعرابى : نجونا إذاً ورب الكعبة . فقيل له وكيف ؟ فقال : إنّ الكريم لا يدقق فى الحساب .

سمع المأمون أبا العتاهية يقول :

وإنى لمحتاجٌ إلى ظلّ صاحب يروق ويصفو إن كدرتُ عليه

فقال المأمون : خذ منى الخلافة وأعطنى مثل هذا الصاحب .

قال رجل لبعض الناسكين : صف لنا التقوى ، فقال : إذا دخلت أرضاً فيها شوك كيف كنت تعمل ؟ فقال : أتوقى وأتحرّى ، قال : فافعل فى الدنيا كذلك ، فهى التقوى ، أخذه ابن المعتز فقال :

كن مثـل ماشٍ فوق أر ض الشوك تحذرُ ما ترى

لا تحقرنّ صغـيرة إن الجبالَ من الحصا

قال رجل لبعض الظرفاء : ابتلاك الله بحب فلانة ، وكانت قبيحة الشكل ، فقال : يا أحمق ، لو ابتليتُ بحبّها لكانت أحسن فى عينى من الحُور العين .

قال مالك بن دينار لراهب : عِظْنى ، فقال إن قدرت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً فافعل .

كان بعضهم يقول : اللّهم احفظنى من صديقى ، فقيل لهُ فى ذلك ، فقال : لأنى أتحرّز من العدّو ، ولا أقدر أن أتحرّز من الصديق .

قال فى الكشاف : قيل لإبراهيم بن أدهم : ما لنا ندعو ولا نجاب ؟ فقال :

لأنه دعاكم فلم تجيبوه ، ثم قرأ : والله يدعُو إلى دار السّلام » . « ويستجيب الذّين آمنو وعملوا الصالحات » .

سئل سقراط : ماسبب فرط نشاطك وقلة حزنك ؟ فقال : لأنى لا أقتنى ما إذا فقدته حزنت عليه .

***

لبعضهم :

كم تدّعى بطريق القوم معرفةً وأنت منقطعٌ والقوم قد وصلوا

فانهض إلى ذِروة العلياء مبتدراً عزماً لترقّى مكاناً دونه زُحل

فإن ظفرتَ به قد حزت مكرُمة بقاؤهـــا ببقاء الله متّصِلُ

وإن قضيت بهم وجداً فأحسنُ ما يقال عنك قضى من وجده الرّجل

من وصيّة للنبى صلى الله عليه وآله : إنّ النّور إذا وقع فى القلب انشرح وانفسح ، قيل يا رسول الله فهل لذلك علامة؟ فقال: نعم ، التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله .

ابن مسعود : من اشتاق إلى الجنّة نازع فى الخيرات ، ومن خاف النار ترك الشهوات . ومن ترقّب الموت زهد فى الدنيا وهانت عليه المُصيبات .

قال بعض العارفين : من استثقل سماع الحقّ كان للعمل به أشدّ استثقالا .

قيل لأعرابى : ما تقرأ فى فى صلاتك ؟ قال: هجو أبى لهب ونسبة الرّب،أى سورة الإخلاص .

خرج بعض ملوك الفرس يتصيّد ، فرأى فى طريقـــه أعورَ ، فأمر بضربه وحبسه تشاؤماً برؤيته ، واتفق أنه صاد صيداً كثيراً ، فلما عاد أمر بإطلاق الأعور ، فقال أيأذن لى الملك فى الـكلام ؟ قال : تـكلم ، قال : لقيتنى فضربتنى

وحبستنى ، ولقيتُك فاصطدتَ ورجعت سالماً ، فأيُّنا أشأم على صاحبه ؟ فضحك الملك وأمر له بجائزة .

قال رجلٌ لابن سيرين : رأيت كأنّ بيدى خاتماً ، وأنا أختم أفواه الرجال وفروج النساء . فقال : أمؤذن أنت ؟ قال : نعم ، قال: أنت تؤذن فى رمضان قبل طلوع الفجر فيمتنع الناس لأذانك .

وقال آخر : رأيت كأنّى أطأ مُصحفاً ، فقال له انفض خفّك ، فنفضه فكان فيه درهم ، فقال : هذا هو .

وقال له آخر : كأنّ عينى اليمنى دارت من قفاى فقابلت عينى اليسرى . فقال: ألك ولدان ؟ قال نعم . قال إنّ أحدهما يفجر بالآخر ، فلمّا استكشف كان كما قال.

قوله تعالى : « وكان تحته كنزٌ لهما » ذهب بعض المفسرين إلى أن الكنز لم يكن ذهباً ولا فضة ، ولكنه كان كتب العلم . وهذا القول نقله الزمخشرى فى الكشّاف ، والبيضاوى فى تفسيره .

وفى الكافى فى باب فضل اليقين عن الرّضا صلوات الله عليه ، قال : الكنز الذى قال الله عزّ وجلّ : « وكان تحته كنزٌ لهما » كان فيه: بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يركن إليها ، وينبغى لمن غفل عن الله أن لا يتهم الله فى قضائه ، ولا يستبطئه فى رزقه .

قال الراوى : قلتُ : جعلتُ فِداك ، أريد أن أكتبه ، قال فضرب والله إلى الدّواة ليضعها بين يدىّ ، فتناولت يده فقبّلتها ، وأخذت الدّواة فكتبته .

فى شرح النهج لابن أبى الحديد قال : انتبه معاوية فرأى عبد الله بن الزبير

جالساً تحت رجليه على سريره ، فقعد ، فقال له يداعبه : يا أمير المؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعلتُ ، فقال : لقد شجُعت بعدنا يا أبا بكر ، قال : وما الذى تنكره من شجاعتى وقد وقفت فى الصف إزاء علىّ بن أبى طالب ؟ قال : لاجرم أنه قتلك وإياى بيسرى يديه ، وبقيت اليمنى فارغةَ طالبة من يقتله بها .

الجنب يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر . والمؤنث ، صرح به صاحب الكشاف فى قوله تعالى : « ولا جُنباً إلّا عابرى سبيل » وعلّلهُ بأنه اسمٌ جرى مجرى المصدر الذى هو الاجتناب .

قيام العرض الواحد الشخصى بمحل منقسم بحيث ينقسم ذلك العرض بانقسامه ، ويوجد كل جزء من ذلك العرض فى كل جزء من ذلك المحل لا خلاف بينهم فى جوازه .

ذهب بعض الأطباء إلى أن شعر الميّت وظفره يطولان بعد الموت . قال العلامة فى شرح القانون : لا شك أنهما يطولان بعد الموت أزيد مما كانا .

وقال قوم : إنهما لا يطولان ، ولكن لما تحلل ما حولهما ظن أنهما طالا

على بن الجهم :

بلاء ليس يشبهه بلاء عَداوةُ غير ذى حسب ودين
أباحَك منه عِرضاً لم يصُنه ويرتع منك فى عِرض مصُون

العفيف التلمسانى :

سأل الرّبعَ عن ظباء المصلّى ما على الرّبع لو أجاب سؤالَهْ
ومُحال من المحيل جوابٌ غير أن الوقوفَ فيه علالَهْ
هذه سنّة المحبّين من قبـــلُ على كل منزل لا محالَهْ
يا دِيارَ الأحباب لا زالت الأد مُعُ فى قُرب ساحتيك مُذالَهْ

وتمشّى النّسيمُ وهو عليلٌ في مغانيكِ ساحباً أذيالَهُ

***

البهاء زهير :

تراكم قد بدت منكم أمورٌ ما عهدناها

نبشتم بيننا أشيا ء كنا قد طويناها

وعرّضتم بأقوال وما نجهل معناها

وقبّحتم بأفعال وحسّنتم مُسمّاهـا

وكم جاءت لنا عنكم حكاياتٌ رددناها

وأشياء رأيناها وقلنا ما رأيناها

دعُوا تلك المقالاتِ وإيّاكم وإيّاها

فلا واللهِ لا يحسُن بين الناس ذكراها

قرأنا سورة السلوا ن عنكم ودرسناها

وما زلتم بنا حتى خسرناها وفعلناها

فرجل تطلب السّعي إليكم قد قطعناها

وعينٌ تقتضي أن تراكم قد غضضناها

ونفسٌ كلّماَ اشتاقت للقياكم زجرناها

وكانت بيننا طرقٌ وها نحن سددناها

فلو أنكم جنّات عدن ما دخلناها

لبعضهم :

باللهِ قل لي خبَرَكْ فلي ثلاث لم أرَكْ

وناظري إلى الطريق لم يزل منتظِرَكْ

يا أيّها المعرض عن أحبابه ما أصبرك
بين جفونى والكرى مذ غبت عنى معترك
خذلت قلباً طالما على ظلما نصرك
كيف تغيّرت ومن هذا الذى قد غيّرك
قد كان لى صبر يطيـ ل الله فيه عمرك
وحاسدٍ قال وما أبقى لنا وما ترك
ما زال يسعى جهده يا ظبى حتى نفّرك

لما نصب الحجاج المنجنيق لرمى الكعبة جاءت صاعقة فأحرقت المنجنيق ، فتقاعد أصحابه عن الرمى ، فقال الحجاج : لا عليكم من ذلك ، فإن هذا كنارِ القربان دلّت على أن فعلكم متقبلٌ .

قال العلامة الكاشى فى الاصطلاحات : إن الاسم فى اصطلاحهم ليس هو اللفظ ، بل هو ذاتُ المسمّى باعتباره صفةً وجوديّة ، كالعليم والقدير ، أو سلبيّة كالقدوس والسّلام .

وفيه أن الدّبور صَولةُ داعيةهوى النفس واستيلاؤها ، شبّهت بريح الدّبور التى تأتى من جهة المغرب ؛ لانتسابها إلى جهة الطبيعة التى هى مغرب النّور ، ويقابلها القبول ، وهى الصبا التى تأتى من جهة المشرق وهى صولة داعية الروح واستيلاؤها ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « نصرت بالصبا وأهلكت عادٌ بالدّبور » .

فى عيون الأخبار أن الرضا عليه السلام سئل : ما بال المتهجّدين بالليل من أحسن الناس وجهاً ؟ فقال : لأنّهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره .

فى كتاب المعيشة : إن أبا عمرو الشيبانى رأى الصّادق عليه السلام وبيده مِسحات ، وعليه إزارٌ غليظ وهو يُعمِر فى حائطٍ له والعرق يتصبّب منه على ظهره ،

قال : فقلت : جُعلت فداك أعطنى أ كفِك ، فقال : إنى أحب أن يتأذى الرجل بحرّ الشمس فى طلب المعيشة .

* * *

[فى كشف الغمة]

إن القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، وفيه : السعيد من وجد فى نفسه خلوة يشتغل بها .

من كلام بعض العارفين : اخلُ بنفسك فى بيت الفكر وازجرها عما هى عليه ، فإن انزجرت ، وإلا فاخرج بها على عسكر الموتى ، أعنى القبور ، فإن لم ترعو فاضربها بسياط الجوع .

ومن كلامهم : لما انقشع غيم الغفلة عن عيون أهل اليقين ، لاح لهم هلالُ الهدى فى جنح اليقظة ، فبيّتوا نيّة الصوم عن الهوى .

من كلام لبعض الحكماء : استغناؤك عن الشىء خير من استغنائك به .

أشخص المنصور من الكوفة رجلا سُعى به أن عنده من ودائع بنى أميّة ، فقال : أوارث القوم أنت أو وصيهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنهم خانوا المسلمين وأنا القائم بأمورهم ، فقال الرجل : عليك بيّنة أنّ هذا من تلك الجنايات ، فقد كان لهم مال ، فأطرق المنصور ، ثم قال : خلوا سبيله ، فقال : والله ليس لهم عندى مال ، ولكن رأيت الاحتجاج أقرب إلى الخلاص ، وهذا الساعى عبد آبق منّى ، فأشهده المنصور ، فاعترف بالرّق ، فقال الرجل : أمّا إذا اعترف فهو فى حلّ مما اقترف .

لبّان يخلط اللبن بالماء ويبيعه ، فجاء سيلٌ فأخذ غنمه فاشتدّ لذلك جزعه ، فرآه بعض العارفين ، فقال : اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلًا .

لبعضهم : فى التوبة عن الشراب :

يقول القوم لى لمّا رأونى عفيفاً منذ عام ماشربتُ
على يد أىّ شيخ تبتَ ماذا فقلتُ على يد الإفلاس تبتُ

ابن الوردى فى المجون :

نمت وإبليس أتى بحيلة مُنتدبه
فقال ماقولك فى حشيشة منتخبه
فقلت لا ، قال ولا خمرةِ كرم مُذهبه
فقلت لا ، قال ولا مليحةٍ مطيَّبه
فقلت لا ، قال ولا آلةِ لهو مُطربه
فقلت لا ، قال فنم ما أنت إلّا حطبه

كان شقيق البلخى فى أول أمره ذا ثروة عظيمة ، وكان فى أول أمره كثيرَ الأسفار للتجارة ، فدخل سنة من السنين فى بلادِ الترك ، وهم عبدة أصنام ، فقال لعظيمهم : إن هذا الذى أنتم فيه باطل ، وإن لهذا الخلق خالقاً ليس كمثله شىء ، وهو رزّاق كل شىء ، فقال له : إن قولك هذا لا يوافق فعلك ، فقال شقيق : وكيف ذلك ؟ فقال : زعمت أنّ لك خالقا رازقا ، وقد تعنّيت فى السفر إلى هنا لطلب الرّزق ، فلما سمع شقيق منه هذا الكلام رجع وتصدّق بجميع ما يملكه ، ولازم العلماء والزهاد إلى أن مات رحمه الله .

لبعضهم يستدعى صديقا له :

ثِبْ إلى اللذّات فالعمر قصير وحياةُ المرء فى الدنيا غرور
لا تعِبْ بيت سرور عاجل كل ما أمكن فى الدنيا سرور

أسرع الخطوَ فهذا شادن وقيانٌ وخمور وزمور
كلمـــا دُرنا رأينا بيننـــا شادنا يشدو وكاسات تدور

* * *

لما ظهر أبو مسلم المروزى ، كتب نصر بن سيار والى خراسان إلى مراون الحمار بهذه الأبيات :

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها كلامُ
أقول من التعجب ليت شعرى أأيقاظ أميـــــةُ أم نيام
فإن يك قومُنا أضحوا نياما فقل قوموا فقد آن القيـام

ومن شعر أبى مسلم :

أدركتُ بالحزم والكتمان ماعجزت عنه ملوك بنى مروان إذ سمدوا
مازلت أسعى كميّا فى ديارهمُ والقوم فى ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربتُهم بالسّيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم أحـــد
ومن رعى غنما فى أرضٍ مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأســـد

فيمن اسمه عثمان وبيده شمعة :

وافى إلىّ بشمعتين ووجهُهُ بضيائه يزهو على القمرين
ناديتهُ بالاسم ياكلّ المنى فأجابنى عثمان ذو النورين

لبعضهم :

لا تمنعنّى إذ نظر تُ فلا أقل من النظر
دعْ مقلتى تنظرْ إليـــك فقد أضرّ بىَ السّفر

قال بعض الأدباء : الشاعر كالصيرفى ، يجتهد أن يروّج مافى كيسه من النقود.

كان الرشيد إذا قرب الصباح قال لضجيعه : قم بنا نتنسّم هواء الحياة قبل أن تُفتض عذرتُه ، وتكدّرَه أنفاس العامّة .

الهالة ، وقوس قزح ، وذوات الأذناب ، وسائر حوادث الجو كظهور الحمرة ، وانقضاض الكواكب العظيمة ، كلها تدل على حوادث فى هذا العالم[1] .

قال كاتب الأحرف : وقد رأيت فى ذلك الفن كتابا ضخما لبعض حكماء الإسلام أثبت فيه أحكاما لهذه الأشياء حتى بحدوث الزوابع .

قيل لسقراط : متى أثّرت فيك الحكمة ؟ فقال : منذ حقرت نفسى .

لما خص الله تعالى الإنسان بكرامته ، واصطفاه من بين الموجودات بخلافته ، كما قال سبحانه : « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » وجب عليه التخلق بأخلاقه ، والتشبه بأوصافه ، لأن الحكيم لا يستخلف السّفيه ، والعالم لا يستنيب الجاهل ، ولهذا قال النبى صلّى الله عليه وسلم : « تخلّقوا بأخلاق الله » .

العلم مقرون بالعمل ، والعلم يهتف بالعمل ، فإنْ أجابه وإلّا ارتحل .

ابن نباتة :

قلبى وما قُضيتْ منكم لُباناتُ　　مُتيّمٌ عبثت فيــــه الصّباباتُ

ما فاض من جفنه يوم الفراق دمٌ　　إلا وفى قلبه منكم جراحاتُ

---

(١) الهالة : دائرة حول الشمس أو القمر ، وقوس قزح معروف ، وذوات الأذناب : نجوم للواحد منها ذنب يرى ممدودا وراءه فى طول مترين تقريبا . ومازال سكان البادية فى طرابلس الغرب يستدلون بالهالة التى تكون حول الشمس أو القمر على قرب نزول المطر ، أو هبوب الرياح العاصفة . وإذا كانت الهالة غير تامة الاستدارة فإذا كانت فتحتها إلى جهة المشرق دلت على غير ماتدل عليه إذا كانت إلى جهة المغرب .

ويستدلون بالمذنبات على شؤم السنة ومايقع فيها من حروب ، وعلى بركتها ومايقع فيها من خصب ويفرقون بين مطالعها ، فإذا رأوها طالعة من المشرق دلت على غير ماتدل عليه إذا طلعت من المغرب ويرجعون فى هذا إلى التجارب . ويظهر أن للطيرة والتفاؤل دخلا كبيرا فى هذه التجارب .

حبا بنا كل عضو فى محبتكم كليمُ وجد فهل للوصل ميقاتُ
سقيا لتلك اللييلات التى سلفت فإنما العمر هاتيك اللييلاتُ

لآخر :

قتلى هواك هم الأحياء لا ماتوا يامن عوارضه كالمسك لاماتُ
وثغرك الباسم المفترُّ عن حبب تدور منه على الندمان كاساتُ
نيران خدّيك فى الأحشاء سعّرها كما يشاء وفى الحبّات حيّاتُ
تكلم القلب من تبريح جفوته فهل لعهد الوفا بالوصل ميقات
ياصاح قدصاحت الأطيار من طرب ماذا التأخّر والتأخير آفات

لبعضهم :

أصبحتُ والله فى مضيق هل من دليل على الطريق
أفٍّ لدنيا تلاعبت بى تلاعُب الموج بالغريق

من كلام بعض الأعلام :

يا هذا : إنما خلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ، ولتعبُرها لا لتعمُرها .

لبعضهم :

إذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك فى كل مطلب ضللتَ ولو أن السّماك دليل

الصفى والحلى :

نُقَيطٌ من مُسَيْك فى وُرَيْد خُوَيْلك أم بُوَيْشِم فى خُدَيْدِ
وذيّاك اللُّوَيْمِعُ فى الضُّحَيّا وُجَيْهك أم قُمَيْر فى سُعَيْد
ظُبَيٌّ بل صُبَيٌّ فى قُبَيٍّ مُرَيْجِيب السُّطَيْوة كالأُسَيْد

مُعَيْشيقُ الحرينكة والمحيّا — مُميشِيقُ السُّوَيْلف والقُديد

مُغَيْسيلُ اللَّمىِّ له ثُغَيرٌ — رُوَيقتُه خُميرٌ فى شُهَيْدِ

رُوَيدك بالنُّبَىِّ فلى قُلَيبٌ — مُسَيليبُ المُهيجة والجُليد

جُفَينى من هُجَيرك فى سُهَيد — أُطَيولُ من مُطَيلك فى الوُعَيد

لابن حجة :

طُرَيفى من لُيَيلات الهُجَير — مُقَيْرِيحُ الجُفَين من السُّهير

نُوَيرىٌّ الخُدَيد كوى قُلَيبى — فصاحت من الحريق أيا نُوَيرى

مُسَيْبيلُ الشُّعَير على كُفَيل — يذكِّرنا مُوَيجاتِ البُحَير

حُوَيجبُهُ القُوَيسُ له سُهَيم — مُوَيْضٍ فى القُلَيب بلاوُتَير

لثمتُ خُدَيدَه فجرى دُمَيعى — فما أحلى الزُّهَير على النُّهَير

رقيقٌ خَصره وله قُليبٌ — شديدُ قُسَيوَةٍ مثلُ الحُجَير

شُهَيرٌ وُصَيله عندى بيوم — ويَومُ هُجَيره مثلُ الشُّهَير

لبعضهم :

سوادٌ فى الجُفَين بلا كُحَيل — أسالَ مُدَيمِعى وسبا عُقَيلى

لُحَيظك من صُوَيرِمِه بقُلَيبى — جُرَيحٌ قد صرمتَ به حُبَيلى

قُوَيسُ حُوَيجبيك لقد رمانى — سُهَيما فى القُلَيب بلا نُصَيل

وكم شرقتنى بِدُمَيع عينى — وغرَّبنى هُوَيُّك عن أُهَيلى

لقد وقف الهُلَيلُ بالمحيّا — كما وقف الغُزَيِّلُ بالشُّكَيل

وكم لى من عُقَيد فى نُظَيم — وإن غار الجُوَيدُ من قُوَيلى

يُوَيْم من هُجَيرك قد دهانى — فما أحلى لُيَيلات الوُصَيل

حُبَيِّبَ مُهجتى هــل من وُصَيْل ‏ فما أحلى الوُعَيْدَ بلا مُطَيْل

* * *

فى كشف الغمة عن الإمام جعفر عليه السلام قال : فقد أبى بغلة له ، فقال : لئن ردها الله تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها ، فما لبث أن أُتى بها بسرجها ولجامها . فلما استوى عليها وضم إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله ، ولم يزد . ثم قال : ما تركت ولا أبقيت شيئا ، جعلتُ كل أنواع المحامد لله عز وجل ، فما من حمد إلا وهو داخل فيما قلت .

مرّ بعض الصوفية ببغداد ، وإذا بسوقىّ ينادى : الخيــارُ عشرة بدرهم ، فلطم الصوفىّ وجه نفسه وقال : إذا كان الخيار عشرة بدرهم فكيف بالشرار ! !

قال بعض الحكماء :

المروءة ألّا تفعل سرّا ما تستحى منه علانيةً .

[تعريف القضاء والقدر]

القضاء : هو وجود جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ إجمالا ، والقدر تفصيل ذلك الإجمال بإيجاد الموادّ الخارجية ، واحدا بعد واحــد ، فى وقت تعلق العلم الأزلى به .

القاضى أبو الحسن علىّ بن عبد العزيز الجرجانى :

ليس عنــدى شىء ألذّ من العلـــم ‏ فـــلا أبتغى سواه أنيسا
ما تطعّمتُ لذة العيش حتّى ‏ صرتُ للبيت والكتاب جليسا
إنما الذلّ فى مخالطة النا ‏ س فدعهم وعش عزيزا رئيسا

كان الفرّاء النحوى معلما لولدَى المأمون ، وكان إذا قام من مجلسه بادرا إلى نعليه فقدم كل واحد منهما فردة ، وذلك بأمر أبيهما المأمون .

[لغويات]

نُبَذٌ من الكنى : يقال للأسد أبو الحارث ، وللضبع أمُّ عامر ، وللثعلب أبو الحُصَين ، وللنمر أبو عَون ، وللذئب أبو زياد . ويقال للديك أبو نبهان ، وللهرّة أم خداش ، وللدجاجة أم حفص ، وللفأرة أم فاسد ، وللخُنفساء أم سالم . ويقال للدينار أبو الحسَن ، وللدرهم أبو صالح ، وللخبز أبو جابر ، وللملح أبو صابر ، وللبغل أبو جميل ، وللحم أبو الخصيب ، وللأرز أبو لؤلؤة ، وللجبن أبو مُسافر ، وللجوز أبو مقابل ، وللبَنّ أبو الأبيض ، وللبيض أبو الأصفر ، وللهريسة أم جابر ، وللثريد أبو راجع ، وللماء أبو حيّان ، وللأُشنان أبو البقاء .

قال بعض التابعين : كانت فاكهة أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم خبزَ البُرّ .

سئل بعضهم عن أعظم الصبر فقال : الصبرُ عن صحبة من لا تُوافقك أخلاقه ، ولا يمكنك فراقه .

لبعضهم :

نشرت ثلاثَ ذوائب من شَعْرها في ليلة فأرت ليالىَ أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتنىَ القمرين في وقت معا

قال محمد بن منصور النيسابورى :

وقالوا يصير الشَّعر في الماء حيّةً إذا الشمسُ لاقته فما خلته حقًّا
فلما التوى صُدغاه في ماء وجهه وقد لسعا قلبي تيقّنته صِدقا

قال ابن المنجم :

تحصّن بأفعالك الصالحات ولا تبخلنّ بحسن جليل

فحُسنُ النساء جمال الوجوه وحسن الرجال وجوهُ الجميل

من كلامهم : الغيبة جهد العاجز .

* * *

روى أن عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى، أبرص مقعَدا، مضروب الجنبين بالفالج ، وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيراً من خلقه ، فقال له عيسى : ياهذا ، وأى شيء من البلاء أراه مصروفا عنك ؟ ! فقال : يا روحَ الله ، أنا خير ممن لم يجعل الله فى قلبه ما جعل فى قلبي من معرفته، فقال: صدقت ، هات يدك ، فناوله يده ، فإذ هو من أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة، قد أذهب الله عنه ما كان . فصحب عيسى عليه السلام ولم يزل معه .

قال بعض الحكماء : لا تجعلوا قلوبكم التى هى منابر الملائكة قبورا للحيوانات الهالكة .

قال حكيم لرجل يستكثر من العلم ولا يعمل به : يا هذا ، إذا أفنيت عمرك فى جمع السلاح فمتى تقاتل ؟ !

لبعضهم :

إن الليالى للأنام مناهلٌ تُطوى وتُنشر بينها الأعمارُ

فقِصارهنّ مع الهموم طويلة وطوالهنّ مع السرور قِصار .

* * *

دخل بعض الأعراب على ثعلب النحوى فقال : أنشدنى يا إمام الأدب أرق

شعر قالته العرب ، فقال : لا أجد أرق من قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حَور ... قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا

يَصرعْن ذا اللُّب حتى لا حَراكَ به ... وهُنّ أضعفُ خلق الله إنسانا

فقال الأعرابى : هـذا شعر قد لاكته السِّفلة بألسنتها ، هات غيره ، فقال ثعلب : أفدنا مما عندك يا أخا العرب ، فقال الأعرابى : قول مسلم صريع الغوانى :

نُبـارزُ أقرانَ الوغَى فنَقُدّهم ... ويغلبُنا فى السِّلم لحظُ الـكواعب

وليست سهام الحرب تُفنى نفوسَنا ... ولـكن سهامٌ فُوِّقت فى الحواجب

فقال ثعلب لحضّار مجلسه : اكتبوها على الحناجر ولو بالخناجر .

ابن دقيق العيد :

قالوا فـلان عالم فاضـل ... فأكرِموه مثل ما يقتضى

فقلت لمـا لم يكن ذا تقى ... تعـارض المـانعُ والمقتضى

عمر بن عبد العزيز :

نهارك يا مسرور سهو وغفلة ... وليلكُ نومٌ والردى لك لازمٌ

وتـكدح فيما سوف تنكر غِبّه ... كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

من كلام واليس الحـكيم :

محبة المال وتد الشر ، ومحبة الشّر وتد العيوب .

ومن كلامه : أعط حق نفسك ، فإن الحق يخصمك إن لم تعطها حقها .

قال بعض العارفين :

إذا استوت سريرة المرء وعلانيتُه فذلك النّصف. وإن كانت سريرته أحسنَ من علانيته فذلك الفضل ، وإن كانت علانيته أحسنَ من سريرته فذلك الهلاك .

وقد قيل فى ذلك :

إذا السرُّ والإعلان فى المؤمن استوى ... فقد عزّ فى الدارين واستوجب الثنا
وإن فضَل الإعلانُ سرًّا فما له ... على سره فضل سوى الكدّ والعَنا

لبعضهم :

قامت تودعنى والدمع يغلبها ... كما يميل نسيمُ الريح بالغصُن
وأعرضت ثم قالت وهى باكية ... ياليت معرفتى إياكَ لم تكُنِ

لبعضهم :

أيها الدائب الحريص المعَنّى ... لك رزق وسوف تستوفيه
فاسأل الله وحده ودع النـا ... س وأسخطْهمُ بما يرضيه
لن ترى مُعطياً لما منع اللـ ... ـه ولا مانعاً لما يُعطيه

***

أشار بعض وجوه العرب على أبى قيس المجنون أن يأخذه إلى مكة ليطوف بالبيت ، ويسأل الله أن يعافيه مما ابتلاه ، فبينما هم فى منى ، إذ سمع امرأة تنادى أختا لها : ياسلمى ، فأغمى على المجنون حتى ظن أبوه أنه قد مات ، فلما أفاق بعد ساعة أنشأ يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيّج أشواق الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما ... أطار بليلى طائرٌ كان فى صدرى

قال بعض الحكماء :

أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وعفا عن قدرة ، وأنصف عن قوة .

لبعضهم :

حُججى عليك إذا خلوتُ كثيرةٌ ... وإذا حضرتَ فإننى مخصُومُ

مالى لسانٌ أن أقول ظلمتنى ... والله يعلم أننى مظـــــلومُ

قال بعض الأدباء:

من حكى لك أنه رأى مكاريا حسنَ الخُلق ، أو قوّاداً سيء الخُلق ، أو سائسا لا يسرق الشعير ، أو خياطا لا يسرق ما يخيطه ، أو أعمى لا يكون ثقيلا ، أو مُعلّم أطفال ليس قليلَ العقل ، أو قصيرا غير متكبر ، أو طويلا غير أهوج فلا تصدقه فيما ادعاه أبداً :

لبعضهم :

لليلِى وليلَى نفى نومى اختلافُهما ... بالطُّول والطَّوْلِ ياطوبى لو اعتدلا

يجود بالطول ليلِى كلّما بخلت ... بالطّول ليلَى وإن جادت به بخلا

قال سعد الدين الطيبي : تنازعت أنا وأبو غالب فى أمر محمد بن سليمان ابن قطرش الأديب المشهور وقدرته على حل كل ما يرد عليه من الألفاظ من غير تردد، فقلنا : هلمّ لُغزاً محالا ونسأله عنه ، فقلنا :

وما شيء له فى الرأس رِجل ... وموضع وجهه منه قفاه

إذا غمّضت عينك أبصرتَهْ ... وإن فتّحت عينك لا تراه

فأنفذناه إليه ، فكتب فى الجواب : هو طيف الخيال : فقلت لأبى غالب : عالت المسألة ، قم بنا حتى نسأله الآن عن هذا التأويل ، فذهبنا إليه ، فقلت له : هب أن البيت الثانى فيه معنى طيف الخيال فما تأويل الأوّل ؟ فقال : المعنى كله فيه ، فقلت كيف ذلك ؟ فقال : إن المنامات تفسَّر بالعكس ، فإذا رأى الإنسان أنه مات فسّر بطول العمر ، وإذا رأى أنه يبكى فُسِّر بالفرح والسرور ، وعلى هذا جرى اللُّغزُ فى جعل رأسه رجله ، ووجهه قفاه ، فعجبنا من ذكائه .

ولد محمد بن سليمان بن قطرش سنة ٥٤٣ وتوفى سنة ٦٢٦ .

ولد عثمان بن إبراهيم العمرى سنة ٤٤١ هـ وكان له شعر جيد ، ومن شعره :

إنما هـــذه الحياة متاع … والسفيه الغوىّ من يصطفيها
مامضى فات والمؤمّل غيب … ولك الساعة التى أنت فيها

حكى بعض الثقات قال : مررت مع رفيق لى بفلاة ، وإذا نحن بأعرابيّة كأنها خلقة قمر ، فقالت: هلم إلى القِرَى ، فلما دخلنا خباءها وجدنا قبرا ، فقلنا لها: ما هذا؟ فتنفّست الصُّعداء ، ثم قالت : قبر خليلى، كان يُظهر ودى، ويحسن رفدى ، فمات، فدفنته عندى . قال فقلت لها : فهل لك فيمن يجدد ماقد درس من وده ، ويزيدك إحسانا إلى رفـده ، فتغير وجهها ، وأسبلت دمعتها ، وقامت مولية وهى تقول : بصوت حزين :

وإنى لأستحييه والترب بيننا … كما كنتُ أستحييه حين يرانى
فإن تسألانى فى هواىَ فإننى … رهينةُ هـــذا القبر يا رجلان

قال : ولم تعد حتّى خرجنا .

من الحماسة :

وكنت إذا ماجئتُ جئتُ بعلّة … فأفنيت عِلّاتى فكيف أقول
فما كل يومٍ لى بأرضك حاجةٌ … ولا كل يوم لى إليك وُصولُ

قطرى بن الفجاءة :

أقول لها وقد جاشت وهاجت … من الأعداء ويحك لا تُراعى
فإنك لو سألتِ بقاء يــوم … على الأجل الذى لكِ لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا … فمـــا نيلُ الخلود بمستطاع
سبيلُ الموت غايةُ كلّ حى … وداعيه لأهل الأرض داع

قال ابن الهرمة - وهو من العرب العرباء - يصف استئناس كلبه بالأضياف :

يكادُ إذا ما أبصر الضيفَ مُقبلا   يكلّمه من حُبّه وهـــو أعجَم

ابن الدمينة . وهو من شعر الحماسة :

ألا ياصبا نجد متى هجتِ من نجد   لقد زادنى مسراك وجداً على وجد
أئن هتفت ورقاء فى رَونق الضحى   على فنن غضّ النبات من الرّند
بكيتَ كما يبكى الحزين ولم يكن   جزوعاوأبديت الذى لم تـكن تبدى
وقـد زعموا أن المحب إذا نأى   يُملّ وأن النأى يشفى من الوجد
بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا   على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع   إذا كان من تهواه ليس بذى ود

* * *

كل جسم له صورة فإنه لا يقبل صورة أخرى إلا بعد أن تفارقه الصورة الأولى مفارقة تامة ، كجسم مشكّل بصورة التثليث - مثلا - فإنه لا يقبل صورة التربيع أو غيرها من الأشكال إلا بعد أن يزول عنه ذلك التثليث ، بالـكلية ، فإن بقى فيه شىء من الرسم الأول لم يقبل الرسم الثانى على التمام ، بل يختلط فيه الرسمان فلا يخلص له أحدهما . وهذا حكم مستمر فى جميع الأجسام كلها .

ونحن نجد أنفسنا نقبل صور الأشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام والـكمال ، من غير مفارقة الأول ، ولا زوال رسمه ، بل يبقى الرسم الأول تامّا كاملا ، ويقبل الرسم الثانى أيضا تاما كاملا ، ولا يزال يقبل صورة بعد صورة أبداً ، من غير أن يضعف فى وقت من الأوقات عن قبول ما يطرأ عليها من الصور ، بل تزداد بسبب الصورة الأولى قوّة على قبول ما يرد عليها من الصور الأخرى . ولهذه العلة كلما كان الإنسان أكثر علوما وأدبا كان أتمّ فهما وكياسة ، وأشدّ استعدادا للعلم

والاستفادة . وهذه الخاصيّةُ مضادّة لخواصّ الأجسام ، فليست جسما .

ابن مقلة الكاتب المشهور : قطعت يده ، ثم لسانه ، وكان يستقى الماء بيد واحدة . وقال أصحاب التواريخ : إنه تولّى الوزارة ثلاث مرّات ، لثلاثة خلفاء ، وكتب ثلاثة مصاحف ، وسافر ثلاث مرّات ، ومات ودفن ، ثم نبش ثلاث مرات .

يقال إن الخلاف والعناد موكل بكل شيء ، حتى قذاة الكوز ، إن أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك ، وإن صوّبت الكوز لتخرج رجعت ، وهذا مثل فى مُحقَّر مؤذٍ .

إلى هنا انتهى المجلد الرابع من الكشكول

ويليه المجلد الخامس إن شاء الله . وأوله :

بسم الله الرحمن الرحيم : قال سيد المرسلين الخ

المجلد الخامس من

الكشكول

لبهاء الدّين العاملي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيد المرسلين ، وأشرفُ الأولين والآخرين ، صلوات الله عليه وآله أجمعين : إذا اقشعرّ قلب المؤمن من خشية الله تحاتّت عنه خطاياه كما يتحاتُّ عن الشجر ورقها .

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: لا يكون العبد مؤمنا حتى يعدّ البلاءَ نعمة ، والرخاء محنة ، لأن بلاء الدنيا نعمةٌ فى الآخرة ، ورخاءَ الدنيا محنةٌ فى الآخرة .

وعنه عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ، ومن التحيات أكملها ، أنه قال : إن الله تعالى يقول : إذا وجهتُ إلى عبد من عبيدى مصيبةً فى بدنه ، أو ولده ، أو ماله ، واستقبل ذلك بصبر جميل استحييتُ منه أن أنصب له ميزانا ، أو أنشر له ديوانا .

إنما سميت الجمعة جمعة لاجتماع الناس فيها للصلاة .

وقيل أول من سماها جمعة الأنصار وذلك قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقبل نزول سورة الجمعة ؛ فإنهم اجتمعوا ، وقالوا : إن لليهود يوما يجتمعون فيه، وهو يوم السبت ، وللنصارى آخر كذلك، وهو يوم الأحد، فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه ونذكر الله ونشكرُه، وكانوا يُسمُّون يوم الجمعة قبل ذلك يوم العَروبة ، فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلّى بهم يومئذ، وذكّرهم، فسموه يوم الجمعة.

في تعظيم حق الوالدين :

اعلم أن الله جلّ جلاله علم حاجتك إلى أبويك فجعل لك عندهما من المنزلة ما يغنيهما عن وصيتهما بك . وعلم غناك عنهما فأكّد وصيتك بهما .

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام لولده يحيي : يا بُنى ، إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ، ورضِيَنى لك فلم يُوصِنى بك .

من كلام بعض الحكماء : فضيلة الفلّاحين التعاونُ بالأعمال ، وفضيلة التجار التعاونُ بالأموال ، وفضيلة الملوك التعاونُ بالآراء والسياسة ، وفضيلة العلماء التعاونُ بالحكم الإلهية ، والفضيلةُ المشتركة بين الأصناف الأربعة هى التعاون على ما يَصلُح به المعاش والمعاد .

قال بعض الأكابر : الصلاة معراج العارفين ، ووسيلةُ المذنبين ، وبستانُ الزاهدين . ومن ثم ورد فى الحديث أنها عمود الدين ، وذكرت فى اثنين ومائة موضع من القرآن العزيز المبين .

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : ما من غريم أحسن تقاضياً من جوع ، مهما دفعت إليه قبِل .

أصيبت السمراء بنت قيس بابنين لها ، فعزّاها النبى صلى الله عليه وسلم بهما ، فقالت : كل مصيبة بعدك جلل ، والله لهذا النقعُ الذى على وجهك أشـــد من مصابى بهما يا رسول الله . الجلل : العظيم ، والهيّن ، فهو من الأضداد . والنقع : غبار الحرب ، وهو العِثْيَرُ ، ولا تُفتح فيه العين .

عربد غُلام قوم فشكوه إلى الوالى ، وقد أفاق ، فأرادَ أن يناله بمكروه ، فقال : أيها الأمير ، إنى أسأت وليس معى عقلى ، وتُسىءُ إلىّ ومعك عقلك !

لابن الفارض :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا ... وارحم حشى بلظى هواك تسعرا

وإذا سألتك أن أراك حقيقة ... فاسمح ولا تجعل جوابى لن ترى

يا قلب أنت وعدتنى فى حبه ... صبرا فحاذر أن تضيق وتضجرا

إن الغرام هو الحياة فمت به ... صبًّا فحقك أن تموت وتعذرا

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ... سر أرق من النسيم إذا سرى

وأباح طرفى نظرة أملتها ... فغدوت معروفا وكنت منكرا

لو أن كل الحسن يكمل صورة ... ورآه كان مهللا ومكبرا

فى الكشاف : عند قوله تعالى : « إنّ الله لا يَستحيي أن يضرب مثلا ما ، بعوضةً فما فوقها » : وربما رأيت فى تضاعيف الكتب العتيقة دويبةً لا يكاد يجليها للبصر إلى تحركها ، فإذا سكنت فالسكون يواريها ، ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها ، وتجنبت مضرتها . فسبحان من يدرك صورة تلك البعوضة وأعضاءها الظاهرةَ والباطنة ، وتفاصيلَ خلقها ، ويبصر بصرَها ، ويطلع على ضميرها . ولعلّ فى خلقه ما هو أصغر منها وأصغر .

« سُبحان الذى خلقَ الأزواج كُلّها ، مما تنبت الأرضُ ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون » ثم أنشد :

يا من يرى مدّ البعوض جناحَها ... فى ظلمة الليلِ البهيم الأليلِ

ويرى عروق نِياطها فى نحرِها ... والمخّ فى تلك العظام النُحَّل

اغفر لعبد تاب من فرَطاته ... ما كان منه فى الزمان الأوّل

[علم التصوف]

التصوف علم يبحث فيه عن الذات الأحدية ، وأسمائه وصفاته من حيث إنها موصلة لكل من مظاهرها ومنسوباتها إلى الذات الإلهية . وموضوعه الذاتُ الأحدية ونعوتُها الأزلية ، وصفاتُها السّرمديّة ، وبيانُ مظاهر الأسماء الإلهية والنعوتِ الربّانية ، وكيفية رجوع أهل الله تعالى إليه سبحانه ، وكيفيّةِ سلوكهم ومجاهداتهم ورياضاتهم ، وبيانُ نتيجة كل من الأعمال والأذكار في دار الدنيا والآخرة على وجه ثابت في نفس الأمر . ومبادئُه معرفةُ حده، وغايتِه، واصطلاحاتِ القوم فيه .

قال بعض العارفين : من كان نظره في وقت النِّعم إلى المنعِم لا إلى النعمة، كان نظرُه في وقت البلاء إلى المُبلي لا إلى البلاء ، فيكون في جميع حالاته غريقا في ملاحظة الحق ، متوجها إلى الحبيب المطلق ، وهذه أعلى مراتب السعادة .

لبعضهم :

أرأيت ما قد قال لي بدرُ الدُّجى ... لما رأى طرفي يزيد سُهودا

حتّامَ ترمُقني بطرْف ساهمٍ ... أقصر فلستُ حبيبكَ المفقودا

ذكر في المعتبر : أن فاطمة صلوات الله عليها قبضت من تراب قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته على عينيها وقالت :

ماذا على من شمّ تُربةَ أحمدٍ ... ألّا يشم مدى الزمان غواليا

صُبّت عليّ مصائبٌ لو أنها ... صُبّت على الأيامِ صِرن لياليا

الأمّيّ : من لا يكتب ، منسوب إلى أمّة العرب ، المشهورين بعدم الخطِ والكتابة . ووصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالأمي لذلك .

كان عمر بن فطر بن سهل الدارى يغير أحيانا على مسارح النعمان بن المنذر ، فطلبه زمانا فلم يقدر عليه ، فأمّنه وجعل له مائة ناقة إن دخل فى السلم ، فقبل ذلك ودخل على النّعمان ، فاقتحمته عينه لأنه كان دميما ، فقال النعمان : تسمع بالمُعَيْدِىِّ خيرٌ من أن تراه ، فقال له عمر : مهلًا أبيت اللعن ، فإنما المرء بأصغريه : لسانه وقلبه ، فإذا نطق نطق ببيان ، وإذا قابل قابل بجنان ، قال : نعم والله . ثم قال له: فما السَّوأة ؟ قال : المرأة الصخّابة ، والخفيفة الوثّابة . قال : فما الفقر الحاضر قال : الشابّ القليل الحيلة ، المطيع للحليلة ، إذا غضبت ترضّاها ، وإذا رضيت تعدّاها . فقال : فما قرين السوء ؟ قال جارك الذى إن كان فوقك قهرك ، وإن كان دونك شتمك ، إن منعته لعنك ، وإن أعطيته مدحك . فقال له النعمان: لله أبوك، وأعطاه خمسين ألف درهم ، وسوّده على مائة من أصحابه .

[لغويات]

قال القرشى : الحرارة التى تجعل الطعام بحيث يصلح لأن يؤكل: إمّا أن تكون ملاقيةً له أوْ لا ، الأول إما أن تكون هوائية ، وهو الشّىُّ ، أو أرضية كالجمر وهو التكبيب .

والثانى وهو ما يكون بينهما واسطةٌ كالقدر، فإن كانت الحرارة تؤثر فى ذلك المتوسّط ، والمتوسطُ فى الطعام من غير أن يكون معه شىء آخر فهو القَلْى،وإن كان معه شىء آخر ، فإن كان دهنا فهو التطجين ، وإن كان ماء فهو الطبخ .

من كلام بعض العارفين :

الدنيا تُطلب لثلاثة أشياء : الغنى ، والعز ، والراحة : فمن زهد فيها عزّ . ومن قنع استغنى . ومن قل سعيه استراح .

أشرف عمر بن هبيرة من قصره، وإذا بأعرابي يُرقِصُ بعيره، فقال لحاجبه: لا تحجبه، فلما مثل بين يديه، قال له عمر: ما خطبك يا أعرابيّ؟ فقال:

أصلحكَ اللهُ قلَّ ما بيدي فما أطيق العيالَ إذ كثروا

ألحّ دهري عليّ كلكله فأرسلوني إليك وانتظروا

فأخذت عمر الأريحية، واهتزّ وقال: أرسلوك إليّ وانتظروا! إذاً والله لا تجلس حتى ترجع إليهم غانماً، وأمر له بألف دينار، وردّه من ساعته إلى أهله.

***

النافون للمعاد بنوا كلامهم على محض الاستبعاد، فقالوا: كيف تجتمع أجزاء البدن بعد التفرق والتشتت العظيم، سيما من قطعت أوصاله، وفرقت في مواضع متباعدة، وصارت كل ذرة منها في مكان، وكل جزء منها في قطر من الأقطار. فيقال لهؤلاء: ألم تعلموا أن المنيّ الذي هو فضلة منبث في أطراف الأعضاء كالطل، والقوة الشهوانية تجمع تلك الأجزاء الطليّة في أوعية المنيّ بعد انبثاثها في جميع الأعضاء. ألم تعلموا أن المني يولد من الأغذية التي كانت منبثّة في أقطار العالم، والأغذية من العناصر المتشتتة المتباعدة، فالذي جمع تلك الأجزاء المتباعدة المتفرقة المتشتتة قادر على جمع أجزاء البدن بعد التشتت والتفرق. وإليه الإشارة بقوله تعالى: «قُل يُحييها الذي أنشأها أوّلَ مرّة وهوَ بكل خلقٍ عليمٌ».

قال الشريف الرضي:

تاهت العقلاء في ذاته تعالى وصفاته، لاحتجابها بأنوار العظمة، وتحيروا أيضاً في لفظ الجلالة، كأنه انعكس إليه من تلك الأنوار أشعةٌ بهرت أعينَ المستبصرين، فاختلفوا أسريانيّ هو أم عربيّ؟ اسم أو صفة؟ مشتق، ومم اشتقاقه؟ وما أصله؟ أو غير مشتق؟ علم أو غير علم؟

لبعضهم :

أحب التقى والنفسُ تطلب غيرَه ... وإنى وإياها لمصطرعان

فيوم لها منى ويومٌ أذلُّها ... كلانا على الأيام معتركان

قال بعضهم : لا تكن ممن غلبت بطنتُه فطنتَه .

من كلام أبقراط : كُلْ ما تستمرىء ، لا ما لا تستمرىء فإنه يأكلك .

ابن الفارض :

أشاهِد معنى حسنِكم فيلَذّ لى ... خضوعى لديكم فى الهوى وتذلُّلى

وأشتــاق للمعنى الذى أنتمُ به ... ولولاكُمُ ما شاقنى ذكر منزلى

ولله كم من ليلة قد قطعتهــا ... بلذة عَيش والرقيبُ بمعزِل

فدعنى ومن أهوى لقدمات حاسدى ... وغاب رقيبى عند قرب مُواصِلى

من كلامهم :

لا تمازح الشريفَ فيحقد عليك ، ولا الدنىءَ فيجترىء عليك

توفى أبو نصر الفارابى بدمشق سنة ٣٣٩ .

لبعضهم :

تُنبى طلاوةُ وجهــه عن وده ... فيكاد يلقى النجح قبل لقائه

وضيــاء وجه لو تأمّله امروٌ ... صادِى الجوانح لارتوى من مائه

سئل حكيم : ما الناطق الصّامت ؟ فقال : الدلائل المخبرة ، والعبر الواعظة .

وعليه قوله تعالى : « قالوا أنطقنا اللهُ الذى أنطق كل شىء » إذ معلوم أن الأشياء كلها لا تنطق إلا من حيث العبرة ولسانُ الحال . وقريبٌ من ذلك قوله تعالى حكاية عن سليمان : « علمنا منطق الطّير » فإنه سمّى أصوات الطـير منطقا باعتبار

دلالتها وفهم المعانى منها . ومن فهم من شىء معنى ، فذلك الشىء بالإضافة إليه ناطقٌ وإن كان صامتاً .

قال بعض أصحاب اللغة : حقيقة النطق اللفظ الذى كالنطاق المعنى .

وفى الحديث : « إنى تركت فيكم واعظَين : صامتاً وناطقاً،فالصامت الموت، والناطق القرآن » .

قوله تعالى : « والقناطير المقنطرة » : أى المجموعة قنطارا قنطارا ، كقولهم دراهم مدرهمة ، ودنانير مدنّرة . قاله الراغب .

حضرة القدس : قيل هى الجنة ، وقيل هى الشريعة ، قال الراغب : وكلاهما صحيح ، لأن الشريعة منها يستفاد القدس : أى الطهارة .

[تعريف السعادة]

من كلام أرسطاطاليس :

السعادة ثلاثة : إما فى النفس ، فهى الحكمة ، ، والعِفّة ، والشجاعة . وإما فى البدن فهى الصحة ، والجمال ، والقوةُ . وإما خارج النفس والبدن ، فهى المال ، والجاه ، والنسب .

القِبلة فى الأصل : اسم للحالة التى عليها المقابل ، نحو الجِلسة،والقِعدة ولكنها صارت فى العرف اسما للمكان المقابل المتوجّه إليه فى الصّلاة .

سُمّيت ريحُ الصَّبا بالقَبول ؛ لاستقبالها القبلة . قاله الراغب .

حاتم الطائى :

ولله صعلوكٌ مُناه وهمُّه   من العيش أن يَلقى لَبوسا ومطعَما

يَنام الضحى حتى إذا نومُه استوى ... تنبّه مثلوجَ الفؤاد مورّما
ولله صُعلوك يساور همّه ويمضى ... على الأحداث والدهرِ مُقدِما
فتى طَلِبات لا يرى الجوعَ سُبّة ... ولا شَبعة إن نالها عدّ مَغنَما
ويَغشى إذا ما كان يومُ كريهة ... صدورَ العوالى وهو مختضبٌ دماَ
فذلك إن يهلك فحُسنى ثناؤه ... وإن عاش لم يقعُد ضعيفا مُذمَّما

من كلام بعض الحكماء : من كسب مالا من مهاوش ، أنفقه الله فى نهابر : من كسب مالا من مثل أفواه الحيّات ، أنفقه الله فى مثل الآبار التى يطارح فيها مالا ينتفع به .

لقلع الدّسومة من الثوب إذا كان حريرا أو صوفا : تغلى النخلة ، ويغسل الثوب بمائها ، ويبخّر بعد ذلك بالكبريت . وإن ألقيت على الموضع نُورة مسحوقة مع ملح ، ووضع عليه حجر زالت الدسومة من غير غسل .

لبعضهم :

علمُ قومى بى جهلُ ... إنّ شأنى لأجلُّ
كم أناسٍ اهتدوا بى ... وأناسٍ بى ضلّوا
واستشاروا وأشاروا ... أبرموا القول وحلّوا
كل أين لى أينٌ ... ومحلٍّ لى محلٌّ
أنا جسم أنا رسمٌ ... أنا نفسٌ أنا عقلُ
أنا سرّ أنا جهرٌ ... أنا علمٌ أنا جهلُ
أنا حرب أنا سلمٌ ... أنا جزء أنا كلّ
أنا قرب أنا بُعدٌ ... أنا هجرٌ أنا وصل
أنا حُلوٌ أنا مرٌّ ... أنا حَزنٌ أنا سهل

لبعضهم :

أعيذك من زورة وقتها يحط ويذهب قدر النبيــل
فإما رجعت بذل الحجاب وإما حللت مقــام الثقيل

في سنة ٣١٠ هـ دخل القرامطة لعنهم الله مكة أيام موسم، وأخذوا الحجر الأسود، وبقي عندهم عشرين سنة ، وقتلوا خلقا كثيرا ، وممن قتلوه علي بن بابويه ، وكان يطوف فلم يقطع طوافه ، فضربوه بالسيوف فوقع على الأرض وأنشد :

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

قال بعض الحكماء : احفظ عشرا من عشر : أناتك من التواني . وإسراعك من العجلة . وسخاءك من التبذير . واقتصادك من التقتير . وإقدامك من الهرج. وتحرزك من الجبن . ونزاهتك من الكبر . وتواضعك من الدناءة . ولسانك من الاعتذار . وكتمانك من النسيان .

في كتاب الاستيعاب لابن عبد ربه ، عن سفيان بن عيينة قال : قال لي جعفر ابن محمد الصادق عليهما السلام : توفي علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين . وقتل حسين بن علي عليهما السلام وهو ابن ثمان وخمسين . وتوفي علي ابن الحسين عليهما السلام وهو ابن ثمان وخمسين ، وتوفي محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام وهو ابن ثمان وخمسين . . قال سفيان : وقال لي جعفر عليه السلام : وأنا بهذه السنة في ثمان وخمسين ، فتوفي بها .

[محاورة بين الحجاج وسعيد بن جبير]

لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج قال له : ماسمك ؟ قال : سعيد بن جبير ، قال : بل شقي ابن كسير ، فقال : أمي سمتني سعيدا ، قال : سمت . قال : الغيب

يعلمه غيرك . قال الحجّاج : والله لأبدلنّك من دنياك نارا تلظّى . قال: لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلها غيرك . قال الحجّاج : لأقطعنّك قِطعاً قِطعاً ، ولأفرّقنّ أعضاءك عضوا عضوا . قال : إذاً تفسد علىّ دنياى وأفسد عليك آخرتك . فقال: الويل لك . قال : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار . فقال : اضربوا عنقه . فقال سعيد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، أستحفظهما حتى ألقاك يوم القيامة . فقال الحجاج : أضجعوه للذّبح . فقال : وجّهت وجهى للذى فطر السّموات والأرضَ . فقال الحجاج : اقلبوا ظهره إلى القبلة . فقرأ سعيد: فأينما تُولُّوا فثم وجهُ الله . فقال: كُبّوه على وجهه فقرأ سعيدٌ : منها خلقناكم وفيها نُعيدُكم ومنها نُخرجكم تارةً أخرى . فذبح من قفاه ، فما بقى الحجاج بعده إلا ثلاثة أيام .

[عدد من قتلهم الحجاج]

فى تاريخ ابن الجوزى ، عن هشام بن حسّان قال: أحصينا من قتلهم الحجاجُ صبرا ، فبلغوا مائة ألف وعشرين ألفا . وقال : ووجد فى سجنه ثلاثةٌ وثلاثون ألفا ما يجب على أحد منهم قَطع ولا صلب ولا قتل .

وكان سجنه حائطا محوطا لا سقف له ، فإذا أوذى المسجُونون من حرّ الشمس وأتوا الجدرانَ يستظلون بها، رماهم الحرس بالحجارة . . وكان يُطعمُهم خبز الشعير مخلوطا بالملح والرماد . وكان لا يلبث رجل فى سجنه إلا يسيراً حتى يسْوَدّ ويصيرَ كأنه زَنجىٌّ . حتى إن غلاما حبس فيه ، فجاءت أمه بعد أيام تتعرف خبره ، فلما قدم إليها أنكرته وقالت : ليس هذا ابنى ، هذا بعض الزّنج ، فقال : لا والله يا أمّاه ، أنت فلانة ، وأبى فلان ، فلما عرفته شهقت شهقة كان فيها نفسها .

أوّل من سمى فى الإسلام عبد الملك هو عبد الملك بن مروان. وأول من سمى أحمد فى الإسلام هو أبو الخليل بن أحمد. ولم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة من اسمه أبو بكر إلا أبو بكر الصديق .

قيل لأفلاطون: بأى شىء ينتقم الإنسان من حاسده وعدوه؟ قال: بأن يزداد فى نفسه فضلًا .

لبعضهم :

خلُقان لا أرضاهما لِفَـتى ... بطر الغنى ومذلةُ الفقر

فإذا اغتنيتَ فلا تـكن بطراً ... وإذا افتقرتَ فتِهْ على الدهر

* * *

دخل أبو دلامة على المنصور، وعنده المهدى وجعفر ابناه، وعيسى بن موسى، فقال له المنصور : عاهدت الله يا أبا دلامة إن لم تهجُ واحداً ممن فى المجلس لأقطعنّ لسانك ، قال أبو دلامة : فقلت فى نفسى : قد عاهد ، وهو لابد فاعل ، ثم نظرت إلى أهل المجلس ، فإذا خليفة ، وابنا خليفة ، وابن عم خليفة ، وكل منهم يشير إلى بأصبعه بالصلة إن تخطيتهُ ، وأيقنت أنى إن هجوت أحدهم قُتِلتُ ، والتفتّ فى المجلس يمنة ويسرة لأرى بعض الخدم فأهجوه فلم أر أحدا ، فقلت فى نفسى : إنما حلف على من فى المجلس، وأنا أحد من فى المجلس وما لى إلا أن أهجو نفسى فقلت :

ألا قُبحتَ أنتَ أبا دُلامه ... فلستَ من الـكرام ولا الـكرامهْ

إذا لبِس العمامـــةَ قلتَ قردٌ ... وخـــنزيرٌ إذا نَزع العمامهْ

جمعتَ دمامةً وجمعتَ لؤماً ... كذاك اللؤمُ تتبعـــه الدّمامهْ

فإن تك قد جمعت نعيمَ دنيا ... فلا تفرح فقد دنت القيـامهْ

قال فضحك المنصور حتى استلقى ، وأمر لى بجائزة ، ووصلنى كلٌّ من الحاضرين بصلة سنية .

لحمدون الموصلى :

يا رسول الحبيب ويحك قد ألــــقى عليك الحبيبُ حُسنا وطيبا
ولقد كِدت أن أضمّك لولا أن تسىء الظنونَ أو تستريبا

لبعضهم :

ولو أنى استزدتك فوق مابى من البلوى لأعوزك المزيد
ولو عُرضت على الموتى حياةٌ بعيش مثل عيشى لم يُريدوا

فى ربيع الأبرار :

صلّى أعرابى صلاة مخففة ، فقام إليه علىّ عليه السلام بالدِّرة ، وقال أعدها فلما فرغ قال أهذه خير أم الأولى ؟ فقال : بل الأولى ، فقال : ولم ؟ قال : لأن الأولى لله وهذه للدُّرّة .

قال الحجاج ليحيي بن سعيد : إنك تشبه إبليس ، فقال : وما ينكر الأميرُ أن يكون سيدُ الإنس يشبه سيدَ الجن ؟ فأعجبه جوابه .

من كلام نجم الدين الكبرَى :

الفقر على ثلاثة أصناف : فقر إلى الله دون غيره وفقر إلى الله مع غــــيره ، وفقر إلى الغير دون الله . وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأول بقوله : « الفقر فخرى » ، وإلى الثانى بقوله : « كاد الفقر يكون كفرا » ، وإلى الثالث بقوله : « الفقر سواد الوجه فى الدارين » .

من شرح القانون للعلامة :

صغر العين مع خفة حركتها ، وكثرة طرفها دليل قوىّ على رداءة الباطن .

من كان طرف أنفه دقيقا فهو محب للخصومة .

من كان أنفه عظيما ممتلئا من اللحم فهو قليل الفهم .

من كان أنفه طويلا دقيقا فهو قليل العقل .

من كان ثقب أنفه شديد الانفتاح فهو غضوب .

من كان أنفه عظيما فهو قليل الخير .

من كان واسع الفم فهو شُجاع .

من كان لحيم الوجه فهو جاهل كسلان .

من كان وجهه شديد الاستدارة فهو جاهل حقير النفس .

من كان عالى الضّحك فهو وقِحٌ .

من كان عظيم الأذنين فهو طويل العمر جاهل .

من كان دقيق الخصر فهو قوى صبور على المؤلمات .

من قصر ذراعاه جدًّا فهو جبان محب للشر .

دقة الكف جدًّا دليل على السلاطة والرعونة .

ما جاء فى الثياب :

قال بعض الحكماء : البس من الثياب ما يخدمك لا ما يستخدمك .

اشترى النبى صلى الله عليه وسلم حلة بثمانين ناقة .

اشترى بعض الأكابر حُلّة بألف ودخل المسجد ، فقيل له فى ذلك ، فقال :

أنا أجالس ربى .

كان بعض الأكابر من قريش إذا اتسع لبس أرثّ ثيابه ، وإذا افتقر لبس أنخرها . فقيل له فى ذلك ، فقال : إذا اتّسعنا لبسنا بالهيئة ، وإذا افتقرنا تزينّا بالهيئة .

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام :

والله لقد رقعت مدرعتى هذه حتى استحييت من رقعها ، ولقد قال قائل : ألا تنبذها ؟ فقلت : اغربْ عنى ، فعند الصباح يحمد القوم السُّرى .

من كلامهم : كُلْ ما تشتهيه ، والبس ما يشتهيه الناس .

أما الطعامُ فكل لنفسك ما اشتهتْ   والبَس لباساً يشتهيه الناس

قيل للأحنف فى شهر رمضان : إنك شيخ كبير ، وإن الصوم يهدّك ، فقال : إن الصبر على طاعة الله أهونُ من الصبر على عذابِ الله .

ولبعضهم فى الصبر :

ويومٍ كيوم البعث ما فيه حاكمٌ   ولا عاصم إلا قنى ودروع
حبستُ به نفسى على موقف الردى   حفاظاً وأطرافُ الرماح شروع
وما يستوى يوم الملمات إن عرتْ   صبورٌ على مكروهها وجَزُوع

ولبعضهم:

ويومٍ كأن المصطلين بحرّه   وإن لم يكن جمر قيامٌ على الجمر
صبرتُ له حتى تجلّى وإنما   تفرّجُ أيام الكريهة بالصبر

لبعضهم :

أضِنّ بليلى وهى عندى سخيّة   وتبخل ليلى بالهوى وأجود
وأعذَلُ فى ليلَى ولست بمنتهٍ   وأعلم أنى مخطئٌ وأعود

[من أمثال العرب]

« ذكّرتنى الطعن وكنت ناسيا »

أصلُ هذا أن رجلا حمل على رجل ليقتله ، وكان فى يد المحمول عليه رمح ، فأنساه الدهش ما فى يده . فقال له الحامل : ألق الرمحَ ، فقال : ذكرتنى الطعن وكنت ناسيا .

« ذكَّرَنى فُوكِ حمارَىْ أهلى » .

أصله أن رجلا خرج يطلب حمارين قد ضلّا من الحىّ ، فرأى امرأة منتقبة فأعجبته فذهب يمشى خلفها ونسى الحمارين ، فمازال يحدّثها حتى أسفرت عن لثامها ، وإذا فمها واسع ردىء كريه المنظر ، فلما رأى ذلك ذكر الحمارين وقال :

« ذكرنى فوكِ حمارَىْ أهلى » .

« كُفيتَ الدعوة » أى كفيتَ مؤنة الدعاء لى .

وأصل هذا المثل أن بعض مُجّانِ العرب نزل بصومعة راهب ، وأحب أن يُوافقه فى دينه ويقتدى به فى عبادته ويزيد عليه ، وبقى على ذلك أياما . ثم إنه سرق صليب الراهب وكان من ذهب ، ثم استأذنه فى الفراق ، فأذن له وزوّده من الطعام ، وقام لوداعه ، فلما ودّعه قال له : صحبك الصليب ، وهذه العبارة رسمهم فى الدعاء للمسافر ، فقال الماجن « كفيت الدعوة » وصارت مثلًا .

« ما أهونَ الليل على الراقد » .

« هان على الأملَس ما لاقَى الدَّبِرُ » .

هذا مثل يضربونه فى الرجل القليل الاهتمام بشأن صاحبه . والأملس : هو صحيح الظهر ، والدبر : الذى قد دبر فى ظهره .

[يعنى أن صحيح الظهر يهون عليه ما يلقاه دبر الظهر من ألم ومشقة ، لأنه لا يحس بالألم مثله] .

« خيرَ حالبَيْكِ تنطحينَ » .

يضرب لمن يسىء إلى من أحسن إليه ، ويحسن إلى من أساء إليه .

وأصله أن بقرة كان لها حالبان، وكان أحدُهما أرفقَ بها من الآخر ، وكانت تنطح الذى يرفق بها وتدع الآخر .

« وافقَ شَنٌّ طبَقة » .

شنّ : بطن من عبدالقيس، وطبقة: حى من إيَادٍ ، توافقا على أمر فيه صلاح حالهما ، فقيل : « وافق شنّ طبَقة » .

« يَداكَ أَوْ كتاَ ، وفوكَ نفخ » .

أصله أن رجلا أراد أن يعبر البحر، فنفخ زِقّا كان معه ، ولم يحسن إحكامه، فلما توسط البحر خرج الريح من الزِّقّ وأخذه الموجُ فاستغاث برجل ، فقال له : « يداك أوكتا وفوك نفخ » .

« حين تَقْلينَ تدرينَ » .

أصله أن رجلا أتى مُومِساً فقضى وطره منها، فلما خرج رأى فى الدار مَقْلًا فحمله وهى لاتدرى ، فلما ولّى سمعهاتقول لجارتها : سخرنابهذا الأحمق وأخذنا منه ثلاثة دراهم ولم يُنقص مناشيئا، فالتفت الرجل إليها وقال : « حين تَقْلين تدرين » .

لبعضهم :

شجاكَ الفراق فما تصنع ... أتصبر للبين أم تجزع
إذا كنت تبكى وهم جيرةٌ ... فكيف بذاك إذا ودّعوا

لبعضهم :

ومقتدر على قتـــلى بهجرانى له ولع
يواعدنى ويُخلفنى ويدنو ثم يمتنـــع
ولا هجرٌ ولا يأسٌ ولا وصـــل ولا طمع

لبعضهم :

اعتبر بما ترى ، واتعظ بما تسمع ، قبل أن تصير عبرة الرائى ، وعظة للسامع .

قال أرسطوطاليس : اعص الهوى وأطع من شئت .

اترك ما تريد لتستغنى عن العلاج بما تكره .

الحزن مرض الروح ، كما أن الألم مرض البدن .

قال بعض الحكماء : ثلاث من كنّ فيه استكمل العقل : أن يكون ما سكا للسانه ، عارفا بزمانه ، مُقبلا على شانه .

[من أمثال العرب]

عاقنى المطر عن الوطر . . . يوم السرور قصير يكاد يطير ... من جعل نفسه عظما أكلته الكلاب ... كلب جوّال خيرٌ من أسد رابِض . الحيلة ترك الحيلة .

[الوزارة]

اختلف اللغويون فى اشتقاق اسم الوزارة على أقوال ، فقيل إنه مأخوذ من الوَزَرِ الذى هو الملجأ ، ومنه قوله تعالى : « كلّا لا وزَرَ إلى ربك يومئذٍ المستقرّ » . وقيل من الأزر ، وهو الظهر ، لأن الملك يَقوى بوزيره . وقيل من الوِزْر وهو العبء والثقل . ومنه قوله تعالى : « ووضعنا عنكَ وِزْركَ الذى أنقض ظهرَكَ » وقيل

من الوِزر الذى هو الإثم ؛ لشدة ما فى الوزارة من ارتكاب المآثم ، فكأنّ وزير الملك يتحمّل أوزاره .

لما أتى إخوة يوسف بقميصه ملطّخا بالدم، ألقاه يعقوب على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال : تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا ، أكل ابنى ولم يمزّق قميصه .

قال بعض الحكماء : بَرْدُ اليأس خيرٌ من حرّ الطمع .

قال بعضهم : روّحوا الأذهان كما تُروّحوا الأبدان، وإذا نطق لسان الدعوى أخرسته يد الامتحان .

قال السراج الوراق :

وقالت يا سراج علاك شيبٌ   فخذ لجديده خلعَ العذار

فقلت لها نهار بعد ليل   فما يدعوكِ أنتِ إلى النِّفارِ

فقالت قد صدقت وما سمعنا   بأضيَعَ من سِراج فى نهار

لبعضهم :

قل لمن ملّ هوانا   وتولّى وجفانا

قل لنا أىُّ قبيح   قد جرى منا وبانا

كم تتبّعنا مَرَاضيك   ولم تتبع رِضانا

كم أمرناك وخالفت   هوانا فى هَوَانا

هكذا الحر الوَفىُّ   هكذا كان جزانا

لبعضهم :

ظالمى ما منه منتصِرُ   أبداً يجنى وأعتذِر

وجهـــه فى كل ناحيــة أينما أبصرتـــه قمرُ
حلّ من قلبى بمنزلة لم ينلها قبـــله بَشر

***

من أمثال العرب : إذا سرقت فاسرق درة ، وإذا زنيت فازن بحرة .

قال بعض الحكماء : دع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك ، وعليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك .

الكذّاب شر من اللصّ ؛ لأن اللصّ يسرق مالك ، وهذا يسرق عقلك .

علامة الكذّاب جُوده باليمين لغير مستحلِف .

الآخر :

سألتُ القلب سلوتكم فقال سألتَ ممتنعا
فــلا والله ما أسلو ولو قطّعتَنى قطعا
فلو قد ذاب من حَرق وأقبل يشتكى الوجَعا
شمتُّ به وأعجبنى تضرّعُه وقـد وقعا

من أوهام الخواص :

يقولون : أبدأ به أولًا ، فينونون ، والصواب أبدأ به أولُ بالضم ، كما قال :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجلُ على أيّنا تعدو المنيّةُ أوّلُ

وإنما بُنى أول هنا لأن الإضافة مرادة فيه وتقدير الكلام أول الناس ، فلما انقطع عن الإضافة بُنى ، كأسماء الغايات التى هى قبل وبعد ونظائرهما ومعنى تسميتها بأسماء الغايات أنها جعلت غاية للنطق بعد ما كانت مضافة ، ولهذه العلة استوجب أن يبنى ، لأنّ آخرها حين قطع عن الإضافة صار كوسط الكلام ، ووسط الكلمة لا يكون مبنيا .

قال جعفر الصادق عليه السلام : ليس الزهد فى الدنيا إضاعةَ المال وتحريم الحلال ، بل الزهد أن لا تكون بما فى يدك أوثق منك بما عند الله .

وللآخر :

طرفك الفتانُ أرّقنى لا عدمتَ الطرفَ والأرقا
من رأى شيئاً فأعجبه كان معذوراً إذا عشقا

* * *

أراد شيخ ابتياع جارية شابة فكرهته ، فقال لها : لا يَريبكِ هذا الشيب فإن وراءه ما تحبّين ، فقالت له : أيسرّكَ أن تكون عندك عجوز مغتلة ؟

دخل الشعبى الحمام ، فرأى رجلا مكشوف العورة فغمض عينيه ، فقال له الرجل يهزأ به : متى كف بصرك ياشيخ ؟ فقال : منذ هُتك سترك .

قال بحيرا الراهبُ لأبى طالب : احذر على ابن أخيك فإنه سيصير له شأن ، فقال : فهو إذن فى حصن الله .

ألمّا على معن وقولا لقبره سقتك الغوادى مربعاً ثم مربعاً
فياقبرَ معن أنتَ أولُ حُفرة من الأرض خُطّت للسماحة مضجعا
ويا قبرَ معن كيف واريتَ جودَه وقد كان منه البرُّ والبحر شرّعا
بلى قد وسعت الجودَ والجودُ ميّت ولو كان حيًّا ضقتَ حتى تَصدّعَا
فتى عِيشَ فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراهُ مرتعا

قال الجاحظ : يقال الأشياء كلها ثلاث طبقات : جيِّد ، ووسط ، وردىء ، والوسط من كل شىء أجود من رديئه ، إلا الشِّعر فإن رديئه خير من وسطه ، ومتى قيل شعر وسطٌ فهو عبارة عن الردىء .

أوصى بعض الأعراب ابنه فقال : يا بنى كن سبعا خالسا ، أوذئبا خانسا ، أو كلبا حارساً ، ولا تكن إنسانا ناقصا .

قال فى الفتوحات المكية : إن فلك الثوابت يتم دورته فى ثلاثة وعشرين ألف سنة ، ومائة وسبع وستين سنة . وقال بطليموس : إنه يتمها فى ستة وثلاثين ألف سنة ، وقال الأعلم والمحقق الطوسى : إنه يتمها فى خمسة وعشرين ألف سنة ومائتى سنة .

حسين بن مساعد :

دعانى والغـــرامَ بحسنهنّه فلستُ عن الهوى ألوى الأعنّهْ

كفانى فى المحبـــة ما ألاقى وشاهدِىَ الدموعُ وسَحُّهُنّهْ

ألا أبلغ ظِبـــاء الحىّ عنى سلامَ مُتيّمٍ بفراقهنّـــهْ

وإن مرت نياقُك فى ذُراها فقف بى ساعةً بطلولهنّـــهْ

سكنّاها بأفئـــدة خوال من التفريق كانت مُطمئنّهْ

رعى الله الظباء وإن بظُلم أراقَ دمى ظُبـــا ألحاظِهنّهْ

فدعنى والصبابةَ يا عَذولى فإنّ اللومَ يُغرينى بِهِنّهْ

ومات الجابرىُّ بهن مُضنًى مُصاداً حلّ فى أشراكِهِنّهْ

مضغت أعرابية عِلكاً ثم طرحته وقالت : تعساً له : تعب الأضراس ، وخيبة الحنجرة .

اعلم أن أرباب القلوب على أن الاسم هو الذات مع صفة معينة وتجلّ خاصّ ، وهذا الاسم هو الذى وقع فيه التشاجر أنه هو عين المسمى أو غيره . وليس التشاجر فى مجرد اللفظ كما ظنّه المتكلمون ، فسوّدوا قراطيسهم ، وأفعموا كراريسهم بما لا يجدى بطائل ، ولا يفوق العالم به الجاهل .

أوصى بعض الأعراب ابنه فقال : يا بنى كن سبعا خالسا ، أوذئبا خانسا ، أوكلبا حارساً ، ولا تكن إنسانا ناقصا .

قال فى الفتوحات المكية : إن فلك الثوابت يُتم دورتَه فى ثلاثة وعشرين ألف سنة ، ومائة وسبع وستين سنة . وقال بطليموس : إنه يتمها فى ستة وثلاثين ألف سنة ، وقال الأعلم والمحقق الطوسى : إنه يُتمها فى خمسة وعشرين ألف سنة ومائتى سنة .

حسين بن مساعد :

دعانى والغـرامَ بجـنبهنَّه فلـتُ عن الهوى ألوى الأعنَّه
كفانى فى المحبـة ما ألاقى وشاهدِىَ الدموعُ وسَحُّهُنَّه
الا أبلغ ظبـاء الحىّ عنى سلامَ مُتيَّمٍ بفراقهنّـه
وإن مرت نياقُك فى ذُراها فقف بى ساعةً بطلولهنّـه
سكنّاها بأفئـدة خوال من التفريق كانت مُطمئنَّه
رعى الله الظباء وإن بظُلم أراقَ دمى ظُبـا ألحاظِهنَّه
فدعنى والصبابةَ يا عَذولى فإنّ اللومَ يُغرينى بهنَّه
ومات الجابرىُّ بهن مُضنًى مُصاداً حلّ فى أشراكِهنَّه

مضغت أعرابية عِلكاً ثم طرحته وقالت : تعساً له : تعب الأضراس ، وخيبة الحنجرة .

اعلم أن أرباب القلوب على أن الاسم هو الذات مع صفة معينة وتجلّ خاصّ ، وهذا الاسم هو الذى وقع فيه التشاجر أنه هو عين المسمى أو غيره . وليس التشاجر فى مجرد اللفظ كما ظنّه المتكلمون ، فسوّدوا قراطيسهم ، وأفعموا كراريسهم بما لا يجدى بطائل ، ولا يفوق العالم به الجاهل .

قال أبقراط لرجل رآه يتكلم مع امرأة : تنح عن الفخّ لا تقع فيه . وسئل : أى السباع شر ؟ فقال : النِّساء .

***

قيل للجنيد : ما الدليلُ على وجوده تعالى ؟ فقال : أغنى الصَّباحُ عن المِصباح .

اجتمع جماعةٌ على البهلول ، فقال أحدهم : أتعرف من أنا ؟ فقال البهلول : إى والله ، وأعرف نسبك ، أنت كالكمأة لا أصل نابت ، ولا فرع ثابت .

لبعضهم :

رُفعت رايتى على العشّاق وافتدى بى جميعُ تلك الرفاق

وتنحّى أهل الهوى عن طريقى وانثنى عزم من يروم لحاق

ضُربت سكة المحبّة باسمى ودنت لى منابر العشاق

كان للقوم فى الزجاجة باقٍ أنا وحدى شربتُ ذاك الباقى

شربةً لا أزال سكران منها ليت شعرى ماذا سقانى السّاقى

من كلام بعض الحكماء :

صاحب القناعة عزيزٌ فى عاجله ، مصابٌ فى آجله .

من كلامهم : اليأس يُعز الأسير ، ويُذلّ الأمير .

القناعة مُلك خفى ، والرضا بالقضاء عيشٌ هنى .

قال بعض الأدباء : أحسن الشعر ما كان إلى القلب أسرعَ منه إلى الأذن .

أسلم مجوسىٌ ، فسئل عن الإسلام ، فقال: دينٌ من دخل فيه قطعوا كرته ، ومن خرج منه قطعوا رقبته [ومعنى قطعوا كرته : منع من الزنا] .

[تعريف الحكمة]

الحكمة عندهم هى العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه ، وارتباط الأسباب بالمسببات ، وأسرار انضباط نظام الموجودات ، والعمل بمقتضاه، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً .

والحكمة المنطوق بها هى علوم الشريعة والطريقة . والحكمة المسكوت عنها هى أسرار الحقيقة التى لا يفهمها علماء الرسوم والعوامّ على ما ينبغى فتضرهم أو تهلكهم .

والحكمة المجهولة عندهم هى ماخفى عليهم وجه الحكمة فى إيجاده ، كإيلام بعض العباد ، وموت الأطفال ، والخلود فى النار ،فيجب الإيمان به. والرضا بوقوعه، واعتقاد كونه حقّا وعدلاً . قاله فى الاصطلاحات .

من أمثال العرب قولهم : الحديث ذو شجون . يريد أنه يذكر بعضه ببعض .

[تقسيم النفس، وتعريفها]

النفس الإنسانية إن كانت مسخّرة للقوة البهيميّة ، مائلةً إلى الطبيعة البدنية ، فهى النفس الأمّارة التى تأمر باللذات والشهوات الحسية ، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية ، وهى مأوى الشرّ ومنبع الأخلاق الدنيئة ، والأفعال الرديئة ،قال الله تعالى: « إن النّفس لأمّارة بالسوء » .

وإن كانت حاكمةً على القوة البهيمية ، منقادةً للقوة الملكية ، راسخةً فيها الأخلاقُ المرضية ، فهى النفس المطمئنّة المترقّية إلى جانب عالَم القدس ، المتنزهة عن جانب الرّجس ، للواظبةُ على الطاعات التى طال شوقها إلى حضرة رفيع الدرجات ،

حتى خاطبها بقوله : « يا أيتها النفسُ المطمئنة ارجعى إلى ربِّك راضيةً مَرضيّةً ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

وإن لم يكن فيها شىء من الأخلاق الفاضلة ، ولا الرذائلِ المهلكة لها ، بل تميل إلى الخير تارةً ، وإلى الشرّ أخرى ، وإذا صدر منها شىء لامت نفسها ، فهى النفس اللوّامة التى حصلت من النور على مقدار ما تتنبه به من سنة الغفلة ، فبدأت بإصلاح حالها من جهة الربوبية والحقيقة ، وكلما أساء طبعها الأصلى تداركها نور التنبيه فأنابت واستغفرت ربها ، وأقبلت عليه ، ولهذا أقسم الله بها فقال « ولا أقسم بالنفس اللوّامة » .

الخالدى :

هتف الديك بالدجى فاسقيها خمرة تترك المُقلّ سفيها
لست أدرى من رقة وصفاء هى فى كأسها أم الكأس فيها

أتى المنصور برجل أذنب ، فأمر بقتله ، فقال : إن الله يأمرك بالعدل والإحسان ، فإن أخذت فى غيرى بالعدل فخذ فىّ بالإحسان ، فأمر بإطلاقه .

قيل لبعض الحكماء : ما الشىء الذى لا يجوز أن يقال وإن كان حقًا ؟ فقال : ذكر الرجل مآثره .

شكا يزيد بن أسيد إلى المنصور ما أصابه من العباس أخى المنصور فقال له المنصور : اجمع إحسانى إليك مع إساءة أخى فإنهما يتعادلان ، فقال يزيد : إذا كان إحسانكم إلينا جزاء لإساءتكم ، كانت الطاعة منا لكم تفضلا .

وصف أعرابى امرأة فقال : هى أرقّ من الهواء ، وأحسن من النعماء ، تكاد العيون تأكلها ، والقلوب تشربها ، فكأنما خاصمت الولدان فهربت من رضوان.

قال إسكندر لابنه : يا بن الحجّامة ، فقال : أما هى فقد أحسنت الاختيار ، وأما أنت فلا .

قال الأطباء : كل حيوان إذا خصى زال صنانه ، كالتيس ونحوه ، إلا الإنسان فإنه يزداد نتنا وصنانا .

قال الفرزدق : ربما أتت علىّ ساعة كان قلعُ ضرسى أهونَ علىّ من أن أقول بيتا .

[هل الأرض شفافة ؟]

القول بأن الأرض شفافة يلزمه ألّا يقع خسوف أصلا ، إذ لو كان ينفذ فيها شعاع الشمس فأىّ شىء يحجب نورها عن القمر ؟ ولعل القول بأنها شفّافة من قبيل طغيان القلم ، وتفسير الشفّاف بما لا لون له ولا ضوء مما لا يساعد الاصطلاح .

لبعضهم :

لقد هَتفت فى جنح ليل حمامةٌ على فننٍ وهْنا وإنى لنائم
كذبتُ وبيتِ الله لو كنتُ عاشقا لما سبقتنى بالبكاء الحمائم

لآخر :

بقيت غداة النوى حائراً وقد حان ممن أحبّ الرحيل
فلم تبق لى دمعةٌ فى الشئو ن إلّا غدتْ فوق دمعى تسيل
فقال نصيح من القوم لى وقد كاد يقضى علىّ العويل
ترفّق بدمعك لا تفنه فبين يديك بكاء طويل

فى وصف الكتاب :

قال الرياشى : قال لى الأصمعى : ألا أدلك على لسان يكون فى كمك ، وروضةٍ

مكانها حجرك ، وأخرسَ يملك إذا شئت ، وينقطع عنك إذا سئمت ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : هو كتابك ، فعليك به .

***

الشريف الرضى :

أأبقى كذا نِضوَ الهموم كأنما ... سقتنى الليالى من عقابيلها سُمّا
وأكبر آمالى من الدهر أننى ... أكون خليا لا سروراً ولا غمّا
فلا جامعاً مالا ولا مدركا عُلا ... ولا مُحرزا أجراً ولا طالبا علما
كأرجوحة بين الخصاصة والغنى ... ومنزلة بين الشقاوة والنُّعمى

لبعض الأعراب :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنـــا ... فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لأنّ النوم يغشى عيونهم ... سِراعا ولا يغشى لنا النومُ أعينا
إذا ما دنا الليل المضرُّ بذى الهوى ... جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يُلاقون مثلَ ما ... نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلَنا

لبعض الأعراب :

ألا إن لى نفسَين نفساً تقول لى ... تمتّع بليلى ما بدا لك لينُهـــا
ونفسا تقول استبْق ودّك واتّئدْ ... ونفسَك لا تطرح على من يُهينها

من كلام بعض الحكماء :

خير الأمور ثلاثة : الحياةُ ، وضِعف الحياة ، وما هو خيرٌ من الحياة : فأما الحياة : فالراحة وحسن العيش . وأما ضِعف الحياة : فالمحمدة وحسن الثناء . وأمّا ما هو خير من الحياة : فرضوان الله تعالى .

وشر الأمور ثلاثة : الموتُ ، وضِعفُ الموت ، وما هو شرٌّ من الموت: أما الموت فالفاقة والفقر . وأمّا ضِعف الموت : فالمذمّةُ وسوء الثناء . وأما ما هو شرٌّ من الموت فسخط الله تعالى .

[حقيقة النفس]

المذاهب فى حقيقة النفس ـ أعنى ما يشير إليه كل أحد بقوله أنا ـ كثيرةٌ والدائر منها على الألسنة ، والمذكور فى الكتب المشهورة أربعةَ عشرَ مذهبا: الأول: هذا الهيكل المحسوس ، المعبّر عنه بالبدن . . الثانى : أنها القلب: أعنى العضوَ الصّنوبرىَّ اللّحْمانىّ المخصوص . . الثالث : أنها الدماغ . . الرابع أنها أجزاء لا تتجزّى فى القلب وهو مذهب النظّام ومتابعيه . . الخامس أنها الأعضاء الأصلية المتولدة من المنىّ . . السادس أنها المزاج . . السابع أنها الروح الحيوانىُّ . ويقرب منه ما قيل : إنها جسم لطيف سار فى البدن سريانَ الماء فى الورد ، والدهنِ فى السمسم . . الثامن : أنها الماء . . التاسع : أنها النار والحرارة الغريزية . . العاشر : أنها النَّفَسُ . . الحادى عشر: أنها هى الواجب ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا . . الثانى عشر: أنها الأركان الأربعة . . الثالث عشرَ : أنها صورة نوعيةٌ قائمةٌ بمادّة البدن ، وهو مذهب الطبيعيين . . الرابعَ عشر : أنها جرم مجرد عن المادّة الجسمانية وعوارض الجسمانيات ، لها تعلُّقٌ بالبدن تعلّقَ التدبير والتصرف . والموت هو قطع هذا التعلق . وهذا هو مذهب الحكماء الإلهيّين ، وأكابر الصوفية ، والإشراقيّين ، وعليه استقرّ رأى المحقّقين من المتكلمين ، كالإمام الرازى ، والغزالى ، والمحقق الطوسى وغيرهم من الأعلامَ ، وهو الذى أشارت إليه الكتب السماوية ، وانطوت عليه أنباء النبوة

وقادت إليه الإيماءات الحسّيّة والمكاشفات الذّوقيّة .

***

قال الرشيد للفُضيل : ما أزهدك ! قال أنت أزهد منى ياأمير المؤمنين ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى زهدت فى الفانى وزهدتَ أنت فى الباقى .

قال بعض العرب : إن من كمال اليقظة إظهارَ الغفلة مع تمام الحذر .

لبعضهم :

إن يكن نالك الزمان ببلوى ... عظُمت عندها الأمور وجلّت

وأتت بعدها مصائبُ أخرى ... سئمت عندها النفوسُ وملّت

فاصطبر وانتظر بلوغ مداها ... فالرزايا إذا توالتْ تولّت

لبعضهم :

ووالله ما أدرى أيغلبنى الهوى ... إذا جَدّ جِدُّ البين أم أنا غالبُهْ

فإن أستطع أغلِبْ وإن غَلبَ الهوى ... فمثل الذى لاقيتُ يغلب صاحبه

سمع الأصمعى بعضَ الأعراب ينشد :

أحسنت ظنّك بالأيام إذ حسُنت ... ولم تخَفْ شر ما يأتى به القدَر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفوِ الليالى يحدُث الكدر

فقال : كأنه مأخوذ من قوله تعالى : « حتّى إذا فرِحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مُبلِسون » .

قال الراغب :

سمى الطريق صراطا على توهّم أنه يبتلع سالكه ، أو يبلعه سالكه ، كما يقال: أكلته المفازة ، إذا أضمرته وأهلكته ، وأكل المفازة: إذا قطعها ، ولذلك يسمى لَقَماً ـ بفتحتين ـ لأنه يلتقمهم ، أو يلتقمونه .

عن ابن مسعود أنه قال : الصلاة مكيال ، فمن وفّى وُفّى له ، ومن طفّف فقد سمعتم ما قال الله تعالى فى المطفّفين .

لأبى نصر الفارابى :

نظرت بنور العـــلم أولَ نظرة   فغبت عن الأكوان وارتفع اللّبس
وما زال قلبى لائذا بحماكم   وحضرتـكم حتى فنت فيـكم النفسُ
فصار بـكم ليلى نهـــارا وظلمتى   ضياء ولاحت من ضيائـكم الشّمس

***

قال لقمان الحـكيم : ثلاثةٌ لا يُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : الشّجاعُ عنـــد الحرب ، والحليمُ عند الغضب ، وأخوك عند حاجتك إليه .

قال بعضهم : ثلاثة ليس فيهنّ حيلةٌ : فقرٌ يخالطه كسل ، وعداوة يداخلها حسد ، ومرض يمازجه هرم .

قال الحسن بن سهل : ثلاثة أشياء تذهب ضياعاً : دينٌ بلا علم ، وقدرةٌ بلا فعل ، ومالٌ بلا بذل .

وقال بعضهم : إذا استغنى الرجل وحسنت حاله ابتلى به أربعة : خادمه القديم يستغنى عنه ، وامرأته يتسرّى عليها، وداره يهدمها ويبنى غيرها، ودابته يستبدل بها.

قالت امرأة لزوجها : والله ما يقيم الفأر فى بيتك إلا لحب الوطن .

قال الأحنف بن قيس : تُحمد العجلة إلا فى أربع : تزويج القرابة إذا وجـد لها كفء ، ودفن الميت ، وركوب مالا بُدّ منه من الهول ، وصنيعة المعروف .

قال المأمون : الرجال ثلاثة : رجل كالغذاء لا يستغنى عنه ، ورجل كالدّواء قد يحتاج إليه . ورجل كالداء نعوذ بالله منه .

قال بعضهم : من منع نفسه من أربعة سعـــــد : العجلة ، واللجاج ، والتوانى ، والعُجب .

السعد خلاف النحس ، وإذا كان الوصفُ للإنسان فهو مقابلِ للشقىّ ، لكن يختلف الفعل فيهما ، فإن الماضى فى الأول مفتوحُ العين ، وفى الثانى مكسورُها .

فى كليلة ودمنة : ينبغى أن ينفق ذو المال ماله فى ثلاثة مواضع : فى الصدقة إن أراد الآخرة ، وفى مصانعة السلطان وأعوانه إن أراد الدنيا ، وفى النساء إن أراد العيش .

فى دماج :

ومضروبٍ بلا جُرم ... مليحِ اللون معشوقِ

له شكل الهـــلال على ... رشيق القد ممشوقِ

وأكثر ما يرى أبداً ... على الأمشاط فى السوقِ

الغِذاء الذى لاغناء عنه فى قوام البدن لابدّ منه ، فليُقتصر على ما لا يمكن التبلغ بأقل منه ، وهو أكل الصالحين ، وعلى هذا روى : عند أكل الصالحين تنزل الرحمة .

قال أمير المؤمنين علىّ عليه السلام : من كرم المرء أربع خصال : ملكته للسانه ، وإقباله على شانه ، وحبه لأوطانه ، وحفظه لقديم إخوانه .

وقال عليه السلام : لا خير فى صحبة مَن إن حدّثك كذَبَك ، وإن حدثته كذبك ، وإن ائتمنته خانك ، وإن ائتمنك اتهمك ، وإن أنعمت عليه كفرك ، وإن أنعم عليك منّ بنعمته .

[حكم مأثورة]

من أشرف فعال الكرام غفلتهم عما يعلمون .

من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا .

لسان الجاهل مالكٌ له . . . لكل قوم يوم . .

موت الخيِّر راحة لنفسه ، وموت الشرّير راحة لغيره . . .

خير مالك ما وقاك ، وشره ما وقيته . . . خير ما جربت ما وعظك . . .

خير الأوطان أعونها على الزمان . . . خير البلاد ما حملك .

فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها . . .

ظلم الضعيف أفحش الظلم . .

من التوفيق التوقف عند الحَيْرة . . . خاطر بنفسه من استبدّ برأيه . . .

قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل . . . صلاح نفسك معرفتك بفسادها . .

ارعَ حقَّ من عظَّمك لغير حاجة إليك . . .

اعرف أخاك بأخيه قبلك .

قارب الناسَ فى عقولهم تسلمْ من غوائلهم .

دع ما شاءَ القلب لا ما شاء الرب . . . لا تُنكح خاطب سرك .

لا تفتح بابا يُعييك سدّه ، ولا تُرسل سهما يُعجزك ردّه .

لا تستحِ من إعطاء القليل ، فإن المنع أقل منه .

لا تكن كالجراد يأكل ما وجده ، ويأكله ما وجده .

لا تكن رَطبا فتعصرْ ، ولا يابسا فتكسر .

لا يزيدنّك لطفُ الحسود إلا وحشةً منه . . . إذا قُبح السؤال حسن المنع .

لا تشرب السم اتكالا على ما عندك من الترياق .

لا تتهاوَنْ بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمُوّ .

لا تقل ما لا تعلم فتُتّهم بما لا تعلم .

لا تصحب الأشرارَ فإنهم يَمُنّون عليك بالسلامة منهم .

إذا فاتك الأدبُ فالزم الصمتَ .

إذا اشتبه عليك أمران فاجتنبْ أقربَهما من هواك .

إذا لم يكن ما تريد فرِدْ ما يكون .

مرّ حاتم الطائى ببلاد بنى عنزة ، فناداه أسير فى أيديهم : يا أبا سفانة قتلنى الإسارُ والقمل، فقال : ويحك ، والله لقد أسأتَ إذ نوهتَ بى فى غير بلادى، ثم نزل فشدّ نفسه مكانَه فى القِدِّ وأطلقه ، ولم يزل إلى أن بلغ الخبر قومه ففدوه بمال كثير.

قال أفلاطون : الملِكُ كالنهر ، والأُمراء كالسواقى ، فإن كان عذبا عذُبت ، وإن كان مِلحا ملُحت .

[تعريف البلاغة]

سئل ابن المقفّع : ما البلاغة ؟ فقال : الإيجاز من غير عجز ، والإطناب فى غير خطل . . . وسئل مرة أُخرى عنها فقال : هى التى إذا سمعها الجاهل ظنّ أنه يُحسِن مثلها .

من كلام الحكماء : الأمانى أحلام المستيقظين . . المنية تضحك من الأُمنيّة . . . السِّلم سُلّم السّلامة . . . الرِّشوة رِشاء الحاجة . . . الليل يكفيك الجبانَ ونصفَ الشّجاع . . . البرايا أهداف البلايا . . .

مرّ الفرزدق بزياد الأعجم وهو قائم ينشد ، فقال له : تكلمت يا أغلف ! فقال : ما أسرع ما أخبرتكَ بها أمّك ! ! من أعزّ فلسه أذل نفسه . . . من كانت

حيـانك به فُتَ دونه . . . من تأنى أصاب ما تمنى . . . العفو عن المقر لا عن المصرّ . . .

قال بعض القضاة : إذا جاءك الخصم وقد فقئت عينه ، فلا تحـكم له إلى أن يجىء خصمه ، فلعله يأتيك وقد فقئت عيناه معاً .

قال أفلاطون : الظفر شافع المذنبين لدى الـكرماء . . ومن كلامه : إذا صار عدوك فى قبضتك فقد خرج من جملة أعدائك ، ودخل فى عدة حشمك .

[وفاء أعرابى]

أُتى الحجاج بقوم كانوا قد خرجوا عليه ، فأمر بقتلهم وبقى منهم واحد ، وأقيمت الصلاة ، فقال الحجاج لقتيبة بن مسلم : ليكن عندك ، وتغدو به علينـا ، قال فخرجت والرجل معى ، فلما كنا فى الطريق قال لى : هل لك فى خير ؟ قلت وما هو ؟ قال إن عندى ودائعَ للناس ، وإن صاحبك لقاتلى ، فهل لك أن تخلى سبيلى ؛ لأودّع أهلى وأعطى كل ذى حق حقّه ، وأوصى بما علىّ ولى ، والله تعالى كفيـلٌ لى أن أرجع إليك بُـكرة . قال فتعجبت من قوله وتضاحكت . قال : فأعاد علىّ القول وقال : ياهذا ، والله كفيل أن أعود إليك . وما زال يلحّ إلى أن قلت : اذهب . فلما توارى عنى كأننى انتبهت ، فقلت : ماصنعت بنفسى ، ثم أتيت أهلى فباتوا بأطول ليلة ، فلما أصبحنا إذا برجل يقرع الباب . فخرجت وإذا به ، فقلتُ رجعتَ ؟ فقال : جعلت الله كفيلا ولا أرجع ! فانطلقت ، فلما بصر بى الحجاج قال : أين الأسير ؟ قلت : بالباب أصلح الله الأمير ، فأحضرته وقصصت عليه القصة ، فجعل يردد نظره فيه ، ثم قال وهبته لك ، فانصرفت به ، فلما خرجت من الدار قلت له : اذهب أين شئت ، فرفع بصره إلى السماء وقال : اللهم لك الحمد ، ولا قال لى

أحسنت ولا أسأت ، فقلت فى نفسى: مجنون ورب الكعبة . فلما كان فى اليوم الثانى جاءنى فقال يا هذا جزاك الله عنى أفضل الجزاء ،والله ماذهب عنى أمس ماصنعت ، ولكن كرهت أن أشرك فى حمد الله أحداً

* * *

فى كتاب الجواهر : ارتجـلَ علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام تسع كلمات ، قطِعت أطماعُ البلغاء عن واحدة منهن : ثلاث فى المناجاة ، وثلاث فى العلم ، وثلاث فى الأدب .

أما التى فى المناجاة فقوله : كفانى عزًّا أن تكون لى ربًّا ، وكفانى فخراً أن أكون لك عبداً ، كنت لى كما أحبّ فوفقنى لما تحب .

وأما التى فى العلم فقوله : المرء مخبوء تحت لسانه ، ما ضاع امروٌ عرف قدره ، تكلّموا تُعرفوا .

وأما التى فى الأدب ، فقوله : أنعِم على من شئت تكن أميرَه ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره .

لبعضهم :

يا حسَنَ الوجه توق الخنــا ... لا تُبدلّن الزَّينَ بالشَّين

ويا قبيح الوجه كن محسنا ... لا تجمعــنْ بين قُبحين

قال بعض الأمراء : دعوتان أرجو إحداهما بقدر ما أخاف الأُخرى ؛ دعوة مظلوم أعنتُه ، ودعوةُ ضعيف ظلمتُه .

قال سقراط : من لم يصبر على تعب العلم صبر على شقاء الجهل .

وقع حريق فى بيت كان فيه زين العابدين على بن الحسين وهو فى صلاته ، فجعلوا يقولون له: يابن رسول الله، يابن رسول الله، النار النار، فما رفع رأسه من سجوده

حتى أطفئت ، فقال له بعض خواصّه : ما الذى ألهاك عنها ؟ فقال : نار الآخرة .
وكان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل يطوف به على فقراء المدينة يتصدّق به عليهم ويقول : صدقة السر تطفئ غضب الرب .

ابن القِرِّيّة يضرب به المثل فى الحفظ ، والقرّية أمه ، وهى بكسر القاف ، وتشديد الراء المكسورة . وهى فى الأصل حوصلة الطائر ، وهو ممن قتلهم الحجّاج .

ابن سناء الملك :

سار الحبيب بليل حين ودّعنى ... ولم يدع لى صبراً ساعة البين
وقال إن كنتَ مشتاقا إلى نظرى ... أجر المدامعَ حُمراً قلتُ من عينى

العفيف التلمسانى :

بحق هذى الأعين الساحرهْ ... وحق هذى الوجنة الزاهرهْ
خَفْ فى الهوى إثمى أيا قاتلى ... فاليوم دنيا وغداً آخرهْ

أوحى الله إلى داود عليه السلام : اذكرنى فى أيام سرّائك حتى أستجيب لك فى أيام ضرائك .

أنشد النابغة الذبيانى عند النبى صلى الله عليه وسلم قوله :

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدّرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك ، فكان من أحسن الناس ثغرا .

قال بعض الحكماء : العمر أقصر من أن تصرفه فيما لا يعنيك .

لبعضهم :

من بأسياف هجرهم كلّمونا ... ما عليهم لو أنهم كلّمونا

أغلقـــوا باب نصحهم فتح اللـــه لهم بالهنـــــاء فتحا مبينا
ملـكوا رقنـــا فصرنا عبيداً ليتهم بعد رقنـــا كاتبونا
وغدونا لهم أرقا ولـكن قد تمالوا فى الهجر مذفارقونا

سئل اسطرخس الصامت عن سبب صمته فقال : لأنى لم أندم عليه قطّ ، وكم ندمت على الـكلام .

ابن حجر :

مِزاجُ خمرة فيه جاء مُعتـــدلا فراح منه مزاجُ الرّاح منحرِفا
ومذ غدا جسمُه ماء برقّتـــه علمتُ والله أن القلبَ منه صفا

سأل بعض الأنبياء ربه أن يكف عنه ألسنة الناس ، فأوحى الله إليه : إن هذه خصلة لم أجعلها لنفسى ، فـكيف أجعلها لك ؟

مثل نفس الإنسان فى بدنه كمثل وال فى بلده ، وقواه وجوارحه أعوانه ، والعقل له وزيرٌ ناصحٌ ، والشهوة فيه كعبد سوء جالبٍ للشر .

لبعضهم :

لقـــد قال الرسول وقال حقّا وخير القول ما قال الرسول
إذا بَدتِ الحوائج فاطلبـــوها إلى من وجهُه حسنٌ جميـــل

قال بعض الحـكماء : إن الله تعالى خلق الملائـكة من عقل بلاشهوة ، وخلق البهائم من شهوة بلا عقل ، وخلق الإنسان من عقـــل وشهوة ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائـكة ، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم .

[حــكم]

من دام كسله خاب أمله . من ركب جدّه غلب ضدّه . من أعمل اجتهاده حصّل مرادَه .

قيل لبعض الحكماء : أى إخوانك أحب إليك ؟ قال من سدّ خَللى ، وقبل عِللى ، وغفر زللى .

* * *

من كلام عيسى عليه السلام : لا تضعوا الحكمة فى غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم .

من كلام بعض الحكماء : لا تستصغروا شيئاً من المعروف إن قدرتم على اصطناعه ، فإن اليسير فى حال الحاجة أنفع لأهله من درك الكثير فى حال الغنى عنه .

وفى الحديث :

« المجنون من يتمنّى على الله جنّته وهو مقيم على معصيته » .

إلى هنا انتهى ما أمكن اختياره من المجلدين الرابع والخامس من الكشكول اللذين لم يسبق طبعهما .

وقد ظهر لنا — بعد البحث — أن فيهما مكررا كثيرا مما ذكر فى المجلد الأول، والثانى ، والثالث ، فاقتصرنا على ما لم يسبق طبعه فألحقناه بنسختنا ، فأصبحت

مشتملة على خمسة مجلدات من الـكشكول ، وهى أ كثر ما وجدناه فيما عثرنا عليه من النسخ ، بخلاف ماتقدمها من الطبعات ؛ فإنها اشتملت على ثلاثة مجلدات فقط.

وبعد . فهذه نسخة ممتـازة من « الـكشكول » اشتملت على مالم يشتمل عليه غـيرها من النسخ المطبوعة القديمة ، نقدمها إلى قراء الأدب ، نرجو أن تـكون فى محل القبول منهم ؟ « مكتبة عيسى البابى الحلبى » .

انتهى كاتب النسخة التى نقلنا منها الزيادة من كتابتها يوم ١٤ من المحرم سنة ١٠٦٠ هـ .

شرح الشيخ أحمد المنينى

على قصيدة بهاء الدين العاملى صاحب الكشكول ، والمسماة

« وسيلة الفوز والأمان ، فى مدح صاحب الزمان »

وهو المهدى المنتظر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح خزائن المعاني بمفاتيح العناية الإلهية ، وكشف عن وجوه مخدرات المباني نقاب الاشتباه بمصابيح الفيوضات الربانية .

والصلاة والسلام على خاتم الرسل ، الهادي إلى أقوم السبل ، محمد الساطع كوكب نبوته في دياجير الفترة ، وعلى آله وأصحابه وعترته المُونين على كل عترة .

أما بعد فيقول راجي عفو ربه ، وأسير وصمة ذنبه ، أحمد بن علي الشهير بالمنيني (*) ، ستر الله عيوبه ، وغفر ذنوبه ، وملأ بزلال الرضوان ذَنوبه : قد وقع في مجلس مولانا السيد محمد أفندي هاشم زاده الهاشمي المذاكرةُ بالقصيدة الموسومة « بوسيلة الفوز والأمان ، في مدح صاحب الزمان » المنسوبة لخاتمة أهل الأدب محمد بهاء الدين العاملي رحمه الله ، فرأيته ناظرا إليها بعين الاستحسان ، معجباً بما في أبياتها من دقائق سحر البيان ، ولعمري إنها لحرِيّة بذلكِ ؛ فإنها مع رصانة مبانيها ودقة معانيها غير متوعرة المسالك ، فسنح لي أن أخدم بشرحها خزانة كتبه العامرة ؛

(*) قال في معجم المطبوعات العربية والمعربة : أحمد بن علي ، بن عمر ، بن صالح ، بن أحمد ، ابن سليمان ابن إدريس الطرابلسي الأصل [طرابلس الشام] المنيني المولد ، الدمشقي المنشأ .
ولد بقرية منين (من قرى دمشق) سنة ١٠٨٩ أخذ العلم عن الشيخ أبي المواهب المفتي ، والشيخ عبد الغني النابلسي ، وغيرهما .
كان لطيف الطبع ، متضلعا في الأدب وفنونه ، درس بالعادلية الكبرى وبالجامع الأموي مدة عمره .
له شرح على قصيدة بهاء الدين العاملي صاحب الكشكول المسماة (وسيلة الفوز والأمان ، في مدح صاحب الزمان) ويعني بصاحب الزمان المهدي المنتظر .
توفي بدمشق سنة ١١٧٢ ودفن بمقبرة مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى .

لأن بضاعة الأدب عنده رائجة ، وإن كانت فى زماننا كاسدة بائرة .

وأرجو منه أن ينظر إليه بعين الرضا ، وأن يجرّ عليه ذيل الإغضا .

وليُعلم أن هذه القصيدة فى مدح المهدى الموعود به أنه يخرج فى آخر الزمان .

وذهب الإمامية ، ومنهم ، الناظم ، إلى أنه محمد بن الحسن العسكرى ، أحد الأئمةالإثنى عشر — باصطلاحهم — الذين أثبتوا لهم العصمة فى اعتقادهم ، وأنه مختف بسرداب بِسُرمن رأى، إلى أن يأتى أوان ظهوره ، وهذا باطل ، لأن محمد بن الحسن العسكرى توفى فى حياة والده ، وأخذ ميراثَ والده عمُّه جعفرُ . ووفاة الحسن العسكرى لسبع خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة كما ذكره ابن خلكان .

وهذه القصيدة قالها ناظمها رحمه الله ، متخلّصا إلى مديح المهدى المذكور ، يحرضه ويحثه على الخروج ، على زعم الشيعة أنه موجود فى زمنه ، وأنه يطلع عليه بعض خواص شيعته ، وربما كان الناظم يطمع فى وصول مدحته إليه ، وهذا من التخيلات الفاسدة والأوهام الفارغة ، أجارنا الله تعالى منها .

وها أنا أشرع فى المقصود بفضل الله وطَوله، وقوته وحوله، متعرضا لبيان اللغة وما يُحتاج إليه من الإعراب ؛ إذ بهما يماط عن وجوه المعانى النقاب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

﴿ سرى البرقُ من نجد فجدّد تذكاري عهوداً بحُزوى والعُذيب وذِي قارِ ﴾

يقال سريت الليل ، وسرَيت به سرَيا ، والاسم السراية ، إذا قطعته بالسير. وأسريت بالألف لغة حجازية ، ويستعملان متعديان بالباء إلى مفعول ، فيقال : سريت بزيد وأسريت به ، والسُّرْية بضم السين وفتحها أخص ، يقال سرينا سُرية من الليل وسَرية . والجمع السُّري ، مثل مدية ومدى .

قال أبو زيد : ويكون السُّرى أوّل الليل وأوسطه وآخره ، كذا فى المصباح .

وفى القاموس : السُّرى - كالهدى - سير عامّة الليل ، وسرى به وأسراه ، وبه ، وأسرى بعبده ليلا تأكيد . انتهى : أى لأنّ السرى لا يكون إلا ليلا .

وسرى البرق هنا مجاز عن ظهوره وانتشار ضوئه . قال فى المصباح : وقد استعملت العرب سرى فى المعانى تشبيها لها بالأجسام مجازا واتساعا . قال الله تعالى : « والليلِ إذا يَسْر » والمعنى إذا يمضى . انتهى .

والبرق : واحد بروق السحاب ، أو ضرب من السحاب .

والنجد : ما ارتفع من الأرض ، والجمع نجود ، مثل فلس وفلوس . وأَنْجُد ، وأنجاد ، ونُجُد ، وجمع النجود أنجدة . قال فى المصباح : وبالواحد سمى بلاد معروفة من ديار العرب مما يلى العراق ، وليست من الحجاز وإن كانت من جزيرة العرب . وأولها من ناحية الحجاز ذاتُ عرق ، وآخرها سواد العراق .

وفى التهذيب : كل ماوراء الخندق الذى خندقه كسرى على سواد العراق فهو نجد إلى أن تميل إلى الحرة ، فإذا ملت إليها فأنت فى الحجاز انتهى . والتذكار بالفتح ، والذكر بالكسر : الحفظ للشىء كما فى القاموس ، وهو من المصادر

التي جاءت على تَفعال بالفتح للمبالغة ، ولم يأت منه بالكسر إلا التِّلقاء والتِّبيان وفى المصباح : ذكرته بلسانى وبقلبى ذكرى بالتأنيث وكسر الذال ، والاسم ذُكر بالضم والكسر ، نص عليه جماعة منهم أبو عبيـدة وابن قتيبة ،وأنكر الفراء الكسر فى القلب ، وقال : اجعلنى على ذكر منك بالضم لاغير ، ولهذا اقتصر عليه جماعة . ويتعدى بالألف والتضعيف فيقال : أذكرته وذكرته ما كان فتذكر انتهى . والعهود جمع عهد وقد ذكر له فى القاموس نحو ثلاثة عشر معنى : منهما الحفاظ ، ورعاية الحرمة ، والذمة ، والالتقاء ، والمعرفة، يقال ،فلان ما تغير عن العهد أى عن حفظ الود ، وعهدى به قريب أى لقائى ، والأمر كما عهدت أى كما عرفت ، وكل واحد من هذه المعانى مناسب هنا وأنسبها أولها .

وحزوى ـ بالحاء المهملة والزاى كقصوى ـ : موضع من أماكن الدهناء ، والدهناء من ديار تميم . والعذيب : مصغر العذب اسم ماء ، كالعذيبة موضع بين الكوفة وواسط ، وقرية بالرى ، ويوم ذى قار يوم من أيام العرب مشهور، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم .

الإعراب : سرى فعل ماض ، والبرق فاعله ، فجدد فعل ماض معطوف على سرى بفاء السببية ، وفاعله ضمير يرجع إلى البرق، وتذكارى مفعوله، وعهودا مفعول به لتذكارى ، وهو مصدر مضاف لفاعله . وبحزوى مجرور بالباء التى بمعنى فى، وهو ظرف فى محل نصب صفة لعهودا ، والعذيب وذى قار مجروران بالعطف على حزوى .

ومعنى البيت : أن البرق لمع من قبل نجد فجدد لى تذكرا للقاء أحبابى أيام اجتماع شملى بهم فى منازلهم المحققة أو المتخيلة التى هى حزوى والعذيب وذو قار . ثم عطف على قوله جدد قوله :

﴿ وهيّج من أشواقنا كلَّ كامنٍ وأجّج فى أحشائنا لاعجَ النار ﴾

اللغة : هيج مزيد هاج اللازم ، يقال هاج يهيج هَيْجا وهَيَجانا وهياجا بالكسر : ثار . ويقال : هاجه إذا أثاره ، فجاء لازما ومتعديا . وأشواقنا جمع شوق وهو نزوع النفس وحركة الهوى . والكامن اسم فاعل ، من كمن كمونا من باب قعد : توارى واستخفى . وكمن الغيظ فى الصدر : خفى ، وأكمنته : أخفيته وأجج : مزيد أجّت النار تؤج ـ بالضم ـ أجيجا : توقدت وتلهبت . وأججها : أوقدها وألهبها . والأحشاء جمع حشى مقصورا : المِعى ، وما دون الحجاب مما فى البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه ، وأما بين ضلع الخلف التى فى آخر الجنب إلى الورك . ولاعج : اسم فاعل ، من لعجت النار الجلد : أحرقته . وألعجها فى الحطب : أوقدها .

الإعراب : هيّج فعل ماض ، فاعله ضمير يرجع إلى البرق . ومن أشواقنا فى محل النصب على الحال من كل . وكل مفعول به لهيّج . وكامن مضاف إليه . وأجج عطف على جدد أو هيج ، وفاعله ضمير يرجع إلى البرق . وفى أحشائنا متعلق به ، ولاعج النار مفعوله . والانتقال من ضمير المتكلم وحده مع غيره لا يخلو عن إشارة ما إلى أن أشواقه التى هيجها البرق أشواقٌ عظيمة لا يقدر على حملها إلا بانضمام قرين ومظاهرة ظهير ومساعدة معين . وهذا الانتقال سماه بعضهم التفاتا .

والمعنى أن هذا البرق النجدى أثار أشواقنا التى كنا نضمرها ، وعن الناس نخفيها ونسترها ، وأوقد فى قلوبنا النار الشديدة المحرقة لفرط تحسرنا على فوات وصال الأحباب ، وتأسفنا على زمان الاجتماع بهم فيما ألفوه من المنازل والرحاب .

﴿ ألا يالُيَيلات الغُوير وحاجرٍ سُقيتِ بهامٍ من بنى المزن مدرارِ ﴾

اللغة : ألا حرفُ استفتاح غير عاملة ، وتأتى للتنبيه وتفيد الكلام تحقيقا لتركبها من همزة الاستفهام ولا النافية ، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفى أفادت التحقيق ،

كقوله تعالى : « ألا إنهم هم السّفهاء » وتأتى للتوبيخ ، والإنكار ، والاستفهام الحقيقى عن النفى ، وللعرض، والتحضيض. ويا حرف لنداء البعيد حقيقة أوحكما .
ولييلات: جمع لييلة مصغر ليلة وتصغيرها للتقليل، لأن الشعراء يعدون أوقات السرور قصيرة لسرعة تصرمها وتقضّيها، ويعدون أوقات الأكدار والهموم طويلة لاستثقالهم إياها ، وتصبيرهم أنفسهم على المكروه فيها وهذا مايشهد به الوجدان، ويظهر ظهور الشمس للعيان ، وهو أحد التأويلات فى قوله تعالى : «فى يوم كان مقدارهُ خمسين ألف سنة » والغوير - كزبير - تصغير غار، واسم ماء لبنى كلب. والحاجر: الأرض المرتفعة ووسطها منخفض ، ومايمسك الماء من شفة الوادى، ومنزل للحجاج بالبادية، كذا فى القاموس ، ولعل مراد الناظم المعنى الأخير. وهام: اسم فاعل من همى الماء ، والدمع يهمى هميا وهميانا : سال . وهو صفة لموصوف محذوف أى بسحاب هام .
وبنى جمع تكسير لابن ملحق بجمع السلامة فى إعرابه بالحروف ، والأصل : أن يقال ابنون، لكنه جمع على بنين مراعاة لأصله، لأن أصله بنو، فحذفت لامه وعوض عنها الهمزة فى الابتداء ، والأصل أن يضاف إلى ما هو أصل له بطريق التوالد، لما فى القاموس : الابن الولد ، وقد يضاف إلى غير ذلك لملابسة بينهما، كابن السبيل، وابن الحرب ، وابن الدنيا ، وابن الماء لطير الماء وحيوانه ، وما هنا من هذا القبيل.
والمزن بالضم : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء منه ، القطعة منه مزنة ، ومدرار: صيغة مبالغة من درّت السماء درّا ودرورا ، فهى مدرار ، وإيقاع السقيا على الليالى هنا مجاز عقلى فى الإيقاع ، كقولك جرى النهر ، وقوله تعالى : « ولا تُطيعوا أمر المسرفين » . وحقيقته جرى الماء فى النهر ، ولا تطيعوا المسرفين فى أمرهم ، وإنما قلنا إن إيقاع السقيا على الليالى مجاز لأن طلب السقيا للانتفاع، والليالى لا انتفاع لها بالمطر ، وإنما الانتفاع لأهلها ولأمكنتهم ، كما قال :

فسقى ديارَك غيرَ مُفسِدها صوبُ الحياء وديمةٌ تهمى

الإعراب : ألا حرفُ استفتاح ، ويا حرف لنداء البعيد . وليبلات منادى مضافٌ منصوب بالكسرة . والغوير مضاف إليه . وإنما ناداها بما وضع للبعيد للإشارة إلى بعد عهده بها ، ولأنها قد مضت ، والماضى بعيد وإن قرب العهد به ، وعليه قولهم : ما أبعد ما فات ، وأقرب ما هو آت . وحاجر معطوف على الغوير. وسُقيت فعل ماض مبنى للمفعول ، ونائب الفاعل التاء المكسورة التى هى ضمير المؤنث . والجار والمجرور فى بهام متعلق بسقيت، وبنى مجرور بمن، والمزن مجرور بالمضاف ، والجار والمجرور فى محل جر نعت لهام ، ومدرار نعت بعد نعت لهام .

ومعنى البيت : أن الناظم أقبل على تلك الليالى التى مضت له بالغوير وحاجر فى مواصلة الأحباب ، والتلذذ بمطارحتهم فى تلك الرحاب وخاطبها مخاطبة ذوى الألباب بتخييل أنها تُصغى لفهم ما ألقى إليها من الخطاب ، فناداها ودعا لها بالسقيا بمطر غزير مدرار يُروى الأمكنة التى مضت له تلك الليالى مع الأحباب فيها ومثل هذا ـ أى مخاطبة من لا يعقل بتنزيله منزلة العاقل ـ كثير فى كلام الشعراء، كمخاطبة الديار والرسوم والأطلال ، إظهارا للتوله والحيرة كقوله :

ألا يا اسلمى يادارَ مَىّ على البِلا ولا زال مُنهلّا بجرعائِك القطرُ

﴿ ويا جيرةً بالمأزمين خيامُهم عليكم سلامُ الله من نازح الدار﴾

اللغة: الجيرة: جمع جار بمعنى مجاور، ويجمع أيضا على جيران وأجواز. والمأزمان: مضيق بين جمع وعرفة ، وآخر بين مكة ومنى. والخيام : جمع خيمة وهى بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر . قال ابن الأعرابى : لا تكون الخيمة عند العرب من ثياب ، بل من أربعة أعواد ، ثم تسقف بالثمام ، كذا فى المصباح . وفى القاموس : الخيمة كل بيت مستدير ، أو ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليه الثمام ويستظل بهـا

فى الحرّ . وقوله عليكم سلام الله : أى تحيته، أو تسليمه إياكم من المخاوف والآفات.
ونازح : اسم فاعل من نزحت الدار ـ من باب ضرب ومنع ـ نزحا ونزوحا : بعدت.

الإعراب : ياجيرة نكرة مقصودة ، وكان حقها البناء على الضم ، كقولك يا رجل لمعيّن ، لكن الشاعر اضطرّ إلى تنوينها ؛ لإقامة الوزن ، فيجوز مع التنوين الضم والنصب ، والنصب أرجح عند ابن مالك لشبهها بالنكرة غير المقصودة، وجعل جيرة نكرة غير مقصودة لايناسب المقام ، كما لا يخفى على ذوى الأفهام . وبالمأزمين جار ومجرور خبر مقدم . والباء فيه بمعنى فى. وخيامهم مبتدأ مؤخر . وعليكم سلام الله مثله . ومن نازح الدار جار ومجرور ومضاف إليه. ومحل الجار والمجرور النصب على الحالية من الضمير المستقر فى عليكم ؛ لامتناع مجىء الحال من المبتدأ عند سيبويه .

ومعنى البيت : نداء أحبابه الذين كانوا جيرانا له بالمأزمين ، ثم ابتلى بفراقهم ونزحت داره عنهم ، وخطابهم بالتحية والسلام : تسلية للنفس بالطمع فى إجابتهم، ثم عرج على شكاية الزمان ومما كسته لأرباب الفضائل والعرفان ، على عادة الأدباء والظرفاء تمليحا وتظريفا ، متخلصا إلى الافتخار بنفسه العصامية وكمالاته الظاهرة الجلية فقال :

﴿ خليلىّ مالى والزمانَ كأنما يُطالبنى فى كل وقت بأَوْتار ﴾

اللغة : خليلى تثنية خليل وهو الصديق المختص . وما اسم استفهام ، ومعناه التعنيف هنا . ويطالبنى : مفاعلة من الطلب ، وهو هنا بمعنى المجرد ، أى يطلبنى . والأوتار : جمع وتر بكسر فسكون وبفتح، وهو الذِّحْل ـ بكسر الذال وسكون الحاء المهملة ـ أى الحقد والعداوة . ويقال طالب بذحله أى بثأره .

الإعراب : خليلى منادًى مضافٌ إلى ياء المتكلم بحذف حرف النداء ،

فى الحرّ . وقوله عليكم سلام الله : أى تحيته، أو تسليمه إياكم من المخاوف والآفات. ونازح : اسم فاعل من نزحت الدار - من باب ضرب ومنع - نزحا ونزوحا: بعدت.

الإعراب : ياجيرة نكرة مقصودة ، وكان حقها البناء على الضم ، كقولك يا رجل لمعيّن ، لكن الشاعر اضطرّ إلى تنوينها ؛ لإقامة الوزن ، فيجوز مع التنوين الضم والنصب ، والنصب أرجح عند ابن مالك لشبهها بالنكرة غير المقصودة، وجعل جيرة نكرة غير مقصودة لا يناسب المقام ، كما لا يخفى على ذوى الأفهام . وبالمأزمين جار ومجرور خبر مقدم . والباء فيه بمعنى فى. وخيامهم مبتدأ مؤخر . وعليكم سلام الله مثله . ومن نازح الدار جار ومجرور ومضاف إليه. ومحل الجار والمجرور النصب على الحالية من الضمير المستقر فى عليكم ؛ لامتناع مجىء الحال من المبتدأ عند سيبويه .

ومعنى البيت : نداء أحبابه الذين كانوا جيرانا له بالمأزمين ، ثم ابتلى بفراقهم ونزحت داره عنهم ، وخطابهم بالتحية والسلام : تسلية للنفس بالطمع فى إجابتهم، ثم عرج على شكاية الزمان ومعاكسته لأرباب الفضائل والعرفان ، على عادة الأدباء والظرفاء تمليحا وتظريفا ، متخلصا إلى الافتخار بنفسه العصامية وكمالاته الظاهرة الجلية فقال :

﴿ خليلىّ مالى والزمانَ كأنما ‌‌ يُطالبنى فى كل وقت بأَوْتار ﴾

اللغة : خليلى تثنية خليل وهو الصديق المختص . وما اسم استفهام ، ومعناه التعجيب هنا . ويطالبنى : مفاعلة من الطلب ، وهو هنا بمعنى المجرد ، أى يطلبنى . والأوتار : جمع وتر بكسر فسكون وبفتح، وهو الذِّحْل - بكسر الذال وسكون الحاء المهملة - أى الحقد والعداوة . ويقال طالب بذحله أى بثأره .

الإعراب : خليلى منادَى مضافٌ إلى ياء المتكلم بحذف حرف النداء ،

منصوب بالياء المدغمة في ياء المتكلم . وما اسم استفهام مبتدأ . والجار والمجرور بعده خبره والزمان منصوب على أنه مفعول معه، والعامل فيه متعلق الجار والجرور : أى ما الذى استقرّ لى وحصل لى مع الزمان . ويجوز - على ضعف - أن يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، وهو عند الجمهور مخصوص بالضرورة، وأجازه ابن مالك فى السعة استدلالا بقراءة حمزة « تساءلون به والأرحامِ » بالجرّ عطفا على الضمير المجرور بالباء بدون إعادة الجار. وفى هذا التركيب قلب ؛ لأن ظاهره يقتضى أن الناظم هو الذى يطلب الزمان بالأوتار؛ لأن ما بعد الواو فى مثله هو المطلوبَ، تقول مالك وزيدا ، إذا كان مخاطبك يقصد زيدا بالغوائل ، وعليه قول الحجاج : مالى ولسعيد بن جبير ، بعد أن قتله وندم على قتله ، وهلك الحجاج بعد قتله لسعيد بنحو ستة أشهر . ولم يسلَّط على أحد بعده بدعوته ، فلما مرِض مرَض الموت كان يغمى عليه ثم يُفيق ويقول : مالى ولسعيد بن جبير . وقيل كان إذا نام رأى سعيد ابن جبير آخذا بمجامع ثوبه يقول: ياعدوّ الله بم قتلتنى ؟ فيستيقظ مذعورا ويقول: مالى ولسعيد بن جبير . وإذا كان الزمان طالبا، والناظم مطلوبا ، فحق التعبير أن يقول: مالزمان ولى ، أوما للزمان وإياى، والقلب غير مقبول عند الجمهور ، إلا إذا تضمن اعتبارا لطيفا ، ولعل الاعتبار اللطيف هنا تخييل أنه يقصد الزمان بالغوائل أيضا ، كما أن الزمان يقصده إظهاراً للتجلد وأنه لا يتضعضع من غوائله ، ولا يضطرب من مكايده وطوائله ، كما يدل عليه كلامه الآتى ، وحينئذ فينبغى إبقاء يطالبنى على حقيقتها من المفاعلة . وكأنما هنا غير عاملة لأنها مكفوفة بما الزائدة، ولذا دخلت على الفعل فى قوله يطالبنى ، وفاعل هذا الفعل ضمير يعود إلى الزمان، وياء المتكلم مفعوله ، وفى كل وقت متعلق بيطالب ، وكذلك قوله بأوتار ، والمضارع هنا موضوع موضع الماضى ؛ لأن الشكاية من الزمان إنما تكون لأمر قد وقع منه ، لكنه عبر عنه بصيغة المضارع

استحضارا لصورة ما وقع ، وليفيد أنه مستمر على ذلك أيضا . ويدل لذلك عطف قوله فأبعد عليه فى البيت بعده .

ومعنى البيت : يا خليلى أخبرانى ما للزمان حاقد علىّ معادٍ لى يطالبنى بغوائله ومكايده وطوائله ، كأنما جنيت عليه جناية فهو يطلب ثأره منى .

﴿ فأبعد أحبابى وأخلى مَرابعى وأبدانى من كلّ صفو بأكدار ﴾

اللغة : أخلى المنزل من أهله إخلاء : جعله خاليا ، أووجده كذلك ، وربما جاء أخلى لازما فى لغة ، فتقول عليها : أخلى المنزلُ بالرفع ، فهو مخلٍ ، كذا فى المصباح . والمرابع : جمع مَربَع على وزن جعفر ، وهو منزل القوم فى الربيع . وإبدال الشىء : جعل غيره مكانه . يقال : أبدلته إبدالا : نحيته وجعلت الثانى مكانه . والباء داخلة على المأخوذ : أى نحّى الصفو عنى وجعل الكدر مكانه . وصفو الشىء : خالصه . يقال صفا صفوًا من باب قعد ، وصفاء : إذا خلص من الكدر . والأكدار : جمع كدر ، من كدِر الماء كدرا — من باب تعب — زال صفاؤه فهو كدِرٌ . وكدُر كدورة وكدَر ، من بابىْ صعب صعوبة وقتل .

الإعراب : قوله فأبعدَ : عطفٌ على يطالبنى ؛ لأنه بمعنى طالبنى كما تقدم . وفاعله ضمير مستتر يعود إلى الزمان . وإعراب بقية البيت ظاهر ، وكذلك حاصل معناه

﴿ وعادَلَ بى مَن كان أقصى مرامِه من المجد أن يَسْمُو إلى عُشْرِ معشارى ﴾

اللغة : عادل بين الشيئين : ساوى بينهما . والتعادل : التساوى . والأقصى : الأبعد . والمرام : المطلب . والمجد : نيل الشرف والكرمُ ، أولا يكون إلا بالآباء ، أو كرم الآباء خاصة . كذا فى القاموس .

وقال الراغب : المجد السعة فى الكرم والجلالة ، يقال مجد يمجد مجدا ومجادة . وأصل المجد : من قولهم مجدت الإبل : إذا حصلت فى مرعى كثيرواسع ، وقد أمجدها

الراعى وتقول العرب في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار : أى تحرّى السّمة في بذل الفضل المختص به . انتهى . ويسمو : مضارع سما بمعنى علا . والعشر جزء من عشرة أجزاء ، وكذلك العشير ، والمعشار ، فعشر المعشار جزء من مائة جزء .

الإعراب : وعادل معطوف على يطالبنى ، أو أبعد ، وفاعله ضمير مستتر يعود إلى الزمان . ومن اسم موصول فى محل نصب مفعول به لعادل . وكان فعل ماض ناقص . وأقصى اسمها . ومرامه : مضاف إليه . ومن المجد يتعلق بمرامه ؛ لأنه مصدر ميمى . وأن يسمو خبر كان . ويجوز أن يكون اسمها وأقصى خبرها مقدّما . وإلى عشر معشارى : متعلق بيسمو .

ومعنى البيت : أن الدهر غمصنى وتهاون بحقى فساوى بينى وبين من كان نهاية همته وأقصى مرامه وطلبته أن يبلغ عشر العشر من مجدى وفضائلى . وشكوى الزمان مما لهج به الأدباء قديما وحديثا ، ومن ذلك ما ينسب للإمام الشافعى رضى الله عنه وهو قوله .

لو أنّ بالحِيَل الغنى لوجدتنى بنجوم أفلاك السماء تعلّقى

لكنّ من رُزق الحِجا حُرم الغنى ضِدّان مُفْترقان أىّ تفرّق

ومن الدليل على القضاء وكونِهِ بؤسُ اللّبيب وطيبُ عيش الأحمق

وقال أبو العلاء المعرى من أبيات :

واذكرى لى فضلَ الشباب وما يَحْـــويه من مَنْظر يروقُ عجيبِ

غدرُه بالخليلِ أم أمرُه بالـــغىِّ أم كونُه كدهرِ الأديبِ

جعل دهر الأديب مُشبِّها به سواد شعر الشباب . وقال آخر :

عيشٌ كلا عيش ونفسٌ حرّةٌ موقوفةٌ أبدا على حَسَراتهـــا

إن كان عنـــدك يا زمانُ بقيةٌ مما تسوء به الكرامَ فهاتِها

وهو كثير فى أشعار المتأخرين . وقد كنت حين مذاكرتى بشرح التلخيص

للسعد عند قوله : ومن لطائف العلامة فى شرح المفتاح قوله المثير الغبار ، ولا تفتح فيه العين ، نظمت مقطوعة معناها أن الإنسان لا يكون عالما مالم تكن عينه مفتوحة دائما ، كناية عن كثرة السهر . ثم ولدت منه معنى آخر وهو أن عين عالم لم تفتح إلا على ألم ، وذلك لأنّ بعد العين من عالم ألفا ولاما وميما ، وهى لفظ ألم . وظننت أنى لم أسبق إلى هذا المعنى . ثم ذكر رجل من فضلاء الروم أنه موجود فى الشعر الفارسى ، والمعنى المذكور أودعته هذه الأبيات :

إن الزمانَ بأهل الفضل ذو إحن ... يَسومهم مِحَناً كالليـل فى الظلَم

فهل تَرى عالما فى دهرنا فُتحت ... من غَمضها عينُه إلا على ألَم

والجاهل الجاهُ مقرونٌ بطالعه ... إن النّعيم يُرى فى طالعِ النِّعم

فافطن لسرٍّ خفىّ دق مأخذُه ... يناله ذُو الذكا والفهم من أمم

﴿ ألم يدرِ أنى لا أذِلّ لخطبه ... وإن سامَنى بَخسا وأرخص أسعارى ﴾

اللغة : يدر مضارع درى الشىء دَريا، من باب رمى، ودرية ودراية: علمه وأذل مضارع ذلّ ذلا من باب ضرب. والاسم الذل بالضم ، والذلة بالكسر . والمذلة إذا ضعف وهان . والخطب : الأمر الشديد ينزل. وسمى خطبا لأن العرب كانوا إذا نزل بهم نازلة ، أو دهمهم عدو اجتمعوا فخطبهم واحد من بلغائهم يحرضهم على بذل الوسع فى دفعه إن كان عدوا ، وعلى التجلد والصبر إن كان غير ذلك. وسامنى: كلفنى، قال تعالى : « يَسومونكم سوء العذاب » وفى القاموس: سام فلانا الأمر : كلَّفه إياه أو أولاه إياه ، كسوّمه ، وأكثر مايستعمل فى العذاب والشرّ انتهى . والبخس: النقص والظلم . وأرخص من الرُّخص - بالضم - وهو ضدّ الغلاء. والأسعار جمع سعر، وهو الذى يقوم عليه الثمن وينتهى إليه . ويقال له سعر : إذا زادت قيمته ، وليس له سعر : إذا أفرط رخصه .

الإعراب : ألم حرف نفي يجزم المضارع . والهمزة فيه لتقرير الفعل [illegible] ويدر فعل مضارع معتل مجزوم بحذف آخره، وفاعله ضمير يرجع إلى الزما[illegible] بفتح الهمزة حرف توكيد ينصب الاسم ويرفع الخبر ، وضمير المتكلم اسمها وجملة [illegible] خبرها ، وجملة أن من اسمها وخبرها سادة مسد مفعولى يدر فى قول سيبويه . وقال الأخفش : إن اسمها وخبرها فى تأويل مصدر وهو المفعول الأول ، والمفعول الثانى محذوف مدلول عليه بالقرينة . وإن حرف شرط جازم . وسامنى فعل الشرط ، وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الزمان، وجواب الشرط محذوف مدلول عليه بما قبل أداة الشرط وهو لا أذل ، أى وإن سامنى بَخسا فلا أذل . وأرخص فى محل جزم عطفا على سامنى ، وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الزمان وأسعارى مفعول به لأرخص.

ومعنى البيت : ألم يعلم الزمان الذى حط قدرى وساوى بينى وبين من لم يبلغ عشر معشار فضائلى ، أنى لا أذل لإيقاعى فى المصائب والنوازل، وإن قصد إذلالى وحملنى على ارتكاب النقائص التى لا تليق بى ، وأرخص سعر قدرى ولم يجعل لى عنده قيمة ولا أقام لى وزنا .

﴿ مَقامى بفرْق الفَرقدين فما الذِى　　يؤثِّره مسماهُ فى خفض مقدارى ﴾

اللغة : المقام بفتح الميم : اسم مكان ، من قام يقوم وهو موضع القدمين كما فى القاموس . ومنه «مقامُ إبراهيم» ويجوز أن يكون مضمومَ الميم مصدراً بمعنى الإقامة، من أقام بالمكان إقامة : دام . وفى التنزيل « يا أهل يثربَ لا مُقام لكم » أى لا إقامة لكم . ويجوز أن يكون اسم مكان ، أى محل إقامتى بفرق الفرقدين، لأن هذا الوزن مما يستوى فيه اسم المفعول والزمان والمكان والمصدر كما هو مقرر فى محله . والأول أبلغُ كما لا يخفى ، وعلى كلا التقديرين فهو كناية عن أشرفية القدر ورفعته .

والفرق - بفتح الفاء وسكون الراء - الطريق فى شعر الرأس، ويقال فيه مفرق كمجلس . والفرقدان : كوكبان معروفان ، واحدهما فرقد ، يضرب بهما المثل فى الاجتماع وعدم التفرّق . قال :

وكلُّ أخ مفارِقُه أخوه . لعمرُ أبيك إلا الفرقدانِ

وفى الفرقدين استعارة مكنية ، وإضافة الفراق إليهما تخييل .

ومسعاه مصدر ميمى بمعنى السّعى . والخفض: ضدّ الرفع ومقدار الشيء: قدره، وهو - كما فى القاموس - الغنى واليسار والقوّة ، وفى المصباح قدر الشيء - بسكون الدال والفتح لغة - : مبلغه .

الإعراب : مقامى مبتدأ ، وبفرق الفرقدين خبره . وما اسم استفهام مبتدأ ، وهو استفهام إنكارى بمعنى النفى . والذى اسم موصول فى محل الرفع خبره . ويؤثره فعل مضارع ، ومفعوله . ومسعاه فاعله . وفى خفض متعلق بمسعاه. ومقدارى مضاف إليه .

ومعنى البيت : أن سعى الزمان فى خفض قدرى وحط منزلتى لا يؤثر بعد أن كان فرق الفرقدين مقامى ، وموطئا لأقدامى .

﴿ وإنى امرؤٌ لا يدركُ الدهرُ غايتى ولا تصلُ الأيدى إلى سرّ أغوارى ﴾

اللغة : الامرُؤُ والمرْء: الرجل . ولا يدرك: لا يلحق. يقال أدركته: طلبته فلحقته، والمراد بالدهر أهله ، فالإسناد إليه مجاز عقلى . . وغاية الشيء مداه ونهايته والأيدى جمع يد ، والمراد بها هنا القُوى الفكريةُ . والسر: ما يكتم ، وهو خلاف الإعلان، والجمع أسرار . ومنه قيل للنكاح سر ؛ لأنه يلزمه الخفاء غالبا . والأغوار : جمع غور ، وهو من كل شيء قعره ، ومنه يقال فلان بعيد الغور : أى عارف بالأمور، أو حقود . وغار فى الأمر : إذا دقّق النظر فيه . وإعراب البيت ظاهر .

ومعناه أنى رجل لا يلحق أهل الدهر مدى فضائلى وكمالاتى ، ولا تصل أفكارهم إلى مخفيّات معارفى لامتيازى عليهم بمزايا لم يحُم أحد منهم حولها .

﴿ أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كى لا يفوهوا بإنكار ﴾

اللغة : المخالطة مفاعلة، من خالطت الشىء بغيره خلطا - من باب ضرب - ضممته إليه فاختلط هو . وقد يمكن التمييز بعد ذلك فى الحيوانات ، وقد لا يمكن كخلط المائعات . قال المرزوقىّ : أصل الخلط تداخل أجزاء الشىء بعضها فى بعض ، وقد توسع فيه حتى قيل : رجل خليط إذا اختلط بالناس كثيراً . وجمعه خلطاء ، مثل شريف وشرفاء ، ومن هنا قال ابن فارس : الخليط المجاور . والخليط الشريك كذا فى المصباح . وأبناء الزمان : ملابسوه بالوجود فيه ، كأبناء الدنيا وابن السبيل ، وعليه قول الحريرى فى مقاماته :

ولما تعامى الدهرُ وهو أبو الورى عن الرشد فى أنحائه ومقاصدِهْ
تعاميتُ حتى قيل إنى أخو عمى ولا غروَ أن يحذو الفتى حذوَ والدِهْ

والعقول جمع عقل ، وهو غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب . وكى هى المصدرية ، ولام التعليل قبلها مقدّرة ، أو التعليلية ، وأن المصدرية بعدها مضمرة ويفوهوا : ينطقوا . يقال فاه به إذا نطق به . والإنكار مصدر أنكرت عليه فعله إنكارا : عبته ونهيته . وإعراب البيت ظاهر .

وحاصل معناه : أنى أختلط بأبناء زمانى وأجتمع بهم وأجاريهم على حسب عقولهم ومقتضى حالهم من الإدراك والفهم ، ولا أتكلم معهم بالأمور الغامضة والحقائق التى ليست عقولهم لها رائضة ، بل ربما كانت نابذة لها ورافضة ، وإن كانت عن علم إلهى وإلهام ربانى فائضة ، لئلا يبادروا إلى إنكارها وردها ؛ لعدم وصول أفهامهم لرسمها وحدها ؛ لأن الإنسان عدوّ لما جهل . وهذا مأخوذ مما فى مسند

الحسن بن سفيان من حديث ابن عباس « أمرتُ أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » وهذا الحديث وإن كان ضعيفا جدًّا كما ذكره الحافظ ابن حجر ، لكن وجد له شواهد من أحاديث أخر بمعناه، منها مارواه أبو الحسن التميمى من الحنابلة عن ابن عباس أيضا بلفظ « بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم » ومنها حديث مالك عن سعيد بن المسيب رفعه مرسلا : « إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نخالط الناس على قدر عقولهم » ومنها ما فى صحيح البخارى عن علىّ موقوفا : « حدثوا الناسَ بما يعرفون ، أتحبون أن يكذَّبَ اللهُ ورسوله » قال الحافظ السخاوى : نحو ما أخرجه مسلم فى مقدّمة صحيحه عن ابن مسعود قال : « ما أنت محدِّث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنةً » . والعقيلى فى الضعفاء ، وابن السنى وأبو نعيم وآخرون عن ابن عباس مرفوعا : « ما حدّث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم » . وعند أبى نعيم من طريقة الديلمى ، من حديث حماد بن خالد عن أبى ثوبان عن عمه عن ابن عباس رفعه « لا تحدّثوا أمّتى من أحاديث إلا ما تحتمله عقولهم » فكان ابن عباس يُخفى أشياء من حديثه ويفشيها إلى أهل العلم . وصح عن أبى هريرة قوله : حفظت عن النبى صلى الله عليه وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم . انتهى . وقد عقد معنى حديث أبى هريرة من قال :

يا رُبَّ جوهرِ علمٍ لو أبوحُ به ... لقيل إنك ممن يعبُد الوثَنا

ولاستحلّ رجال مؤمنون دَمِى ... يرون أقبح ما يأتونه حَسنا

﴿ وأظهِر أنى مثلُهم تستفزّنى ... صُروفُ الليالى باحتلاء وإمرار ﴾

اللغة : تستفزنى : تستخفنى . يقال : استفزّه الطرب : أى استخفه . وفى همزيّة البوصيرى من مدحه صلى الله عليه وسلم :

لا تحُلُّ البأساء منه عُرى الصّبـر ولا تستفـزّه السّراء

والصروف جمع صَرف ، وهو من الدهر حدثانه ونوائبه . واحتلاء - بالحاء المهملة والمدّ - مصدر احتلى الشراب صار حلوا . وإمرار - بكسر الهمزة - مصدر أمرّ الشيء إمرارا : صار مرّا . المرّ : ضد الحلو .

الإعراب : أظهر فعل مضارع فاعله ضمير المتكلم . وأنى مثلهم - بفتح همزة أن - مصدر منسبك من اسمها وخبرها مفعول به لأظهر : أى أظهر لهم مماثلتى . وتستفزنى فعل مضارع ، وضمير المتكلم مفعول . وصروف الليالى فاعله ، ولا محل لهذه الجملة من الإعراب ؛ لأنها مفسرة لمثل ، كقوله تعالى : « كمثل آدم خلقه من تُراب » ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر لأنى ، فيكون محلها الرفع ، وباحتلاء متعلق بتستفزنى . وإمرار معطوف عليه .

ومعنى البيت : أنى أظهر لأهل زمانى أنى مشابه لهم فى التأثر مما تأتى به حوادث الزمان ، والمعاكسة فى المقصود من الأصدقاء والخلان ، والانفعال مما يوافق هوى النفس فيحلو لديها أو لا يوافقه فيكون مرا عندها ويشق عليها ، مع أنى بعيد عن هذه الأخلاق ليس لى منها مشرب ولا مذاق .

﴿ وأنىَ ضاوِى القلب مُستوفزُ النهى أَمَرُّ بيُسر أو أملّ بإعسار ﴾

اللغة : ضاوىّ القلب - بالتشديد - أى ضعيفه من خوف من سلطان ، أو حزن على فقد إنسان ، أو عشق لأغيد فتان ، والناظم استعمله مخففا للضرورة . قال فى المصباح : ضوِى الولد ضوًى - من باب تعب - إذا صغُر جسمه وهُزِل ، فهو ضاوىّ على فاعول ، والأنثى ضاويّة . وكانت العرب تزعم أن الولد يجىء من القريبة ضاويًا لكثرة الحياء من الزوجين ، فتقل شهوتهما ، لكنه يجىء على طبع قومه من الكرم . قال :

يا ليته ألحقها صبيا ... فحملت فولدت ضاويا

انتهى . وفى القاموس : الضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقة ، أو الهزال ، ضوى كرضى ، فهو غلام ضاوىّ بالتشديد ، وهى بهاء ، انتهى . والمستوفز : القاعد منتصبا غير مطمئن كما فى المصباح . وفى القاموس : استوفز فى قعدته : انتصب فيها غير مطمئن ، أو وضع ركبتيه ورفع أليتيه ، أو استقل على رجليه ولما يستو قائما وقد تهيأ للوثوب . والمتوفز : المتقلب لا ينام . وتوفز للشر : تهيأ . انتهى . والنهى ـ بالضم ـ جمع نُهية ، كالمدى جمعُ مدية ، وهى العقل ، وسميت بذلك لأنها تنهى عن القبيح . ومقتضى كلام صاحب القاموس أن النهى يكون مفردا وجمعا ، فإنه قال : والنهية بالضم : الفرضة فى رأس الوتد ، والعقلُ ، كالنهى ، وهو يكون جمع نهية أيضا . وأُسَر : مبنى للمفعول من سره سرورا : أفرحه . واليسر ـ بضم فسكون ـ ضد العسر . وأملّ ـ بضم الهمزة مبنيا للمفعول ـ من الملل وهو السآمة والضجر ، يقال مللته ومللت منه مللا : سئمت منه وضجرت . ويتعدى بالهمزة فيقال أملته الشئ كذا فى المصباح . والإعسار ـ بالكسر ـ مصدر أعسر : إذا افتقر .

الإعراب : وأنّى ضاوى القلب ـ بفتح الهمزة ـ عطف على أنى مثامم . والقلب مجرور بإضافة ضاوى إليه ، وهى إضافة لفظية . ومستوفز خبر بعد خبر لأن . والنهى مجرور بإضافته إليه . وأسرّ فعل مضارع مبنى للمفعول ، ونائب فاعله ضمير المتكلم ، وهو خبر بعد خبر أيضا لأنى ، وبيسر متعلق به ، وأملّ بضم الهمزة فعل مضارع مبنى للمفعول معطوف على أسر . وبإعسار متعلق به .

ومعنى البيت : أنى أظهر لأبناء زمانى أننى ضعيف القلب ، لا أقوى على حمل الشدائد والمشاق ، مضطرب العقل ، غير ثابت الجأش ، تتلاعب بى حوادث الأيام فأتأثر وأنفعل من كل ما يرد علىّ من يُسر أو عسر أو فرح أو حزن ، مع أنى متصف بضد

ذلك ، لكن أظهرت من ما ليس من خلقي مجاراة ومجانسة لأبناء الزمان .

﴿ ويُضْجِرُنى الخطبُ المهولُ لقاؤهُ ويُطربُنى الشادى بعود ومزمارِ ﴾

اللغة : يضجرنى مضارع أضجرنى ، من الضجر ، وهو الهمّ والقلق والتبرم من الشيء . والخطبُ : الأمر الشديد . ومهول : اسم مفعول ، من هاله الشيء من باب قال : أفزعه فهو هائل . وقد استعمل الناظم مهولا هنا على غير وجه ؛ لأنّ الخطب هائل : مفزع مخيف ، لا مهول : أى مفزَع بفتح الزاى . قال فى المصباح : هالنى الشيء هَوْلا - من باب قال - : أفزعنى فهو هائل ، ولا يقال : مَهول إلا فى المفعول انتهى . ويمكن الجواب عنه بأنه من استعمال اسم المفعول فى اسم الفاعل مجازا عقليا ، كقولهم سيل مفعَم بفتح العين ، وإنما هو مفعِم بكسرها . ولقاؤه مصدر لاقيه أى صادفه . ويطربنى - مضارع أطربه - أحدث له طربا . وفى المصباح : طرب طرَبا فهو طربٌ من باب تعب . وطَروب مبالغة ، وهى خفة تصيبه لشدّة حزن أو سرور ، والعامة تخصّه بالسرور . انتهى والشادى : المغنى ، اسم فاعل ، من شدوت إذا أنشدت بيتا أو بيتين تمدّ به صوتك كالغناء ويقال للمغنى : الشادى . وقد شدا شعرا أو غناء : إذا غنّى به أو ترنم به كذا فى الصحاح . والعود بالضم : آلة من المعازف ، وضاربها عوّاد . والمزمار - بكسر الميم - آلة الزّمر ، يقال زمر زَمرا من باب ضرب ، وزميرا أيضاً . ويزمُر بالضم لغة حكاها أبو زيد . ورجل زمّار . قالوا : ولا يقال زامر . وامرأة زامرة ، ولا يقال زمّارة . كذا فى المصباح .

وإعراب البيت ظاهر .

ومعناه : أنى أظهر أيضا لأبناء عصرى أنه إذا نزل بى أمر شديد من حوادث الدهر أقلقنى وأزعجنى كما هو شأنهم ، مع أنى لست كذلك ، وأن المغنى إذا غنى الشادى وحرك من العود الأوتار ، وضرب بآلات اللهو والمعازف ، ونفخ فى المزمار أطربنى

وليس كذلك ، فإنما طربى بما وراء ذلك مما يُمليه علىّ من الحقائق الإلٰهية ، والمعارف الربانية .

حـدِّثْ عن الوتر أيها الوترُ من فاته الخبرُ سرّه الخبرُ

﴿ويُصمى فؤادى ناهدُ الثدى كاعبٌ بأسمر خطّارٍ وأحورَ سحّارِ﴾

اللغة : ويصمى فؤادى : أى يقتلنى وهو معاين لى . ففى المصباح : صمى الصيدُ يَصمى صميا من باب رمى : مات وأنت تراه . ويتعدى بالألف فيقال : أصميته إذا قتلته بين يديك وأنت تراه . والفؤاد : القلب . وناهد الثدى : هى التى كعب ثديُها وأشرف . يقال جاريةٌ ناهد وناهدة. وسمى الثدى بهذا لارتفاعه. وكاعب: اسم فاعل من كعبت المرأةُ تكعُب ـ من باب نصر ـ نتأ ثديها . وسميت الكعبة بذلك لنتوها . وقيل لتربعها . والأسمر: الرمح. والخطار : المهتز. يقال خطر الرمح: اهتز ، فهو خطّار. وأحور صفة لمحذوف : أى طرف أحور. والحور ـ بفتحتين ـ هو أن يشتدّ بياض بياض العين، وسواد سوادها، وتستدير حدقتها، وترق جفونها، ويبيضّ ماحواليها، أو شدّة بياضها وسوادها فى بياض الجسد، أو اسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولا يكون فى بنى آدم ، بل يستعار لها ، كذا فى القاموس. والسحّار صيغة مبالغة ، من سحر كمنع . والسحر : كل مالطف مأخذه ودق ، كذا فى القاموس . وفى المصباح قال ابن فارس : السحر هو إخراج الباطل فى صورة الحق، ويقال : هو الخديعة . وسحره بكلامه : استماله برقّته وحسن تركيبه . قال الإمام فخر الدين فى التفسير : ولفظ السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يَخفَى سَبَبُه ويُتخيَّل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع ، قال تعالى: « يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى » . وإذا أطلق ذمّ فاعله . وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح

ويحمد، نحو قوله عليه الصلاة والسلام: « إن من البيان لسحرا » . أى أنّ بعض البيان سحرٌ. لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه، فيستميل القلوب كما تستمال بالسحر. وقال بعضهم: لما كان فى البيان من إبداع التركيب وغرابة التأليف مايجذب السامعَ ويخرجه إلى حد يكاد يشغله عن غيره شبه بالسحر الحقيقى. وقيل هو السحر الحلال. انتهى.

وإعراب البيت ظاهر.

ومعناه: أنى أظهر أيضا لأبناء زمانى أن الشابة الكاعبَ التى ظهر ثديها وارتفع تسبينى وتريق دمى بقدها الذى هو كالرمح اللين المهتزّ، وطرفها الأحور الذى يؤثر فى القلوب تأثيرا كتأثير السحر، فيظنونى مثلهم أعشق من المحبوب الثياب، وأقنع من الماء بالسراب، وما دروا أنى لست من عُشّاق الصور، ولا من عباد التماثيل التى لا يجنح إليها إلا من كان أعمى البصيرة والبصر، كما قال الفارضى قدس سره:

قال لى حُسنُ كلّ شيء تجلَّى ... بى تملّى فقلت قصدى وراكا

وقول عفيف الدين التلمسانى:

نظرتُ إليها والمليحُ يظنُّنى ... نظرتُ إليهِ لا ومَبْسَمِها الألمَى

﴿ وأنّى سخىّ بالدُّموعِ لوقفةٍ ... على طللٍ بالٍ ودارسِ أحجارِ ﴾

اللغة: سخىّ - كرضىّ - وصفٌ، من سخا يسخو، من باب قرب يقرب. قال فى المصباح: السخاء بالمدّ: الجود والكرم. وفى الفعل منه ثلاث لغات: الأولى سخا. وسخت نفسه فهو ساخ، من باب علا. والثانية سخى يسخي من باب تعب. قال:

* إذا ما الماء خالطها سخينا *

واسم الفاعل سخٍ منقوص. والثالثة سخُوَ يسخو - مثل قرب يقرب - سخاوة

فهو سخيّ . انتهى . والدموع : جمع دمع وهو ماء العين من حزن أو سرور ، وهو مصدر فى الأصل ، يقال دمعت العين دمعا ـ من باب نفع ـ ودمِعت دمَعا من باب تعب لغة فيه. والوقفة بالفتح المرّة ، من وقفه المتعدّى . وفى التنزيل « وقفوهم إنهم مسئولون ». وفى القاموس: وقف يقف وقوفا: دام قائما ووقفته أنا وقفا: فعلت به ما وقف ، كوقفته وأوقفته. والطلل: ماشخص من آثار الديار ، وجمعه أطلال ، مثل سبب وأسباب ، وربما قيل طلول ، مثل أسد وأسود. وبالٍ اسم فاعل ، من بلى الثوب إذا خلَق ، أو من بلى الميت: أفنته الأرض. دارس: اسم فاعل من درس المنزل دروسا ، من باب قعد: عفا وخفيت آثاره. والأحجار : جمع حجر ـ بفتحتين ـ وهو معروف ، وبه سُمى والد أوس بن حجر . قال بعضهم : ليس فى العرب حجر بفتحتين اسما إلا هذا . وأما غيره فحجر وزان قفل .

الإعراب : وأنى سخيّ بفتح الهمزة عطف على قوله أنى مثلهم ، واسم أن ضمير المتكلم ، وسخيّ خبرها ، وبالدموع متعلق بسخيّ ، واللام فى لوقفة للتعليل ، وعلى طلل يتعلق بوقفة ، وبالٍ نعت لطلل ، ودارس معطوف على طلل ، وأحجار مجرور بإضافته إليه .

ومعنى البيت : أنى أظهر لأبناء عصرى أننى إذا وقفت على مابقى من ديار الأحباب التى عفت آثارها ، وانمحت معالمها ، وخفيت أحجارها أتذكّر زمان كونها آهلة بهم ، فأتأسف وأتحسر وأبكى حتى يجرى الدمع من عينى كالمطر كما هو عادة العشاق ، وأُسراء الوجد والأشواق ، مع أنى لست على هذا المذهب ، ولا ممن له شِرب معلوم من هذا المشرب ، وإنما شغفى بالسكان دون المكان ، وهم معى أينما كنت ، ونصب عينى حيثما حللت ، كما قال الفارضى قدس سره :

فهم نصبُ عينى ظاهرا حيثما نأوا ... وهم فى فؤادى باطنا أينما حلّوا

وقال فى قصيدته الجيمية :

لم أدر ما غُربة الأوطان وهو معى ... وخاطرى أين كُنا غيرُ منزعج

فالدارُ دارى وحِبِّى حاضرٌ ومتى ... بدا فمنعرجُ الجرعاء منعرجى

﴿ وما علموا أنى امرؤٌ لا يروعنى ... تَوالى الرزايا فى عشىّ وإبكار ﴾

اللغة : يروعنى : مضارع راعنى الشىء رَوْعا ، من باب قال : أفزعنى ، وروّعنى مثله . وتوالى : مصدر توالى المطر إذا تتابع . والرزايا : جمع رزيّة وهى المصيبة ، وأصلها الهمز ، يقال رزأته أرزؤه مهموزا ، من باب فتح ، إذا أصبتَه بمصيبة ، وقد تخفَف فيقال رزيته أرزاه بالألف . والاسم منه الرزء كالقفل . والعشى : قيل ما بين الزوال إلى الغروب ، ومنه يقال للظهر والعصر صلاتا العشىّ وقيل هو آخر النهار . وقيل العشىّ من الزوال إلى الصباح . وقيل العشىّ والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة ، وعليه قول ابن فارس : العشا آن : المغرب والعتمة ، كذا فى المصباح . والقول الأوّل هو المشهور ، ولذا جرى عليه صاحب الكشاف . والإبكار : بكسر الهمزة من طلوع الفجر إلى وقت الضحى كما فى الكشاف . ويجوز أن يكون مفتوح الهمزة ، جمع بَكَر — بفتحتين — كسحر وأسحار ، يقال أتيته بَكَرا بفتحتين ، أى غدوة . وقال ابن فارس : البُكْرة هى الغداة ، جمعها بُكَر مثل غرفة وغرف ، وأبكار جمع الجمع ، مثل رُطب وأرطاب . انتهى . والظاهر أن التقييد بهذين الوقتين غير مراد ، بدليل قوله توالى الذى مجرده الولى ، وهو حصول الثانى بعد الأوّل من غير فصل . كما فى المصباح ، ويكون على حد قوله تعالى : « ولهم رزقهم فيها بُكرة وعشيّا » فى قول بعض المفسرين . قال فى الكشاف : وقيل أراد دوام الرزق ودرورَه ، كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين . انتهى .

وإعراب البيت ظاهر . ومعناه : أن أبناء زمانى لم يعلموا أنى رجل لا تخيفنى

المصائب المتوالية والخطوب المتوجهة إلىّ فى جميع أوقاتى وسائر أزمنة حياتى ؛ لأنى عوّدت نفسى على الشدائد ، ورضتها على تحمل المشاقّ والمكايد ، فلا أتأثر من مصيبة تسنح ، ولا أنفعل من لهب رزية يلفح .

﴿ إذا دُكّ طُورُ الصبر من وقع حادث   فطُورُ اصطبارى شامخٌ غير مُنهار ﴾

اللغة : دُكّ فعل ماض مبنىّ للمفعول ، من الدكّ وهو الدق والهدم ، وما استوى من الرمل كالدكة ، والمستوى من المكان ، وتسوية صعود الأرض وهبوطها ، وكبس التراب وتسويته . والطور : الجبل ، وجبل قرب أيلة يضاف إلى سيناء وسينين ، وجبل بالشأم . وقيل هو المضاف إلى سيناء ، وجبل بالقدس عن يمين المسجد ، وآخر عن قبلته به قبر هارون عليه السلام كذا فى القاموس . والصبر : حبس النفس عن الجزع . والمراد بالصبر صبر غيره ، بدليل قوله : فطُور اصطبارى إلى آخره . والوقع ـ بالفتح والسكون ـ وقعة الضرب بالسيف والسوط ونحوهما . والحادث : واحد حوادث الدهر ، وهى نُوَبه ومصائبه . والاصطبار ، افتعال من الصبر ، قلبت التاء فيه طاء لمجاورتها الصاد . وشامخ : اسم فاعل من شمخ يشمخ ـ بفتحتين ـ ارتفع . ومنه قيل شمخ بأنفه إذا تعاظم وتكبر . ومُنهار : اسم فاعل من انهار البناء : انهدم وسقط . وهاره : هدمه كما فى القاموس . وقال فى المصباح : هار الجرفُ هورا من باب قال : انصدع ولم يسقط ، فهو هار ، وهو مقلوب من هائر ، فإذا سقط فقد انهار وتهوّر أيضا . انتهى .

الإعراب : إذا ظرف لما يستقبل من الزمان مضمن معنى الشرط ، لكنه غير جازم ، وفى ناصبه خلاف يطلب من المغنى وغيره من كتب العربية . ودكّ : فعل ماض مبنىّ للمفعول فعل الشرط ، وطور نائب فاعله ، والصبر مضاف إليه ، ومن وقع حادث يتعلق بدكّ ، وقوله فطُور اصطبارى مبتدأ ومضاف إليه ، والفاء رابطة

للجواب ، وشامخ خبره ، والجملة جواب الشرط مرتبطة بالفاء ، ولا محل لها من الإعراب ، لأنّ أداة الشرط هنا غير جازمة ، وغير خبر بعد خبر ، أوصفة لشامخ، ومنهار مضاف إليه . والمعنى إذ ضعف صبر غيرى عن حمل ما يحدث من مصائب الدهر ونوازله فاصطبارى قوى كالجبل المرتفع لا يكل ولا يضعف .

﴿ وخطبٍ يزيلُ الرَّوعَ أيسرُ وقعه ۝ كؤودٍ كوخْزٍ بالأسنة سعّار ﴾

﴿ تلقيتُـــه والحتف دون لقائِه ۝ بقلبٍ وقور بالهزاهِز صبّار ﴾

اللغة : الخطب تقدّم تفسيره. ويزيل :مضارع أزال الشيء عن موضعه إزالة. والرَّوع بالضم: القلب ، أو موضع الفزع منه، أو سواده . والذهن ،والعقل . كذا فى القاموس . والمعنى الأخير أنسب هنا . وأيسر : اسم تفضيل ، من اليسر ضدّ العسر. ووقعه ـ بفتح فسكون ـ مصدر وقع السيف والسوط ونحوها .والكؤود ـ بكاف مفتوحة ، وهمزةمضمومة بعدهاواو ساكنة، فدالمهملة ـ الصعبُ ،يقال عقبة كؤود أىصعبة . والوخز ـ بالخاء المعجمة والزاى ، كالوعد ـ الطعن بالرمح وغيره لا يكون نافذا . والأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . وسعّار : صيغة مبالغة منسعرت النار ـ من باب نفع ـ اتقدت ، وأسعرتها : أوقدتها ،وكذلك سعّرتها بالتثقيل . والتسعير هنا مجاز فى الإيلام ، يعنى كوخز بالأسنة مؤلم كإيلام الحرق بالنار . وقوله تلقيته : أى تكلفت لقاءه، يعنى أصابنى فكلفت نفسى الصبر عليه وتحملته. والحتف : الهلاك ولا يبنى منه فعل ، يقال مات حتف أنفه إذامات من غير ضرب ولا قتلولا غرق ولا حرق . قال الأزهرىّ : لم أسمع للحتف فعلا، لكن حكى ابن القوطية أنه يقال : حتفه الله يحتفه حتفا ، من باب ضرب ـ إذا أماته . قال فى المصباح : ونقل العدل مقبول، ومعناه أن يموت على فراشه فيتنفس حتى ينقضى رمقه ، ولهذا خص الأنف فقالوا مات حتف أنفه . قال السموأل :

* وماماتَ مِنّا سيّدٌ حَتْفَ أنفه * انتهى

ودون بمعنى الأقرب ، يقال هو دون ذلك على الظرف : أى أقرب منه ، يعنى أن الهلاك أقرب إلى اختبار النفوس من إصابة ذلك الخطب . والوَقور: صيغة مبالغة، من الوقار وهو الحلم والرزانة . والهزاهز: الفتن يهتز فيها الناس للحروب والقتال، من هزه إذا حركه ، والباء فى بالهزاهز، يجوز أن تكون بمعنى فى ، كقوله تعالى: «وما كنتَ بجانب الغربىّ » أى فى جانب ، وأن تكون للاستعلاء بمعنى على ، كقوله تعالى : « مَن إن تأمَنْه بقِنطار » أى على قنطار . وصبار : صيغة مبالغة ، من الصبر وهو حبس النفس عن الجزع .

الإعراب : وخطبٍ مجرور برب محذوفة بعد الواو: أى ورُب خطبٍ كقول امرئ القيس :

* وليلٍ كموج البحرِ أرخى سدولَه *

وهى حرف جر زائد فى الإعراب لا فى المعنى، فمحل مجرورها هنا إما رفع على الابتداء، وسوّغ الابتداء به وصفه بيُزيل، وكؤود، وخبره قوله تلمّيته، وإما نصب على المفعولية لفعل محذوف يفسره تلمّيته ، من باب الإضمار على شريطة التفسير ، على حد زيدا ضربته ، ويزيل - بضم الياء - فعل مضارع . والرَّوعَ مفعوله متقدّما . وأيسر فاعله ، ووقعه مضاف إليه . والجملة فى محل جر نعتٌ لخطب على لفظه ، أو فى محل رفع أو نصب نعت له على محله. وكؤود نعت لخطب أيضا، وهو من النعت بالمفرد بعد النعت بالجملة ، وهو فصيح ، وإن كان قليلا ، كقوله تعالى : «وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ» والجار والمجرور فى قوله كوخز نعت لخطب أيضا، ويجوز أن يكون حالا منه لوجود المسوّغ لمجىء الحال من النكرة وهو الوصف. وبالأسنة متعلق بوخز، وسعّار نعت له. وجملة تلمّيته فى محل رفع خبر لقوله خطب

على تقدير كونه مبتدأ ، ولا محل لها من الإعراب على تقدير كونه مفعولا لفعل محذوف يفسره المذكور ، لأنها تفسيرية والحتف مبتدأ . والظرف من قوله دون لقائه خبر ، والجملة فى موضع نصب على الحال من ضمير المفعول فى تلقيته. ويجوز أن تكون اعتراضيّةً بين تلقيته ومعموله وهو بقلب فلا محل لها . وبقلب متعلق بتلقيته . ووقور نعت له . وبالهزاهز متعلق بصبّار ، وهو نعت لقلب أيضا .

ومعنى البيت ورُب أمر شديد صعب مُحرق مؤلم كطعن الرماح يُذهب العقل أيسرُ إصابته ، تكلفت الصبر عليه وتحملته ، والحال أن الهلاك أسهلُ من لقائه بقلب ثابت كثير الصبر على البلايا والمحن .

﴿ ووجهٍ طليق لا يُمَلّ لقاؤه   وصدرٍ رحيبٍ فى ورودٍ وإصدار ﴾

اللغة : وجه طليق : أى ظاهر البشر . وهو طليق الوجه : أى فرح . وقال أبو زيد : مستهلّ بسام . ولا يمل : مضارع من الملل وهو السآمة والضجر . واللقاء : الاجتماع والمصادفة . والرحيب : ـ كقريب ، ويقال رحب كفلس ـ المكان الواسع . والورود : مصدر ورد البعير وغيره الماء يرده : بلغه ووافاه . وقد يحصل دخوله فيه وقد لا يحصل . والاسم الورد بالكسر . والإصدار بكسر الهمزة، مصدر أصدرته إذا صرفتَه . وصدرت عن الموضع : رجعت ، والمقابلة تقتضى أن يقول فى إيراد وإصدار ، لكنه وضع ورود مكان إيراد لضيق النظم .

الإعراب : قوله ووجه عطف على قوله : قلبٍ . وطليق نعت لوجه ، وجملة لا يمل لقاؤه من الفعل المضارع المبنيّ للمفعول ونائب فاعله فى محل جر نعت ثان لوجه. وصدر عطف على قلب أو وجه . ورحيب نعت له . وفى ورود : فى محل الجرّ على أنه نعت ثان لصدر ، أو النصب على أنه حال منه .

ومعنى البيت: ربّ أمر شديد موصوف بالأوصاف المتقدّمة آنفا، تلقيته بوجه

ظاهر البشر ، لا يمل أحد لقاءه لبشاشته ، وبصدر واسع لا يضيق بحوادث الدهر إذا أوردها عليه أو أصدرها عنه .

﴿ولم أُبدِه كيلا يُساءَ لوقعِهِ صديقي ويأسَى من تعسُّره جارِي﴾

اللغة : بدا الشيء ظهر ، وأبديته أظهرته . وكى : حرف مصدرى، أو تعليل، فإن قدرت اللام قبلها فهى حرف مصدرى ناصبة ليساء ، وإن لم تقدر اللام قبلها فهى حرف تعليل ، وأن المصدرية مضمرة بعدها ، ناصبة ليساء. ولا النافية لا تحجز العامل عن عمله ، بل العامل يتخطاها ، كقوله تعالى : « لكيلا تأسَوْا » وقولهم: جئت بلازاد . ويُساء : مضارعٌ مبنى للمفعول ، من ساءه سوْءا ومساءة : فعل به ما يكره .

والصديق: المصادق، وهو بين الصداقة. واشتقاقها من الصدق فى الودّ والنصح. ويأسى : مضارع أسى - من باب تعب - إذا حزن فهو أسىّ مثل حزين. وتعسره: مصدر تعسر الأمر إذا صعب واشتدّ . والجار : المجاور فى السكن .

الإعراب : لم حرف ينفى المضارع ويجزمه ، ويقلب معناه ماضيا . وأُبْدِه فعل مضارع مجزوم به ، وفاعله ضمير المتكلم ، والهاء ضمير يعود إلى الخطب مفعوله . وكى يجوز أن تكون حرف تعليل والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة، وأن تكون حرفاً مصدريا فالفعل بعدها منصوب بها ، ولام التعليل مقدّرة قبلها ، والفعل المنصوب بها وهو يساء مبنىّ للمفعول ، ولوقعه متعلق به وعلةٌ له .وصديق نائب فاعله. ويأسى معطوف على يساء. ومن تعسره متعلق به، وهى حرف تعليل كقوله تعالى : « مما خَطَايَاهم أغرقوا » وجارى فاعل يأسى .

ومعنى البيت: أنى أخفى ما نزل بى من مصائب الزمان، ولا أظهر ذلك للناس لئلا أدخل المكروه على صديقى ويتكدر بسببى ، ولئلا يحزن جارى؛ لأنّ الصديق

من يفرح لفرحك ويحزن لحزنك ، والجار فى الغالب يكون كذلك .

وكان على الناظم أن يزيد فى علل كتمان المصائب خوفَ شماتة الأعداء ، بل هى أعظمها عند الأدباء كما قال :

* وشماتة الأعداء بئس المقتنى *

فلو قال :

ولم أُبْدِهِ كيلا يُسرَّ بوقعه عَدوٌّى ويأسَى منهُ خِلِّىَ أوجارى

لوفى بالمراد ، وأفاد أن أسى أحد الشخصين من الصديق والجار كاف .

﴿ ومعضلةٍ دهماءَ لا يهتدى لها طريقٌ ولا يُهتدى إلى ضوئها السارى ﴾

﴿ تَشيب النواصى دون حل رُمُوزها ويُحجم عن أغوارها كل مغوار ﴾

﴿ أجلتُ جياد الفكر فى حَلبَاتها ووجّهت تِلقاها صوائبَ أنظارى ﴾

﴿ فأبرزتُ من مَستورها كلَّ غامضٍ وثقفتُ منها كلَّ قسور سوّارِ ﴾

اللغة : ومعضِلة بكسر الضاد المعجمة : أى نازلة شديدة ، اسم فاعل ، من أعضل الأمر : اشتدّ ، وداء عُضال بالضم : شديدٍ يغلب الأطباء . والدهماء : مؤنث الأدهم وهو الأسود ؛ من الدهمة وهى السواد . ويهتدى : من الهداية ، وهى الدلالة موصلة كانت أو غير موصلة ، لكن المراد بها هنا الموصلة بقرينة السياق . والطريق معروف . ونسبة الاهتداء إليه مجاز عقلى . وحقيقته لا يهتدى الناس فى طريق لها . والضوء : النور . والسارى : السائر ليلا . وفى ضمير المعضلة استعارة بالكناية ، بتشبيهها بمكان يوضع فيه النار ليهتدى إليه من يقصده ، وإضافة الضوء إليها استعارة تخييلية ، وذلك أن عادة العرب أن يضعوا فى أرفع مكان من منازلهم ناراً ليراها الضيف من بعيد فيهتدى إليهم . ويجوز أن يكون ذلك من قبيل قوله :

* على لا حبٍ لا يُهتدى لمناره *

أى لا منار له فيهتدى إليه . وقول الآخر :

* ولا ترى الضبَّ بها ينْجَحِرُ *

أى لاضبّ بها ولا انجحار، فالنفى راجع إلى القيد والمقيد جميعاً. وهذا وإن كان قليلا فى الـكلام لـكنه أنسب بكلام الناظم ؛ لأنه وصف المعضلة بكونها دهماء ، فلو أثبت لها ضوءا لعاد آخر كلامه على أوّله بالنقض . وقوله تشيب: من شاب الرأس إذا ابيضّ شعره ، وفى التنزيل « واشتعلَ الرأسُ شيبًا » .والنواصى: جمع ناصية. ويقال فيها ناصاة أيضاً،وهى قصاص الشعر . ودون: تقدّم تفسيره.وحل :مصدر حل العقدة أى نقضها فانحلت.والرموز: جمع رمز ، وهو الإشارة بعين أو حاجب أو شفة، وفى التنزيل «قال آيَتُكَ ألّا تـكلم الناسَ ثلاثةَ أيام إلا رمْزا »والمراد بها هنا الدقائق الخفيّة التى إذا عاناها الشخصُ من إبّان شبابه إلى زمان شيخوخته لا يقدر على حلها ولا يصل إلى كشفها.وقوله يحجم :أى يتأخر، يقال أحجمتُ عن الأمر : أى تأخرت عنه ، وقال أبو زيد : أحجمت عن القوم إذا أردتهم ثم هبتهم فرجعت عنهم . والأغوار : جمع غور . وغور كل شىء قعره ، يقال فلانٌ بعيد الغور: أى حقود، ويقال للعارف بالأمور أيضاً .والمغوار بكسر الميم صيغة مبالغة. يقال رجل مغوار بين الغوار ـ بكسرها ـ أى كثير الغارات، كذا فى القاموس. يعنى يتأخر عن الوصول إلى مدى رموز هذه المعضلة الفارس الـكثير الغارات فى ميدان المعانى لعجزه عن الوصول إليه . وقوله أجلت : من جال الفرس فى الميدان يجول جولةً وجَوَلانا : قطع جوانبه. وأجلته: جعلته يجول . والجياد: جمع جواد، وهو الفرس الحسن الجرى. وأصل جياد جواد ، فقلبت الواو ياء كما فى صيام .والفـكر ـ بالـكسر ـ تردّد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعانى، ولى فى الأمر فـكرٌ : أى نظر وروية . ويقال هو ترتيب أمور فى الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنا ، كذا فى المصباح. والحلبات ـ

ـ بفتحات ـ جمع حلبة، كسجدة وسجَدات، وهي خيل تجمع للسباق من كل أوب، ولا تخرج من وجه واحد ، يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة : أى فى آخر الخيل. ووجهت: من الوجهة. يقال وجهت الشيء: جعلته على جهة واحدة، وتلقاء ـ بكسر التاء والمدّ ـ بمعنى نحو وقصرها الناظم للضرورة. وصوائب: جمع صائب، وإنما جمع على فواعل لأنه صفة مذكر لا يعقل. كصاهل وصواهل، بخلاف نحو ضارب فلا يقال فيه ضوارب . والأنظار : جمع نظر ، وهو الفكر المؤدّى إلى علم أو ظن . وقوله فأبرزت :أى أظهرت ،من برز بروزاً : خرَج إلى البَراز بالفتح:أى الفضاء،وظهر بعد الخفاء . والمستور : اسم مفعول ، من ستره إذا غطاه بستر. والغامض: الخفى ، من غمض الحق غموضا: خفى مأخذه. ونسب غامض: لا يعرف. وقوله ثقفت ـ بتشديد القاف ـ من التثقيف وهو تقويم المعوجّ . والقسور : الأسد . ومن الغلمان القوى الشاب . والمعنى الثانى هو المناسب هنا لوصفه بقوله سوّار، فإن السوّار الذى تسور الخمر : أى تدور فى رأسه سريعاً كما فى القاموس . وفى الكلام استعارة مصرحة فإنه شبه مشكلات الأمور فى استغلاقها وصعوبة ردها إلى الصواب بشابّ قوى غوىّ ، منهمك فى شرب الخمر ، تدور برأسه سريعاً ، فهو لا يقبل النصح ولا يُقلع عن غيه ؟ لأنه قلّما يصحو فتثقيف اعوجاجه وتقويم أوده فى غاية الصعوبة ؛ لأنه لا يرعوى عن غيّه .

الإعراب : قوله : ومعضلة مجرور برب محذوفة . أى ورب معضلة ، ومحل مجرورها رفع بالابتداء ، وخبره قوله الآتى أجلت، أو نصب بفعل محذوف يفسره قوله أجلت، على نحو ما تقدّم فى قوله: وخطب يزيل الروع، ولكن الفعل المقدر هنا ليس من لفظ أجلت ، بل من مناسباته ، وتقديره : ربما لابست معضلةً أجلت جياد الفكر الخ . ودهماء : نعت لمعضلة على اللفظ . ويجوز رفعها ونصبها نعتا على

المحلّ وجملة لا يهتدى لها طريق نعت بعد نعت لمعضلة، ويجوز فى محلها الوجوه الثلاثة المتقدّمة ، واللام فى لها بمعنى إلى كقوله تعالى : « كل يَجرى لأجلٍ مسمًّى ». ولا يُهدى فعل مضارع مبنى للمفعول، وإلى ضوءها متعلق به، والسارى نائب الفاعل، والجملة معطوفة على الجملة قبلها، ويثبت لها من محالّ الإعراب ما ثبت لما قبلها. وقوله: تَشيب النواصى من الفعل والفاعل جملة فى محل جر صفة لمعضلة أيضا. والظرف فى قوله : دون حل : متعلق بتشيب، وهو مضاف إلى حل، وحل مضاف إلى رموزها. وقوله ويُحجم بضم أوّله ، مضارع أحجم ، وفاعله كلّ مغوار ، وعن أغوارها متعلق به، والجملة معطوفة على قوله تَشيب فلها حكمها . وقوله أجلت من الفعل الماضى وفاعله جملة فى محل الرفع خبر عن قوله ومعضلة إن قدرت مبتدأ، وإن جعلت مفعولا لفعل محذوف فلا محل لها ، لأنها مفسرة . وجياد مفعول به . والفكر مضاف إليه. وفى حلباتها متعلق بأجلت. وجملة وجهت معطوفة على أجلت. وتلقاها بالقصر للضرورة: ظرف لأجلت ، وهو من المصادر التى استعملت ظرفا ، كقولهم : آتيك طلوع الشمس ، وخفوق النجم . وصوائب مفعول به لوجهت . وأفكارى مضاف إليه، وهو من إضافة الصفة للموصوف ، والأصل أفكارى الصوائب . وقوله فأبرزت عطف على أجلت بالفاء المفيدة للتعقيب والسببية ، كقوله تعالى : « فوكزه موسى فقَضى عليه » . والجار والمجرور فى قوله من مستورها فى محل نصب على الحال من كل غامض ، وهو مفعول به لأبرزت. وجملة وثقفت معطوفة على أبرزت، ومنها فى محل نصب على الحال من كل، وهو مفعول به لثقفت . وقسور: مضافٌ إليه، ومنعه الناظم من الصرف للضرورة . وسوّار نعت لقسور .

وحاصل معنى هذه الأبيات أنه ربما ـ أى كثيرا ـ ما عرضت لى نازلة شديدة لا يهتدى الناس إلى طرائق التخلص منها ، ولا علامة تدل عليها ، ويبلغ الطفل

أوان الشيخوخة فى معاناتها ، ولا يقدر على حل مخفياتها وبيان مشكلاتها ، ولا يصل الفارس فى ميادين الكلام القوىُّ الفطن والأفهام إلى غايتها ، وجهت إليها أفكارى الصائبة فأبرزت خفاياها وقومت معانيها التى لا تكاد تتقوم .

﴿أأضرع للبلوى وأُغضِى على القذى وأرضى بما يرضى به كلُّ مخوار﴾

﴿وأفرحُ من دهرى بلذة ساعة وأقنع من عيشى بقرص وأطمار﴾

اللغة : أضرع مضارع ضرع له بفتحتين، ضراعة: ذل وخضع فهو ضارع. قال :

لِيبكِ يزيدَ ضارعٌ لخصومة ومختبطٌ مما تُطِيح الطوائحُ

والبلوى : البلاء، وهو اسم مصدر ابتلاه ابتلاء بمعنى امتحنه. وأغضى مضارع أغضى الرجل عينيه: قارب بين جفنيهما، ثم استعمل فى الحلم، فقيل أغضى على القذى: إذا أمسك عفوا عنه. وأغضى عنه: تغافل. والقذى ما يقع فى العين وفى الشراب وقذِيَت العين قذى ـ من باب تعب ـ صار فيها الوسخ . وأقذيتها : ألقيت فيها القذى . وقذيتها بالتثقيل : أخرجته منها . وقذت قذيا من باب رمى : ألقت القذى ، والمراد بالقذى هنا الصفات الذميمة والنقائص التى يأباها أولو الطباع السليمة استعارة مصرحة. ومخوار ـ بكسر الميم ـ صيغة مبالغة، من الخور ـ بفتحتين ـ وهو الضعف. يقال خار يخور فهو خوار ، قال :

أبالأراجيز يا ابن اللؤم توعدنى وفى الأراجيز خلتُ اللؤمَ والخورَا

وأفرح : مضارع فرح. والفرح السرور ولذة القلب بنيل ما يشتهى. ويستعمل فى الأشر والبطر . وعليه قوله تعالى : « إن الله لا يُحبّ الفرحين » ويستعمل فى الرضا أيضا . ومنه قوله تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » ، واللذة : نقيض الألم. يقال لذ الشىء يلذ بالكسر لذاذة ولذاذا : صار شهيا، فهو لذيذ ولذ. والساعة : الوقت من ليل أو نهار . والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وإن قل. وقوله:

أقنع: من القناعة وهى الرضا بالقسم. يقال قنعت به قنعا وقناعة: رضيت به. والقُنوع ـ بالضم ـ السؤال والتذلل، والرضا بالقسم ضدّ كما فى القاموس. وفى التنزيل: « وأطعموا القانعَ والمعترّ » فالقانع السائل، والمعترّ: المعترض المعروف من غير مسألة. والعيش: الحياة، والطعام، وما يعاش به، والخبز، والمعيشة: التى تعيش بها من المطعم والمشرب، وما يكون به الحياة، وما يعاش به أو فيه، والجمع معايش كذا فى القاموس. ولا تقلب الياء من معيشة فى الجمع همزة؛ لأنها أصلية، والتى تقلب همزة الزائدة، كما فى صحيفة وصحائف. والقرص ـ بالضم ـ رغيف الخبز، كالقرصة. والأطمار: جمع طمر بالكسر وهو الثوب الخلق.

الإعراب: أأضرع: فعل مضارع، والهمزة فيه للاستفهام الإنكارى بمعنى لا أضرع، وفاعله ضمير المتكلم، وللبلوى متعلق به، وأُغضِى فعل مضارع معطوف على أضرع، وفاعله ضمير المتكلم، وعلى القذى متعلق به. وأرضى فعل مضارع معطوف على ماقبله داخل فى حيز الاستفهام الإنكارى، وفاعله ضمير المتكلم، وما اسم موصول فى محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلق بأرضى، ويرضى فعل مضارع، والجار والمجرور من به متعلق بيَرضى، وكل فاعله، ومخوار مضاف إليه، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول، ويجوز أن تكون ما نكرة موصوفة بالجملة بعدها.

وإعراب البيت الثانى على نسق إعراب الأوّل.

ومعنى البيتين: أنى لا أذل لنزول بلوى، ولا أسامح نفسى بارتكاب ما يكون مشينا لعِرضى، ولا أرضى بما يرضى به ضعفاء العقول من التساهل وتضييع الحزم فى الأمور، ولا أفرح من دهرى بلذة فانية تنقضى سريعا، كالتذاذ أرباب النفوس الشهوانية بالتأنق فى المطاعم والمشارب والملابس والمراكب، وإنما فرحى

باللذة الحقيقية المتصلة بنعيم الآخرة وهى إدراك العلوم والمعارف، ولا أقنع من حياتى بما فيه حفظ جسمي ونماؤه من الاقتيات برغيف ، وستر البدن بثوب ، فإنّ ذلك أمر سهل حاصل لى وإن لم أطلبه ، وهمتى مصروفة عن سفساف الأمور وأدانيها، إلى شرائفها ومعاليها، وإلى تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالكمالات والفضائل.

ولله در أبى الفتح البستى حيث يقول :

يا خادمَ الجسم كم تشقى بخدمته ... وتطلبُ الربحَ مما فيه خُسران

عليك بالروح فاستكمِلْ فضائلَها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسانُ

﴿إذاً لا وَرَى زَندى ولا عزّ جانبي ... ولا بزغت فى قمّة المجدِ أقمارى﴾

﴿ولا بُلّ كفى بالسماح ولا سَرَتْ ... بطيب أحاديثى الركابُ وأخبارى﴾

﴿ولا انتشرتْ فى الخافقين فضائلى ... ولا كان فى المهدىّ رائقُ أشعارى[1]﴾

اللغة : إذاً بكسر الهمزة منوّنة ، حرف جواب وجزاء، فإن وقع بعدها فعل مضارع مستقبل غير مفصول منها إلا بالقسم أو بلا وكانت مصدّرة، أى غير واقعة حشواً نصبته ، وإن اختلّ شرط من هذه الشروط ، أو كان مدخولها غير الفعل المذكور ألغيت، كما هنا. قال فى المغنى: والأكثر أن تكون جوابا لإنْ أو لو ظاهرتين أو مقدرتين ، فالأوّل كقوله :

لئن عاد لى عبدُ العزيز بمثلها ... وأمكننى منها إذاً لا أُقيلها

والثانى نحو أن يقال: آتيك، فتقول إذاً أكرمك، أى إن أتيتنى إذاً أكرمك. قال الله تعالى: « ما اتخذ اللهُ من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهبَ كل إله بما خلق ولعلا بعضُهم على بعض ». انتهى. وما هنا من الثانى؛ لأن قوله أأضرع للبلوى وما عطف عليه فى قوة قوله إن ضرعت للبلوى، وأغضيت على القذى، ورضيت بما يرضى به كل

---

(١) من هنا تخلص إلى مدح المهدى ، وهو المراد بهذه القصيدة .

مخوار ، وفرحت من دهرى بلذة ساعة، وقنعت من عيشى بقُرص وأطمار، إذاً لا وَرَى زَندى، الأبيات. وقوله لا ورى زَندى : لا : فيه وفيما عُطف عليه دعائية ، أى لا جعل الله زندى يرى، أى لا خرجت ناره. يقال ورى الزند وريا من باب وعد، وأورى بالألف: إذا خرجت ناره. والزند بالفتح والسكون: الأعلى مما تقدح به النار. ويقال للسفلى زندة بالهاء، والجمع زناد مثل سهام. ووريُ الزناد: كناية عن الظفر بالمطلوب، وعدم وريه كناية عن الخيبة والحرمان. وفى القاموس: تقول لمن أنجدك وأعانك: ورت بك زنادى . انتهى. وعز : فعل ماض من العز وهو القوّة، يقال عز الرجل عزا بالكسر ، وعزازة بالفتح قوى . والجانب : الناحية . وعزّ جانب الشخص: كناية عن عزه ؛ لأنه يلزم عادة من عز مكان الشخص وجانبه عزه. ومثله علو المقام كناية عن الرفعة . وبزغ: بالزاى والغين المعجمة: طلع. يقال بزغت الشمس بزوغا: طلعت . والقمة بالكسر : أعلى الرأس وغيره . والمجد تقدّم بيان معناه. والأقمار: جمع قمر ، وفرق كثير من أئمة اللغة بينه وبين الهلال . قال الأزهرىّ : ويسمى القمر لليلتين من أوّل الشهر هلالا ، وفى ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضا هلالا . وما بين ذلك يسمى قمرا. وقال الفارابي وتبعه الجوهرى فى الصحاح: الهلال لثلاث ليال من أوّل الشهر، ثم هو قمر بعد ذلك . وقوله: ولا بُلّ ــ بضم الباء وتشديد اللام ــ ماض مبنىّ للمفعول ، من بللت الثوب بالماء فابتل . وبل الكف بالسماح كناية عن الكرم ، كقولهم فلان ندى الراحة وندى الكف. وسرت من السرى وهو السير ليلا . والأحاديث : جمع حديث على الشذوذ ، كما فى القاموس، أو جمع أحدوثة، وهى ما يتحدّث بها وتنقل ، ومن ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . والركاب : المطى ، الواحدة راحلة من غير لفظها. والأخبار: جمع خبر، وهو

ما يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله، وهو بمعنى الحديث، فعطفه عليه من عطف التفسير. وقوله ولا انتشرت: من نشر الراعى غنمه نشرا من باب نصر: بثها بعد أن أواها فانتشرت. والخافقان: المشرق والمغرب، من خفق النجم إذا غاب، ففيه مجاز فى الإسناد؛ لأن الخافق النجم فيهما، لا هما وفيه تغليب أيضا لأن الذى يخفق فيه النجم المغرب لا المشرق. وفى القاموس: والخافقان المشرق والمغرب، أو أفقاهما؛ لأنّ الليل والنهار يختلفان فيهما. انتهى، فعليه لا تغليب، ولكن المجاز باق. والفضائل: جمع فضيلة، وهى والفضل: الخير، وهو خلاف النقيصة والنقص. يقال فضَل فضلا من باب نصر: زاد. وفى تعبيره بالانتشار إشارة إلى أنها لكثرتها انتشرت بنفسها ولم تحتج إلى من ينشرها. والمهدى: ممدوح الناظم: وهو محمد بن عبد الله الحسينى الذى يظهر آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا كما هو الحق الذى عليه أهل السنة. وقالت الإمامية: إنه محمد بن الحسن العسكرى أحد الأئمة الاثنى عشر عندهم، وإنه حى من ذلك العهد إلى الآن، وإنه مختف فى سرداب يجتمع به بعض خاصة شيعته. وقوله رائق: اسم فاعل من راق الماء يروق: صفا، أو من راقنى جماله: أعجبنى، فعلى الأوّل يكون فى رائق استعارة مصرحة تبعية. والأشعار: جمع شعر بكسر فسكون، وهو النظم الموزون المقفّى المقصود. وبيان تعريفه ومحترزات قيوده يطلب من محله. ولعمرى لقد أبدع الناظم فى هذا التخلص الفائق، والانتقال الرائق فلله دره ما أوفر فضله وأغزر وبله.

الإعراب: قوله إذا هى حرف جواب وجزاء غير ناصبة لفقد شرطها كما تقدّم. وقوله لاوَرَى زندى: لا نافية دعائية، مثلها فى قوله:

* ولا زال مُنهلًّا بجرعائكِ القطرُ *

وورى فعل ماض. وزَندى فاعله. وقوله ولا عز جانبى: لا فيه أيضا دعائية،

وعز فعل ماض ، وجانبى فاعله ، وإعراب بقية البيت وما بعده ظاهر . وحاصل معنى الأبيات أننى إن اتصفت بصفة من الصفات السابقة فى البيتين قبل هذه الأبيات ؛ بأن ضرعت لبلوى ، أو أغضيت جفنى على قذى إلى آخر البيتين ، فلا ظفرت بمطلوب، ولا ثبت لى عز، ولا أضاءت فى ذروة المجد أنوار فضائلى وكمالاتى، ولا اتصفتُ بصفة السماحة والكرم ، ولا سَرتِ الركبان بطيب أحاديثى ومحاسن أخبارى ، ولا انتشرت فى الشرق والغرب فضائلى، ولا كان فى المهدىّ الذى يظهر بالقسط والعدل بين الأنام ـ ويكون ظهوره من أشرط الساعة العظام ـ أشعارى الرائقة ومدائحى الفائقة . وكان الأولى ـ للناظم الكامل حبر المعارف وبحر الفضائل الإعراض عما تضمنه مامضى من الأبيات من الإفراط فى التبجحات فإنها من تزكية النفس المنهى عنها بنص الكتاب ، والملقية للمتصف بها فى مهاوى مهالك الإعجاب، كيف لا وهى عند أرباب النهى سم قاتل ، وصِلّ على سالكى نهج النجاة صائل . ولعل مراده إظهار نعم الله تعالى عليه ، أو صرفُ همم القاصرين عن نيل الكمال إليه ، لعلهم ينتفعون بما عنده من العلوم المخزونة ، والأسرار المكنونة .

﴿ خليفةِ ربّ العالمين وظـــلّه على ساكنى الغبراء من كل ديّار ﴾

اللغة : يقال خلفت فلانا ـ بالتخفيف ـ على أهله وماله خلافة: صرت خليفته. وخلفته : جئت بعده . واستخلفته : جعلته خليفة، فخليفة يكون بمعنى فاعل وبمعنى مفعول . وأمّا الخليفة بمعنى السلطان الأعظم فيجوز أن يكون فاعلا لأنه خلف من قبله ، أى جاء بعده ، ويجوز أن يكون مفعولا لأنّ الله جعله خليفة، أو لأنه جاء به بعد غيره كما قال تعالى : « هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض » قال الراغب: يقال خلف فلان فلانا : قام بالأمر إما بعده وإما معه . قال تعالى : « ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكةً فى الأرض يخلفون » والخلافة : النيابة عن الغير، إما لغيبة

المنوب عنه ، وإما لموته ، وإما لعجزه ، وإما لتشريف المستخلف عنه ، وعلى الوجه الأخير استخلف الله تعالى أولياءه فى الأرض فقال : « هو الذى جعلكم خلائفَ فى الأرض » . وقال : « ليستخلفنَّهم فى الأرض كما استخلَف الذين من قبلهم » وقال عز وجل : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلَفين فيه » انتهى. وفى المصباح المنير: قال بعضهم : ولا يقال خليفة الله بالإضافة إلا لآدم وداود لورود النص بذلك. وقيل يجوز وهو القياس ؛ لأن الله تعالى جعله خليفة كما جعله سلطانا. وقد سُمع سلطان الله، وجند الله، وحزب الله ، وخيل الله، والإضافة تكون لأدنى ملابسة. وعدم السماع لا يقتضى عدم الاطراد مع وجود القياس، ولأنه نكرة تدخله اللام للتعريف فيدخله ما يعاقبها وهو الإضافة ، كسائر أسماء الأجناس . انتهى . والرب فى الأصل من التربية ، وهو إنشاء الشىء حالا فحالا إلى حد التمام . يقال : ربّه وربّاه. ولا يقال الرب مطلقا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات ، نحو قوله : « بلدةٌ طيبة ورب غفور » وبالإضافة يقال له ولغيره ، يقال رب العالمين ، ورب الدار ، ورب الفرس لصاحبها ، وعلى ذلك قوله تعالى: « اذكرنى عند ربك » كذا فى مفردات الراغب . والظل: قال الراغب ضد الضِّح ـ بالكسر ـ ضوء الشمس، وهو أعم من الفىء ، فإنه يقال ظل الليل ، وظل الجنة . ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس ظل، ولا يقال الفىء إلا لما زال عنه الشمس. ويعبر بالظل عن المناعة والعز والرفاهية انتهى . وقال ابن قتيبة ، يذهب الناس إلى أن الظل والفىء بمعنى واحد ، وليس كذلك ، بل الظل يكون غدوة وعشية. والفىء لا يكون إلا بعد الزوال، فلا يقال لما قبل الزوال فىء ، وإنما سمى ما بعد الزوال فيئاً ؛ لأنه فاء من جانب المغرب إلى جانب المشرق . والفىء : الرجوع . انتهى

وقال رؤبة بن العجاج : كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو ظل وفىء، ومالم تكن عليه الشمس فهو ظل ، ومن هنا قيل الشمس تنسخ الظلّ ، والفىء

بنسخ الشمس ، وأنا فى ظل فلان أى فى ستره ، كذا فى المصباح . وهذا المعنى هو المناسب هنا . وقال العلامة المناوى فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم «السلطان ظلّ الله فى الأرض» مانصه : لأنه يدفع به الأذى عن الناس، كما يدفع الظل حر الشمس وقد يكنى بالظل عن الكنف والناحية، ذكره ابن الأثير، وهذا تشبيه بديع ستقف على وجهه ، وأضافه إلى الله تعالى تشريفا له ، كيد الله وناقة الله ، وإيذانا بأنه ظل ليس كسائر الظلال، بل له شأن ومزيد اختصاص بالله لما جعله خليفة فى أرضه ينشر عدله وإحسانه فى عباده . ولما كان فى الدنيا ظل الله يأوى إليه كل ملهوف استوجب أن يأوى فى الآخرة إلى ظل العرش. قال العارف المرسى: هذا إذا كان عادلا وإلا فهو فى ظل النفس والهوى. انتهى . والغبراء بالمد: الأرض . والديّار: المنسوب إلى الدار بالسكنى فيها ، كعطّار فى المنسوب إلى العطر، وبزاز فى المنسوب إلى البز. قال الراغب : وقولهم ما بها ديّار أى ساكن، وهو فيعال، ولو كان فعالا لقيل دوار، كقولهم قوال وجواز .

الإعراب : خليفة رب العالمين بدل من المهدى، ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف: أى هو خليفة رب العالمين، وكل من رب والعالمين مجرور بالإضافة، وظله معطوف على خليفة على كلا احتماليه ، والجار والمجرور فى قوله على ساكنى الغبراء متعلق بظله على تأويله بمشتق ، أو حال منه . وقوله من كل ديّار بيان لساكنى الغبراء حال منه .

ومعنى البيت : أن ممدوح الناظم الذى هو المهدى هو السلطان الأعظم العادل الذى هو خليفة الله فى تنفيذ أحكامه على عباده ، وظل الله فى الأرض الذى يأوى إليه كل مظلوم من سكانها .

﴿هو العروة الوثقى الذى من بذيله تمسّك لا يخشى عظائمَ أوزارِ﴾

اللغة: العروة من الدلو والكوز: المقبض ، ومن الثوب : أخِيَّة زره. والوثقى: المحكمة . والمراد بالعروة الوثقى هنا الممدوحُ على طريقة التشبيه البليغ بالعروة التى يستمسك بها ويستوثق، كقوله صلى الله عليه وسلم. «وذلك أوثق عرى الإيمان». والذيل : طرف الثوب الذى يلى الأرض. وتمسك بالشىء واستمسك به : أخذ به وتعلق واعتصم . ولا يخشى: لا يخاف. والعظائم جمع عظيمة. والأوزار: جمع وزر بالكسر وهو الإثم .

الإعراب: هو ضمير منفصل يرجع إلى المهدى مبتدأ، والعروة خبره، والوثقى نعت للعُروة ، والذى اسم موصول فى محل رفع نعت للعروة باعتبار معناها، لأنها مجاز عن الممدوح. وهذا كقولك رأيت فى الحمام قسورة يفترس أقرانه . ومن اسم موصول مبتدأ . وبذيله متعلق بتمسك، وتمسك فعل ماض، وفاعله ضمير يرجع إلى من ، والجملة صلة الموصول الثانى ، وجملة لايخشى خبره ، وهو وخبره صلة الموصول الأول . وعظائم مفعول به ليخشى . وأوزار مضاف إليه .

ومعنى البيت : أن الممدوح كهف حصين يلجأ إليه فى الشدائد، وأن من اعتصم به واتبعه لا يخاف عظائم الأوزار؛ لأنه من أئمة الحق وخلفاء العدل، فمن تمسك به واتبعه سلم من الأوزار والذنوب .

﴿ إمامُ هدًى لاذ الزمان بظلّه وألقى إليه الدهرُ مِقوَدَ خوّار ﴾

اللغة : الإمام : العالم المقتدى به، ومن يؤتم به فى الصلاة . ويطلق على الذكر والأنثى، والواحد والكثير. قال الله تعالى: «واجعلنا للمتّقين إماما» . والهدى: مصدر هداه الله إلى الإسلام هدى . والهدى البيان كذا فى المصباح . وقوله لاذ الزمانُ أى التجأ ، وهو مجاز عقلى: أى لاذ الناس فى الزمان، كقولهم صام نهارُه. وقوله بظله تقدّم تفسيره قريبا. وألقى إليه الدهر: أى طرح، وهو مجاز عقلى كالذى

قبله : أى ألقى إليه أبناء الدهر . والمقود ـ بكسر الميم ـ الحبل تقاد به الدابة . قال الخليل : القود : أن يكون الرجل أمام الدابة آخذا بمقادها ، والسوق أن يكون خلفها ، فإن قادها لنفسه قيل اقتادها . كذا فى المصباح . والخوار : صيغة مبالغة ، من خار يخور : ضعف . وأرض خوّارة : لينة ، سهلة . ورمح خوار ليس بصلب ، والمراد بالخوار الدهر على طريقة التجريد ، كأنه لكماله فى صفة الخور جرّد منه خوار ، وإنما أضاف المقود إلى الخوّار ليفيد أن الدهر صار فى الانقياد له بمنزلة فرس ضعيف يقوده كل من أخذ بزمامه ، لعدم قدرته على الاستعصاء .

الإعراب : إمام هدى : خبر بعد خبر لهو فى البيت قبله ، أو خبر لمبتدأ محذوف. ولاذ فعل ماض ، والزمان فاعله. وبظله متعلق بلاذ. والجملة فى محل رفع صفة لإمام ، وجملة وألقى إليه الدهر معطوفة على الجملة قبلها فمحلها الرفع أيضا. ومقود مفعول به لألقى .

ومعنى البيت : أن هذا الممدوح عالم ثابت على الهدى والحق ، يلجأ إليه الناس فى زمانه ، ويلقى إليه أبناء الدهر زمامهم ، وينقادون إليه انقياد فرس سهل الانقياد لضعفه .

﴿ ومقتدرٍ لو كلف الصُّمَّ نطقَها ... بأجذارها فاهتْ إليه بأجذارِ ﴾

اللغة : مقتدر اسم فاعل ، من اقتدر على الشىء : قوى عليه وتمكن منه. والاسم القدرة . واسم الفاعل قدير وقادر. والشىء مقدور عليه. والله على كل شىء قدير : أى على كل شىء ممكن ، فحذفت الصفة للعلم بها ، لما علم أن قدرته تعالى لا تتعلق بالمستحيلات. والتكليف: إلزام ما فيه كلفة. والكلفة: المشقة. وتكلف الأمر : حمله على مشقة . ويقال كلفه وكلف به ، ويتعدّى إلى المفعول الثانى بالتضعيف ، فيقال كلفته الأمر فتكلفه على مشقة، مثل حملته فتحمله وزنا ومعنى.

والصُّم ـ بالضم والتشديد ـ جمع الأصم ، من الصمم وهو فقد حاسة السمع ، وبه شبه من لا يصغى إلى الحق ولا يقبله، كذا فى التوقيف المناوى. والمراد بالصُّم هنا: الأعداد التى لا جذر لها فى اصطلاح أهل الحساب ، كالعشرة فإنها لا جذر لها محقق . والجذر عندهم : عبارة عن العدد الذى يضرب فى نفسه ، مثاله : اثنان فى اثنين بأربعة ، فالاثنان هو الجذر ، والمرتفع من ضربها فى نفسها هو المال ، وهو المجذور ، فيقال الاثنان جذر الأربعة ، بمعنى أنها تحصل من ضرب الاثنين فى نفسها ، وكذلك العشرة جذر المائة؛ لأنها تحصل من ضرب العشرة فى نفسها. والعدد لا جذر له محقق ، كالخمسة والعشرة يسمى عندهم أصم ، ولهذا شاع بينهم سبحان من يعلم جذر العشرة ، يعنى أن إدراكه على التحقيق ليس فى طوق البشر ، إذ لا يوجد فى الخارج عدد يضرب فى نفسه فتحصل منه العشرة ، وكذلك الخمسة والستة والسبعة ونحوها ، فبيان أجذار هذه الأعداد الصم لا يدخل تحت طاقة البشر ، ولو كلفها هذا الممدوح بيان أجذارها لبينتها ونطقت بها بتخييل أنها من جنس من يعقل ويفهم الخطاب ويقدر على الإتيان بالمحال من الجواب، وهذا غلو وهو غير مقبول عند البلغاء إلا بذكر مايقرب به أو يضمنه اعتباراً لطيفا ، كقول أبى الطيب :

عقدَتْ سنابكُها عليها عِثْيرا لو تبتغِى عَنَقا عليــــه لأمكنا

وقوله فاهت : أى نطقت ، يقال فاه به وتفوّه به : نطق .

الإعراب : ومقتدر عطف على قوله إمام هدى . ولو حرف شرط يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه . وكلّف فعل ماض، وفاعله ضمير يعود إلى مقتدر، وهو يتعدّى إلى مفعولين ، ومفعوله الأوّل الصم، ومفعوله الثانى نطقها . والضمير فى نطقها يعود إلى الصم . وهو من إضافة المصدر إلى فاعله . وبأجذارها متعلق

بالنطق . وفاهت : جواب لو . ولديه : ظرف لفاهت ، وبأجذار : متعلق بفاهت .

ومعنى البيت أن هذا الممدوح ذو قدرة باهرة لا يستطاع مخالفته ، فلو كلف بالمحال عادة لحصل ، كما لو كلف الأعداد الضم أن تنطق بأجذارها لنطقت بها وبينتها امتثالا لأمره .

﴿ علومُ الورى فى جنب أبحر علمِهِ　　　كغرفة كفٍّ أو كغمسة منقار ﴾

اللغة : الورى بزنة الحصى : الخلق . والجنب : شِق الإنسان وغيره، ويطلق على الناحية أيضا كما فى المصباح . وقال الراغب : وأصل الجنب الجارحة ، ويجمع على جنوب ، قال تعالى : « فتكوى بها جباهُهُم وجنوبُهم » ثم يستعار فى الناحية التى تليها ، كعادتهم فى استعارة سائر الجوارح لذلك ، نحو اليمين والشمال كقول الشاعر :

* من عَنْ يمينى مرّةً وأمامى *

انتهى . والأبحُر : جمع بحر وهو معروف . وسمى بذلك لاتساعه . ومنه قيل فرس بحر : إذا كان واسع الجرى . والغرفة بالضم : الماء المغروف باليد ، والجمع غِراف ، مثلُ برمة وبرام . والغرفة بالفتح المرّة من الاغترافِ . وقرئ بهما فى قوله تعالى : « إلا من اغْتَرَفَ غَرْفَةً بيده » . والمناسب هنا الأوّل . والكف ـ كما قال الأزهرى ـ راحة الأصابع ، سميت بذلك لأنها تكف الأذى عن البدن . والغمسة : مصدر غمسه فى الماء : مقله وغطه فيه . والمنقار للطائر كالفم للإنسان . وإعراب البيت ظاهر .

ومعناه أن علوم الورى ـ يعنى ماعدا الأنبياء عليهم السلام ـ لو وضعت بإزاء علمه وفى ناحيته لكانت نسبتها إلى علمه كغرفة من بحر ، أو كغمسة منقار طائر منه . وهذا منتزع من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، لما قال له الخضر :

إن علمى وعلمك فى علم الله تعالى: كنقرة عصفور من هذا البحر. وفيه غلو لا يخفى.

﴿ فلوزار أفلاطونُ أعتاب قُدسِه ولم يُعشه عنها سواطعُ أنوار ﴾
﴿ رأى حكمةً قدسيةً لا يشوبها شوائبُ أنظار وأدناسُ أفكار ﴾
﴿ بإشراقِها كلُّ العوالِمِ أشرقتْ لِمالاح فى الكونين من نورِها السّارى ﴾

اللغة : زاره يزوره زيارة : قصده ، فهو زائر وهم زوْر - بالفتح - وزوّار ، مثل سافر وسَفْر وسُفّار. والمزار يكون مصدرا ويكون موضع الزيارة، وهى فى العرف قصد المزور إكراما له ، كذا فى المصباح .

وأفلاطون: هو الحكيم اليونانى المشهور تلميذ سقراط، جلس بعده على كرسيه قال الشهرستانى : وكان سقراط أستاذ أفلاطون، فاضلا زاهدا، واعتزل فى غار فى الجبل . ونهى عن الشرك والأوثان، فألجأت العامّةُ الملك إلى أن حبسه وسمه فمات. وجلس تلميذه أفلاطون على كرسيّه . وقال فى مفتاح السعادة: ومن أساتذة الحكمة أفلاطون أحد الأساطين الخمسة للحكمة من اليونان ، كبير القدر، مقبول القول ، بليغ فى مقاصده ، أخذ عن فيثاغورث ، وشارك مع سقراط فى الأخذ عنه . وكان أفلاطون شريفَ النسب بينهم، كان من بيت علم، وصنّف فى الحكمة كتبا كثيرة، لكن اختار منها الرمز والأغلاق. وكان يعلم تلامذته وهو ماش، ولهذا سموا المشائين. وفوّض الدرس فى آخر عمره إلى أرشد أصحابه ، وانقطع هو إلى العبادة ، وعاش ثمانين سنة ، ولازم سقراط خمسين سنة ، وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة، ثم عاد إلى مسقط رأسه مدينة اينتس ، ولازم درسه. وارتزق من نقل البساتين ، وتزوّج امرأتين ، وكانت نفسه فى التعليم مباركة تخرّج به علماء اشتهروا من بعده . وله تصانيف كثيرة فى أقسام الحكمة . انتهى .

قال ابن بدرون : ويحكى عن أفلاطون أنه كان يصوّر له صورة إنسان لم يره

قبل ولا عرفه ، فيقول صاحب هذه الصورة من أخلاقه كذا ، ومن هيئته كذا ، فيقال إنه صوّر له صورته ، فلما عاينها قال : هذه صورة رجل يحب الزنا ، فقيل له إنها صورتك ، فقال نعم لولا أنى أملك نفسى لفعلت فإنى محب له . انتهى .

وقال ابن الوردى فى تاريخه المسمى « بتتمة المختصر، فى أخبار البشر» وكان أرسطوطاليس تلميذ أفلاطون فى زمن الإسكندر، وبين الإسكندر والهجرة تسعمائة وأربع وثلاثون سنة ، وأفلاطون قبل ذلك بيسير ، وسقراط قبل أفلاطون بيسير ، فيكون بين سقراط والهجرة نحو ألف سنة ، وبين أفلاطون والهجرة أقل من ذلك . انتهى . قلت فيكون أفلاطون قبل مولد عيسى عليه السلام بأكثر من أربعمائة سنة ، لأن مولد عيسى قبل مولد نبينا عليهما الصلاة والسلام بخمسمائة وثمان وسبعين سنة ، وبين مولد نبينا وهجرته ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام. والأعتاب : جمع عتبة، وهى أسكُفّة الباب. والقدُس ـ بالضم وبضمتين ـ : الطهر، اسم ومصدر كما فى القاموس . وقال الراغب : التقديس : التطهير الإلٰهى فى قوله عز وجل : « ويطهركم تطهيراً » دون التطهير الذى هو إزالة النجاسة المحسوسة . والبيت المقدس هو المطهّر من النجاسة أى الشرك ، وكذلك الأرض المقدسة. انتهى. وقوله ولم يعشه مضارع أعشاه الله: خلق له العشا فى بصره . والعشا بالفتح والقصر: سوء البصر بالليل والنهار، كالغشاوة، أو العمى. وعشى الطير تعشية: أوقد لها ناراً لتعشى فتصاد كذا فى القاموس. وما هنا من هذا المعنى، إلا أن ماعدّاه بالهمزة على خلاف مافى القاموس ، فإنه عداه بالتضعيف . وسواطع : جمع ساطع ، من سطع الصبح : ارتفع . والأنوار : جمع نور، وهو الضوء المنتشر المعين على الإبصار. قال الراغب . وذلك ضربان : دنيوى وأخروى ، فالدنيوى ضربان : ضرب معقول بعين البصيرة ، وهو ما انتشر من الأمور الإلٰهية ، كنور العقل ، ونور القرآن ،

ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النـيرة كالقمرين والنجوم والنّيران، فمن النور الإلهى قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتابٌ مبين » وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » « نورا نّهدى به من نشاء من عبادنا » «فهو على نور من ربه» « نور على نورٍ يهـدى الله لنوره من يشاء » ومن المحسوس بعين البصر قوله تعالى «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا» وتخصيص الشمس بالضوء، والقمر بالنور من حيث إن الضوء أخص من النور. وقوله تعالى: «وجعل فيها سراجاً وقمرا مُنيرا » أى ذا نور. ومما هو عام فيهما قوله تعالى : « وجعل الظلمات والنور » وغير ذلك من الآيات. ومن النور الأخرَوى قوله تعالى «يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، يقولون ربّنا أتمم لنا نورَنا » وسمى الله تعالى نفسه نوراً من حيث إنه هو المنوِّر، فقال : « الله نور السموات والأرض » وتسميتُه تعالى بذلك لمبالغة فضله . انتهى. والحـكمة : إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحـكمة من الله تعالى معرفةُ الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان : معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا الذى وصف به لقمان فى قوله تعالى « ولقد آتينا لُقمانَ الحـكمةَ » والحُكم أعم منْ الحـكمة، فكل حِكمة حُـكم، وليس كل حُـكم حِكمة ؛ فإن الحـكم أن يقضى بشىء على شىء فيقول هو كذا، وليس بـكذا. قال عليه الصلاة والسلام : « إن من الشعر لحكمة » أى قضية صادقة. قال ابن عباس فى قوله تعالى : « من آيات الله والحـكمة » هى علم القرآن ناسخه ومنسوخه، محـكمه ومتشابهه . قال ابن زيد : هى علم آياته وحكمه . وقال السيد : هى النبوّة . وقيل فهم حقائق القرآن، كذا فى مفردات الراغب . وقال ابن الـكمال : الحـكمة علم يبحث فيـه عن حقائق الأشياء على ما هى عليه فى الوجود بقـدر الطـاقة البشرية فهى علم نظرى . ويقـال الحـكمة أيضاً هيئة القوّة العقليـة العلمية . انتهى .

قال المناوى فى كتاب التوقيف : الحكمة الإلهية علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات الخارجية المجرّدة عن المادّة التى لا بقدرتنا واختيارنا . وقيل هى العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه والعمل بمقتضاها؛ ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية. انتهى . ثم إن من الحكمة ما يجب نشرها أو يحسن ، وهى علوم الشريعة والطريقة ، وتسمى الحكمة المنطوق بها ، ومنها ما يجب سترها عن غير أهلها ، وهى أسرار الحقيقة التى إذا اطلع عليها علماء الرسوم والعوامّ تضرّهم أو تهلكهم. ذكره المناوى .

والقدسية: المنسوبة للقدس ، وتقدّم آنفا تفسيره. وقوله لايشوبها: أى لا يخالطها. يقال شاب اللبن بالماء أى خلطه . والشوائب : جمع شائبة . قال فى الصحاح : وهى الأقذار والأدناس . انتهى . . فيكون عطف الأدناس عليها فى كلام الناظم من عطف التفسير. والدّنس ـ بفتحتين ـ الوسخ . والأفكار: جمع فكر بالكسر، وهو النظر والروية. ويقال هو ترتيب أمور فى الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً ، كذا فى المصباح . وقوله بإشراقها مصدر أشرقت الشمس : طلعت كشرَقت . والضمير المضاف إليه يعود إلى الحكمة. وفيه استعارة مكنية. وإضافة الإشراق استعارة تخييلية على حد أظفار المنية . والعوالم : جمع عالم بفتح اللام ، والمراد به ما سوى الله، سمى عالما لأنه عَلَم على مُوجده. وأشرقت هنا بمعنى أضاءت، لا بمعنى طلعت ، كقوله تعالى : « وأشرقت الأرض بنورِ ربها » وفيه إيماء إلى التوجيه بحكمة الإشراق. ولاح بمعنى بدا. والكونين: تثنية الكون ، والمراد بهما كون الدنيا وكون الآخرة . قال فى التوقيف : والكون عند أهل التحقيق عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث إنه حق، وإن كان مرادفا للوجود المطلق العام عند أهل النظر. وهو بمعنى الكون. وقيل : الكون حصول الصورة

فى المادّة بعد أن لم تكن فيها . ذكره ابن الكمال . والسارى : اسم فاعل من سرى إذا سار ليلا . قال فى المصباح : قد استعملت العرب سرى فى المعانى تشبيها لها بالأجسام . قال الله تعالى : « والليل إذ يسر » والمعنى إذا يمضى . وقال جرير :

سرتِ الهمومُ فبتن غير نِيام وأخُو الهُموم يرُوم كلّ مرام

وقال الفارابى : سرى فيه السم والخمر ونحوهما. وقال السرقسطى . سرى عرق السوء فى الإنسان. وإسناد الفعل إلى المعانى كثير، نحو طاف الخيال، وذهب الغم، وأخذه الكسل . انتهى .

الإعراب : لو حرف امتناع كما تقدّم . وزار فعل ماض . وأفلاطون فاعله ، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. وأعتاب مفعول به. وقدسه مجرور بالمضاف والضمير فى قدسه فى محل جر ، وهو راجع إلى مقتدر ويعش بضم أوّله فعل مضارع مجزوم بلم . والهاء المتصلة به ضمير راجع إلى أفلاطون فى محل نصب على المفعولية . وسواطع فاعل يعش ومضاف إلى أنوار ، والجملة فى موضع نصب على الحال من أفلاطون مقترنة بالواو والضمير. وقوله رأى: جواب لو، وهو فعل ماض فاعله ضمير مستتر راجع إلى أفلاطون . وحكمة : مفعول به. وقدسية: نعت لحكمة. ولا يشوبها فعل مضارع . والهاء ضمير متصل فى محل نصب على المفعولية يعود إلى حكمة . وشوائب : فاعل يشوبها . وأنظار مضاف إليه . وأدناس معطوف على شوائب. وأفكار مضاف إليه . وبإشراقها : متعلق بأشرقت وإن فصل بينهما بأجنبى وهو المبتدأ؛ لأن الظروف مما يتسامح فيها، كما فى قوله تعالى: «أراغب أنت عن آلهتى» على تقدير أن يكون أراغب خبرا مقدّما كما نص عليه صاحب الكشف . وكل مبتدأ . والعوالم مضاف إليه . وجملة أشرقت خبر. وقوله لما لاح علة لقوله أشرقت.

وما المصدرية مع صلتها فى موضع جر باللام . وفى الكونين متعلق بلاح . ومن نور متعلق به أيضا . ومن تحتمل التبعيض والبيان . والسارى نعت لنورها .

وحاصل معنى الأبيات : أن أفلاطون على شهرته وفضله لو زار أمكنته المطهرةَ ولم يصدّه عنها سواطعُ أنوارها لا ستفاد منه حكمة قدسية ، أى مفاضة عليه من حضرات القدس غير مخلوطة بأقذار الأنظار وأدناس الأفكار ؛ لأنها من فيض مفيض العلوم والمعارف على قلوب الأبرار ، ولذلك أضاءت كل العوالم بإشراقها لما بدا فى عالمى الدنيا والآخرة من نورها السارى المنتشر فى الكائنات .

﴿ إمامُ الورى طودُ النُّهى مَنبعُ الهدى ۝ وصاحبُ سرِّ الله فى هذهِ الدار ﴾

اللغة : الطود : الجبل ، أو عظيمه . والنُّهى : بضم النون المشدّدة : جمع نُهية ، كالمدى فى جمع مدية . والمنبع ـ بفتح الميم والباء ـ مخرج الماء . وفى كل من طود النهى ومنبع الهدى استعارة بالكناية . والسر : ما يكتم ، وهو خلاف الإعلان . والجمع أسرار . ومنه قيل للنكاح سر ؛ لأنه يلزمه غالبا . والسر : الحديث المكتوم فى النفس . قال تعالى : « يعلم السر وأخفى » « يعلم سِرَّهُمْ ونجْوَاهُمْ » والمراد بهذه الدار الدنيا ، وإنما يكون صاحبَ سر الله فيها وقت ظهوره لا مطلقا . وهذا يشير إلى أنه يجمع بين رتبتى السلطنة الظاهرة والباطنة . وإعراب البيت ظاهر . وكذا حاصل معناه .

﴿ بـه العالَم السفلىُّ يسمُو ويعتَلى ۝ على العالَم العُلوىّ من غير إنكار ﴾

اللغة : السفلى : منسوب إلى السِّفل بالكسر ، والضمُّ لغة فيه ، وهو خلاف العلو . وابن قتيبة يمنع الضم . ويسمو : مضارع سما سموا : علا . والعلوى : منسوب إلى

العلو ـ بضم العين وكسرها ـ خلاف السفل . والمراد بالعالم السفلى الأرض ومن فيها ، وبالعالم العلوى الأفلاك وما فيها . وإعراب البيت ظاهر .

ومعناه: أن العالم السفلى ـ وهو الأرض ـ شُرّف وفُضل على العالم العلوى وهو السموات بسبب هذا الممدوح ؛ لأن الأرض مثوى له ، وله فيها مستقر ومتاع إلى حين . وهذا تهافت وإفراط فى الغلو ، ولا يليق إلا أن يقال فى حقه صلى الله عليه وسلم وبقية إخوانه من النبيين ، لأن من قال : بتفضيل الأرض علل ذلك بكونها موطئا لأقدامه ، ولكونه دفن فيها ، وأخذت طينته الطيبة الطاهرة منها ، وكذلك سائر النبيين . وكلام البيضاوى تبعا للكشاف يدل على أفضلية السماء على الأرض؛ فإنه قال فى قوله تعالى : «ثم استوى إلى السماء» وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين، وفضل خلق السماء على خلق الأرض كقوله: «ثم كان من الذين آمنوا» لا للتراخى فى الوقت انتهى. أقول : ويدل لذلك ما أخرجه ابن مردويه عن أنس رفعه : « أطّت السماء ويحقها ، وفى رواية وحُق لها أن تئِطّ ، والذى نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلّا وفيه جبهةُ ملك يسبّح الله ويحمده » والحديث جاء من طرق متعدّدة ، فرواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبى ذر مرفوعا بلفظ « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك واضع جبهته » وفى رواية الترمذى ساجد لله تعالى . قال المناوى : وهذا الحديث حسن أو صحيح . انتهى . وقال المحقق شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عماد الأقفهسى الشافعى فى كتابه الذريعة ما نصه : وأكثر أهل العلم على أن الأرض أفضل من السماء لمواطئ أقدام النبي صلى الله عليه وسلم وولادته وإقامته ودفنه فيها، ولأن الأنبياء عليهم السلام خلقوا منها وعبدوا الله فيها، ولأن السموات تطوى يوم القيامة وتلقى فى جهنم، والأرض تصير خبزة يأكلها أهل المحشر مع زيادة

كبد الحوت ، ولم يتكلم فى أىّ الأرضين أفضل ، وينبغى أن تكون هذه أفضل من اللواتى تحتها لما ذكرنا ، ولا فى السموات أيها أفضل ، ويحتمل أن تكون الأولى لأن الله تعالى خصها بالذكر فى قوله : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » الآية ، ولأنها قبلة الداعين قال تعالى « قد نرى تقلّب وجهك فى السماء » فكما فضلت الأرض الأولى بحلوله فيها ، كذلك تفضل السماء الأولى بتقلب نظره فيها ؛ ولأنها كانت مظلمة كما أن الأرض كانت مظلمة ، ويحتمل أن تكون السابعةَ لقربها من العرش ، ولأن الملائكة التى فيها أكثر من ملائكة السماء الأولى ومن بقية السموات بأضعاف ، كما تقدّم بيانه فى أوّل الكتاب . انتهى . وقد سئل العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر المكى : أيما أفضل السماء أو الأرض ؟ فأجاب رحمه الله تعالى بقوله : الأصح عند أئمتنا ونقلوه عن الأكثرين السماء ؛ لأنه لم يعص الله فيها ، ومعصية إبليس لم تكن فيها ، أو وقعت نادرا فلم يلتفت إليها . وقيل الأرض ، ونقل عن الأكثرين أيضا لأنها مستقر الأنبياء ومدفنهم . والله أعلم .

﴿ ومنه العقولُ العشرُ تبغى كمالها وليس عليها فى التعلُّم من عار ﴾

اللغة : العقول جمع عقل . والعقل فى الأصل مصدر عقلت الشىء عقلا ـ من باب ضرب ـ تدبرته ، ثم أطلق على الحجى واللب ، ولهذا قال بعض الناس : العقل غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب . وقسمه الحكماء بهذا المعنى إلى أربعة أقسام : العقل الهيولانى ، وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات ، وهو قوّة محضة خالية عن الفعل ، كما فى الأطفال ، وإنما نسب إلى الهيولى لأن النفس فى هذه المرتبة تشبه الهيولى الأولى الخالية فى حد ذاتها عن الصور كلها . والعقل بالملكة ، وهو العلم بالضروريات ، واستعداد النفس لاكتساب النظريات . والعقل بالفعل ، وهو

أن تصير النظريات مخزونة عند القوّة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشّم كسب جديد. والعقل المستفاد، وهو أن تحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه، كذا فى التوقيف وتصرفات السيد الشريف، وهذه غير مرادة للناظم هنا، وإنما مراده العقول العشرة التي أثبتها الفلاسفة بناء على قواعدهم الفاسدة أن الله ـ تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرا ـ موجب بالذات لا فاعل بالاختيار، وأن واجب الوجود لكونه واحدا من جميع جهاته لا تكثّر فيه وليس له إلا جهة الوجوب بالذات، واستحال عليه الإمكان الذاتى، والوجوب بالغير لم يصدر عنه إلا شىء واحد وهو العقل الأوّل، فعندهم لم يصدر عن البارى تعالى بلا واسطة إلا العقل الأوّل فقط، وهو أحد أنواع الجواهر المجرّدة التي هى الهيولى والصورة والعقل والنفس، ولما كان العقل الأوّل له جهتان جهة إمكان بالذات وجهة وجوب بالغير أفاض باعتبار الجهة الثانية العقل الثانى، وباعتبار الجهة الأولى الفلك الأعظم، لأن المعلول الأشرف وهو العقل الثانى يجب أن يكون تابعا للجهة التي هى أشرف، فيكون بما هو موجود واجبَ الوجود بالغير مبدأ للعقل الثانى، وبما هو موجود ممكن لذاته مبدأ للفلك الأعظم، وبهذا الطريق يصدر عن كل عقل عقل بجهة وجوبه بالغير وفلك بجهة إمكانه بالذات، إلى العقل التاسع فيصدر عنه بأشرف جهتيه ـ وهى جهة وجوبه بالغير ـ عقل عاشر تنتهي به سلسلة العقول، ويسمى عقلا فعالا لعدم تناهى ما يصدر عنه من الآثار المختلفة فى عالم الكون والفساد، ويسمى بلسان الشرع جبريل؛ وبالجهة الأخرى وهى إمكانه بالذات يصدر عنه فلك القمر؛ وبه تنتهى سلسلة الأفلاك. ثم يصدر عن العقل الفعال هيولى العناصر وصورها المختلفة المتعاقبة عليها بحسب تعاقب استعداداتها المختلفة، كما هو مقرّر فى محله. وهذا مبنى على قدم

الأفلاك وأزليتها ، وأن لها نفوسا ؛ فإنهم قالوا : إن السماء حيوان مطيع لله بحركته الدورية ، وأن لها نفسا نسبتُها إلى بدن السماء، كنسبة نفوسنا إلى أبداننا ، فكما أن أبداننا تتحرك بالإرادة نحو أغراضنا بتحريك النفوس ، فكذلك السموات، وإن غرض السموات بحركتها الدورية عبادةُ رب العالمين . قال حجة الإسلام الغزالى فى التهافت : ومذهبهم فى هذه المسألة مما لا ينكر إمكانُه ولا يدعى استحالته، فإن الله تعالى قادر على أن يخلق الحياة فى كل جسم ، فلا كبر الجسم يمنع من كونه حيًّا ، ولا كونه مستديرا ، فإن الشكل المخصوص ليس شرطا للحياة لأن الحيوانات مع اختلاف أشكالها مشتركة فى قبول الحياة ، ولكنا ندعى عجزهم عن معرفة ذلك بدليل العقل ، فإن هذا إن كان صحيحا فلا يطلع عليه إلا الأنبياء بإلهام من الله تعالى أو وحى ، وقياس العقل ليس يدل عليه ، نعم لا يبعد أن يعرف مثل ذلك بدليل إن وُجد الدليل وساعد ، ولكنا نقول ما أوردوه دليلا لا يصلح إلا لإفادة ظن ، فأما أن يفيد قطعاً فلا إلى آخر ما أطال به . وقوله تبغى : أى تطلب . والكمال : اسم من كمل الشيء كمولا — من باب قعد — إذا تمت أجزاؤه ، ويستعمل فى الصفات أيضا ، يقال كملت محاسنه كمولا . والعار : العيب .

وإعراب البيت ظاهر . ومعناه : أن هذا الممدوح لكثرة ما اشتمل عليه من الصفات الحميدة والفضائل العديدة صارت العقول العشرة تطلب كمالها منه ، ولا تستنكف عن التعلم منه ، ولا عيب عليها فى ذلك وإن كانت مبدأ لفيوضات الكمال ، إذ لا عار أن يتعلم الكامل ممن هو أكمل منه ، وفوق كل ذى علم عليم . وهذا كما ترى على سَنن ما سبق من الإفراط فى الغلو ، ومقام الممدوح غنى عن ذلك .

﴿ همامٌ لو السبعُ الطباق تطابقت   على نقض ما يقضيه من حُكمه الجارى ﴾

﴿ لنُكِّسَ من أبراجها كل شامخٍ   وسُكِّن من أفلاكها كلُّ دوّار ﴾

﴿ ولا نتثرت منها الثوابتُ خيفةً   وعاف السُّرى فى سُورها كلُّ سيّار ﴾

اللغة : الهمام كغراب : الملك العظيم الهمة ، والسيد الشجاع السخى ، خاص بالرجال ، كالهمهام .

والسبع الطباق : السموات ، سميت طباقا لأنّ كل واحدة منها كالطبق فوق الأخرى . قال الراغب : المطابقة من الأسماء المتضايفة ، وهى أن يجعل الشىء فوق آخر بقدره ، ومنه طابقت النعل بالنعل ، ثم يستعمل الطباق فى الشىء الذى يكون فوق الآخر تارة ، وفيما يوافق غيره تارة ، كسائر الأسماء الموضوعة لمعنيين. انتهى. وقوله تطابقت من هذا المعنى أيضا . قال فى المصباح : وأصل الطبق : جعل الشىء على مقدار الشىء مطبقا له من جميع جوانبه كالغطاء له، ومنه يقال أطبقوا على الأمر: إذا اجتمعوا عليه متوافقين غير متخالفين . انتهى. ونسبة المطابقة إلى السبع الطباق مجاز عقلى : أى لو تطابق من فيها، أو هو مبنى على مذهب الفلاسفة أن الأفلاك لها عقل وحياة كحياة الإنسان وعقله ، فيتأتى منها المطابقة على حقيقتها . ونقض ـ بفتح فسكون ـ مصدر نقض البناء : فكّك أجزاءه . وأما النقض بالضم والكسر فهو بمعنى المنقوض . ويقضيه مضارع قضى بمعنى حكم . والحكم بمعنى القضاء والمنع ، يقال حكمت عليه بكذا: إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك . وحكمت بين القوم : فصلت بينهم . وجارى: اسم فاعل من جرى الماء: سال خلاف وقف. وقوله ولُنكِّس : ماضٍ مبنى للمفعول، من نكس الشىء قلبه وجعل أعلاه أسفله. والأبراج: جمع برج مثل قُفل وأقفال، وهى القصور، وبها سميت بروج النجوم لمنازلها المختصة بها ، قال تعالى : « والسماء ذات البروج » «الذى جعل فى السماء بروجا» قاله الراغب. والشامخ ـ بالشين والخاء المعجمتين ـ من شمخ الجبل: ارتفع. وسكن ـ بالتثقيل والبناء للمفعول أيضا ـ من السكون ضدّ الحركة . والأفلاك: جمع فلك

بفتحتين ، وهو مدار النجوم . ودوّار : صيغة مبالغة ، من دار حول البيت : طاف به ، ودوران الفلك : تواتر حركاته بعضها إثر بعض من غير ثبوت ولا استقرار ، كذا فى المصباح . وقوله ولا تنتثرت : من النثر وهو الرمى بالشىء متفرّقا . والثوابت : جمع ثابت لما لا يعقل ، كنجم ثابت ، وجبل ثابت ، ولا يجمع على فواعل إذا كان صفة لعاقل . والخيفة ، قال الراغب : الحالة التى عليها الإنسان من الخوف ، قال تعالى : « فأوجس فى نفسه خيفة موسى » واستعمل استعمال الخوف فى قوله تعالى : « والملائكة من خيفته » اهـ . وعاف ـ بالعين المهملة والفاء ـ كره ، من عاف الرجل الطعام والشراب يعافه : كرهه . والسُّرى : هو السير ليلا كما تقدّم . والسور ـ من قوله فى سورها ـ بضم السين المهملة وسكون الواو : جمع سورة بمعنى المنزلة ، والضمير المضاف إليه يعود إلى الثوابت . وسيار : صيغة مبالغة ، من سار يسير . والمراد بها الكواكب السبعة السيارة ، وهى القمر ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس ، والمرّيخ ، والمشترى ، وزحل .

الإعراب : همام خبر لمبتدأ محذوف : أى هو همام ، ولو حرف شرط فى الماضى يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه . والسبع فاعل بفعل محذوف يفسره المذكور ، على حد قوله تعالى : « قل لو أنتُم تملكون خزائنَ رحمةِ ربى » والطباقُ بدل من السبع ، وجملة تطابقت من الفعل الماضى وفاعله المستتر لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها مفسرة . وعلى نقض متعلق بتطابقت . وما اسم موصول فى محل جر بإضافة نقض إليه . وجملة يقتضيه من الفعل المضارع والفاعل الذى هو ضمير مستتر لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول . ومن حُكمه بيان لما فى ما يقضيه حال منه . والجارى نعت لحكمه . وقوله لنكِّس : جواب لو . ومن أبراجها متعلق به . وكل نائب فاعل نكس . وشامخ مضاف إليه . وسكن بالضم والتشديد معطوف على

نـكس : ومن أفلاكها متعلق به . وكل نائب فاعل سكن . ودوّار مضاف إليه. وقوله ولا انتثرت عطف على انـكس ، والجار والمجرور فى قوله منها فى موضع نصب على الحال من الثوابت. والثوابت فاعل انتثرت. وخيفة مفعول لأجله لا انتثرت. وعاف معطوف على انـكس . والسرى مفعوله . وفى سورها متعلق بعاف . وكل فاعل عاف . وسيار مضاف إليه .

وحاصل معنى الأبيات : أن من فى السموات أو السموات نفسها لو اتفقت على نقض ماقضاه وأبرمه لانقلبت أبراجها وصار أعلاها أسفلها، ولسكن كل متحرك دائر من أفلاكها، ولا انتثرت كواكبها الثابتة خيفة من سطوته، ولـكره السرى فى منازلها أى تلك الثوابت كلّ كوكب عادته السير كالسبعة السيارة لخروجها عن النظام واختلالها بمخالفتها لذلك الهمام. ولا يخفى عليك أنه قد أربى فى الإفراط ، والغلو على ما قدّمه ، وزاد فى الطنبور نغمة .

﴿ أيا حجةَ الله الذى ليس جاريا ۞ بغير الذى يرضاه سابقُ أقدار ﴾
﴿ ويا من مقاليدُ الزمان بكفّه ۞ وناهيك من مجد به خصَّه البارى ﴾
﴿ أغِث حَوْزة الإيمان واعمُر رُبوعه ۞ فلم يبق منها غيرُ دارسِ آثار ﴾

اللغة : الحجة : الدليل والبرهان، والجمع حجج مثل غرفة وغرف. وجاريا: اسم فاعل، من جريت إلى كذا جريا وجراء: قصدت. وقولهم جرى الخلاف فى كذا، يجوز حمله على هذا المعنى؛ فإن الوصول والتعلق بذلك المحل قصد على المجاز، كذا فى المصباح . والأقدار : جمع قدر بالفتح ، وهو القضاء الذى يقدره الله تعـالى . والمقاليد جمع مقلاد ، وهو المفتاح ، أو الخزانة . قال الراغب : وقوله تعالى : « له مقاليد السموات والأرض » أى ما يحيط بها . وقيل خزائنها . وقيل مفاتيحها . والـكف : الراحة مع الأصابع . وناهيك : كلمة تعجب واستعظام، ويقال ناهيك

بزيد فارسا ، عند استعظام فروسيته والتعجب منها . وقال ابن فارس هى كما يقال حسبك ، وتأويلها أنه غاية تنهاك عن طلب غيره ، كذا في المصباح . والمجد ، قد تقدم بيان معناه . وقوله به خصه البارى : أى جعله له دون غيره . وقوله أغث : فعل أمر من أغاثه إغاثة إذا أعانه ونصره . والحوزة: الناحية. وإغاثة حوزة الإيمان كناية عن إغاثته ، بل إغاثة أهله . واعمر : أمر من عمر الدار : بناها . والربوع : جمع ربع ، وهو محلة القوم ومنزلهم . والدارس: اسم فاعل من درس المنزلُ دروسا: عفا وخفيت آثاره . والآثار : جمع أثر ، وأثر الدار بقيتها .

الإعراب: أيا حرف لنداء البعيد . وحجة الله منادى مضاف منصوب والذى فى محل نصب نعت لحجة الله . وإنما جىء به مذكرا مع أن الحجة مؤنثة نظرا لجانب المعنى لأنّ المراد بحجة الله الممدوح . وليس فعل ماض ناقصٌ يرفع الاسم وينصب الخبر ، وجاريا خبرها مقدّم . وبغير متعلق بجاريا . والذى اسم موصول فى محل جر بإضافة غير إليه . ويرضاه صلته ، والعائد إلى الموصول الهاء من يرضاه . وسابق اسم ليس مؤخر ، وسوّغ وقوعَه اسما تخصيصُه بالإضافة إلى أقدار . ويا حرف لنداء البعيد أيضا . ومن اسم موصول فى محل نصب . ومقاليد مبتدأ . والزمان مضاف إليه . وبكفه جار ومجرور خبر. ولا محل للجملة لأنها صلة الموصول. وناهيك مبتدأ . ومن حرف جرْ زائد . ومجد خبره ورفعه متعذر لاشتغال آخره بحركة حرف الجرّ الزائد. وزيادة «من» هنا غير قياسية لأنها لا تزاد فى الإثبات بخلاف قوله تعالى: « هل من خالق غير الله » فإنها قياسية ، ويجوز أن يكون ناهيك خبراً متقدّما ، ومن مجد مبتدأ مؤخر زيد فيه من ، وسوّغ الابتداء به وصفه بالجملة بعده . وهذان الوجهان متأتيان فى قولهم ناهيك بزيد. وبه متعلق بخصه ، وهو فعل ماض ، والضمير المتصل به مفعوله . والبارى فاعل. وأغث فعل دعاء ، وفاعله مستتر وجوبا . وحوزة

مفعول به . والإيمان مضاف إليه. واعمر فعل أمر، وفاعله ضمير المخاطب. وربوعه مفعول به . ولم حرف نفي وجزم . ويبق فعل مضارع مجزوم بها . ومنها متعلق به . وغير فاعل يبقى . ودارس مخفوض بإضافته إليه . وآثار مخفوض أيضا بإضافة دارس إليه.

ومعنى الأبيات أن الناظم ينادى ممدوحه المهدىّ ويستغيث به ويصفه بأنه حجة الله على الخلق، وأن الأقدار الإلٰهية لا تجرى إلا برضاه، وأن مفاتيح الزمان وخزائنه بيده ، وأن كل واحدة من هذه الصفات مجدٌ ينهاك أن تنظر إلى غيره، خصه الله تعالى به. ثم تضرع إليه وسأله أن يظهر ويغيث حوزة الإسلام ، ويعمر منازله وأماكنه ؛ فإنها قد اندرست وعفت آثارها . وهذا بناء على زعم الناظم أن المهدى محمد بن الحسن العسكرى ، وأنه حي مختف فى سرداب ينتظر أوان خروجه ، وتلك أوهام فارغة وخيالات فاسدة ، ولو كان المهدى موجوداً إذ ذاك وسمع مثل هذا الإفراط فى الغلو لحق له أن يخلع على ناظمه حلة حمراء نسجتها السيوف ، وأعلمتها أيدى الحتوف ؛ إذ لو كان ممدوحه نبيا لما ساغ له أن يقول فى مدحه: إن سوابق الأقدار الإلٰهية الأزلية لا تجرى إلا برضاه . والله يغفر له .

ويمكن تخريج كلامه على اصطلاحات الصوفية ، فإن الكامل منهم إذا وصل إلى مرتبة الفناء والجمع ، بأن يشهد قيامه بربه إيجادا وإمدادا، ظاهرا وباطنا ،بحيث يجد نفسه فانيةً فى ظهور الحق ، ويشهد ربه تعالى فاعلا له ولجميع أفعاله ، كما قال تعالى : «والله خلقكم وما تعملون» وإن الوجود كله له تعالى ، وهو عبد لا وجود له، بل هو عدم مقدر بتقدير ربه تعالى أزلا، لكنه ظاهر بالوجود الحقيقى ، كما نقل عن العارف بالله تعالى الشيخ محيي الدين بن عربى أنه قال : أوقفنى الحق بين يديه وقال : من أنت ؟ فقلت العدم الظاهر اهـ . فيصير العبد عند ذلك شأنا من شؤونه

تعالى ، كما قال تعالى : « كل يوم هو فى شأن » فإذا تحقق العبدُ ذلك صح له أن ينسب لنفسه ما لا يصدر إلا عن الحق جل جلاله ؛ فإنه حينئذ لا تنفس له فينطق بلسان الجمع عن الله تعالى ، كما قال عفيف الدين التلمسانى :

ولا تنطِقوا حتّى تَرَوْا نطقَها بكم   يلوحُ لكم منكم فتلكُمْ شؤونُها

أى لا تجعلوا أنفسكم الناطقة ، بل الحضرة الإلٰهية هى التى نطقت. وعلى هذا المقام ينبنى كثير من متشابه كلامهم ، كقول العارف بالله تعالى سيدى عمر ابن الفارض :

وليس معى فى الملك شىء سوایَ والـمعيّةُ لم تخطُر على ألمعيّتى

فلا عالمٌ إلا بفضلى عالم   ولا ناطقٌ فى الكون إلا بمدحتى

وغيرُ بعيد تحققُ المهدىّ بهذا المقام ، وأن يكون خليفةً فى الظاهر والباطن ، وتثبت له السّلطنة الظاهرة والباطنة . وإذا كان كذلك كانت أفعاله أفعالَ الحق جلّ وعلا ، فصح أن يقال إن الأقدار الإلٰهية لا تجرى إلا برضاه ؛ لأنّ رضاه رضاالله تعالى، فساغ حينئذ للناظم أن يصفه بما وصف، فليتأمل. وهذا غاية ماسنح للفكر الفاتر ، والنظر القاصر فى الجواب عن هذا المحقق الماهر .

﴿ وأنقِذ كتابَ الله من يد عُصبة   عَصَوا وتمادَوا فى عُتوّ وإصرار ﴾

﴿ يَحيدون عن آياته لرواية   رواها أبو شَعْيون عن كَعْب الاحبار ﴾

اللغة: أنقذ أمر من الإنقاذ وهو التخليص. يقال أنقذته من الشر إذا خلصته منه . وكتاب الله: القرآن العظيم . والعصبة ـ بضم العين وسكون الصاد المهملتين ـ قال ابن فارس: هى من الرجال نحو العشرة. وقال أبو زيد: العشرة إلى الأربعين. والجمع عُصَب، مثل غرفة وغرف. وعصوا : من العصيان وهو الخروج عن الطاعة، وأصله أن يمتنع بعصاه . قاله الراغب . وتمادى: من التمادى ، يقال تمادى فلان فى

غيه إذا لج ودام على فعله . والعتوّ : الاستكبار . يقال عتا عتوّا : استكبر . والإصرار : قال الراغب : كل عزم شددت عليه ولم تقطع عنه . وقوله يحيدون : أى يتحرّفون ويتنحون ، من حاد عن الشىء حيدة وحيودا تنحى عنه وبعد . والآيات : جمع آية ، وهى لغة العلامة الظاهرة . والآية من القرآن : كل كلام منه منفصل بفصل لفظى . والرواية : مصدر رويت الحديث إذا حملته ونقلته . وأبو شعيون يحتمل أن يكون كنية راو من رواة كعب الأحبار غير مشهور، ويحتمل أن يكون كناية عن مجهول لا يعرف، ونكرة لا تتعرّف، كقولهم هيان بن بيان، كناية عن المجهول . وكعب الأحبار: هو ابن ماتع التابعى الجليل، العالم بالكتاب وبالآثار ، أسلم زمن أبى بكر رضى الله عنه ، وروى عن عمر رضى الله عنه، وتوفى سنة خمس وثلاثين من الهجرة. وكعب الأحبار فى النظم ساقط الهمزة بنقل حركتها إلى اللام قبلها . وإعراب البيتين ظاهر .

وحاصل معناهما أن الناظم يطلب من ممدوحه المهدى أن يخلص كلام الله تعالى من أيدى عصبة عصوا الله تعالى باتباع أهوائهم، وداموا على ضلالهم واستكبارهم، وأصروا على ذلك، وحرفوا القرآن عن ظواهره، وأوّلوه تأويلات بعيدة لا ترتضيها فحول العلماء لأخبار وآثار واهية يروونها عن مجاهيل لا تقبل روايتهم عند أهل الأثر ، ولا يثبت بها حديث ولا خبر . ولعل ذلك تعريض بأهل السنة فإنهم يحتجون بالأحاديث التى ترويها الثقات ، ويبينون بها مجمل الكتاب ، ويقيدون مطلقه ، ويخصون عامه إذا كان الحديث مستوفياً لشروط الصحة والقبول بخلاف الشيعة فإنهم لا يقبلون من الأحاديث إلا ما كان من رواية آل البيت كما هو مشهور عنهم .

وقد اتفق لى مع رجل من علمائهم مناظرة ، فأردت الاحتجاج عليه بحديث

غيه إذا لج ودام على فعله . والعتوّ : الاستكبار . يقال عتا عتوّا : استكبر . والإصرار : قال الراغب : كل عزم شددت عليه ولم تقطع عنه . وقوله يحيدون : أى يتحرّفون ويتنحون ، من حاد عن الشىء حيدة وحيودا تنحى عنه وبعد . والآيات : جمع آية ، وهى لغة العلامة الظاهرة . والآية من القرآن : كل كلام منه منفصل بفصل لفظى . والرواية : مصدر رويت الحديث إذا حملته ونقلته . وأبو شعيون يحتمل أن يكون كنية راو من رواة كعب الأحبار غير مشهور، ويحتمل أن يكون كناية عن مجهول لا يعرف، ونكرة لا تتعرّف، كقولهم هيان بن بيان، كناية عن المجهول . وكعب الأحبار: هو ابن ماتع التابعى الجليل، العالم بالكتاب وبالآثار ، أسلم زمن أبى بكر رضى الله عنه ، وروى عن عمر رضى الله عنه، وتوفى سنة خمس وثلاثين من الهجرة. وكعب الأحبار فى النظم ساقط الهمزة بنقل حركتها إلى اللام قبلها . وإعراب البيتين ظاهر .

وحاصل معناهما أن الناظم يطلب من ممدوحه المهدى أن يخلص كلام الله تعالى من أيدى عصبة عصوا الله تعالى باتباع أهوائهم، وداموا على ضلالهم واستكبارهم، وأصروا على ذلك، وحرفوا القرآن عن ظواهره، وأوّلوه تأويلات بعيدة لا ترتضيها فحول العلماء لأخبار وآثار واهية يروونها عن مجاهيل لا تقبل روايتهم عند أهل الأثر ، ولا يثبت بها حديث ولا خبر . ولعل ذلك تعريض بأهل السنة فإنهم يحتجون بالأحاديث التى ترويها الثقات ، ويبينون بها مجمل الكتاب ، ويقيدون مطلقه ، ويخصون عامه إذا كان الحديث مستوفيا لشروط الصحة والقبول بخلاف الشيعة فإنهم لا يقبلون من الأحاديث إلا ما كان من رواية آل البيت كما هو مشهور عنهم .

وقد اتفق لى مع رجل من علمائهم مناظرة ، فأردت الاحتجاج عليه بحديث

من صحيح البخارى ، فطعن فى صحيح البخارى وقال : البخارى لا يوثق بكل ما فيه من الأحاديث ، فقلت له الأحاديث الضعيفة فى صحيح البخارى محصورة ، وهى نحو ستين حديثا، وهى معروفة منصوص عليها، وأكثرها فى التراجم والتعاليق. وقد أجمعت الأمة على تلقى صحيحه وصحيح مسلم بالقبول، فما هذه الخرافات التى تبديها والتلفيقات التى كبيت العنكبوت تبنيها . وقد ظهر لى منك علامة الابتداع ، فلا صحبة لك معى بعدها ولا اجتماع ، فتبرأ من الرفض ، وأقسم بالله أنه محب للشيخين ، لكنه يفضل عليا عليهما وهو أهون الشيئين :

﴿ وفى الدين قد قاسُوا وعاثُوا وخبَّطُوا بآرائهم تخبيط عَشواء معْسارِ ﴾

اللغة : الدين ـ بالكسر ـ الجزاء ، والإسلام ، والعادة ، والعبادة ، والمواظب من الأمطار ، أو اللين منها ، والطاعة ، والذل ، والداء ، والحساب ، والقهر ، والغلبة ، والاستعلاء ، والسلطان ، والحكم ، والملك ، والسيرة ، والتدبير ، والتوحيد ، واسم لجميع ما يُتَعبَّد الله تعالى به ، والملة ، والورع ، والمعصية ، والإكراه ، والحال ، والقضاء ، كذا فى القاموس. وفى الاصطلاح : هو وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ماهو خير لهم بالذات. وقاسوا : من القياس وهو تقدير شىء بشىء ، يقال قاسه بغيره ، وعليه يقيسه قيسا وقياسا ، واقتاسه : قدّره على مثاله . وفى الشرع : تقدير الفرع بأصله فى الحكم والعلة ، كذا فى المنار. وعرفه فى التحرير بأنه : مساواة محل لآخر فى علة حكم شرعى لا تدرك من نصه بمجرّد فهم اللغة اهـ . وعاثوا ـ بالعين المهملة والثاء المثلثة ـ أى أفسدوا ، من العيث وهو الفساد ، وفى التنزيل « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » . وخبّطوا ـ بتشديد الباء ـ بمعنى أفسدوا ، من تخبطه الشيطان: أفسده، وحقيقة الخبط الضرب، وخبط البعير الأرض: ضربها بيده . والآراء : جمع رأى وهو العقل والتدبير ورجل ذو رأى أى ذو بصيرة وحذق

فى الأمور . والعشواء : الناقة الضعيفة البصر، من العشا بالفتح والقصر، وهو ضعف البصر. والمعسار: صيغة مبالغة من عسرت الناقة تعسر عسراً وعسراناً: رفعت ذنبها فى عدوها . ووصف العشواء بذلك لأنها حينئذ تكون أشد خبطاً، لأنها إذا كانت تخبط مع المشى فمع العدو خبطها يكون أكثر . ومن أمثالهم: من ركب متن عمياء خبط خبط عشواء ، فجعلوا خبط العشواء مشبهاً به لأنه أبلغ من خبط العمياء، لأن العمياء حيث كانت فاقدة البصر لا تمضى حتى تقاد فيقل خبطها ، بخلاف العشواء فإنها تعتمد بصرها ، وبصرها ضعيف فيكثر خبطها . وإعراب البيت ظاهر .

ومعناه : أن هؤلاء العصبة الذين حادوا عن آيات الكتاب أثبتوا فى دين الله أحكاماً بالقياس الفاسد ، إمّا لفقد شرط من شروطه، وإما لكونه فى مقابلة النص من كتاب أوسنة، وأفسدوا على الناس دينهم وخبطوا بآرائهم وعقولهم خبط عشواء ذاهبة على رأسها لا تبصر أمامها .

﴿وأَنْعِشْ قلوباً فى انتظارك قُرِّحَتْ   وأَضْجَرها الأعداء أَيَّةَ إضجارِ﴾

اللغة : أنعش : فعل دعاء ، من أنعشه الله : أقامه من عثرته فانتعش : أى قام من عثرته . والقلوب: جمع قلب ، وهو الفؤاد أو أخص منه ، والعقل، ومحض كل شىء. وفى انتظارك : أى ترقبك، من انتظره: تأنى عليه. وقرّحت ـ بالبناء للمفعول وتشديد الراء ـ أى جرحت ، وأضجرها الأعداء : أى غموها وأقلقوها. والأعداء: جمع عدوّ : وهو خلاف الصديق . وأيَّة : مؤنث أىّ التى تقع صفة دالة على الكمال ، نحو مررت برجل أىِّ رجل ، وبامرأة أيَّة امرأة، فتطابق تذكيراً وتأنيثاً تشبيهاً لها بالمشتقات ، وموصوفها هنا محذوف : أى إضجاراً أىَّ إضجار ، وهو قليل ، كقول الفرزدق :

إذا حاربَ الحجاجُ أى منافق علاهُ بسيف كلّما مرّ يقطعُ

أراد منافقا أيَّ منافق . وقال ابن مالك : وهذا غاية الندور لأن المقصود بالوصف بأى التعظيم ، والحذف مناف لذلك . والناظم ألحقها التاء هنا مع أن الموصوفَ مذكر على خلاف القياس ، لتأويل الإضجار بالسآمة ، ففى كلامه شذوذان: حذف الموصوف ، وتأنيث صفته مع كونه مذكرا .

الإعراب : أنعش : فعل أمر ، وفاعله ضمير المخاطب . وقلوبا مفعول به . وفى انتظارك متعلق بقرّحت . وفى للتعليل بمعنى اللام ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النارَ فى هرّة حبستها » . وأضجرها فعل ماض ومفعوله ، والأعداء فاعله . وأية صفة لموصوف محذوف كما تقدم . وإضجار مضاف إليه .

ومعنى البيت: إن قلوب أوليائك الذين ينتظرون خروجك لتخلصهم مما حل بهم من المصائب فى الدين قد تقرّحت من ألم انتظارك، وأقلقها الأعداء، فأنعِشْهم بإنقاذك إياهم مما هم فيه من الشدائد بخروجك إليهم .

﴿ وخلِّصْ عبادَ الله من كل غاشمٍ وطهّر بلاد اللهِ من كل كَفَّار ﴾

اللغة : خلص عبـاد الله : أى أنجهم . يقال خلُصَ الشىء من التلف خلوصا وخلاصا : سلم ونجا .

والغاشم : اسم فاعل من الغشم وهو الظلم . وطهّر : فعل دعاء ، من طهُر الشىء طهارة: نقى من الدنس والنجس . وكَفّار : صيغة مبالغة ، من كفر بالله أى نفاه ، أو عطّله أو أشرك به ، أو كفر نعمته: أى سترها . ولما كان الـكافر نجسا معنويًّا كما قال تعالى: « إنما المشركون نجس » كانت إزالته تطهيرا . ولعله أراد بغاشم وكَفّار من وصفهم فى البيت قبله بأنهم عاثوا وخبطوا . ويحتمل أن يكون مراده كل من اتصف بنوع من أنواع الـكفر .

وإعراب البيت ظاهر . وكذا حاصله .

﴿ وعجّل فَدَاكَ العالَمون بأسرهم وبادِرْ على اسم الله من غير إنْظارِ ﴾

﴿ تجدْ من جُنود الله خيرَ كتائب وأكرمَ أعوان وأشرف أنصارِ ﴾

اللغة : عجل فعل أمر من عجل تعجيلا أسرع . وقوله فِداكَ العالمون: أى جعلوا والجملة خبرية لفظا إنشائية معنى ، كقولهم : فِداكَ أبى وأمى : أى جعل الله العالمين فِداكَ إن وقعتَ فى مكروه ، وليس من فَدى الأسير بمال إذا استنقذه: لأنه لا يلائم المقام، فالفداء يطلق على الفداء بالنفس والمال. قال الراغبُ: يقال فديته بمالى، وفديته بنفسى . وفى القاموس : وفدّاه تفدية . قال له جعلت فداءك . وقوله بأسرهم : أى بجميعهم ، تقول أخذت هذا بأسره : أى بجميعه .

ولعل الممدوح لا يرضى بأن يهلك العالمون بأسرهم ويبقى هو وحده، إذ لا يبقى لخروجه فائدة . وأيضا لا يحصل غرض الناظم من إنقاذ كتاب الله من أيدى المحرّفين وإنعاش قلوب أوليائه المنتظرين، فقد تبرع الناظم بما لا يملك على من لا يقبل. والعذر له أن هذا كلامٌ لم تقصد حقيقته ، وإنما المقصود تعظيم الممدوح . وبادر : أمر من المبادرة وهى الإسراع. والإنظار : مصدر أنظر الدَّين على الغريم إذا أخره. والجنود: جمع جند ، وهو العسكر ، وكل مجتمع يقال له جند ، نحو « الأرواح جنود مجندة » وجنود الله هم المحامون عن دينه قال تعالى «وإنَّ جندنا لهم الغالبون» والكتائب: جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الجيش مجتمعة . والأعوان: جمع عون وهو الظهير على الأمر . والأنصار: جمع نصير ، كيتيم وأيتام ، لا جمع ناصر. لأن فاعلا لا يجمع على أفعال . يقال نصرته على عدوّه . ونصرته منه نصرا : أعنتُه وقوّيته .

الإعراب: عجل فعل دعاء، وفاعله ضمير المخاطب. وفدى فعل ماض ،والكاف مفعوله . والعالمون فاعل . وبأسرهم فى محل نصب حال من العالمون. وبادر عطف على

قوله وعجل . وفاعله ضمير المخاطب . وعلى اسم الله فى محل النصب حال من الضمير المستتر فى بادر: أى سائرا على اسم الله. ومن غير متعلق ببادر. وإنظار مضاف إليه وتجد فعل مضارع مجزوم فى جواب الأمر. ومن جنود الله متعلق به. وخير مفعول تجد . وكتائب مضاف إليه . وأكرمَ عطف على خير . وأعوان مضاف إليه . وأشرفَ عطف على خير أيضا ، أو على أكرم . وأنصار مضاف إليه .

ومعنى البيتين : أسرع إلى إغاثة حوزة الإسلام والمسلمين ، جعل الله العالمين فداك ، وبادر على بركة الله من غير إمهال ؛ فإن أسرعت وبادرت وجدت من جنود الله جماعات وأعوانا ينصرونك على أعدائك .

﴿ بهم من بنى همدانَ أخلص فتيةٍ — يخوضون أغمارَ الوغى غيرَ فُكّار ﴾

﴿ بكل شديد البأس عَبْل شَمَرْدَلٍ — إلى الحتفِ مقدام على الهولِ مِصْبار ﴾

﴿ تحاذرُه الأبطال فى كل مَوْقفٍ — وترهَبُه الفرسانُ فى كلِّ مِضمار ﴾

اللغة : همدان ـ وزان سكران ـ قبيلة من حِمير ، من عرب اليمن ، والنسبة إليها همْدانى على لفظها . وأما همذان ـ بفتح الميم والذال المعجمة ـ فهى بلدة بناها همذان ابن الفلوج بن سام بن نوح ، وإليها ينسب البديع الهمذانى. وأما الناظم فهو من قبيلة همدان بسكون الميم وبالدال المهملة ، ولهذا وصفهم فى هذه الأبيات بالفتوّة والشجاعة ، وخوض غمرات الحروب والمعارك. وأخلص: اسم تفضيل من خلص الماء من الكدر : صفا . والفتية جمع فتى ، وهو الطرى من الشبان ، والأنثى فتاة . ويخوضون : من خاض الرجل الماء يخوضه خوضا: مشى فيه. والأغمار : جمع غمْرة كزَحمة وزنا ومعنى. ودخلت فى غُمار الناس ـ بضم الغين وفتحها ـ أى فى زحمتهم. والوغى ـ بالقصر ـ الجلبة والأصوات. ومنه وغى الحرب. وقال ابن جنى: الوعى بالمهملة: الصوت والجلبة ، وبالمعجمة الحرب نفسها. ولا يخفى ما فى أغمار الوغى من

الاستعارة المكنية والتخييلية . وفكار -بضم الفاء وتشديد الكاف- جمع فاكر، من فكر فى الأمر : تأمل فيه، يعنى أن هؤلاء الفتية إذا دعُوا إلى الحرب يقدمون عليها ولا يتفكرون فى العواقب كما هو عادة الشجعان ، كما قال :

إذا همَّ ألقى بين عينيـــه عزمَه ونكّب عن ذِكر العواقب جانبا

وشديد : صفة لموصوف مقدر: أى بكل بطل شديد البأس. والبأس: الشدّة والقوّة، تقول هو ذو بأس أى ذو قوّة. والعبل: الضخم، تقول عبُل الشىء عَبالة فهو عَبْل ، مثل ضخم ضخامة فهو ضخم وزنا ومعنى . والشمردل - بفتح الشين المعجمة والميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة بعدها لام -الفتىّ السريع من الإبل وغيره، الحسن الخلق. والحتف: الموت وتقدم الكلام فيه. ومقدام: صيغة مبالغة، من أقدم ، كمعطاء من أعطى . والهول : الفزع . ومصبار : صيغة مبالغة من صبر. وقوله تحاذره : أى تخافه . والأبطال : جمع بطل وهو الشجاع ، سمىَ بطلا لبطلان الحياة عند ملاقاته ، أو لبطلان العظائم به . والموقف : موضع الوقوف للقتال . وترهبه : أى تخافه. والفرسان: جمع فارس، وهو الراكب. والمضمار: الموضع الذى تضمر فيه الخيل وتعد للسباق .

الإعراب: بهم ظرف مستقرّ محله رفع على الخبرية لقوله أخلصُ، والباء بمعنى فى ، كقوله تعالى : « مصبحين وباليـــل » والضمير المجرور يرجع إلى كتائب وما عطف عليـه . ومن بنى همدان ظرف مستقرّ أيضا محله نصب على الحالية من الضمير المستقرّ فى الخبر. وهمدان مجرور بإضافة بنى إليه، غير منصرف للعلمية وزيادة الألف والنون. وأخلص مبتدأ مؤخر. وفتية مضاف إليه. وجملة يخوضون فى محل جر نعت لفتية. وأغمار مفعول به. والوغى مضاف إليه. وغير منصوب على الحال

من الواو فى يخوضون : وفُكَّار مجرور بإضافته إليه . وقوله بكل شديد البأس : كل مجرور بالباء . وشديد والبأس مجروران بالإضافة . والباء فى بكل تجريدية ، كقولك لقيت بزيد أسداً؛ لأن كل شديد البأس الذى يخوضون غمار الوغى به هو كل واحد منهم لا غيرهم . وشديد صفة لموصوف محذوف : أى بكل بطل شديد . والبأس مجرور بإضافة شديد إليه . وعبل نعت لشديد. وإنما ساغ نعته بالنكرة مع أنه مضاف إلى معرفة لأن هذه الإضافة لفظية لا تفيد تعريفا ولا تخصيصا . وشمردل بدل من شديد ، أو من عبل ، وقوله إلى الحتف متعلق بمقدام . ومقدام نعت لشديد أيضا ، ومثله قوله على الحرب مصبار . وقوله تحاذره : فعل مضارع ، والضمير المتصل به مفعوله ، والأبطال فاعله . وفى كل موقف متعلق بتحاذره. والجملة فى محل جر صفة لشديد . وترهبه فعل مضارع ، ومفعوله الهاء المتصلة به والفرسان فاعله . وفى كل مضمار متعلق به . والجملة فى محل جر بالعطف على الجملة قبلها .

وحاصل معنى الأبيات أن هذه الكتائب والأنصار والأعوان التى يجدها الممدوح فيهم من قبيلة همدان فتيان شجعان ، يقدمون على الحروب والمعارك من غير تفكر فى عواقب الأمور ، بكل بطل شديد البأس ضخم سريع مقدام على الموت ، صابر على الأهوال والشدائد ، تخافه الأبطال فى كل موقف من مواقف الحروب ، وتخشاه الفرسان فى كل معترك .

﴿ أيا صفوةَ الرحمن دونك مدحةً ۞ كدُرٍّ عقودٍ فى ترائب أبكارِ ﴾
﴿ يُهنّنا ابنُ هانى إن أتى بنظيرها ۞ ويعنُو لها الطائىّ من بعد بشّار ﴾

اللغة : أيا حرف لنداء البعيد . والصفوة ـ بكسر الصاد ، وحكى فيها التثليث ـ من كل شىء خالصه . ودونك : اسم فعل منقول عن الظرف بمعنى خذ . والمدحة ،

بالكسر : المدح ، يقال مدحه مدحا ، ومدحة : أحسن الثناء عليه . والدر بالضم : جمع درة ، وهى اللؤلؤة الكبيرة . والعقود ـ جمع عقد ـ وهو القلادة . والترائب : عظام الصدر ، أو ماولى الترقوتين منه ، أو ما بين الثديين والترقوتين ، أوموضع القلادة . والأبكار ـ بفتح الهمزة ـ جمع بكر ، بكسر الباء ، خلاف الثيب . وهى التى لم تزل بكارتها أى عذرتها . وقوله يهنا ـ بضم الياء وتشديد النون ، وبالألف المنقلبة عن الهمزة ـ وأصله يهنأ بالهمزة . يقال هنأنى الولد يهنؤنى ، من باب نفع : أى سرنى . وابن هانئ : هو شاعر الأندلس ، وصاحب الديوان المشهور ، وذو الشعر الرائق ، والمعانى الغريبة ، والتوليدات البديعة ، أبو الحسن محمد بن إبراهيم ، المتوفى سنة ثلاثمائة واثنتين وستين . والنظير : المثيل والمساوى . ويعنو : مضارع عنا له إذا خضع وذل . والطائى : هو أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر المشهور وصاحب كتاب الحماسة المشهورة المتوفى سنة مائتين وإحدى وثلاثين . وبشار : هو ابن برد بن يرجوخ ، أبو معاذ العقيلى بالولاء ، الضرير شاعر العصر ، قتله المهدى لما رموه بالزندقة فى سنة مائة وسبع وستين .

الإعراب : أيا حرف لنداء البعيد . وصفوة الرحمن منادى مضاف منصوب لفظا . ودونك اسم فعل بمعنى خذ ، وفاعله ضمير المخاطب المستتر . ومدحة مفعول به والظرف فى قوله كدر عقود فى محل نصب على النعت لمدحة . وفى ترائب فى محل نصب على الحالية من در لتخصيصه بالإضافة إلى عقود . وأبكار مجرور بإضافته إليه . وقوله يهنا بضم الياء فعل مضارع مبنى للمفعول . وابن هانئ نائب فاعله . والجملة فى محل نصب نعت ثان لمدحة . وإن حرف شرط جازم . وأتى فعل ماض فى محل جزم على أنه فعل الشرط ، وبنظيرها متعلق به . وجواب الشرط محذوف مدلول عليه بيهنا . أى إن أتى بنظيرها فهو يهنا . ويعنو معطوف على يهنا . والظرف فى

لها متعلق به . والطائى فاعل : يعنو . والظرف فى قوله من بعد فى موضع نصب على الحال من الطائى . وبشار مضاف إليه .

وحاصل معنى البيتين أن الناظم أقبل على ممدوحه وخاطبه بقوله أيا صفوة الرحمن استجلابا لإقباله عليه وقبول مدحته قائلا ، خذ منى مدحة لك كأنها عقود اللآلئ فى أجياد الأبكار ، يحق لابن هانئ إن أتى بنظيرها أن يهنأ ، ويخضع لبلاغتها أبو تمام الطائى من بعد ما خضع لها بشار . وهذا على سبيل الفرض والتقدير .

﴿ إليكَ البهائىّ الحقير يزُفُّها　　كغانيةٍ ميّاسة القدّ مِعطارِ ﴾

اللغة : البهائى منسوب إلى الجزء الأوّل من بهاء الدين ، لأن قياس النسب فى مثله مما لم يتعرف الجزء الأوّل بالثانى أن ينسب الجزء الأوّل كما فى امرئ القيس ، فيقال فى المنسوب إليه امرئى . والناظم أتى هنا بالنسب على غير وجهه ، لأن بهاء الدين لقب له لا لأبيه . والشىء لا يصح أن يكون منسوبا إلى نفسه ، فلا يصح أن يقال فيمن اسمه أبو بكر بكرى ، ما لم يكن أبوه أو أحد أسلافه مسمى بأبى بكر ، فلعل أحد أسلافه كان ملقبا ببهاء الدين أيضا . وقوله يزفها مضارع من الزفاف ، وهو إهداء العروس إلى زوجها . والغانية : المرأة تُطلب ولا تَطلب ، أو الغنية بحسنها عن الزينة ، أو التى غنيت فى بيت أبويها ولم يقع عليها سباء ، أو الشابة العفيفة ذات زوج أم لا . وميّاسة : صيغة مبالغة ، من ماس يميس إذا تبختر . والقد ـ بالفتح والتشديد ـ قامة الإنسان واعتدالها . ومعطار : صيغة مبالغة ، عن عطرت المرأة فهى عطرة ومعطار : إذا تضمخت بالطيب .

ومعنى البيت : أن ناظم هذه القصيدة بهاء الدين يهديها إليك حال كونها كحسناء غنيت بحسنها عن الزينة متبخترة لإعجابها بحسنها ، كثيرة العطر تعبق منها روائح الطيب : وإنما ذكر اسمه فى آخر القصيدة لئلا تنسى نسبتها إليه على مرور

الأيام وكرور الأعوام . وهذه عادة شعراء العجم وليست فى الشعر العربى القديم .

﴿ تغارُ إذا قيست لطافةُ نظمها بنَفْحة أزهار ونَسْمة أسحار ﴾

اللغة: تغار،من غارت المرأة على زوجها غيرة وغيرا وغارا،فهى غيرى وغيور، كذا فى القاموس . والنفحة مصدر نفح الطيب ـ كمنع ـ فاح ، نفحا ونفحانا ونُفاحا بالضم . والنسمة : نفس الريح كالنسيم . والأسحار : جمع سحر بفتحتين ، وهو قبيل الصبح .

يعنى أن تلك المدحة إذا قاس أحدٌ لطافة نظمها بنفحة الأزهار،وعَرفها،ونسمة الأسحار ولطفها،أخذتها الغيرة لكون لطافة نظمها فوق لطافة نفحة الأزهار ونسمة الأسحار ، فلا ترضى أن يقاس لطفها بلطفهما .

﴿ إذا رُدِّدت زادت قَبولًا كأنها أحاديثُ نجدٍ لا تُملّ بتكرار ﴾

اللغة : ردده ترديدا :أعاده مرة بعد أخرى .وقبول الشىء:الرضا به،من ذلك قبلت العقد قبولا . ويقال قبلت القول: صدقته . وقبلت الهدية : أخذتها. وقبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه. والأحاديث هنا جمع أُحدوثة وهى ما يتحدّث به. ونجد : تقدّم تفسيره فى مستهل القصيدة . وتمل : من الملل وهو السآمة والضجر . والفاعل ملول . والتكرار : إعادة الشى مراراً . وأصله من كر الليلِ والنهار : أى عودهما مرة بعد أخرى . وكر الفارس كرا : إذا فرّ للجولان ، ثم عاد للقتال.

الإعراب: إذا ظرف لما يستقبل من الزمان مضمن معنى الشرط ، لكنه غير جازم،والعامل شرطه أو جزاؤه قولان.ورُدّدت بضم الراء فعل ماض مبنى للمفعول فعل الشرط ، ونائب الفاعل ضمير يعود إلى مدحة .وزادت جزاء الشرط.وقبولا تمييز.وكأنها الهاء اسم كأن ، وأحاديث خبرها.ونجد مجرور بإضافتها إليه. وتمل فعل

مضارع مبنى للمفعول ، ونائب الفاعل ضمير يعود إلى أحاديث . وبتكرار متعلق يتمل .

ومعنى البيت : أن هذه المدحة كلما رددها قائلها وكررها ازدادت حلاوة عند الطباع ، وقبولا فى الأسماع ؛ لما اشتملت عليه من جزالة اللفظ ودماثة المعنى وسلاسة النظم ، وعذوبته فى مذاق الفهم ، فكأنها أحاديث نجد التى أولعت الشعراء بذكرها ، وسارت أشعارهم قديما وحديثا ببثها ونشرها ، فمكرَّرها لدى الأسماع من أشهى اللذات ، ومُعادها تستطيبه الأنفس وإن جبلت على معاداة المعادات ، كما قال :

وحديثُها السِّحْرُ الحلالُ لو آنه لم يَجْنِ قتلَ المسلم المتحرِّز
إن طال لم يُملَل وإن هى أَوجزت ودّ المحدَّث أنها لم تُوجِزِ

وهاهنا تم المرام من تعليق هذه الأرقام ، وغيّض القلم مجاجته ، ولبّد عجاجته . والمرجو من حضرة المولى الهمام ، من سعت فى خدمته على رءوسها الأقلام ، المستغنى بماله من الشهرة عن التعريف ، المكتفى بامتيازه ببدائع النعوت عن الإطراء فى التوصيف ، أن يعذرنى فيما سمحت به القريحة ، والفكرة السقيمة الجريحة ، فما مثلى فيما خدمت به حضرته إلا كمن أهدى إلى البحر قطرة ، أو أتحف أهالى هجر بتمرة ، لكن ثقتى بما طبع عليه من أخلاق الكرم ولطائف السجايا والشيم ، جرأتنى على ما أتيت به من مزجاة البضاعة ، التى هى بالإضاعة أجدر منها بالإشاعة .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وباسمه تنزل البركات . والصلاة والسلام على أشرف أهل الأرض والسموات ، وعلى آله وأصحابه أولى المكرمات .

وفرغ منه جامعه أحقر الخليقة ، بل لا شيء في الحقيقة ، أحمد بن علي الشهير بالمنيني ، والمشكاة قد برد قلبها المحرور ، وفرغ لسانها من تلاوة سورة النور ، لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة ألف ومائة وإحدى وخمسين ، من هجرة من أرسله الله رحمة للعالمين ، وختم به عقد الأنبياء والمرسلين ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

فهرس الموضوعات

من الجـــزء الثانى من الـكشكول

صفحة

﴿ أحاديث نبوية ﴾

﴿ الألغاز ﴾

﴿ الأمثال ﴾

صفحة

صفحة

﴿ البلاغة ﴾

صفحة

﴿ التفسير ﴾

﴿ التوحيد ﴾

صفحة

صفحة

﴿ الخطب ﴾

صفحة

صفحة

صفحة	
	وانظر بقية الصفحة
	انظر صفحة ١٨٤ ، ١٨٥
١٩٢ ، ١٩٣	أشعار رقيقة فى معان مختلفة .
١٩٩ ، ٢٠٠	قصيدة لأبى فراس الحمدانى ٢٥ بيتا ، أولها :
	أراكَ عصيَّ الدمع شيمتُك الصّبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
٢٠٥ـ٢٠٨	التائية الصّغرى لابن الفارض ٤٧ بيتا، أولها :
	نَعَمْ بالصَّبا قلْبى صبا لأحبّتِى فياحبّذا ذاكَ الشّذَى حين هبّتِ
٢١٦	أربعة أبيات من شعر « تركان » وهى امرأة جيدة الشعر أولها :
	قد رأينا تنـــكُّرا وسمعْنـــا تنقُّصـــا
٢٢٦ ، ٢٢٧	قصيدة لابن الفارض ٣٦ بيتا ، أولها :
	أوَميضُ برق بالأبيْرق لاحا أم فِى رُبَا نجدٍ أرى مصباحاَ
٢٣٠	خمسة أبيات للسيد الرضى ، أولها :
	أمّلتكم لِدفاع كلِّ مُلمّة عنِّى فكنتُم عينَ كلِّ مُلِمّة
٢٣٠	أربعة أبيات لمجنون ليلى ، أولها :
	تمنّيت من لَيلى على البُعد نظرةً ليُطفأ جوًى بين الحشا والأضالِع
٢٣٩	أربعة أبيات ، أولها :
	إذا قلّ مالُ المرء قلّ بهاؤُه وضاقتْ عليه أرضُه وسَماؤُه
٢٤٥ـ٢٤٧	قصيدة لابن الفارض ٥٠ بيتا ، أولها :
	قلبى يُحدّثُنى بأنك مُتلِفِى رُوحِى فِداكَ عرفتَ أم لم تعرفِ
٢٥٨	سبعة أبيات لأبى العتاهية يصف فيها جوارى المهدى لما مات، أولها:
	رُحن بالوَشيِ وأصبحْ ـــن عليهن المسوح
٢٧١	خمسة أبيات لأبى الحسن النورى ، أولها :

صفحة

﴿ قصص وحكايات ﴾

انظر صفحة ٢١٧

صفحة

صفحة

﴿ كلام الحكماء والعظماء ﴾

صفحة

صفحة

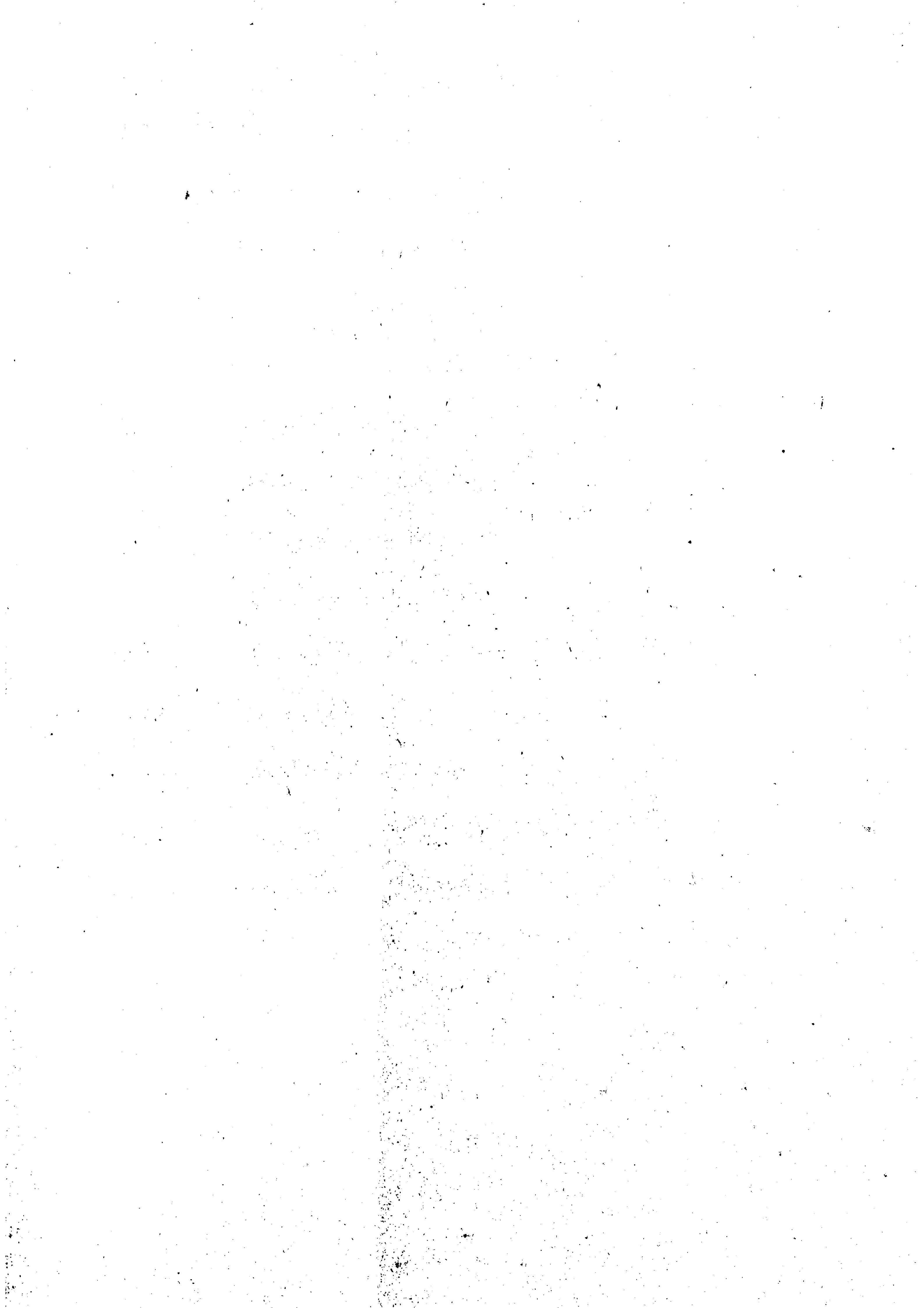
صفحة

صفحة

---

(١) ذكرت القصيدة فى صفحات ١٧٦ـ١٧٩ من الجزء الأول

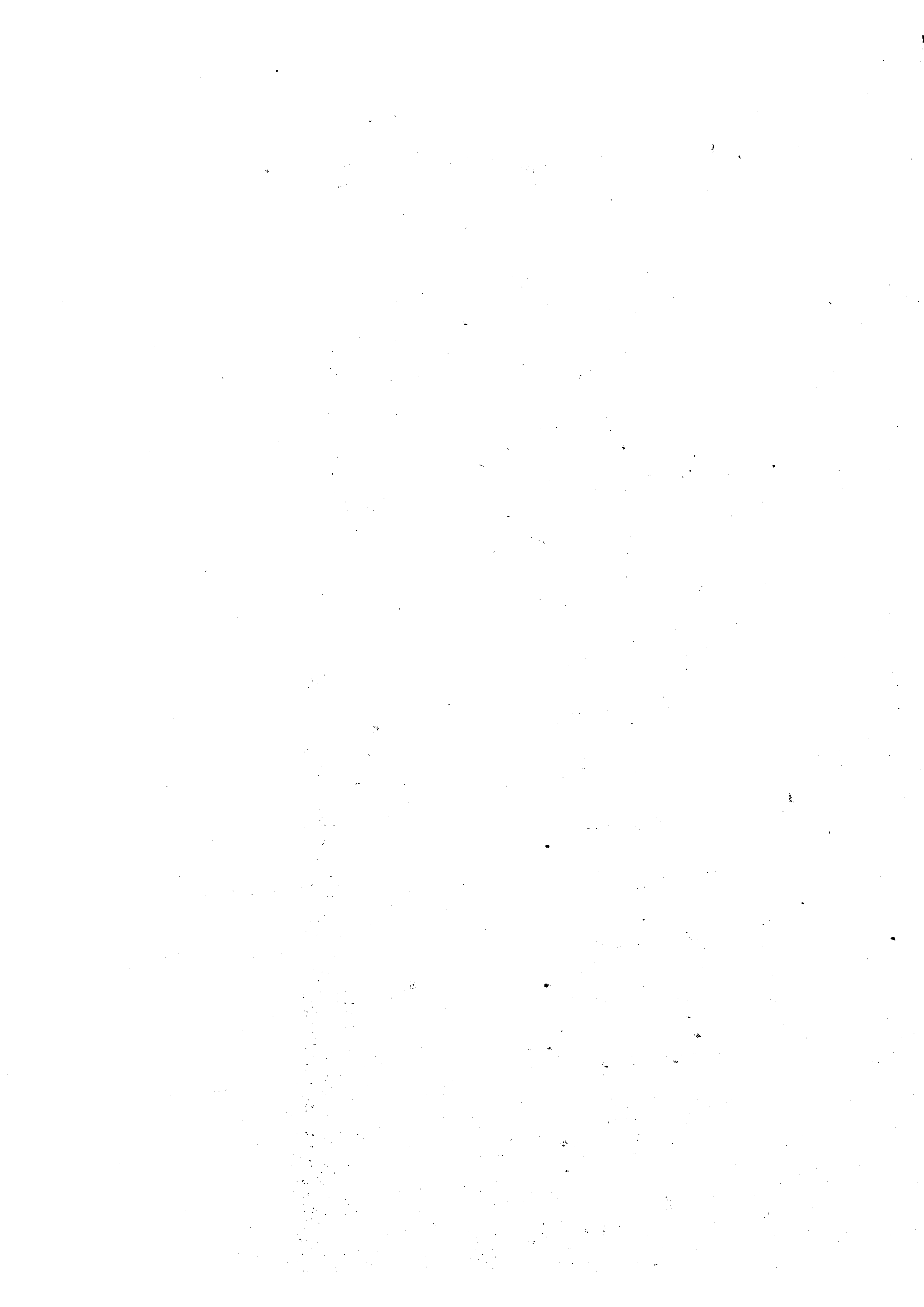
﴿ الوصايا ﴾



فهرس الفهرس

للجزء الثانى من الكشكول

﴿ تم بفضل الله وعونه ﴾



صدر من هذه السلسلة

٢٠ - تجريد الأغانى جـ ٢
٢١ - تجريد الأغانى جـ ٣
٢٢ - تجريد الأغانى جـ ٤
٢٣ - تجريد الأغانى جـ ٥
٢٤ - تجريد الأغانى جـ ٦
٢٥ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة جـ ١
٢٦ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة جـ ٢
٢٧ - حلبة الكميت
٢٨ - البرصان والعرجان والعميان والحولان جـ ١
٢٩ - البرصان والعرجان والعميان والحولان جـ ٢
٣٠ - رسائل ابن العربى جـ ١
٣١ - رسائل ابن العربى جـ ٢
٣٢ - منامات الوهرانى
٣٣ - الكشكول جـ ١
٣٤ - الكشكول جـ ٢

رقم الايداع : ٩٨/١١٤٧٠

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : ٣٩٠٤٠٩٦



الكشكول، للأستاذ بهاء الدين العاملي من أحسن الكتب المؤلفة في الأدب، وهو نسيج وحده، وفريد نوعه، جمع من فنون الأدب، ورقائق الشعر ما لم يجمعه غيره من الكتب.

وهو الثاني من نوعه من مؤلفات الأستاذ العاملي. أما الكتاب الأول فهو « المِخْلاة » وهو على نمط الكشكول في جمع المتفرقات. وقد ألف الكشكول في مصر.

ومما يلفت النظر أن الأستاذ العاملي قال في مقدمته للكشكول: إنه لم يذكر فيه شيئا مما ذكره في المخلاة. وهذه مقدرة للعاملي لا شك أنها تدل على تبحره في العلوم، وسعة اطلاعه علي دقيق مسائلها. وذهنٍ صاف استطاع به أنه يجمع من مختلف المسائل ما يرقق القلوب، ويشنّف الأسماع، ويهذّب النفوس.

شركة الأمل للطباعة والنشر

الثمن خمسة جنيهات